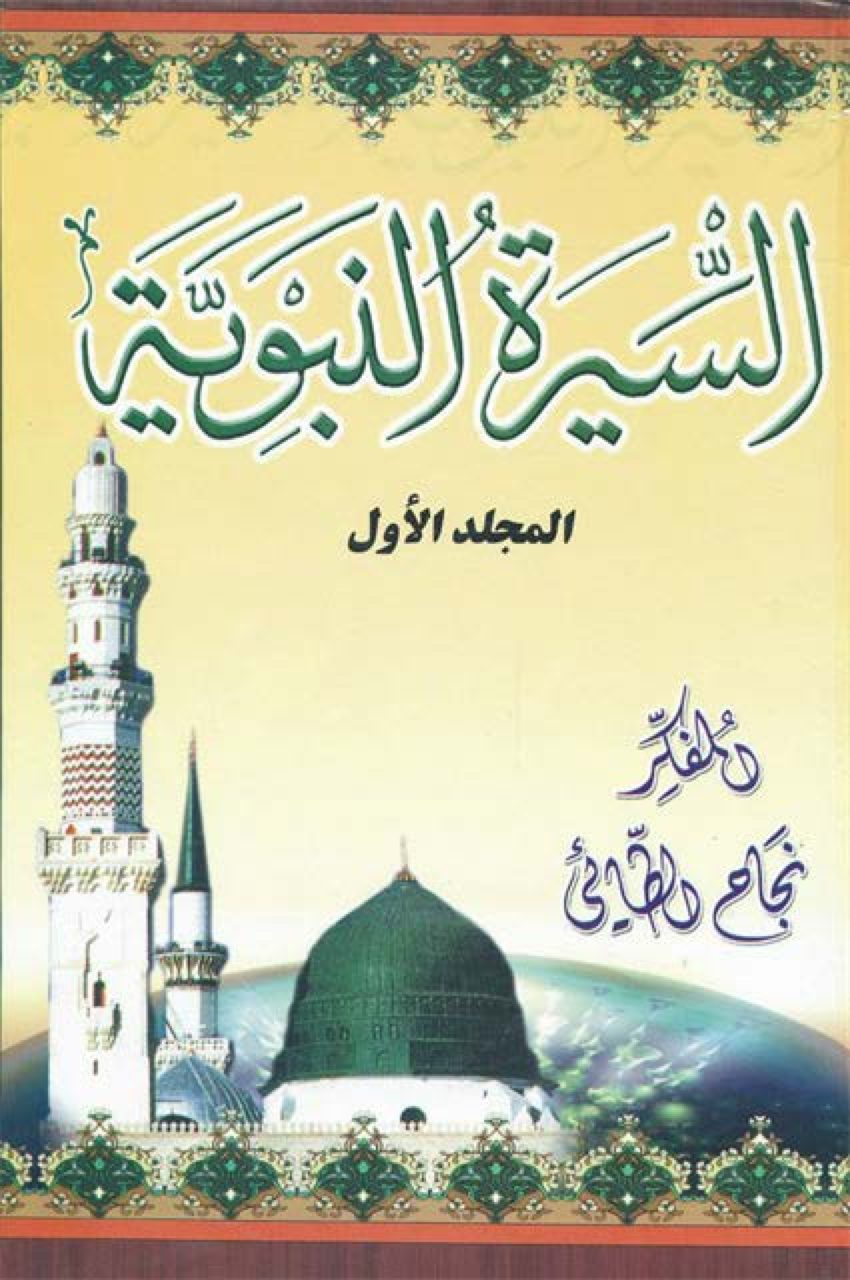

السيرة النبوية
المجلد الأول
المفكر
نجاح الطائي



المؤلف نجاح الطائي





السيرة النبوية

الجزء الأول

تأليف

نجاح الطائي

جمعداري



بسم الله الرَّحمٰن الرَّحِيم

السيرة النبوية / ج ١
المفكّر الإسلامي الدكتور نجاح الطائي
الطبعة ١ / ١٤٢٦ هـ ق ، ١/١ ١٣٨٤ هـ ش
١ / ٢ / ٢٠٠٥ م ،الرابعة
الكمية: ١٠٠٠ عدد
دار الهدىٰ لإحياء التراث لندن ـ بيروت
بيروت ـ ساحة الحمراء ،البناية المركزية، قم ـ مجمع قدس ١٧.
BEIRUT_LONDON
WWW.ALTAEI.COM

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لقد طلب مني الكثير من اصدقائي العلماء والمثقفين وطلابي في اليابان والصين وبريطانيا كتابة السيرة النبوية باسلوبي المعروف في انتخاب الروايات الصحيحة والتعليق عليها وذكر الشواهد والقرائن المفيدة فكان هذا المشروع الذي بين أيديكم،وفي معظم المواضيع كشفت الغطاء عن الروايات الصحيحة للقرون الاولى التي لا يعرفها المحققون والمؤرخون والمثقفون في القرون الاخيرة .

ويعرج هذاالسفر على ذكر موضوعات تهم حالة سكان جزيرة العرب قبل الاسلام لعلاقتها الماسّة بظهوره ووقائع المسلمين، فذكر حالة مكة قبل الاسلام بشجونها واتراحها وافراحها وهجوم ابرهة عليها.وكيف مكر الله تعالى بهم فجعلهم كفراش مبثوث ، إذ قتلهم بألطف خلقه الطيور وبحجيرات صغيرة !

وذكر الكتاب شيئاً عن ملوك اليمن لعلاقة ذلك بأحداث شبه الجزيرة قبل الاسلام، وافصح عن حال المدينة المنورة قبل الاسلام بيهودها وأوسها وخزرجها وكيف سكنت هذه الطوائف يثرب ، وهدفها المنشود لقاء النبي محمدﷺ .لانتشار بشارة ظهور الرسولﷺ بين سكانها .واطلاع الناس على اخبار الرسول في

المدينة واطرافها، وانتظار الناس تلك الطلعة البهية لرسول الله ﷺ قرونا طويلة من السنين .

وذكر الكتاب ايمان آباء النبي ﷺ وتعبدهم في غار حراء وبقاءهم هناك أياماً طويلة كما كان يفعل جدُّهم ابراهيم عليه السلام واسماعيل عليه السلام ومثلما فعل حفيدهم محمد ﷺ. واختلافهم عن باقي سكان جزيرة العرب بتخلقهم بأخلاق الأنبياء وتتبعهم لاحكامهم .

وفي الكتاب رؤى وتحاليل وبحوث جديدة على القراء والباحثين والعلماء تغني المكتبة الاسلامية انشاء الله تعالى على أمل الخطوات اللاحقة من المحققين والمؤرخين الآخرين في مسيرة التكامل الانساني التي نخطوها .

ويثبت الكتاب زيف الكثير من الموضوعات الباطلة المعدّة من قبل المغفلين وغيرهم مثل قضية الغرانيق، والسفرة الثانية للحبشة، والدعوة السرية المحدودة زمنيا لرسول الله ﷺ .

ويحقق قضية وجود بنت باسم أم كلثوم للرسول ﷺ ولعلي ويفند زواج خديجة من رجلين قبل النبي ﷺ .

ويكذّب الكتاب قصص الاعداء المشينة في حق رسول الله ﷺ في صباه وشبابه ورجولته .

وفي الجملة تحتوي صفحات الكتاب على الكثير من النتائج والثمار الجديدة التي لا يستغني عنها العالم والمثقف الاسلامي في قضايا السيرة النبوية .

وبيّن الكتاب رحلة النور التي قادها رسول الله ﷺ في نشر الاسلام في وسط شبه جزيرة الظلام ، وكيف بددت شمس الاسلام ظلام الجهل والكفر والطغيان .

والمسيرة الطويلة تبدأ بخطوة ، فكانت الكلمة الاولى من الله تعالى كلمة العلم والعقل ﴿إقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ .

وكلما خطى رسول الله ﷺ خطوة في طريق النور تراجع رجال الجهل والمكيدة خطوة في طريق الظلام، فخيّب الله تعالى سعيهم وأبطل مكرهم .

وكان رجال الطغيان يمكرون باللعب بالألفاظ فصوروا النبيَّ الأميَّ ﷺ المولود والساكن في أم القرى مكة أمياً وسار على مكرهم الغافلون .

فأفرد هذا الكتاب موضوعاً بإسم النبي الأمي ! لإيقاظ النائمين ، وتوعية الجاهلين .

ويعتمد الكتاب في اطروحاته التبويب التاريخي في وقائع الأحداث تسهيلاً للوصول إلى موضوعاته وبحوثه فيتابع احداث مكة مع الاسلام والمسلمين بتحليلات واضحة بيّنة.

وكانت السيرة النبوية المباركة حركة الهية لهداية البشر وصف المسلمين في وحدة رائعة وتنظيم الناس في مسيرة مليونية في طريق الله سبحانه وتعالى . لتحقيق الركن القرآني في حركة البشر الذي جاء في الآية القرآنية المباركة :

﴿وما خلقت الجن والإنس إلّا ليعبدون﴾

فعبادة الجن والإنس لله سبحانه وتعالىٰ تحتاج لسيرة نبوية مقدامة وقدوة بخطوات ثابتة بقيادة خاتم الانبياء .

والملاحظ لسيرة النبي ﷺ الأعظم يجد ثورة جذرية علمية عقليّة خالدة على الأعراف السائدة والانظمة البالية والجهل المستشري والطغيان الحاكم . فتحطمت حركة المستكبرين في استعباد الناس وقهرهم وسلب اموالهم وممتلكاتهم.

وانتهت عبادة الاصنام وحل محلها عبادة الرحمن ، إذ صعد الامام علي ؑ على كتف النبي ﷺ فحطم الأصنام وطهّر الكعبة الشريفة من رجسها لتسقط وإلى الابد عبادة الاحجار في جزيرة العرب.

وكم كانت الصورة جميلة يوم صعد وليد الكعبة علي على كتف خاتم الانبياء ﷺ لانهاء عبادة الصخور والاوثان .

وقهر الرسول ﷺ الأنظمة الجاهلية البالية الحاكمة في جزيرة العرب والأعراف البائدة مثل عادة قتل البنات وتبني الغرباء ونكاح زوجات الآباء.

وقد هيأ الله سبحانه وتعالى الأمور لسيرة نبوية رائدة عبر اخبارات الأنبياء السابقين واخبار الكتب السماوية بظهور نبوة محمد ﷺ، فجاءت بشارات اليهود والنصارى. وكانت هذه الامور من دواعي انتصار الرسول ﷺ والرسالة.

وهيأ الله تعالى معاجز كثيرة لرسوله ﷺ ملأت الخافقين وشاعت وتواترت اخبارها الصحيحة بين الناس، فكانت من دواعي ايمان الناس بالاسلام.

واستمرت هذه المعاجز مع الرسول ﷺ منذ ان كان في ظهر أبيه ثم انتقل إلى بطن أمه، ويوم كان طفلاً صغيراً وصبياً يافعاً ورجلاً كبيراً.

وانبهر الناس بمعجزاته الكثيرة الخطيرة التي تثبت رسالته السماوية وتعزز منزلته النبوية.

وباعتبار القرآن واحدة من معجزات الله سبحانه وتعالى وكتاباً شاملاً لاحكامه فقد وضعنا له فصلاً خطيراً في هذا الكتاب بيّن الساعين لنسخ القرآن وتفسيره والمعارضين لذلك. وكيف لا نذكره وهو الثقل الثاني في الاسلام بقوله ﷺ: اني تارك فيكم الثقلين.(١)

وتناول الكتاب مكارم أخلاق الرسول ﷺ باعتبارها ركناً هاماً من اركان نشر الاسلام وانتصاره. وانها الصفة الملازمة لرسول الله ﷺ. وتسليط الأضواء على مكارم أخلاق الرسول مطلب مهم في السيرة النبوية.

ويتناول الكتاب معارك الرسول ﷺ المهمة: بدراً وأحُداً والخندق وخيبرا وحنينا و...

ولأهمية هذه المعارك في انتصار الاسلام وبيان ايمان المسلمين ووحدتهم

---

(١) سنن مسلم ٥ / ٢٢، الدر المنثور ٧ / ٣٤٩.

وحماستهم فقد اوليناها اهتماماً بالغاً فذكرنا الفارين والمقاتلين في تلك الحروب الحاسمة.

وعرجنا على تدوين الحروب في السيرة النبوية لانها مفتاح الاطلاع على حماسة المسلمين في المعارك .

وذكرنا منزلة و مناقب الثقل الثاني . المؤثر في سيرة المسلمين تأثيراً بيّناً في زمن البعثة النبوية وما بعدها ، فهم أعلام الأمة ، ومفسرو القرآن وناقلو الحديث .

ويتناول الكتاب الوصية النبوية ورزيّة يوم الخميس ومقتل النبي ﷺ

صحيح أن الكثير من المؤسسات قد امتنعت عن طباعة ونشر وقراءة الكتب الصحيحة وفتحت المجال امام الكتب البالية الا ان هذا لا يعني انتصاراً لهم بل انتصاراً لنا .

لان اغلاقهم للابواب امام هذا يبيّن الاقبال العالي علىٰ اقتنائها من قبل الجماهير المتعطشة للسيرة النبوية الصحيحة ، والمعلومات الواقعية الحقة . والناس اليوم لا ينتمون لحزب لعقة الدم ولا الحزب القرشي بل ينتمون لطائفة الساعين وراء الحقائق الساطعة المدعمة بالدليل الحلوة منها والمرة .

وهؤلاء ينبذون كتب السيرة والحديث التي كتبها لهم كتّاب البلاط ووعاظ السلاطين مثل ابن كثير والخطيب ومحمد بن عبد الوهاب .

وقد طوّر الله تعالىٰ العلمَ فجعله فوق سيطرة الانسان لتدخل المعلومات الواقعية الى بيوت الناس واذهان الأمّة الانسانية ليبدأ العصر السامي .

وقد وفقني الله تعالىٰ لحقائق لم تكن معروفة الاّ عند الخواص في العصر الاسلامي الاول ويجهلها العلماء والمحققون والمثقفون في عصرنا الحاضر لما فعله الطغاة في كتم الحقائق وتحريف الوقائع وكسر الاقلام النابهة ، واحراق واتلاف الكتب العلمية وقتل علماء الحق والحقيقة واحراق تراث الروم والفرس والبابليين وغيرهم ؟!

واعقب ذلك حركة النساخ المشبوهة في تحريف الاحداث ومحو الروايات الصحيحة .

وتلا ذلك جهود الناشرين المأجورين اذناب السلطات الغاشمة في تغيير المسلمات التاريخية والتلاعب بالالفاظ وحذف النصوص المتينة ، فانشأت كل مؤسسة داراً لتزييف الكتب العلمية وطمس معالم الدين ، لتكتب اصابعها تراث الأمّة بالشكل الذي تريده ، وتحوك قيادتها نظريات السماء وشرائع الباري بالصورة التي تسعىٰ اليها !

وقد وفقني الله تعالىٰ للوصول الى بعض الحقائق التي حاولوا طمسها ودفنها منها :

سيرة الأحداث في السقيفة كما هي وابطال الاتهامات الواردة في حق سعد بن عبادة والانصار في محاولتهم الاستيلاء على الحكم . ومنها :

كشف اللثام عن عملية اغتيال ابي بكر والصحابة الكبار في جهاز دولته وكشف حقيقة الوصية المنسوبة اليه ، وبيان الغايات والاسباب الكامنة وراء ذلك ، واطلاع الأمّة علىٰ الموضوعات المؤثرة في شريعتنا واحكامنا وكتبنا المنهجية .

وقد عارض مشروعي الحاسدون واتباع الهوىٰ واعوان ابليس بجيوبهم المنتفخة والسنتهم المدحورة !

واستحسن كتبي المتحررون من اصحاب الدراسات العلمية الاكاديمية والعلماء المخلصون المتخلصون من براثن العبودية . وكان الشباب في طليعة هؤلاء الابرار . ووجدت حماساً منقطع النظير في متابعة وقراءة هذه الكتب بتوفيق من الله سبحانه وتعالى فانتشر قراء كتبي في قارات عديدة .

والسيرة النبوية التي بين ايديكم فيها تلك الكنوز الدفينة التي سجنها اتباع الظلام ، فأرجوا من قارئي العزيز فهم ما اريده في كتابي لأنني كتبت واكتب عن

أمكر الدهاة وزعماء الاحتيال من رجال الحزب القرشي الذين هزمهم رسول الله ﷺ فقتلوه ! وسعوا لتغيير رسالته .

فهو في مجموعه رحلة جديدة في عالم السيرة بالاعتماد على روايات صحيحة وأسس سليمة في البحث والاستقصاء والوصول للاهداف السامية .

ولقد افنيت خمس سنوات من عمرى لكتابة هذه السيرة الصحيحة والجديدة نرجو من الباري تعالى القبول انه نعم المولى ونعم النصير .

نجاح الطائي

الفائدة من دراسة السيرة النبوية

يسأل القارئ للسيرة النبوية عن الفائدة من هذا العلم ومدى الحاجة لهذا الموضوع ومن حقّ الإنسان السؤال عن أهداف أي موضوع ومبلغ حاجة المجتمع إليه، وعلاقته بالمواضيع الأخرى.

والسيرة النبوية علم حيّ يفصح عن حقيقة سيرة رسول الله ﷺ والوقائع المرافقة لحياته الكريمة.

وعن أهميّة هذا الموضوع الخطير نذكر النقاط التالية لبيان ذلك:

١ ـ عرض شخصية النبي ﷺ على الإنسانية باعتبارها النموذج الأسمى للبشرية. كما قال تعالى:

لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة[1]، فهذه الدراسة تبيّن حقيقة وجود قدوة للأمم يمكن الاحتذاء بها وأنّه سارت على نظريّاتها ومبادئها وأحكامها بصورة عملية بعد نطقها لها بصورة عملية.

وجعل الله سبحانه الأنبياء أسوات حسنة لكلّ أمم الأرض باختلاف زمانهم وأماكنهم فكان آدم أسوة حسنة وكذلك كان نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ﷺ.

---

(١) الأحزاب ٢٣.

وجعل الباري عزّ وجل فاطمة ﷺ قدوة حسنة للنساء فقال النبي فاطمة سيّدة نساء العالمين، وفاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة كما كانت حوّاء لقومها وكما كانت مريم لأمّتها.

وكذلك كان أوصياء الأنبياء قدوات حسنة تحتذي بهم الأمم والشعوب فعلي بن أبي طالب أحد الأئمّة الإثني عشر من أوصياء خاتم الأنبياء محمّد ﷺ وآخرهم المهدي ﷺ الذي سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً وكما ظهر إبليس لأبعاد آدم عن منهجه الديني والأخلاقي فقد ظهر لكلّ نبي ووصيّ من يعكّر عليه صفو حياته وينغّص عليه عيشه وينافسه في نظريّاته ومبادئه، ويعارضه في سلوكه وسيرته فعارض قابيل هابيل ﷺ، وصارع فرعون موسىٰ ﷺ، وحارب أبو سفيان محمّداً ﷺ، ونافس أهل السقيفة عليّاً ﷺ، وسيقاتل الأعور السفياني مهدي أهل البيت ﷺ.

٣ ـ معرفة رسول الله ﷺ علىٰ حقيقته باعتباره نبيّاً من أنبياء الله بالأدلّة الصحيحة بعيداً عن السحرة والكهنة والعباقرة والدهاة.

٤ ـ الإطلاع علىٰ حقيقة رسول الله ﷺ في ولادته وتاريخ نبوّته وتربيته وعصمته وكيفيّة ارتباطه بالوحي الإلهي.

٥ ـ معرفة علاقة النبي ﷺ بالقرآن وبداية نزول القرآن ومكان نزوله وواسطة ذلك وهل نزل بصورة تدريجيّة أم دفعة واحدة وتفسير رسول الله ﷺ للقرآن وحرمة تفسيره من قبل الذين لا يعلمون، وأنّ القرآن وأهل بيت محمّد ﷺ هما ثقلا هذه الأمّة كما قال خاتم الأنبياء في قوله:

إنّي تارك فيكم كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأحدهما مساوٍ للآخر لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض يوم القيامة وأهل بيتي أعلم منكم فلا تتقدموهم فتهلكوا.

وأهل البيت هم مفسّروا القرآن وعندهم علم الكتاب.

والاطّلاع علىٰ حقيقة تدوين القرآن من خلال السيرة النبوية وهل دونه رسول الله قبل موته أم لا؟ وهل يجوز للنبيﷺ أن يرحل من الدنيا دون جمعه للقرآن وهو الثقل الثاني للبشريّة؟

وكانت آيات القرآن الكريم تبين السيرة النبوية وسيرة المسلمين في الوقائع والأحداث المعاصرة لحياة النبيﷺ .

٦ ـ الاطّلاع علىٰ السيرة النبويّة وسيرة أهل بيته والصحابة والمخلصين أمر مهم باعتباره تراث الإسلام وأدبيّات المؤمنين وثقافة المتّقين فهل يمكن للمسلم الحياة دون الاطّلاع علىٰ هذا الموضوع المهمّ الذي يعتبر الأساس لمعرفة مواضيع كثيرة.فأودعت السيرة علوم التاريخ والحديث والتفسير والفقه والنحو واللغة فهي دائرة معارف.

٧ ـ معرفة الطرق القريبة السليمة والصحيحة المتّبعة نبويّاً، في معاملته مع أهل بيته ونسائه وأرحامه وأصحابه والمؤيّدين له والمحاربين له، للاستفادة منها في الحياة.

٨ ـ الحصول على ثروة علمية غنية في الإدارة والحرب والاقتصاد في تأسيسهﷺ للدولة وكيفيّة إدارة رسول اللهﷺ لدولته وعلاقته بالدول الأخرىٰ.والاطّلاع علىٰ علاقته بأفراد مجتمعه وطبيعة رابطته مع أهل الكتاب والكفّار.وما هي الأفعال التي أجراها في سبيل الوحدة الإسلامية والوطنية ودراسة نظريّته الاقتصادية وأثرها في ادارة أمور الدولة والشعب.

٩ ـ الحصول علىٰ ثروة غنية في موضوع العقائد وطرق النبيﷺ في الوعظ ونشر الدين وبثّ الأخلاق في صفوف أفراد الأمّة، وهل توسّل بالعنف والقوّة في اذاعته للدين أم اعتمد على تعريف الدين نظرياً وعمليّاً، أم أنّه اعتمد علىٰ المنهجين في هذا الباب؟

١٠ ـ السيرة النبويّة تطرح كيفيّة العلاقة بين رسول الله والآخرين يوم كان طفلاً يتيماً وصبيّاً وحين أصبح رجلاً سوياً، وطبيعة هذه العلاقة قبل البعثة النبويّة وبعد البعثة النبويّة، وهل اختلفت هذه العلاقة بعد تسلّمه لزعامة الدولة الإسلامية وازدهار هذه الدولة وتوسّعها؟

١١ ـ وتبيّن السيرة النبويّة طبيعة علاقة خاتم الأنبياء بالله سبحانه وتعالىٰ في طاعته وعبادته والإخلاص له ومدىٰ تطبيق رسول الله ﷺ لمبادئ الله تعالىٰ وأحكامه؟

وكان معظم كُتّاب السيرة يكتبون للملوك فقد كتب محمّد ابن اسحاق السيرة بأمر المنصور ليعلّمها ابنه المهدي وكتب الواقدي مغازيه بأمر المأمون العباسي.وسعىٰ العبّاسيون لتغيير السيرة مثلما سعىٰ الأمويون لتحريفها.

وكاتب السيرة محمّد بن اسحاق المديني المتوفى سنة ١٥٣ هجرية .قال فيه ابن شهاب: لا يزال بالمدينة علم جم ما كان فيها ابن اسحاق ووثّقه أحمد بن حنبل ويحيىٰ بن سعيد القطّان وابن معين وابن عيينة وأبو زرعة وصحّح له الترمذي وروىٰ له أبو داود والنسائي وابن ماجة. ودافع عنه الخطيب في تاريخ بغداد وابن سيّد الناس في عيون الأثر ولم يجدا في تشيّعه ما يرد به روايته وذكره البخاري في التاريخ ووثّقه مسلم وأبو حاتم وابن قتادة[١]

وقال الخطيب: كان ابن اسحاق يرىٰ التشيّع [٢]

وقال الشافعي: من أراد أن يتبحّر في المغازي فهو عيال علىٰ ابن اسحاق[٣].

وقال شعبة عنه: أمير المؤمنين في الحديث[٤].

---

(١) الروض الأنف، السهيلي ١ / ٤٠.

(٢) مقدّمة عيون الأثر.

(٣) مقدّمة عيون الأثر.

(٤) مقدّمة كتاب عيون الأثر.

ودافع ابن سيد الناس عن تشيّعه وصدّقه[1].

وكلّ كتاب وضع في السيرة هو غرفة في بحره وأخذ ابن هشام سيرة ابن اسحاق عن البكائي فهذّبها كما قالوا أي حذف منها ما يخالفه الحزب القرشي من مثالب الشيخين وما يؤيّد حقوق أهل البيت ﷺ وأثبت بدلاً عنه ما يحلو له من السيرة!

قال ابن هشام: وإنّي تارك أشياء بعضها يشنع الحديث به، وبعض يسوء بعض الناس ذكره، وبعض لم يقرّ لنا البكائي بروايته[2].

فاعترف ابن هشام بارتكابه أعظم عملية تحريف في السيرة .وكانت الحكومتان الأموية والعبّاسية تجيز تحريف السيرة ثم جاء السهيلي الأشعري العقيدة والمالكي المذهب وشرح سيرة ابن هشام وهكذا.

وفقدت سيرة ابن اسحاق الموضوعيّة التي تسير على نظرية ذكر الحقائق في الحديث والسيرة كما هي.وحلّ محلّها سيرة ابن هشام الذاتية التي تعتمد على تحريف الأحداث وفق منهج الكاتب.في أفكاره وأهوائه وأهدافه.وكان فرويد اليهودي داعياً للمنهج الذاتي في الكتابة.

ورغم مرور ٥٠ سنة فقط على وفاة ابن اسحاق ومجيء ابن هشام فقد نفّذ ابن هشام هذه المنهجيّة القائمة على خيانة الأحداث وإسخاط الباري عزّ وجل في أكبر عملية تزوير في السيرةالنبويّة.

وكان ابن كثير الأموي من أتباع مدرسة المنهج الذاتي في السيرة النبويّة وهذا مصداق لقوله تعالى: **كلّ حزب بما لديهم فرحون** وسار الطبري وابن الجوزي وابن الأثير وبقيّة رجال مدرسة الحزب القرشي على هذا المنهج الفرويدي اليهودي.

---

(١) مقدّمة عيون الأثر.

(٢) مقدّمه سيرة ابن هشام.

القسم الاول

النبي الاكرم في مكة المكرمة

الباب الاول

تاريخ ما قبل البعثة

الفصل الأول
العرب قبل الاسلام

بقيت الجزيرة العربية بعيدة عن سلطة الدولتين العظيمتين(في ذلك الوقت) الفارسية والرومية. فقد دفع الله سبحانه شرهما عن بيته الحرام، وبقيت مكة حرة مستقلة بعيدة عن الانجاس الارجاس.

ولما حاول ملك الحبشة السيطرة عليها ضربه الله تعالى شرَّ ضربة تسببت في مقتل جنوده وإلحاق شر هزيمة به.

فكانت هذه الحادثة درساً لكل طامع في مكة أثمرت عن خوف كسرى الفرس، وهرقل الروم من إرسال جيوشهما إلى هناك.

وفي جزيرة العرب وبالخصوص مكة عادات حنيفية جيدة ورثوها من إسماعيل ابن إبراهيم عليهما السلام مثل اكرام الضيف.

وفيها عادات سيئة ورثوها من طغاة العرب وكفارها.

فقد روي أنَّ العرب يوارون موتاهم ويكفنونهم في القبور ويلحدونهم، ويحرمون نكاح البنات و الاخوات، ويحجون إلى البيت الحرام ويعظمونه، ويقرُّون بالتوراة والانجيل[1]، و في دين اسماعيل عليه السلام الزام بغسل الجنابة وقطع يد السارق اليمنى[2]. ولكن اهل الجاهلية لم يطبقوا هذه التعاليم.

---

(١) الاحتجاج، ج ١/٩١،٩٢، البحار ٨/٧٨، تاريخ ابن الوردي ١/٨٤.

(٢) تاريخ ابن الوردي ١/٨٤.

أما العبادة فالأكثرية الكاثرة تعبد الأصنام، كل صنم لقبيلة، ودٌّ بدومة الجندل لكلب، وسواع لهذيل ويغوث لمذحج، ولقبائل من اليمن، ونسر لذي الكلاع، بأرض حمير، ويعوق لهمدان، واللات لثقيف بالطائف، والعزى لقريش وهي كنانة، ومناة للأوس والخزرج، وهبل أعظمها على ظهر الكعبة، وإساف ونائلة على الصفا والمروة[١].

والعرب ثلاثة أقسام بائدة وعاربة ومستعربة، فالبائدة ذهب عنا تفاصيل أخبارهم لتقادم عهدهم كعاد وثمود وجرهم الأولى.

والعاربة عرب اليمن من ولد قحطان.

قال ابن الوردي: المستعربة من ولد إسماعيل ﷺ[٢]، الذي جاء من الشام إلى مكة مع أبيه، وتعلَّم اللغة العربية هناك وهو أبو العرب المستعربة[٣].

وعرب الجاهلية ثلاثة أصناف: صنف أنكروا الخالق والبعث وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني، قال تعالى عنهم:

﴿وَقَالُوا ما هي إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنيا نَمُوتُ وَنَحيا وَمَا يُهلِكُنَآ إِلَّا الدَّهرُ﴾[٤].

وصنف اعترفوا بالخالق وأنكروا البعث:

﴿أَفَعَيِينا بِالخَلقِ الأَوَّلِ بَل هُم فِي لَبسٍ من خَلقٍ جَديدٍ﴾[٥].

وصنف عَبدوا الأصنام كل صنم لقبيلة.

ومنهم من تهود ومنهم من تنصر، ومنهم صابئة، ومنهم عابدو الملائكة وعابدو الجن[٦].

---

(١) تاريخ ابن الوردي ١/٨٤.

(٢) تاريخ أبي الفداء ١/١٥٤ تاريخ ابن الوردي ١/٨٤.

(٣) تاريخ ابن الوردي ١/٨٤ تاريخ أبي الفداء ١/١٦١، الملل والنحل، الشهرستاني، ٢/٢٤٤ ـ ٢٤٧.

(٤) الجاثية: ٢٤.

(٥) ق ١٥.

(٦) تاريخ ابن الوردي ٨٤ الملل والنحل، الشهرستاني ٢/٢٤٤ ـ ٢٤٧.

وكان عمرو بن لحي أول من جاء بعبادة الأصنام من الشام، إذ جلب هبل معه ووضعه عند الكعبة، ثم وضعوا إساف ونائلة على الصفا والمروة[1].

والأفعال القبيحة التي كانت عند عرب الجاهلية تتمثل في:

وأد البنات وزواج الأبناء من نساء الآباء عدا الامهات، والجمع بين الاختين وغزو القبائل الأخرى. فجاء في القرآن الكريم ذكر لقضية وأد البنات: (وَإِذَا الموءُدَةُ سُئِلَت بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَت)[2].

قال جعفر بن أبي طالب لملك الحبشة: كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيىء الجوار ويأكل القوي منّا الضعيف [3].

وكان الكثير منهم يدفنون بناتهم وهنَّ احياء فدفن قيس بن عاصم اثنتي عشرة ابنة له[4].

وحفر عمر بن الخطاب قبراً لابنته الصغيرة وهي تنفض التراب عن لحيته، ثم قبرها![5]

فالموءودة عند العرب البنت المدفونة حيَّة خوف الفقر وخوف أسرها في عمليات الغزو والسطو، فقال تعالى: ﴿ولا تقتُلُوا اولادكم من املاق﴾[6].

فالمرأة في الجاهلية إذا حملت فكان أوان ولادتها حفرت حفرة فتمخضت على رأس تلك الحفرة، فان ولدت بنتاً رمت بها في تلك الحفرة، وإن ولدت غلاماً حبسته[7]!

---

(1) تاريخ اليعقوبي 1/254.

(2) التكوير 81/8، 9.

(3) سيرة ابن هشام 1 / 360، تاريخ الخميس 1 / 290.

(4) تفسير ابن كثير 4/788.

(5) عبقرية عمر، العقاد ص 214.

(6) سورة الأنعام 6/151.

(7) الدر المنثور، السيوطي 6/319.

والحمد لله تعالى الذي قضى على هذه العادات الموروثة بالإسلام.

ومن عادات الجاهلية الجمع بين الاختين في الزواج[1] فقضى الإسلام عليها بذكره تعالى للمحرمات:

﴿حرِّمت عليكم أُمهاتكم وبناتكم وأخواتكم.... وأن تجمعوا بين الأختين إلّا ما قد سلف إنَّ الله كان غفوراً رحيماً﴾[2].

وشاع في الجاهلية زواج الأبناء من نساء الآباء فحرمها الله تعالى بقوله: **﴿ولا تَنكِحُوا ما نَكَحَ آباَؤكم مِّنَ النسآءِ إلّا ما قَد سَلَفَ إِنَّه كَانَ فَاحِشةً وَمَقتاً وَسَآءَ سَبِيلاً﴾**[3].

وعندما دخل الإسلام في قلوب سكان جزيرة العرب كان الكثير من هذه الزيجات موجودة، فكان الابن يضع ثوبه على رأس من يريد من نساء أبيه علامة رغبته فيها.

ومن عادات الجاهلية الباطلة غزو الجيران والأرحام والغرباء بهدف سلب الأموال وأسر النساء والأطفال دون اعتناء باراقة الدماء وإحراق الدور وتخريب الزرع!

وتلك العادات المشؤومة أفقدت البلاد أمنها واستقرارها ورخاءها وتطورها. فانتشر الخوف والفقر والجهل والمرض في كل مكان، فأكل الناس العلهز[4]. فسمي ذلك العصر بحق العصر الجاهلي.

وبسبب الفقر الموجود في البلاد وأراضيها الصحراوية الشاسعة وتناثر السكان هناك وصلابة أهلها فقد امتنعت الدولتان الرومية والفارسية من احتلالها، فبقيت

---

(١) تاريخ ابن الوردي ١/٨٤.

(٢) النساء ٢٣.

(٣) سورة النساء ٢٢.

(٤) الدم والوبر مخلوطاً.

البلاد حرّة مستقلة بعيدة عن الحكم الدكتاتوري.

لهذا كلّه فقد حرّم الإسلام العادات السيئة وقبرَها، فأدى ذلك إلى انتعاش التجارة والزراعة والثقافة، فذهب المسلمون للجهاد في البلدان البعيدة دون خوف على أموالهم وعوائلهم. ولولا عامل الأمن والاستقرار لما تمكن المسلمون من فتح آسيا ومعظم أفريقيا وأجزاء من اوروبا.

حرب الفجار

قال الحلبي والسهيلي: إنّ حرب الفجار كان سببها في الأشهر الحرم ووقعت في شعبان[1].

وكانت العرب تمتنع عن الحرب في الأشهر الحرم وهي رجب وأشهر الحج ذو القعدة وذو الحجة ومحرم. ولما وقعت الحرب بين كنانة وقريش من جهة وقيس وثقيف من جهة اخرى سميت حرب الفجار والفجار ككتاب أربعة أفجر.

ولم يشترك رسول الله ﷺ في تلك الحرب الظالمة الواقعة في الأشهر الحرم لفقدان المبرر لحضورها. وقد قال تعالى في كتابه:

(كلا إن كتاب الفجار لفي سجين وما ادراك ما سجين كتاب مرقوم ويل يومئذٍ للمكذبين)[2].

(إن الإبرار لفي نعيم، وإن الفجار لفي جحيم)[3].

فالنبي ﷺ لا يمكن أن يكون من فجّار الجحيم، ولكن أفراد الحزب القرشي

---

(١) السيرة الحلبية ١/١٢٨، الروض الانف، السهيلي ٢/٧١.

(٢) المطففين ١٠.

(٣) الانفطار ١٣، ١٤.

كانوا كذلك، والإبرار هم أهل البيت[١].

ووقعت الحرب بين كنانة وقيس فوقفت قريش إلى جانب كنانة. وعمر النبي يومها عشر سنين وفي الفجار الأول وهو يوم شمطة كانت الهزيمة فيه علىٰ قريش ومدّته ثلاثة أيام في سوق عكاظ.

وقال البيهقي: الفجار اثنان، أمّا الفجار الأول فالحرب فيه ثلاث مرّات: أما المرّة الاولىٰ فسببها أنَّ بدر بن مغيث الغفاري ممن كان يفخر على الناس فبسط يوماً رجله وقال: أنا أعزّ العرب فمن زعم أنه أعزُّ مني فليضربها بالسيف، فوثب الأحمر من بني نضر بن معاوية فضربه بالسيف علىٰ ركبته وقطعها فاقتتلوا.[٢]

أمّا المرّة الثانية فكان سببها أنَّ امرأة من بني عامر كانت جالسة بسوق عكاظ فطاف بها شاب من قريش من بني كنانة وكان معه رفقة فسألوها أن تكشف عن وجهها فأبت، فقام أجدم فجلس خلفها فعقد طرف درعها الى ما فوق عجزها بشوكة، فلما قامت انكشف دبرها فضحكوا منها، فقالوا: منعتينا النظر الى وجهك وجدت لنا النظر إلىٰ دبرك فنادت المرأة: يا آل عامر فثاروا بالسلاح واقتتلوا مع بني كنانه فوقع بينهما دم[٣].

وهو فجار المرأة القيسية، وقيس من العدنانية.

وأما المرة الثالثة :فكان سببها دَين لرجل من بني جشم بن عامر علىٰ رجل من بني كنانة فلم يعطه فاقتتل الحيّان، واستمرت حرب الفجار اربعة أعوام متواليات، والفجار الثالث هو فجار القرد أو الرباح [٤].

---

(١) تفسير نور الثقلين ٥ / ٥٣٦، الدر المنثور ٤ / ٨٥.

(٢) السيرة الحلبية ١ / ١٢٧، تاريخ الخميس ١ / ٢٥٥)، معجم ما استعجم ٣ / ٩٦١.

(٣) تاريخ الخميس ١ / ٢٥٥، السيرة الحلبية ١ / ٢٧، نسب قريش ٤٠٨.

(٤) تاريخ الخميس ١ / ٢٥٥، السيرة الحلبية ١ / ١٢٨، الوفا ابن الجوزي ١٣٢، الاعلام الزركلي ٢ / ١٤، التنبيه والاشراف، ١٧٨.

وأما الفجار الرابع والأخير فكان النبي ﷺ عمره عشرين سنة [١] وهو فجار البراض ومدته أربعة أيام. وسببه أنَّ عروة الرجال من هوازن أجار تجارة للنعمان بن المنذر ملك الحيرة ونافسه في ذلك البراض من كنانه (حلفاء قريش) فقتله في الشهر الحرام فوصل الخبر إلىٰ سوق عكاظ فانهزمت كنانة خوفاً من الثأر فلحقتها هوازن[٢].

وسميت بالفجار لأنَّ العرب فجرت فيه بوقوعه في الشهر الحرام أو أنَّ سببه كان في الشهر الحرام وكان الانتصار فيه للطرفين وشارك رجال حرب الفجار في حرب بدر فقتلهم الله تعالىٰ [٣].

ولأن آية «.... **أم نجعل المتقين كالفجار**» نزلت في علي ﷺ وحمزة وعبيدة بن الحارث وعتبة وشيبة والوليد فقد سعىٰ الكفار لتجيد عتبة وإرجاع قضية إيقاف حرب الفجار اليه![٤]

لكن جماعة ذكروا اشتراك النبيﷺ فيهاوصرعه لبطل العرب أبي البراء ملاعب الاسنة فأرداه عن فرسه. وبواسطة الاختلاق أراد الكفار ادخال اسم الرسول ﷺ في حرب الفجار واخراج زعماء قريش منها!.

ومن الروايات الكاذبة : وعرفت كنانة بأنَّ نصرها يأتي في أيام حضور النبيﷺ الحرب إلى جانبها، وتهزم في غيابه فقالوا: يا ابن مطعم الطير وساقي الحجيج لا تغب عنَّا، فإنَّا نَرى مع حضورك الظفر والغلبة.

قال ﷺ: فاجتنبوا الظلم والعدوان والقطيعة والبهتان فإني لا أغيب عنكم.

---

(١) تاريخ خليفة ٢٧، السيرة الحلبية ١ / ١٢٧.

(٢) السيرة الحلبية ١٢٧/١، الوفا ١٣٢، تهذيب الكمال ١٥ / ٤٥٦، سيرة ابن هشام ١ / ١١٩.

(٣) فتح القدير، الشوكاني ٣ / ١١١ . الروض الأنف ٢ / ٧١.

(٤) شواهد التنزيل، الحسكاني ١٧٣/٢، السيرة الحلبية ١٢٧/١، تاريخ الخميس ٢٥٥/١، الدر المنثور ٨٤/٤.

فقالوا: ذاك لك، فلم يزل يحضر حتى فتح عليهم[١].

ولكن القول الأقوىٰ يبقى إلى جانب امتناع بني هاشم من المشاركة في حرب الفجار إذ قال أبو طالب: هذا ظلم وعدوان وقطيعة رحم واستحلال للأشهر الحرم ولا أحضره، ولا أحد من أهلي فلم يُقتَل احد من بني هاشم في تلك المعركة في حين قتل من بني أسد حزام بن خويلد (أبو حكيم)، وخويلد بن أسد (أبو خديجة)[٢].

وللتستر علىٰ أبن جدعان وحرب بن أمية فقد جاء: وقال عبدالله بن جدعان التيمي وحرب بن أمية: لانحضر أمراً تغيَّب عنه بنو هاشم[٣].

والظاهر أنَّ الحزب القرشي اختلق قضية مشاركة النبي ﷺ في حرب الفجار لتشويه سمعته، في حين أنكر حضور حرب بن أمية فيها!

مثلما وصموا رسول الله ﷺ بأكل القرابين المذبوحة للأصنام قبل الإسلام ونزَّهوا آخرين عنها.

ولا يوجد سبب عقلاني يدعو أبا طالب زعيم بني هاشم ورسول الله ﷺ للمشاركة في حروب قبلية لاناقة لهم فيها ولا جمل، خاصة وانها حرب فاجرة يمقتها الله تعالى.

والمشهور لدىٰ معظم المؤرخين وأصحاب السير أنَّ حرب الفجار الأخيرة قد وقعت وعمره ﷺ عشرون سنة. إلّا أننا نجد الزهري يقول :إنّه ﷺ ولد بعد عام الفيل بثلاثين سنة وبين الفجار والفيل اربعون سنة مخالفاً بذلك المشهور»،[٤] اى أن عمره ﷺ كان عشر سنوات وهو عمر لايؤهله للاشتراك في الحروب أبداً،والرأى الاول هو الصحيح عندنا .

---

(١) تاريخ اليعقوبي ١/١٦.

(٢) سيرة ابن هشام ١ / ٢٠١، السيرة الحلبية ١ / ١٣٨، البحار ١٦ / ١٢، البداية والنهاية.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/١٥.

(٤) البداية والنهاية ٢/٢٦٢.

حلف الفضول

عقد حلف الفضول بين قبائل قريش لنصرة المظلوم والوقوف في وجه الظالم. وهو أفضل حلف عقدته قبائل قريش لنصرة الحق ومحاربة الباطل. واشترك الرسول ﷺ في حلف الفضول وعمره عشرون سنة. ووقع حلف الفضول بعد حرب الفجار الآخر بأربعة أشهر[1].وسمي حلف الفضول لأنه جمع فضل، أي حلف الفضائل[2]

وقد دعا الزبير بن عبدالمطلب إلى حلف الفضول، فاجتمع بنو هاشم وبنو المطلب وزهرة وتيم[3].

وثبت عندنا كذب اشتراك بنى أسد في حلف الفضول برواية الحميدي في اجتماع هاشم وزهرة وتيم بن مرة لحلف الفضول فأين قبيلة أسد[4] في حين افترى الزبير بن بكار بإدخال بني أسد في حلف الفضول[5] لأن بني أسد بن عبد العزىٰ من جماعة لعقة الدم المشتركين في حرب الفجار حيث قُتلَ فيها حزام بن خويلد ونجا فيها أبنه حكيم [6] وقتل خويلد بن أسد أبو خديجة. وكانت عرب الجاهلية تشرب الدم الى ان حرمه الاسلام [7].

وحاول أبن حجر العسقلاني السائر علىٰ خطىٰ الحزب القرشي سلب الزبير بن عبد المطلب الهاشمي فضيلة تشكيل حلف الفضول واعطائها إلىٰ الأرقم إستناداً إلىٰ

---

(١) تهذيب الكمال ١ / ٣٥٢.

(٢) تفسير القرطبي ١٠ / ١٦٩.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير ٢/٢٩٣، شرح النهج، المعتزلي ١٤/١٢٩، الأغاني، ١٦/٦٦، ٦٥، الروض الأنف، السهيلي ٢/٦٣.

(٤) البداية والنهاية ٢ / ٣٥٦، الوفا، ١٣٥.

(٥) الوفا ١٣٤،

(٦) تهذيب الكمال ٧ / ١٧٢.

(٧) ورأيت كفار الصين يشربون الدم في المدن الصينية جميعا .

رواية أموية[1].

ومن الاكاذيب المختلقة عن حلف الفضول هو انعقاد الأجتماع في دار ابن جدعان لشرفه وسنه[2]،في حين كان الاجتماع قد عقد في دار عبد المطلب. ولم يكن لابن جدعان التيمي شرف اجتماعي وأخلاقي فداره أكبر مبغىٰ وافسد دار عرفتها العرب حيثه جرت فيها عمليات الزنىٰ بصور جماعية وكذلك عمليات الأنجاب وبيع المواليد غير الشرعية[3] وكانت لقريش دار الندوة تعقد فيه أجتماعاتها في ذلك الحين. وكان أبو طالب سيد قريش أعظم وأشرف من ابن جدعان الموصوف في التاريخ بالصعلوك والشرير[4].

قال الزبير بن عبد المطلب لاهالى حلف الفضول:

حَلَفتُ لنعقد حلفاً علينا – وإن كنّا جميعاً أهل دار نسميه الفضول إذا عقدنا – يعزّ به الغريب لدىٰ الجوار[5].

فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلهاوغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلّا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته، فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول، وعقد في بيت أبي طالب بدليل أنَّ اخته البيضاء هي التي أحضرت لهم جفنة من طيب فغمسوا أيديهم فيها[6].وهو دار عبد المطلب سابقا.

وقد وصف الرسول ﷺ ذلك الحلف قائلاً: لقد شهدت حلفاً، ما أُحِبُّ أنَّ لي به

---

(١) تعجيل المنفعة، ابن حجر العسقلاني ٢٧.

(٢) سيرة ابن هشام ١ / ٨٧.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٥ / ٢٥٤، المعارف ٥٧٦، المثالب، الكلبي ١٣٩.

(٤) تاريخ الخميس ١ / ٢٥٦، المثالب، الكلبي ١٣٩.

(٥) التنبيه والاشراف ١٧٩.

(٦) الروض الأنف ٢ / ٦٧.

حمر النعم، ولو أُدعى به في الإسلام لأجبت[1].

وسبب الحلف أنَّ رجلاً من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل فحبس عنه حقه، فاستعدى عليه الزبيدي الأحلاف الذين كانوا يسمون لعقة الدم. لأنّهم تحالفوا بغمس أيديهم بالدم، ولعقوا ذلك الدم [2] على خلاف المطيبين الذين تحالفوا بغمس أيديهم في الطيب.

والأحلاف هم عبدالدار ومخزوم وسهم وجمح وعدي بن كعب واسد فأبى الأحلاف معونة الزبيدي على العاص بن وائل وانتهروه لمكانة العاص بن وائل حليف بني أمية.

وقد استشرىٰ ظلم حزب لعقة الدم بعد عودتهم من حرب الفجار، وهذا امر طبيعي بعد الأحلاف والحروب الظالمة.

ولما رأى الزبيدي ذلك صعد على جبل أبي قبيس واستغاث، فقام الزبير بن عبدالمطلب ودعا إلى الحلف المذكور، فعقد ؛ ثم مشواالى العاص بن وائل وانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها إليه[3].

والمطيبون هم: بنو هاشم، وبنو زهرة، وبنو تيم، وبنو الحارث بن فهر، فقالت قريش هذا فضول من الحلف فسمي بحلف الفضول[4]. وأجبر رجال هذا الحلف نبيه بن الحجاج علىٰ رد القتول بنت الخثعمي إلىٰ أبيها بعد اغتصابه لها [5]

ووضع أبو هريرة رواية في اشتراك بني أميّة في حلف الفضول ارضاءاً لسيده

---

(١) الروض الأنف ٢/٦٣، البداية والنهاية ٢/٢٩٣، ٢٩١ وتاريخ الخميس ١/٢٦١ والسيرة النبوية، دحلان ١/٥٣، الأغاني ١٦/٦٦، ٦٧، السيرة الحلبية ١/١٣١، سيرة ابن هشام ١/١٤٢، اعيان الشيعة ٢/١٣.

(٢) الروض الأنف ٢ / ٦٨.

(٣) السيرة الحلبية ١/١٣٢، البداية والنهاية ٢/٢٩١، ٢٩٢، السيرة النبوية، دحلان ١/٥٣.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢/١٧.

(٥) الروض الأنف ٢ / ٧٣.

معاوية بن أبي سفيان [١].

وعدم وجود بني أمية في حلف الفضول واضح في كتب السيرة والحديث، إذ عند ظلم الوليد بن عتبة بن أبي سفيان (أمير المدينة لمعاوية) الإمام الحسين بن علي عليه السلام هدده الحسين عليه السلام بحلف الفضول فأعلن المسور بن مخرمة بن نوفل الزهري وعبدالرحمن بن عثمان التيمي استعدادهم لحمل السيف باسم ذلك الحلف، فخاف الوليد بن عتبة وانصف الإمام الحسين عليه السلام [٢].

بينما اعترف عبدالملك بن مروان الأموي بمقاطعتهم حلف الفضول قائلاً:لقد خرجنا من حلف الفضول [٣].

وقد حضر رسول الله صلى الله عليه وآله في حلف المطيبين وكان عمره الشريف نحو عشرين سنة ثم أمضى ذلك الحلف بعد نبوته [٤].

وقد ورث بنو عبدالدار من جدهم قصي دار الندوة (المعد لاجتماع رؤوس قريش) ولواء الحرب، ثم اشترى تلك الدار حكيم بن حزام وباعها بمائة ألف درهم إلى معاوية بن أبي سفيان فجعلها داراً للامارة [٥].

وكان اللواء ودار الندوة بيد أعداء الإسلام والمسلمين. ففي معركة بدر حمل اللواء بنو عبدالدار ثم انهزموا، وفي معركة احد حملهُ بنو عبدالدار تشجعهم نساء قريش برئاسة هند بنت عتبة بضرب الدفوف قائلات:

ويهاً بني عبدالدار ويهاً حماة الأدبار
ضرباً بكل بتار [٦]

---

(١) السيرة الحلبية ١/١٣١، السيرة النبوية، دحلان ١/٥٣، البداية والنهاية ٢/٢٩١.

(٢) الروض الأنف ٢/٦٤، السيرة الحلبية ١/١٣٢، أنساب الاشراف ٢/١٤، الأغاني ١٦/٦٨، سيرة ابن هشام ١/١٤٢، الكامل، ابن الاثير ٢/٤٢، البداية والنهاية ٢/٢٩٣.

(٣) الروض الأنف ٦٤، شرح النهج، المعتزلي ١٥/٢٢٦، الأغاني ١٦/٦٨، سيرة ابن هشام ١/١٤٣.

(٤) مسند أحمد ١/١٩٠.

(٥) فتوح البلدان، البلاذري ٦٠.

(٦) سيرة ابن هشام ٣/٨٧.

فقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ حملة اللواء من بني عبدالدار، وكانوا بضعة عشر منهم طلحة بن أبي طلحة، وأبو سعد بن أبي طلحة الذي بارز علياً ﷺ فصرعه (جرحه)، وأضطر لكشف عورته هرباً من سيف علي ﷺ ثم مات[١].

وفي دار الندوة اتفقوا على قتل رسول الله ﷺ ففشل سعيهم [٢] ولان الأجتماع في دار الندوة كان مخصوصا لقتل رسول الله ﷺ فقد اعترف الحزب القرشي والسائرون علىٰ خطاه بانعقاده فيها ،اما الأجتماع المعد لحلف الفضول ففيه فضل عظيم فنسبوه إلىٰ دار ابن جدعان! وكان قصي جد النبي ﷺ هو الذي بنىٰ دار الندوة[٣].

(١) سيرة ابن كثير ٣/٣٩.
(٢) البداية والنهاية ٣ / ٢١٥.
(٣) السيرة الحلبية ١ / ١٢.

الفصل الثاني

آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم

إيمان آباء النبي ﷺ

إدَّعت الشيعة الإمامية إيمان آباء النبي ﷺ إلى آدم بالرغم من أنَّ بعضهم لم يعلن الإسلام لظروف خاصة به[1]. **فقد أعلن أبو حيان الأندلسي: «ذهبت الرافضة إلى أن آباء النبي ﷺ كانوا مؤمنين»**[2]. **و حاول غير الإمامية اعلان كفر آباء النبي ﷺ** إلاّ البعض منهم. وتلك الأغلبية سعت بكل الوسائل إلى اثبات ذلك الأمر، وهدفهم من ذلك الحط من منزلتهم، بل انهم حاولوا اثبات كفر أبي طالب الذي سعى بكل الوسائل لدعم الإسلام والمسلمين وضحى بكل ما عنده في هذا السبيل. وقد صرَّح المسعودي واليعقوبي والسيوطي والرازي بإيمان أبي طالب[3].

---

(١) البحار ١١٧/١٥، تاريخ الخميس ١/٢٣٤.

(٢) تفسير البحر المحيط ٤٧/٧.

(٣) التعظيم والمنة في أن أبوي رسول الله ﷺ في الجنة، السيوطي، السبل الجلية في الآباء العلية، السيوطي، السيرة الحلبية ١ / ٤٣ وقد سعى سعيد بن المسيب لاثبات كفر أبي طالب فرواية البخاري في اثبات كفر أبي طالب جاءت من طريقه! وقد سعيت جهدي لمعرفة علة حركة المسيب تلك ووصلت إلى ذلك. فأبو طالب والد عقيل، وعقيل صاحب النسب في قريش، وهو الذي فضح جدة سعيد بن المسيب بانها صاحبة راية من رايات الفحش في مكة، وقد رفعت القضية إلى عمر بن الخطاب فشهد عقيل ومخرمة بن نوفل وأبو جهم بن حذيفة بانها من فاحشات الجاهلية، أنساب الاشراف، البلاذري ٧٤. وهؤلاء الثلاثة على التسلسل علماء الانساب عند العرب، راجع جمهرة أنساب العرب، ابن حزم ص٤.

وقال رسول الله ﷺ: لم يزل ينقلني اللهُ من أصلاب الطاهرين إلى ارحام المطهرات، حتى أخرجني في عالمكم، ولم يدنسني بدنس الجاهلية[١].

ومن دلائل إيمان أجداد النبي ﷺ أنَّ عبدالمطلب كان يأمر أولاده بترك الظلم والبغي ويحثهم على مكارم الأخلاق وينهاهم عن دنيئات الأمور، وكان يقول:لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى يُنتقم منه وتصيبه عقوبة إلى أنَّ هلك رجل ظلوم من أهل الشام لم تصبه عقوبة فقيل لعبد المطلب في ذلك فقال:والله إنَّ وراء هذه الدار داراً اخرى يجزئ فيها المحسن بإحسانه ويعاقب المسئ بإساءته، أي أنَّ العقوبة معدة له في الآخرة.

ورفض عبادة الأصنام ووحّد اللهَ سبحانه وتعالى وتؤثر عنه سنن جاء القرآن بأكثرها، وجاءت السنة بها، منها الوفاء بالنذر، والمنع من نكاح المحارم، وقطع يد السارق، والنهي عن قتل الموءودة، وتحريم الخمر والزنا، وأن لا يطوف بالبيت عريان[٢].

وهذا أفضل دليل على إيمان آباء النبي ﷺ ورد شبهات الكفار والمنافقين.

وجاء في كتاب البحار: إعتقادنا في آباء النبي ﷺ وآله انهم مسلمون من آدم إلى أبيه عبدالله، وأن أبا طالب كان مسلماً، وآمنة بنت وهب كانت مسلمة ؛ واتفقت الإمامية على أنَّ والدي الرسول ﷺ وكل أجداده إلى آدم ﷺ كانوا مسلمين، بل كانوا من الصديقين[٣].

وقال فخر الدين الرازي إنَّ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[٤] وجب

(١) تفسير الرازي ٢٤، الدر المنثور ٥/٩٨، مجمع البيان ٤/٣٢٢، البحار ١٥/١١٧، ١١٨، تاريخ الخميس ١/٢٣٤ تفسير البحر المحيط ٧/٤٧.

(٢) السيرة الحلبية ١/٤، نقل الحلبي ذلك عن سبط بن الجوزي.

(٣) البحار، المجلسي ١٥/١١٧.

(٤) التوبة ٢٨.

أنْ لا يكون أحد من أجداده ﷺ مشركاً[١]. وقال الحلبي: أحيا الله تعالىٰ أبـويه فآمنا به [٢] كما آمن به أجداده وباقي الأنبياء وبشّروا به.

وكانت قريش تستسقي بعبد المطلب فيسقيهم الله تـعالىٰ بـبركة ذلك النـور [٣] واعترف الحزب القرشي برفض جماعة قرشية عبادة الأصنام وهم ورقة بن نوفل الاسدي وعبيد الله بن جحش (زوج أُم حبيبة بنت أبي سفيان). عثمان بن الحويرث الاسدي وزيد بن عمرو بن نفيل العدوي فتنصر ثلاثة وبقي زيد بن عمرو بن نفيل على الحنيفية [٤].

لكن الحزب القرشي وأتباعه من العلماء أنكروا إيمان آباء وأجداد النـبي ﷺ حسداً لهم وحقداً عليهم وأدخلوهم جهنّم زيفاً، مثلما أدخلوهم في شعب أبي طالب في مكّة ظلماً!

وقال ابو طالب انبأني أبي عبد المطلب بأن محمدا النبي ﷺ المبعوث وأمرني ان استر ذلك لئلا يغري به الاعادي [٥].وقال بنو مدلج بأن قدم محمد ﷺ تشابه قدم إبراهيم ﷺ فقال عبد المطلب لابي طالب اسمع ما يقول هؤلاء فكان ابو طالب يحتفظ به [٦]. وقال عبد المطلب عن محمد ان المَلِكَ قد أتاه [٧].

---

(١) البحار ١٥/١١٩.

(٢) السيرة الحلبية ١ / ٥٠.

(٣) السـيرة الحلبية ١ / ٥٩.

(٤) الروض الأُنف ٢ / ٢٤٧ - ٢٥٠. وأُم زيد بن العدوي (ابن عم عمر) هي الحيداء بنت خالد الفهمية وهي جدة نفيل ولدت له الخطاب فهو اخو الخطاب لامه وابن أخيه الروض الأُنف ٢ / ٣٥٦.

(٥) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٤.

(٦) الطبقات لابن سعد ١/١١٨.

(٧) اصول الكافي ١/٣٧٢.

علم النسب

كان النبي ﷺ أفضل الناس نسباً فهو من أولاد الأنبياء ومن نسل الساجدين بنص القرآن الكريم، ورأيه ﷺ في علم النسب: إنَّه دعا الى تعلم الأنساب بشكل يتناسب مع حفظ الأخلاق الإسلامية في خدمة الأقرباء قائلاً:تعلموا من انسابكم ما تصلون به أرحامكم[1].

وكان عقيل بن أبي طالب أعلم الناس بالانساب وأخذ ذلك منه محمد بن الكلبي من طريق أبي صالح، وأخذ هشام بن الكلبي ذلك من أبيه.

فأعلم الناس بعلم الأنساب عقيل بن أبي طالب، ثم محمد بن الكلبي، ثم هشام بن محمد بن الكلبي ومن هؤلاء أخذت الناس.

فكان عقيل يعلم الناس أنسابهم في المسجد النبوي، ويقال لمجلسه طنفسة أبي يزيد[2] ،واهتم معاوية بتعليم ابنه يزيد علم الانساب لتفريق الناس، و تحكيم سياسته، فطلب من دغفل بن حنظلة تعليمه ذلك[3]. ولما تعلم يزيد بن معاوية مثالب الناس دون مثالبه فقد صدمه الناس في مرات عديدة! إذ لم يعلّمه المعلمون أنَّ جدته لابيه هي حمامة احدىٰ بغايا مكة.ولم يعلّموه نسبه العائد الى أمية غير العربي الذي تبناه عبد شمس![4]

نسب النبي ﷺ

نقل ابن سعد عن هشام بن محمد بن الكلبي نسب النبي ﷺ قائلاً:

محمد الطيب المبارك ابن عبدالله بن عبدالمطلب واسمه شيبة، بن هاشم، واسمه

---

(١) التراتيب الادارية ٢/٣٠١ـ ٣٢١.

(٢) أسد الغابة ٤/٦٤.

(٣) بحوث في تاريخ السنة المشرفة ١٦٨.

(٤) شرح النهج للمعتزلي ٤٦٦/٣ هاشم وأميّة، شرف الدين ٢٧٠، النزاع والتخاصم ٢٢.

عمرو بن عبد مناف واسمه المغيرة، بن قصي، واسمه زيد بن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر، وإلى فهر تسمى قريش وفوق فهر لا يقال له قرشي بل كناني[١].

وعن هشام بن محمد الكلبي صاحب النسب: أمّ الرسول ﷺ آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مُرّة، وأُمّها بَرّه بنت عبدالعزى بن عثمان بن عبدالدار بن قصي بن كلاب، و امها امّ حبيب بنت أسد بن عبدالعزىٰ بن قصي بن كلاب وأمّها برّة بنت عوف بن عبيد بن عويج[٢]. وينتسب النبي ﷺ إلى إسماعيل بن إبراهيم ﷺ.

وقال هشام بن محمد الكلبي: كتبت للنبي ﷺ خمسمائة أم فما وجدت فيهنّ سفاحاً، ولا شيئاً مما كان من أمر الجاهلية[٣].

واوجب الأمر أن يكون الأنبياء والأوصياء جميعاً أفضل الناس نسباً وشرفاً و لأجل ذلك ساد الناس محمدٌ ﷺ ثم علي ﷺ ثم أبناء علي من أهل البيت ﷺ. وآخرهم المهدي ﷺ الذي سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً.

قال رسول ﷺ: ما افترق الناس فرقتين إلّا جعلني اللهُ في خيرهمافأخرجت من بين أبوي فلم يصبني شيء من عهر الجاهلية وخرجت من نكاحٍ ولم أخرج من سفاحٍ من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي، فأنا خيركم نسباً وخيركم أباً[٤].

والدليل القرآني على طهارة نسب النبي ﷺ قوله تعالى:

---

(١) الطبقات، ابن سعد ١/٥٥، مروج الذهب، المسعودي ٢/٢٦٥ ـ ٢٦٦، مختصر تاريخ ابن عساكر ٢/١٦، تاريخ أبي زرعة ٢٢، تهذيب التهذيب ٦/٩٨، تاريخ البخاري ٩/٧٦.

(٢) الطبقات ١/٥٥ ـ ٦٠، مختصر تاريخ ابن عساكر ٢/٢٧.

(٣) الطبقات ١/٦٠، السنن الكبرىٰ، البيهقي ٧ / ١٦٠، دلائل النبوة، أبو نعيم ١ / ١١، البداية والنهاية ٢ / ٢٥٦، تاريخ جرجان ٣٦١.

(٤) مختصر تاريخ ابن عساكر ١ / ٣٤٩، ٢/١٦، الدر المنثور ٣ / ٢٩٤، ٥ / ٩٨.

﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾[١] فهي تدل باتفاق المفسرين على كون آبائه من الساجدين الطاهرين المطهرين.

وقد سار عبدالمطلب على خطى آبائه فحرّم نساء الآباء على الأبناء[٢].

لكن البعض حاول الطعن في شرف آباء النبي ﷺ ومنزلتهم مثل أبي سفيان الذي قال محمد في بني هاشم مثل الريحانة في وسط التبن.

فغضب رسول الله ﷺ وقال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ خلق السموات سبعاً فاختار العلى منها فاسكنها من شاء من خلقه ثم خلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم، واختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشاً، واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم[٣].

وقال رسول الله ﷺ: قال لي جبريل: قلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد أحداً أفضل من محمد، وقلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد بني أب أفضل من بني هاشم[٤].

وذكر ابن سعد في طبقاته (الجزء الأول) نسب النبي وآبائه وأمهاته بشكل جيد وموسع[٥].

لكن عمر بن الخطاب وصحبه كرّروا في مسجد النبي ﷺ ما قاله أبو سفيان! فغضب رسول الله ﷺ وأراد ﷺ أنْ يذكر انسابهم الواقعية، فقام عمر وقبّل رجلَ رسول الله ﷺ، وأعاد الشهادة ثانية بلا إله إلّا الله محمد رسول الله!

---

(١) سورة الشعراء ٢١٨، ٢١٩.

(٢) بحار الأنوار ١٥/١٢٧.

(٣) تاريخ ابن الوردي ١/٩٥.

(٤) عيون الأثر، ابن سيد الناس ١/٣٤، تاريخ ابن الوردي ١/٩٥، الطبقات، ابن سعد ١/٥٥.

(٥) سنن الترمذي ٥ / ٢٤٣، ٢٤٥، مختصر تاريخ دمشق ٤ / ٧٣، تفسير ابن كثير ٢ / ١٧٥، راجع نظريات الخليفتين للمؤلف ١ / ٣٤.

وبرك عمر على ركبتيه قائلاً: رضينا بالله ربّاً وبالاسلام ديناً وبمحمد رسولاً، أُعف عنّا عفا الله عنك إغفرلنا غفر الله لك، احلم عنّا حلم الله عنك.

ولشدة الإعتداء على رسول الله ﷺ وغضبه وضع المسلمون رؤوسهم في ثيابهم يبكون خجلاً وحياءاً من الله ورسوله[١].

هاشم بن عبدمناف

كان هاشم شخصية شهيرة في مكة وجزيرة العرب معروفاً عند الدول المجاورة المتمثلة بدول الروم والفرس والحبشة واليمن. فقد أكرمه سيف بن ذي يزن في اليمن إكراماً مشهوداً.

وقد تولى في زمنه الرّفادة والسّقاية، وكان رجلاً موسراً فإذا حضر موسم الحج قام في قريش قائلاً:

«يا معشر قريش إنكم جيران الله سبحانه، وأهل بيته، وإنه يأتيكم في هذا الموسم زُوّارُ الله وحُجّاج بيته، وهم ضيف الله سبحانه، وأحق الضّيف بالكرامة ضَيْفُه فأجْمَعُوا لهم ما تصنعون لهم به طعاماً أيامهم هذه التي لا بد لهم من الإقامة بها، فإنه ـ والله ـ لو كان مالي يسع لذلك ما كلّفْتُكُمُوهُ». فيخرجون لذلك خرجاً من أموالهم كل امرئ بقدر ما عنده فيُصنع به للحجاج طعامٌ حتى يصدروا منها[٢].

وأول من أطعم الثريد للحجاج بمكة وإنما كان اسمه عَمراً فا سمي هاشماً إلاّ بِهَشْمه الخبز بمكة لقومه فقال شاعر من قريش :

عَمْرو الذي هَشَم الثريد لقومه ... قــوم بـمكة مُسْنِتِينَ عِجَافِ
سُنَّت إليـه الرحـلتان كـلاهما ... سَفَرُ الشتاءِ ورِحلةُ الايلافِ[٣]

---

(١) راجع نظريات الخليفتين، المؤلف ١/٣٤ ـ ٤١، تذكرة الفقهاء ٢/٤٧٠، تفسير ابن كثير ٢/١٧٥، مجمع الزوائد ٧/١٨٨، صحيح مسلم ٣/١٦٧، صحيح البخاري ٨/٩٤.

(٢) الروض الأنف، السهيلي ٢/٦٤، ٦٥.

(٣) الروض الأنف ٢/٦٥.

وكان هاشم بعد أبيه على الزعامة والسقاية والرفادة، فكان يعمل الطعام للحجاج يأكل منه من لم يكن له سعة ولا زاد، وتسمى الرفادة.

ثم ولي الزعامة والسقاية والرفادة بعده أخوه المطلب بن عبدمناف ثم تولاها بعده شيبة

ابن هاشم المسمى بعبد المطلب[١].

وكان هاشم أول من سنَّ الرحلتين لقريش: رحلتي الشتاء والصيف.

عبدالمطلب بن هاشم

واسمه شيبة بن هاشم وله عشرة أبناء، وهو الذي سجد له الفيل الأعظم وعليه قصة أصحاب الفيل، وبرز نور النبوة في أسارير عبدالمطلب، وببركته ﷺ دفع الله تعالى شرَّ إبرهة الحبشي، وأرسل عليهم طيراً أبابيل، وببركته ﷺ أمر عبدالمطلب أولاده بترك الظلم والبغي، وحثهم على مكارم الأخلاق، ونهاهم عن دنيات الأمور.

وكان شاباً شجاعاً لم يفر من مكة بفرار قريش بل بقي فيها قائلاً: والله لا أخرُج من حرم الله أبتغي العزَّ في غيره فجلس عند البيت قائلاً:

اللهم إنَّ المرءَ يمنعُ رَحْله فامنَعْ حلالك[٢]

فلم يزل ثابتاً في الحرم حتى أهلك الله تعالى الفيل واصحابه فرجعت قريش وقد عَظُمَ فيهم لصبره، وتعظيمه محارِمَ الله تعالى، فأُتي عبدُ المطلب في منامِه في الحجر فقيل له: إحفر زمزم[٣].

وكانت عين زمزم قد نبعت عند قدوم إسماعيل وأُمه هاجر إلى مكة بدعاء النبي

(١) الروض الأنف ٢/٦٥، ٦٦.

(٢) سيرة ابن هشام ١/٣٣، تاريخ اليعقوبي ١/٢٥٣، تاريخ الطبري ١/٥٥٤.

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢/٨٥ـ ٨٧، سيرة ابن اسحاق ٢٣.

إبراهيم عليه السلام الذي قال:

﴿ربَّنا إنِّي أسكَنتُ من ذُرِّيتي بِوَادٍ غَيرِ ذِي زَرعٍ عِندَ بيتِكَ المحرَّم﴾[1]

فنبعت عين زمزم من فحص إسماعيل عليه السلام برجله فيها، فنبت الشجر واستقرت جرهم هناك[2].

وبعد موت عبدالله أهتم عبدالمطلب بحفيده محمد ﷺ اهتماماً خاصاً، لإيمانه بالله تعالى والآخرة والأنبياء أولا وكونه حفيده ثانياً، وثالثاً انه صبيٌ يتيم الأبوين. ولمعرفته وإيمانه بنبوته ﷺ.

وقبل موته عهد عبدالمطلب بمحمد ﷺ إلى أفضل أبنائه (أبي طالب) فكان عند حسن ظنه وسار أبو طالب على خطى عبدالمطلب في الأهتمام بالدين الإلهي والرحم، فاعتنى برسول الله ﷺ عناية خاصة وفائقة.

وسمّت قريش عبد المطلب بإبراهيم الثاني[3].

بئر زمزم

قال رسول الله ﷺ خير بئر للناس زمزم وشر بئر برهوت[4]. وقد نبعت زمزم تحت قدمي إسماعيل عليه السلام ثم دفنت خمسمائة سنة لا يعرف مكانها وسميت زمزم لانها زمت بالتراب أو لزمزمة الماء فيها[5] و دفنتها جرهم قد حين فروا من مكة. وعمد رئيسهم عمرو بن الحارث الجرهمي قبل فراره الى نفائس فجعلها في زمزم وبالغ في طمّها وفرّ إلىٰ اليمن بقومه.

---

(١) إبراهيم ٣٧.

(٢) البدء والتاريخ ١/٢٣٩، ٢٤٠.

(٣) لايمانه واخلاقه والتوفيق الإلهي له تاريخ اليعقوبي ٢/١٢.

(٤) الدر المنثور ٦ / ٤٣.

(٥) والمعنى اللغوي لها هو الماء الوسط بين العذوبة والملوحة.

فلم تزل زمزم من ذلك اليوم مجهولة إلىٰ أن رفعت الحجب بـرؤيا رآهـا عـبد المطلب دلّته على مكانها حينما كان نائماً في حجر إسماعيل، إذ أُمِرَ بحفر زمزم يوم وكان عبد المطلب رئيساً لمكة [١]. ولما حفر عبد المطلب ووصل إلىٰ بئر زمزم كبّر فعرفت قريش أنه أدرك حاجته فطالبوه بإشراكهم فيها فرفض، فاتفقوا على تحكيم كاهنة بني سعد بن هذيم وكانت باشراف الشام، ولما ذهبوا إليها فنيٰ ماء عبد المطلب وأصحابه فظمئوا حتىٰ أيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فأبـوا عليهم وقالوا: إنّا بمفازة نخشىٰ على انفسنا مثل ما أصابكم، ولما ركب عبد المطلب راحلته انبعثت (انفجرت) من تحت خفها عين ماء عذب، فكبَّر عبدالمطلب وكـبَّر أصحابه ثم نزل فشرب وشرب أصحابه واستقوا حتىٰ ملئوا أسقيتهم، ثم دعا القبائل من قريش قائلاً: هلم إلىٰ الماء فقد سقانا الله فاشربوا واسـتقوا فـجاءوا فـشربوا واستقوا ثم قالوا: والله قُضي لك علينا يا عبد المطلب، والله لا نخاصمك في زمزم أبداً ان الذي سقاك الماء بهذه الفلاة هو الذي سقاك زمزم فارجع إلىٰ سقايتك راشداً[٢].
وورث أبو طالب الرياسة والسقاية والرفادة من أبيه عبد المطلب.

وكان عبد المطلب قد عثر على أسياف وغزالين مـن الذهب في زمـزم فـجعل الأسياف باباً للكعبة وضرب في الباب الغزالين من ذهب فكان أول ذهب حليت به الكعبة [٣].

عبدالله بن عبدالمطلب وآمنة

كان عبدالمطلب يحب أبنه عبدالله أكثر من باقي ابنائه، وهو أحسن من رُؤي في قريش قطّ. فخرج يوماً على نساءٍ من قريش مجتمعات فقالت أمرأة منهن: يا نساءَ

---

(١) تاريخ الخميس ١٧٨، البداية والنهاية ٢ / ٢٣.
(٢) تاريخ الخميس ١ / ١٧٩.
(٣) تاريخ الخميس ١ / ١٨١.

قريش، أيتكن تتزوجُ هذا الفتى فتصطاد النور الذي بين عينيه.

فطلبت قتيلة أُخت ورقة بن نوفل من عبد الله أن يجامعها لنور وجهه فأبىٰ ذلك، وطلبت منه كاهنة باليمن ذلك فرفض وعمره ثمان عشرة سنة [١] فتزوجته آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة فجامعها، فحملت برسول الله ﷺ[٢].

ومات عبدالله بن عبدالمطلب في المدينة المنورة في ظروف مشكوكة، وأعتقد بأنَّ يهود المدينة المتربصين بخروج النبي ﷺ والعارفين بنور عبدالله هم الذين قتلوه. وكان الكثير من الأحبار والكُهان والكفار يرغبون في قتله[٣].

وكانت حليمة السعدية (مرضعة النبي ﷺ) يوم ذهبت برضيعها (محمد ﷺ) إلى سوق عكاظ نادى أحد الكهان: يا أهل عكاظ اقتلوا هذا الغلام، فإن له ملكاً، فزاغت به أُمّه التي ترضعه، فأنجاه الله تعالى[٤].

ومات عبدالله و عمره ٢٧ سنة وماتت آمنة و عمرها ٣٠ سنة في منطقة الأبواء بين مكة والمدينة، وكان عمر النبي ﷺ ست سنين.

(١) السيرة الحلبية ١ / ٣٩، الوفا ٨٢

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢/٨٧

(٣) راجع كتاب هل اغتيل النبي محمد ﷺ للمؤلف.

(٤) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢/٨٨

الفصل الثالث

ملوك العرب

ملوك اليمن

كان قحطان بن عابر بن شالخ أول من نزل اليمن، وهو أول من ملكها ولبس التاج ثم مات.

فملك بعده ابنه يعرب، وهو أول من نطق بالعربية وقيل أول من فتق لسانه بالعربية البينة إسماعيل ﷺ [1] ثم ملك ابنه يشجب، ثم ابنه عبد شمس فأكثر الغزو فسمي سبأ، وبنىٰ سد مأرب وملك بعده ابنه يعرب الذي أخرج ثمودَ من اليمن إلى الحجاز.

ثم ملك وائل وسكسك ويعفر وذورياش والنعمان وأسمح وشداد ولقمان وذو شدد والحارث وذو القرنين... ثم الهدهاد ثم ابنته بلقيس بنت الهدهاد زوج سليمان ﷺ [2].

قال صاحب تواريخ الأمم: ليس في التواريخ أسقم من تواريخ ملوك حمير لما يذكر فيه من كثرة عدد سنيهم مع قلة عدد ملوكهم فإنهم يزعمون أن ملوكهم ستة وعشرون ملكاً ملكوا مدة ألفين وعشرين سنة.

ثم ملك اليمن بعدهم من الحبشة ومن الفرس ثمانية، ثم صارت اليمن للإسلام، والفرس هم الذين ساعدوا سيف بن ذي يزن الحميري في طرد جيش الحبشة من اليمن، وساعدوا سيفاً في أن يصبح ملكاً على البلاد بعد أن خذله الروم.[3]

---

(١) وأول من كتب الكتاب العربي إسماعيل . السيرة الحلبية ١ / ١٨.

(٢) تاريخ ابن الوردي ١/٥٦، ٥٧.

(٣) المصدر السابق.

وكان ذو نواس آخر ملوك حمير هو الذي قتل أصحاب الأُخدود، وهم عشرون الفاً من النصارى، فتسبب ذلك في ضياع ملك الحميريين[١].

ملك اليمن المؤمن

والملفت للنظر أن تبع ملك اليمن أسكن الأوس والخزرج مدينة يثرب لينصروا محمداً ﷺ الذي سوف يخرج في مكة، ويهاجر الى يثرب (المدينة) قائلاً: أمّا أنا فلو أدركته لخدمته، وخرجت معه[٢] فقال تعالى في قريش: ﴿أهم خير أم قوم تبّع﴾[٣]

فكان تبع المؤمن قد آمن بالنبي محمد ﷺ قبل ولادته بزمن طويل[٤].

وأخذ سيف بن ذي يزن (ملك اليمن) ذلك من أجداده فبشّر عبدالمطلب بظهوره. فأكد له عبدالمطلب ولادة رسول الله ﷺ[٥].

وكان يوشع اليهودي وكل يهود يثرب يبشرون بولادة النبي محمد ﷺ[٦].

إذ كان أحبار يهود بني قريظة والنضير يذكرون النبي ﷺ، فلما طلع الكوكب الأحمر أخبروا الناس أنه نبي وأنه لا نبي بعده، واسمه أحمد ومهاجره إلى يثرب، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنكروا وحسدوا وكفروا[٧].

وكان يهود الشام قد هربوا إلى شبه الجزيرة العربية من بطش بختنصر الذي خرّب القدس[٨].

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/٥١٩.

(٢) كمال الدين ١٠١، ١٠٢، البحار ١٥/١٨٣، ١٩٠.

(٣) الدخان ٣٧.

(٤) تفسير مجمع البيان ٩/٦٦، كمال الدين ١٠٢، البحار ١٥/١٨٣ ـ ١٩٠.

(٥) سيرة ابن هشام ١/٦٩، ٧٠، مروج الذهب، المسعودي ٢/٨٤، ٨٥.

(٦) البداية والنهاية ٢/٣٢٧.

(٧) البداية والنهاية ٢/٣٢٧.

(٨) تاريخ ابن الوردي ١/٢٨.

أهالي المدينة

كان أهل المدينة تاريخياً ينتظرون ظهور النبي محمد ﷺ، ولما خرّب ططوس الرومي الكافر بيت المقدس (إحدى المرتين)، وتفرقت بنو إسرائيل فرّت قريظة والنضير، وسكنت مدينة يثرب في زمن سيلِ العرمِ. ثم ملكها قيطون اليهودي الذي يبدأ بالعروس قبل زوجها فقتله مالك الخزرجي.

ولما سقط الحكم اليهودي بدأ حكم الأوس والخزرج في يثرب تلك المدينة المهمة التي نوّرها الله تعالى برسوله ﷺ. فأخذت الأوس والخزرج تتوارث الرياسة إلى زمن هجرة النبي ﷺ اليها[1].

وأراد ملك اليمن تبع أن يخرب يثرب بعد قتله ثلاثمائة وخمسين يهودياً صبراً فأخبره يهودي ببعثة خاتم الأنبياء القريبة، فمضى إلى مكة وكسا البيت وأطعم الناس وقال:

شهدت على أحمد إنّه ... رسول من الله بارئ النسم
فلو مدّ عمري إلى عمره ... لكنت وزيراً له وآبن عم[2]

ملوك اللخميين

كان ملوك الحيرة هم المناذرة بنو عدي بن نصر... أبن سبأ، وهم جَذيمة وعمرو وأمرؤ القيس وأوس.

والنعمان الأعور باني الخورنق والسدير ملك ثلاثين سنة ثم تزهد وخرج من الملك في زمن بهرام الفارسي، ثم المنذر بن النعمان إلى أنْ ملك النعمان بن المنذر الذي تنصر.

(١) البدء والتاريخ، البلخي، ٢/٤٣.
(٢) البحار ١٥/٢١٤، الخرائج، ١٨٥.

وأنتقل ملك الحيرة بعد النعمان عن اللخميين إلى أياس بن قبيصة الطائي، وبعد ستة أشهر من حكمه بُعث رسول الله ﷺ.

ثم ملك زادويه والمنذر بن النعمان بن المنذر بن ماء السماء إلى أنْ فتحت العراق بيد المسلمين.

وكانت دولتا المناذرة في العراق ودولة سيف بن ذي يزن في اليمن تابعة للفرس، ودولة الغساسنة العربية في بصرى الشام تابعة للروم[١].

ملوك غسان

كان ملوك غسان من عرب اليمن من بني أزد بن الغوث بن سبأ جاءوا الشام ونزلوا عند ماء غسان فنسبوا إليه.

وأول ملوك غسان جفنة بن عمرو، ثم عمرو، ثم ثعلبة، ثم جبلة بن الحارث، والحارث والمنذر...

ثم ملك جبلة بن الأيهم بن جبلة الذي أسلم في زمن عمر بن الخطاب، ثم عاد إلى الروم وتنصر، وقيل بأنهم حكموا بين اربعمائة إلى ستمائة سنة[٢].

ملوك كندة

أول ملوكهم حجر آكل المرار بن عمرو من ولد كندة، ثم ابنه الحارث الذي وافق كسرى قباذ على الزندقة المزدكية، ثم حجر أبو الشاعر امرؤ القيس[٣].

وقد كتب هشام بن الكلبي كتاباً اسمه ملوك كندة [٤] وحجر بن عمرو من حمير

(١) تاريخ ابن الوردي ١/٥٧، ٥٨.

(٢) تاريخ ابن الوردي ١/٦٢.

(٣) تاريخ ابن الوردي ١/٦٣، ٦٤.

(٤) الذريعة ١ / ٣٥١.

كان في عهد تبابعة اليمن وولاه أخوه لامه حسان بن اسعد على قبائل معد بن عدنان في الحجاز فدانت له واستمر فيهم إلىٰ ان مات [١].

وفي سنة اثنتي عشرة قُتِلَ الملوك الاربعة حمد ومحروس وابضعة ومشرح واختهم العمردة الذين ورد الحديث في مسند أحمد بلعنهم (وكان الذي قتلهم زياد الأنصاري) وهم ملوك بني عمرو بن معاوية الحضرميين وهم اخوة من ملوك كندة.[٢] وكان الاشعث بن قيس من ملوك كندة.

قصة الفيل

لما سيطرت الحبشة على الحكم في اليمن بقيادة إيرهة الحبشي بنىٰ كنيسة عظيمة لدينه النصراني، فرغب في حج الناس إليها دون الكعبة، فجاء شخص وأحدث في الكنيسة!

فغضب أبرهة وسار بجيشه وبالفيل، وقيل بثلاثة عشر فيلاً لهدم الكعبة، وقال: ونصرانيتي لأهدِمَنَّ الكعبة حتى لا يحجّها حاج أبداً.

ووصل الطائف فساعده أهلها بدليل اسمه نفيل (أبو رغال)، فساق جنود إيرهة اموال أهالي مكة، فلم يبق بمكة احد غير عبدالمطلب بن هاشم نزلوا المغمس على ستة أميال من مكة.

ومن جملة الأموال مائتا بعير لعبد المطلب بن هاشم، فجاء عبدالمطلب إلى إيرهة، فقالوا له: جاء سيد قريش الذي يطعم أنيسها في السهل ووحوشها في الجبل، فأذن له.

فلما رآه إيرهة أعظمه ونزل عن سريره وجلس معه على الأرض فقال عبدالمطلب حاجتي مائتا بعير أصابتها مقدمتك.

فقال إيرهة: والله لقد رأيتك وأعجبتني ثم تكلمت فزهدت فيك.

---

(١) الاعلام، الزركلي ٢ / ١٦٩.

(٢) البداية والنهاية ٦ / ٣٧٦.

فقال له: ولِمَ أيها الملك؟

قال: لأني جئت إلى بيت هو منعتكم من العرب وفضلكم في الناس، وشرفكم منه، ودينكم الذي تعبدون، فجئته لأكسره، فكلمتني في إبلك ولم تطلب إليّ في بيتكم!

فقال له عبدالمطلب: أيها الملك إنما اكلمك في مالي، ولهذا البيت رب يمنعه، لست أنا منه بشيء.

فأمر إبرهة برد إبل عبدالمطلب وساروا إلى مكة فامتنع فيلهم من السيرا ومع طلوع شمس اليوم الثاني طلعت عليهم طيرٌ أبابيل أمثال الخطاطيف، مع كل طائر ثلاثة أحجار في مثل الحمص والعدس في منقاره ورجليه، فلم تصب أحداً إلاّ هلك.

وأرسل اللهُ تعالى عليهم سيلاً فألقاهم في البحر، وأصيب إبرهة في جسده، وسقطت اعضاؤه فمات في صنعاء![1] وأنزل اللهُ تعالى قصة أصحاب الفيل في كتابه عبرة للكفارين:

﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول﴾[2]

وأقترن ذلك مع سنة ولادة رسول الله ﷺ فشاهد أهل مكة أكبر معجزة الهية في ذلك الوقت تمهّد السبيل لولادة خاتم الأنبياء ﷺ حيث أرسل الله سبحانه وتعالىٰ طيراً أبادت جحافل إبرهة العسكرية واغرقت الباقين في حضرموت فتعجب الناس من ذلك الرد الإلهي الصاعق الذي دمّر جيشاً كاملاً في دقائق معدودة وبواسطة ألطف خلقه (الطيور).

ثم سمع الناس بولادة رسول الله ﷺ في ذلك العام السعيد.

---

(١) سيرة ابن اسحاق ٦١ ـ ٦٤، تاريخ ابن الوردي ٩٢/١، تفسير ابن كثير ٩١٩/٤ ـ ٩٢٦تفسير الطبرسي، سورة الفيل، تفسير التبيان، سورة الفيل.

(٢) الفيل ١ ـ ٥.

الفصل الرابع

ولادة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم



أهل الكتاب يعرفون نبوة محمد ﷺ قبل الإسلام

كان النصارى يسكنون أطراف جزيرة العرب مثل الحيرة وبلاد الشام، والبعض منهم في منطقة نجران. وكانوا يبشّرون وينذرون بظهور النبي ﷺ. إذ قالت حليمة: بينما نحن سائرون إذ مررنا على أربعين راهباً من نصارى نجران، وإذا بواحد يصف لهم النبي ﷺ قائلا: إنّه ﷺ يظهر في هذا الزمان، وقد ظهر بمكة مولود من صفاته كذا وكذا، يكون على يده خراب دياركم وقطع آثاركم.

وإذا ابليس قد تصور لهم في صورة انسان، وقال لهم: الذي تذكرونه مع هـذه المرأة التي مرّت بكم، فقاموا إليه ونظروا وإذا النور يخـرج مـن وجـهه، ثم زعـق الشيطان وقال لهم: اقتلوه، فشهروا سيوفهم وقصدوني، فرفع ولدي محمد رأسه إلى السماء فإذا هم بداهية عظيمة كالرعد العاصف نزلت إلى الارض، وفتحت أبواب السماء ونزلت منها نيران.

قالت حليمة: فعاينت ناراً قد نزلت فخفت على ولدي منها، فنزلت على واديهم فأحرقته[1].

وكان بمر الظهران راهب يدعى عيصاً من أهل الشام يدخل مكة في كـل سـنة فيقول: يوشك أن يولد فيكم مولود يا أهل مكة يدين له العرب، ويملك العجم هذا

---

(1) البحار ١٥/٢٧٥.

زمانه، ومن أدركه واتبعه أصاب حاجته، ومن أدركه فخالفه أخطأ حاجته[١].

هذا وكان اليهود قد سكنوا يثرب وتيماء وفدك وخيبر بعد فرارهم من قتل آشور بانيبال وملاحقة الروم.

ولما خرج اليهود من أرض الشام جعلوا يقترون (يتتبعون) كل قرية من القرى العربية بين الشام واليمن يجدون نعتها نعت يثرب، فتنزل بها طائفة منهم، ويرجون أنْ يلقوا محمداً فيتبعوه، حتى نزل من بني هارون ممن حمل التوراة بيثرب منهم طائفة، فمات أُولئك الآباء، وهم يؤمنون بمحمد ﷺ ويحثون أبناءهم على اتباعه إذا جاء، فأدركه من أدركه من أبنائهم فكفروا به وهم يعرفونه![٢].

وبشَّر به الجارود بن عبدالله[٣].

وكانت يهود بني قريظة يدرسون ذكر رسول الله ﷺ في كتبهم ويعلمونه الولدان بصفته واسمه ومهاجره إلينا، فلما ظهر رسول الله ﷺ حسدوه وبغوا عليه، وقالوا ما ليس به![٤].

وأقرَّ القرآن الكريم بمعرفة أهل الكتاب للنبي محمد ﷺ قائلاً:

﴿يعرفونَه كما يعرفونَ أبناءهم وإنَّ فريقاً منهم ليكتمونَ الحقَ وهم يعلمونَ﴾[٥].

وقالت اليهود لاهالي المدينة: «إنا ننتظر نبياً يبعث الآن يقتلكم قتل عاد وثمود، فنتبعه ونظهر عليكم معه»[٦].

وقالوا: ليخرجن نبي فيكسرن أصنامكم، فلما خرج رسول الله ﷺ كفروا

(١) البداية والنهاية ٢/٣٣١.

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢/٤٧.

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢/٥٢.

(٤) المصدر السابق.

(٥) سورة البقرة ١٤٦.

(٦) الثقات، ابن حيان ١/٩٠.

به![1]. وكذّبوا آياته: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم﴾[2]

وقال يهودي لنساء قريش: يا معشر نساء قريش يوشك فيكن نبي قرب ظهوره، فأيكنّ استطاعت أن تكون فراشاً له فلتفعل، فحصبته النساء[3].

ثم جاء القحطانيون من اليمن إلى يثرب وحاصروا يهود بني النضير والقينقاع وبني قريظة فيها واجبروهم على التنازل عن الحكم.

ولقد قال عبدالمطلب لحاضنته بركة: لا تغفلي عن أبني فان أهل الكتاب يزعمون أن أبني نبي هذه الأمة، وأنا لا آمن عليه منهم[4].

وبالرغم من ذلك فإنّ اليهود خانوا الرسول ﷺ لاختلافهم معه، فحالفوا كفار مكة على رسول الله ﷺ!

وعندها سأل أبو سفيان سلام بن أبي الحقيق وحيّي بن أخطب وكنانة بن الربيع: يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفدينا خير أم دينه؟

قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه، فلما قالوا ذلك لقريش سرّهم ونشطوا لما دعوهم إليه[5].

البشارات بولادة الرسول ﷺ

ذكر القرآن الكريم البشارات بولادة النبي ﷺ التي كان الناس يعلمونها:

﴿ولمّا جاءهم كتابٌ من عند الله مصدّقٌ لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون

---

(١) سيرة مغلطاي ٧.

(٢) سورة النمل ١٤.

(٣) السيرة الحلبية ١ / ١٤٠.

(٤) عيون الأثر ١/٥٦.

(٥) سيرة ابن هشام ٣/٢٢٥، ٢٢٦.

على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾[١].

﴿ولما جاءهم رسولٌ من عند الله مصدِّقٌ لما معهم نبذ فريق من الذين أُوتوا الكتاب، كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون﴾[٢].

﴿الذين ءاتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإنَّ فريقاً منهم ليكتمون الحقَّ وهم يعلمون﴾[٣].

فأثبت القرآن الكريم بأن أهل الكتاب يعرفون خاتم الأنبياء محمداً ﷺ ومكان وزمن ظهوره، فكان اليهود يستنصرون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه، فلما بعثه الله تعالى من العرب ولم يكن من بني إسرائيل كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولونه، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور: يا معشر اليهود اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل الشرك وتصفونه وتذكرون أنَّه مبعوث.

فقال سلام بن مشكم أخو بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنّا نذكر لكم فأنزل الله تعالى قوله **﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله﴾**[٤]

وجاء في السفر الأول من التوراة عن ابراهيم ﷺ: «قد أجبت دعاءك في إسماعيل وباركت عليه وكثّرته وعظّمتهُ جدّاً جدّاً وسيلد اثني عشر عظيماً واجعله لامة عظيمة [٥]

وقال حسان بن ثابت: إنّي لغلام يفقه ابن سبع أو ثمان سنين أعقل كل ما سمعت إذ سمعت يهودياً وهو على أكمة (تل) يثرب يصرخ: يا معشر اليهود طلع نجم أحمد

---

(١) البقرة ٨٩.

(٢) البقرة ١٠١.

(٣) البقرة ١٤٦.

(٤) البقرة ٨٩، البحار ١٥/١٧٦.

(٥) الوفا ٥٦.

الذي يبعث به الليلة[1].

وقال يهودي لرسول الله ﷺ: كنت أمحو اسمك منذ أربعين سنة من التوراة، وكلما محوته وجدته مثبتاً فيها[2].

وبشّر به عيسى ؑ إذ قال النبي ﷺ: وبشارة عيسى الذي بشّر بني إسرائيل بمحمد ﷺ.

وقال ﷺ: ورؤيا أمي التي رأت، إذ حدّثت آمنة بنت وهب أنها أُتيت حين حملت بمحمد ﷺ فقيل لها: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة فإذا وقع إلى الأرض فقولي:

أعيذه بالواحد من شر كل حاسدْ
من كل برّ عاهِدْ وكل عبد رائدْ
يرودُ غير رائد

و آية ذلك أن يخرج معه نور يملأ قصور بصرى من أرض الشام، فإذا وقع فسميه محمداً، فإن اسمه في التوراة أحمد، يحمده أهل السماء وأهل الارض، واسمه في الفرقان محمد، قالت: فسميته بذلك[3].

ومن البشارات بولادة محمد ﷺ نور النبوة الظاهر في وجه عبدالله بن عبدالمطلب فكان أحسن من رُؤيَ في قريش قطّ، فخرج يوماً على نساءٍ من قريش مجتمعات، فقالت امرأة منهن:

يا نساء قريش، أيتكن تتزوج هذا الفتى فتصطاد النور الذي بين عينيه؟ وإن بين عينيه نوراً، فتزوجته آمنة بنت وهب بن عبدمناف بن زهرة، فحملت برسول الله ﷺ[4]. وكان نور النبوة في وجه عبدمناف أيضاً.وكانوا يرون نور النبوة بين

---

(١) فرج المهموم ٢٩، البحار ١٥/١٨١.

(٢) الخصال ٢/٩، البحار ١٥/١٨١.

(٣) دلائل النبوة، البيهقي ١/٨٢، ٨٣.

(٤) السيرة النبوية، دحلان ١/١٠.

عيني جدّه ﷺ مضر بن نزار[١].

وقال الله تعالى لآدم: النور الموجود في سرادق العرش نور نبي من ذريتك أسمه في السماء أحمد وفي الأرض محمد، لولاه ما خلقتك ولا خلقت سماءً ولا أرضاً ولو تشفعت بمحمد ﷺ في أهل السماء والأرض لشفعناك[٢].

وبشّر به الحبر اليهودي أبن حواش المقبل من الشام قائلاً لكعب بن أسد (رئيس يهود قريظة):

تركت الخمر والخمير وجئت إلى البؤس والتور لنبي يبعث، هذا أوان خروجه، يكون مخرجه بمكة، وهذه دار هجرته، وهو الضحوك القتّال يجتزئ بالكسره والتميرات ويركب الحمار، في عينيه حمرة، وبين كتفيه خاتم النبوة، يضع سيفه على عاتقه لا يبالي بمن لاقى، يبلغ سلطانه منقطع الخفّ والحافر.

فاعترف كعب بن أسد بذلك قائلاً:

لولا أن اليهود تعيّرني أني جبنت عند القتل لآمنت بك وصدّقتك[٣].

وبشّر قس بن ساعدة الأيادي برسول الله ﷺ في سوق عكاظ باسمه ونسبه قائلاً خطبته الشهيرة:

مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون! أرضوا بالمقام فأقاموا، أم تركوا فناموا؟![٤].

وجاء في التوراة في السفر الخامس: إني أُقيم لبني إسرائيل نبياً من إخوتهم مثلك واجعل كلامي على فمه، وإخوة بني إسرائيل ولد إسماعيل، ولم يكن في بني إسرائيل نبي مثل موسى ولا أُتي بكتاب ككتاب موسى غير نبينا محمد ﷺ[٥].

---

(١) السيرة الحلبية ١ / ١٧.

(٢) السيرة النبوية، دحلان ١/١٠.

(٣) كمال الدين ١١٤، ١١٥، البحار ١٥/٢٠٦.

(٤) كمال الدين ٩٩ ـ ١٠٠ ـ ١٠١، البحار ١٥/١٨٤، ١٨٥، كنز الكراجكي ٢٥٥.

(٥) الخرائج ١٨٤، البحار ١٥/٢٠٩.

وجاءت بشارات بعلي عليه السلام أيضاً إذ قال عيسى عليه السلام في الانجيل: إنَّ الإليا متوقع أنْ يأتي[1] وإليا هو علي بن أبي طالب عليه السلام وصي محمد ﷺ.

وبشَّر كعب جد رسول الله قريشاً به ﷺ [2] وبشّر به ﷺ جدّه النضر بن كنانة قائلاً: قد آن خروج نبي من مكّة يدعىٰ أحمد يدعو إلىٰ الله وإلىٰ البر والاحسان ومكارم الأخلاق فاتبعوه[3].

ولادة رسول الله ﷺ

والأدلة تشير إلى أنَّ الكهان والأحبار والقساوسة قد أشاروا إلى قرب ظهور النبي محمد ﷺ إذ قال سطيح لمعشر قريش:

يا معشر قريش لقد أكثرتم الاختلاف، وزادت قلوبكم بالارتجاف بذيتم بألسنتكم على آل عبدمناف تكذبونه فيما نطق، وتلومونه إذا صدق، وقد أرسلتم إليَّ تسألوني عن الحال الظاهر، وعن أمر النبي الطاهر صاحب البرهان وقاصم الأوثان ومذل الكّهان، وأيم الله ما فرحنا بظهوره لان الكهانة عند ولادته تزول، فأتوني بأُمهاتكم ونسائكم لترون العجب العجاب.

ولما جاءوه بالنساء قال: وحق الحرمين لقد تركتم من نسائكم اثنتين الواحدة منهن الحامل بالمولود الهادي إلى الرشاد محمد والأخرى ستحمل عن قريب وتلد غلاماً أميناً يدعى أمير المؤمنين وسيد الوصيين وانطلق أبو طالب إلى منزله وأتى بزوجته فاطمة بنت أسد، وآمنة زوجة أخيه عبدالله. فلما وصلتا بجمع الناس من النساء صاح سطيح بأعلى صوته وجعل يبكي ويقول:

يا ذوي الشرف هذه والله الحاملة بالنبي المختار رسول الله ﷺ (أي آمنة) هذه

---

(١) البحار ١٥/٢١١.

(٢) السيرة الحلبية ١ / ١٥.

(٣) السيرة الحلبية ١ / ١٦.

سيدة نساء العرب والعجم وهي الحامل بأفضل الأُمم، مبيد كل وثن وصنم، ياويح العرب منه.

وهذه والله فاطمة بنت أسد أم الإمام الذي يكسر الاصنام، وهو الأمير الذي ليس في عقله طيش، قاتل الشجعان، ومبيد الأقران[١].

لقد دخل الخير والسرور إلىٰ جزيرة العرب مع حمل آمنة بنت وهب برسول الله ﷺ إذ جاء: لما حملت آمنة بنت وهب برسول الله ﷺ اخضرت لهم الأرض، وحملت لهم الاشجار، وأتاهم الوفد من كل مكان فأخصب أهل مكة خصباً عظيماً، فسمّيت السنة التي حمل فيها برسول الله ﷺ سنة الفتح والإستيفاء والإبتهاج، ولم تبق كاهنة إلّا حجبت عن صاحبها[٢].

وانتزع علم الكهنة وبطل سحر السحرة، ولم يبق سرير لملك من الملوك إلّا أصبح منكوساً[٣].

وانتقل نور النبوة من عبدمناف إلى هاشم، ومن هاشم إلى عبدالمطلب، ومن عبدالمطلب إلى عبدالله فسعت النساء للزواج منه إذ قالت له قتيلة بنت نوفل من بني أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب (أخت ورقة بن نوفل) عند الكعبة وهي تنظر إلى وجهه: لك مثل الإبل التي نحرت عنك وَقَعْ عليَّ الآن.

فرفض ذلك وتزوج آمنة بنت وهب سيِّد بني زهرة نسباً وشرفاً وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً[٤].

وطلبت فاطمة بنت مُرٍّ ذلك من عبدالله فأبى، وطلبت منه ذلك كاهنة يهودية[٥]. فرفض أيضاً.

---

(١) البحار ١٥/٣١٢، ٣١٣، مختصر تاريخ ابن عساكر ٢/٤٤ ـ ٥٠.

(٢) أي صاحبها من الجن.

(٣) العدد، مخطوط، البحار ١٥/٢٩٦، ٢٩٧.

(٤) دلائل النبوة، البيهقي ١/٨٧، الروض الأنف، السهيلي عن سيرة ابن هشام ٢/١٣٥، ١٤١.

(٥) الروض الأنف ٢/٢٤٢.

وكان ورقة بن نوفل قد تنصر وٱتبع الكتب، فعرف أنه كان في هذه الأمة نبي، فأخبر أرحامه ومعارفه بذلك[١].

ومن الطبيعي أن تكون آمنة بنت وهب قد ٱطلعت على خبر النبي الموعود، وانه ٱبن عبدالله بن عبدالمطلب، وشاهدت النور بين عينيه.

وعندما حملت به جيء لها في المنام فقيل لها: إنك حملت بسيِّد هذه الأمة، فإذا وقع على الأرض فقولي:

أُعِيذه بالواحد من شرّ كل حاسد، ثم سميه محمداً، ثم خرج منها نورٌ رأت به قصور بصرى من أرض الشام[٢].

فولدته مقطوع السرّة، مكحولاً، نظيفاً، مختوناً، (قال رسول الله ﷺ: كي لا يرى أحد سوأتي عند الختان) ساجداً لله تعالى رافعاً إصبعيه كالمتضرع المبتهل، قائلاً: الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً[٣].

وقد ٱستبعد ابن كثير (ٱلأموي ٱلهوى) ولادة رسول الله مختوناً مسروراً (أي مقطوع السرة) دون دليل علمي! رغم تأكيد ذلك من قبل ابن عساكر وأبي نعيم وعلي بن محمد المدائني والحلبي والكثير من العلماء والحفاظ[٤].

وسأل الناسُ عبدالمطلب عن اسم ابنه؟ فقال: سميته محمداً.

قالوا: فبم رغبت به عن أسماء أهل بيته، قال: أردت أن يحمده الله في السماء وخلقُه في الأرض[٥].

---

(١) المصدر السابق ٢/١٣٦.

(٢) الروض الأنف ٢/١٣٧، دلائل النبوة، البيهقي ١/٨٠.

(٣) البداية والنهاية ٢/٣٢٤، ٣٢٥، السيرة الحلبية، الحلبي ١/٥٣/٥٧، ٧٦، البحار ١٥/٢٩١، الاحتجاج ١١٨، ١١٩.

(٤) البداية والنهاية ٢/٣٢٥.

(٥) تاريخ ابن الوردي ١/٩٣، تاريخ أبي الفداء ١٦٨، ١٦٩، البداية والنهاية ٢/٣٢٥.

وفي مقابل ذلك ايَّد أبن كثير رواية جاهلية في دخول عبدالمطلب برسول الله ﷺ على هبل في جوف الكعبة!

وكانت نية عبدالمطلب إدخال رسول الله ﷺ الكعبة وطوافه بها وهو الواضح في شعر عبدالمطلب الخالي من ذكر الأصنام والمؤكد لعبادة الرحمن قائلاً:

الحمدُ لله الذي أعطاني هذا الغلام الطيِّبَ الأردانِ
قد سادَ في المهدِ على الغلمانِ أعيذهُ بالبيتِ ذي الأركانِ[١]

ورغم تسمية قريش لعبد المطلب بإبراهيم الثاني[٢] وتأكيده المتكرر على عبادة الباري عزوجل ووحدانيته ورفضه عبادة الأوثان ألحَّ ابن كثير وغيره على وصمه بالكفر، وتنزيه الكثير من القرشيين عن عبادة الاصنام!.

وما ذنب عبدالمطلب وأبي‌طالب إلّا رحمهم الماسَّة برسول الله ﷺ!

وفي ليلة ولادة رسول الله ﷺ ارتج إيوان كسرى، وسقطت منه أربع عشرة شرافة، وخمدت نار فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، وغاصت بحيرة ساوة، ورأى الموبذان قاضي الفرس في منامه إيلاً صعاباً تقود خيلاً عرابا قد قطعت دجلة وأنتشرت في بلادها.

فلما أصبح كسرى أفزعه ذلك، واجتمع بالموبذان ـ عالم الفرس ـ فقص عليه الموبذان أيضاً ما رأى، فقال كسرى: أي شيء يكون هذا؟

فقال الموبذان وكان عالماً: يكون حدث من جهة العرب.

فكتب كسرى إلى النعمان بن المنذر أما بعد فوجِّه إليَّ برجل عالم فوجَّه إليه بعبد المسيح بن عمرو. فأخبره كسرى بما كان.

فقال عبدالمسيح: علم ذلك عند خالي في مشارف الشام يقال له سطيح، فأرسله

(١) البداية والنهاية ٢/٣٢٤.
(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/١٢.

كسرى إليه وقد أشرف على الموت فقال: رفع سطيح رأسه قائلاً لعبد المسيح:

بعثك ملك ساسان لارتجاس الإيوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان وذكرها، يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات، وكل ما هو آت آت، ثم قضى سطيح الغساني مكانه[1].

وأسم رسول الله ﷺ محمد وأحمد والحاشِرُ والخاتِمُ والعاقِبُ ونبي الرحمة والماحي، وكنيته أبو القاسم، وقال ﷺ: لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي[2].

المتفق بين المسلمين أن رسول الله ﷺ ولد في عام الفيل بعد خمسين يوماً على وصول الفيل إلى مكة في محرم. والمشهور عند أهل البيت أنَّ النبي ﷺ ولد في السابع عشر من شهر ربيع الأول بعد طلوع الفجر[3].

وقال الطبرسي والكليني أنه ﷺ ولد في يوم الجمعة وقال آخرون أنه ولد يوم الاثنين[4].

وذكر أنّه ولد سنه اثنتين وأربعين من ملك كسرى أنوشيروان[5] وأنه ولد سنة

---

(١) تاريخ ابن الوردي ٩٤/١، الطبقات، ابن سعد ١٠٢/١، ١٠٣، تاريخ أبي الفداء ١٦٩/١تاريخ اليعقوبي ٨/١، البداية والنهاية ٣٢٨/٢، ٣٢٩.

(٢) الطبقات ١٠٧/١.

(٣) البحار ٢٤٨/١٥، ٢٨٧، ٢٤٩، الاقبال ٦٠٣، ٦٢٣ وأيَّد ذلك الواقدي.

(٤) اصول الكافي ٣٦٤/١، تاريخ الخميس ١٩٦/١.

وقال ابن عبدالبر ولد في ٢/ ربيع الاول، الروض الأنف ١ / ١٥٨.

وقال الخوارزمي والزهري والبلخي وابن حزم: ٨ / ربيع الاول، البدء والتاريخ ٤٤/٢.

وقال ابن الوردي وابن عساكر: ولد ٦ في ١٠/ربيع الأول، تاريخ ابن الوردي ٩٣/١، تاريخ أبي الفداء ١٦٨/١.

وقال ابن اسحاق وابن عبدربه والكليني والمقريزي: ١٢ / ربيع الأول، تاريخ الخميس ١٩٥/١ سيرة مغلطاي ٧/٦الكافي، الكليني ٣٦٤/١، سيرة ابن هشام ١ / ١٧١، سنن الترمذي ٤ / ٥٨٩، وقال الزبير بن بكار في: ١٢/ رمضان.

(٥) الكامل في التاريخ، ابن الاثير ٤٣٩/١، تاريخ الطبري ٥٧١/١، تاريخ أبي الفداء ١ / ١٦٨، البحار ٢٥٠/١٥.

٥٧١ ميلادية[١]، وحمزة أسن من رسول الله ﷺ بأربع سنين[٢].

ومكان ولادته ﷺ في شعب أبي طالب في الدار التي صيرتها الخيزران أم الرشيد مسجداً فبقي الناس يصلّون فيه ويتبركون به إلى أنْ هدّمه الوهابيون، بل جعلوه مربضاً لدوابهم[٣].

وفي ليلة ولادته قال يهودي في يثرب للناس: طَلَعَ الليلة نجم أحمد[٤].

وقال هشام ابن الكلبي:توفي عبدالله بن عبدالمطلب بعدما أتى على رسول الله ﷺ ثمانية وعشرون شهراً[٥].

بينما قال الواقدي: مات أبوه عبدالله ومحمد ﷺ في بطن أمه تاركاً له خمسة أجمال وجارية حبشية اسمها بركة وكنيتها أم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ[٦].

وأُتي بالنبي ﷺ إلى جده عبدالمطلب لينظر إليه وقد بلغه ما قالت أمّه، فأخذه فوضعه في حجره ثم قال:

الحمد لله الذي أعطاني هذا الغلام الطيب الأردان، قد ساد في المهد على الغلمان. ثم عوّذه بأركان الكعبة وقال فيه أشعاراً.

وصاح ابليس في أبالسته فاجتمعوا إليه وقالوا: ما أفزعك يا سيدنا؟

فقال لهم: ويلكم لقد أنكرت السماء والأرض منذ الليلة، لقد حدث في الأرض حدث عظيم ما حدث مثله، منذ رفع عيسى ابن مريم عليه السلام فاخرجوا وانظروا ما هذا الحدث الذي حدث، فافترقوا ثم اجتمعوا إليه فقالوا: ما وجدنا شيئاً!

---

(١) تاريخ الاسلام، حسن إبراهيم حسن ٧٥/١.

(٢) البحار ٢٨١/١٥.

(٣) الروض الأنف ١٥٨/٢، قاموس الرجال ٤١٧/١٠، اعيان الشيعة ٧/٢، مناقب آل أبي طالب ١١٨/١، ١١٩.

(٤) الروض الأنف ١٤٣/٢.

(٥) البداية والنهاية ٣٢٣/٢.

(٦) تاريخ ابن الوردي ٩٣/١، تاريخ أبي الفداء ١٦٩/١، والبداية ٣٢٣/٢، ٣٢٤.

فقال إبليس لعنه الله: أنا لهذا الأمر ثم انغمس في الدنيا فجالها حتى أنتهى إلى الحرم فوجد الحرم محفوفاً بالملائكة، فذهب ليدخل فصاحوا به، فرجع.

ثم صار مثل الصر وهو العصفور فدخل من قبل حرىٰ. فقال له جبرائيل: وراك لعنك الله.

فقال له: حرف أسألك عنه يا جبرئيل، ما هذا الحدث الذي حدث منذ الليلة في الأرض؟

فقال له: ولد محمد ﷺ.

فقال له: هل لي فيه نصيب؟.

قال: لا.

قال: ففي أمته؟

قال: نعم.

قال: رضيت(١).

وقال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: لما ولد النبي ﷺ أتى رجل من أهل الكتاب إلى الملأ من قريش وهم مجتمعون: هشام بن المغيرة والوليد بن المغيرة وعتبة وشيبة فقال: أولد فيكم الليلة مولود؟.

قالوا: لا وما ذاك؟.

قال: لقد ولد فيكم الليلة أو بفلسطين مولود أسمه أحمد به شامة يكون هلاك أهل الكتاب على يديه.

فسألوا فأُخبروا فطلبوه، فقالوا: لقد ولد فينا غلام، فقال: قبل أن أنبئكم أو بعد؟

قالوا: قبل، قال: فانطلقوا معي أنظر إليه.

فأتوا أمّه وهو معهم فأخبرتهم كيف سقط، وما رأت من النور.

(١) الامالي ١٧١، ١٧٢، البحار ١٥/٢٥٨، ٢٥٩، السيرة الحلبية ١/٦٨، ٦٩.

قال اليهودي: فأخرجيه، فنظر إليه ونظر إلى الشامة فخرَّ مغشياً عليه فأدخلته أمُّه، فلما أفاق قالوا له: ويلك مالك؟

قال: ذهبت نبوة بني إسرائيل إلى يوم القيامة، هذا والله مبيدهم ففرحت قريش بذلك، فلما رأى فرحهم قال: والله ليسطونَّ بكم سطوة يتحدث بها أهل الشرق وأهل الغرب(١).

وفي حينها جاءت فاطمة بنت أسد إلى أبي طالب تبشره بولادة رسول الله ﷺ فقال لها: أصبري لي سبتاً آتيك بمثله إلّا النبوة(٢).

ولما دخل به عبدالمطلب البيت الحرام قال رسول الله ﷺ بسم الله وبالله وإذا البيت يقول: السلام عليكَ يا محمد ورحمة الله وبركاته.

وإذا بهاتف يقول: جاء الحقُّ وزهق الباطلُ إن الباطل كان زهوقاً(٣).

ودخل الكاهن سواد بن قارب مع عبدالمطلب على رسول الله ﷺ: فبرق من وجه رسول الله ﷺ نور الى عنان السماء.

فعندها انكبَّ سوادُ على النبي ﷺ قائلاً لعبد المطلب:

أُشهدك على نفسي أنّي آمنت بهذا الغلام وبما يأتي به من عند ربه، ثم قبَّل وجنات النبي ﷺ، وبقي عبدالمطلب فرحاً نشيطاً(٤).

قال هشام ابن الكلبي: كتبت للنبي ﷺ خمسمائة أمّ فما وجدت فيهنَّ سفاحاً ولا شيئاً مما كان من أمر الجاهلية(٥).

---

(١) الأمالي ٩٠، البحار ١٥ / ٢٦٠، مختصر تاريخ ابن عساكر ٢/٤٩.

(٢) والسبت ثلاثون سنة وكان بين رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين علي عليه السلام ثلاثون سنة، معاني الأخبار ١١٤، البحار ١٥/٢٦٣.

(٣) البحار ١٥/٢٩٢.

(٤) أسد الغابة، ابن الاثير ٣/٣٧٥، البحار ١٥/٢٩٣، الفضائل ١٥ ـ ٣١.

(٥) الطبقات، ابن سعد ١/٦٠.

والنبي ﷺ ابن الفواطم والعواتك من سُلَيْم[1].

أما أعمامه وعماته فلعبد المطلب عشرة ذكور وست إناث وأسماء بنيه: عبدالله والد النبي ﷺ والزبير وأبو طالب وأسمه عبد مناف والعباس وضِرار وحمزة والمقوّم وأبو لهب واسمه عبد العزى والحارث والغيداق وأسمه حجل[2].

وعمّات النبي ﷺ عاتكة والبيضاء وهي أم حكيم وبَرَّة وأميمة وأروى وصفية.

وولد رسول الله ﷺ مختوناً[3]،وقال رسول الله ﷺ: من كرامتي أنّي ولدتُ مختوناً ولم ير أحدٌ سوأتي[4].

وتكلم رسول الله ﷺ عند ولادته قائلاً: الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرةً وأصيلاً، وجلال ربيّ الرفيع [5].

---

(١) والفواطم اللاتي ولدن النبي قرشية و قيسيتان و يمانيتان و ازدية و خزاعية و هن كما ذكرهن ابن سعد في الطبقات ١/٦١ ـ ٦٣ «فاطمة بنت بلال بن عمرو بن ثمالة من الازد، وفاطمة بنت عوف بن الحارث بن عبد مناة بن كنانة، وفاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم وفاطمة بنت عامر بن ظرب بن عياذة، وفاطمة بنت بجيد بن رؤاس بن كلاب بن ربيعة وفاطمة بنت سعد بن سيل بن الجدرة من الأزد، وفاطمة بنت نصر بن عوف من خزاعة وفاطمة بنت عبدالله بن حرب بن وائلة.

أما العواتك فالعاتكة في كلام العرب الطاهرة وهي عاتكة بنت يخلد بن النضر بن كنانة وعاتكة بنت عبدة بن ذكوان... بن صعصعة، وعاتكة بنت عبدالله بن وائلة.. بن عمرو بن قيس وعاتكة بنت هلال بن وهيب بن ضبة، وعاتكة بنت مرّة بن هلال.. بن سليم وهي أقرب العواتك إلى النبي ﷺ وعاتكة بنت عدي بن سهم من أسلم وعاتكة بنت غالب بن فهر وعاتكة بنت كاهل بن عذرة وعاتكة بنت يخلد بن النضر بن كنانة، وعاتكة بنت الأسد بن الغوث وعاتكة بنت عامر بن ظرب. قال ابن سعد: هؤلاء العواتك وهن ثلاث عشرة، والفواطم وهن عشر، الكامل، ابن الاثير ٢/٣٣ ـ ٣٤.

(٢) الطبقات، ابن سعد ١/٩٣ حجل واسمه المغيرة وذكر الغيداق وقال اسمه مصعب، واعتبر حجل والغيداق رجلين، وزيد فيه عبدالكعبة مات ولم يعقب، وقثم لا عقب له، العقد الفريد ٤/٢٤٠.

(٣) السيرة الحلبية ١ / ٥٣، الوفا ٩٣، طبقات ابن سعد ١ / ١٠٣،

(٤) الوفا ٩٤، دلائل النبوة، أبو نعيم ١ / ٤٦، البداية والنهاية ٢ / ٢٦٥، مجمع الزوائد ٨ / ٢٢٤، كنز العمال ج ١٤ / ٣١٩، الخصائص الكبرى، السيوطي ١ / ١٣٢، الميزان، الذهبي ٢ / ١٧٢.

(٥) السيرة الحلبية ١ / ٥٦، ٥٧.

واشترك في ولادته مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون والحور العين[١].

من كفر أجداد النبي ﷺ ووالديه وأبا طالب

سعى علماء العصبية وأتباع البلاط بكل السبل لتكفير آباء وأجداد رسول الله ﷺ وتكفير عمه أبي طالب وأمه آمنة وإدخالهم النار بكل السبل المتاحة، ورفض الروايات الصحيحة في إيمانهم وتوحيدهم قبل المبعث وبعده! مما يثير علامات أستفهام وشكوكاً كثيرة!!

إذ جاء عنهم قوله ﷺ: إنّي أتيت قبر أمّ محمد فسألت ربي الشفاعة أو استأذنته في الإستغفار لها فأبى عليّ - يعني لها - فمنعنيها[٢].

وإنه نزل حينها: **﴿ما كان للنبي والذين ءامنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنّهم أصحاب الجحيم﴾**[٣]

وفي رواية سأله اعرابي: يا رسول الله أين أبوك؟

قال: حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار[٤].

وقالوا كذباً قوله ﷺ أشهدكم أني بريء من آمنة كما تبرأ إبراهيم من أبيه[٥] وهذا القياس باطل لان أبا إبراهيم كان حيّاً في زمن تبليغ إبراهيم ﷺ لدينه على عكس والدي النبي ﷺ فكيف يحكمون بكفرهم بدين لم يسمعوا به! في حين آمن أباء وأجداد النبي ﷺ بدين إبراهيم ﷺ وبرسالة محمد ﷺ التي سيأتي بها.

وقال ابن كثير: إنّ عبدالمطلب مات على ما كان عليه من دين الجاهلية خلافاً

---

(١) السيرة الحلبية ١ / ٦٥.

(٢) البداية والنهاية ٢/٣٤٠، ٣٤١، مسند أحمد ٥/٣٥٧، دلائل النبوة ١/١٨٩.

(٣) سورة التوبة ١١٣.

(٤) البداية والنهاية ٢/٣٤٢.

(٥) الوفا ١١٦.

لفرقة الشيعة فيه وفي ابنه أبي طالب[1].

وقال البيهقي في كتابه دلائل النبوة: وكيف لا يكون أبواه وجده عليه الصلاة والسلام بهذه الصفة في الآخرة ـ أي من أهل الجحيم ـ وقد كانوا يعبدون الوثن حتى ماتوا[2].

وروى ابن كثير نزول آية:

﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين﴾ فيهم[3] ورووا قوله ﷺ: هو (أبو طالب) في ضحضاح من نار[4].

وقوله ﷺ: أهون أهل النار عذابا أبو طالب[5].

ولم تنجُ خديجة من ذلك التعصب، فرووا قوله ﷺ فيها: بشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب[6].

وقسّم ابن كثير الرأي في أجداد النبي وأبيه وأمه إلى قسمين: القسم الأول: السُنَّة كفروهم وحكموا بدخولهم النار.

والقسم الثاني: وهم الشيعة أعلنوا ايمانهم وتوحيدهم وحكموا بدخولهم الجنة.

ولو دققنا البحث في الموضوع لوجدنا أنَّ الكثير من علماء السنة قد حكموا بإيمان والدي النبي ﷺ وأجداده.

ذكر ابن الجوزي: قال قوم من بني مدلج لعبد المطلب: احتفظ به فإنا لم نر قدماً أشبه بالقدم التي في المقام منه. فقال عبد المطلب لابي طالب: اسمع ما يقول هؤلاء

---

(1) المصدر السابق.

(2) المصدر السابق.

(3) القصص 56، البداية و النهاية 3 / 342 / 343.

(4) البداية والنهاية 3/154.

(5) المصدر السابق.

(6) سنن البخاري 63، فتح الباري 7/133، البداية والنهاية 3/156، 157، سنن مسلم، باب فضائل الصحابة.

فكان أبو طالب يحتفظ به[١].

وقال اليعقوبي: رفض عبدالمطلب عبادة الأصنام ووحّد الله عزَّ وجلَّ فكانت قريش تقول: عبدالمطلب إبراهيم الثاني[٢].

وقال عبدالمطلب برواية أبي طالب: إنَّ محمداً النبي المبعوث وأمرني أن أستر ذلك لئلا يغري به الأعادي[٣].

والصحيح كان عبد المطلب يصعد غار حراء في شهر رمضان ويطعم المساكين جميع الشهر[٤].

وفي رواية: أن رسول الله ﷺ سأل ربه أن يحيي أبويه، فأحياهما وآمنا به[٥].

ولقد جاء في الروايات الصحيحة إيمان والدي محمد ﷺ بدين إبراهيم، ورفضهم عبادة الأصنام هذا قبل البعثة النبوية.

وآمن به أبو طالب وخديجة ودافعا عنه وماتا في هذا الطريق. وقال رسول الله ﷺ: ما نالت منّي قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب[٦].

وجاء: لما تقارب من أبي طالب الموت نظر العباس إليه يحرّك شفتيه، فأصغى إليه باذنه فقال: يا ابن أخي والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها[٧].

ودعا أبو طالب بني عبد المطلب فقال: لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم أمره فاتّبعوه وأعينوه تَرْشُدوا[٨].

---

(١) الوفا ١١٧.
(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/١٢.
(٣) تاريخ اليعقوبي: ٢/١٤.
(٤) تاريخ ابن الاثير ٢ / ١٥.
(٥) البداية والنهاية ٢/٣٣٢.
(٦) البداية والنهاية ٣/١٥١، الطبقات ١/١٢٤.
(٧) البداية والنهاية ٣/١٥٢.
(٨) الطبقات ١/١٢٣.

ولقد شمّر المؤرخون المتعصبون سواعدهم ومنهم ابن كثير لتكفير والدي الرسول ﷺ وأجداده وأبي طالب!

فكذّبوا الروايات الصحيحة في ايمانهم وصحّحوا الروايات الأموية السقيمة في كفرهم!

ولقد صحح محمد حسنين هيكل إيمان أبي طالب في طبعة كتابه الأولى(محمد رسول الله) وعاد تحت ضغط المال إلى صفوف ابن كثير الأموي في طبعته الثانية!!

فأصبحت قضية تكفير والدي النبي ﷺ وأجداده، وأبي طالب، وإدخالهم النار ركناً من أركان الحزب القرشي وركنهم الثاني إثبات عدالة الصحابة كافة وإدخالهم الجنة!

ولما كان غار حراء مكاناً مخصصاً لعبادة أجداد وآباء النبي ﷺ حاول الأمويون سرقة تلك الفضيلة والصاقها بقريش! إذ جاء: كانت قريش إذا دخل رمضان خرج من يريد التحنث منها إلى حراء فيقيم فيه شهراً، ويطعم من يأتيه من المساكين، حتى إذا رأوا هلال شوال، لم يدخل الرجل على أهله حتى يطوف بالبيت اسبوعاً، فكان رسول الله ﷺ يفعل ذلك[1].

والمدهش انهم ادخلوا ورقة بن نوفل الجنّة لانه آمن برسول الله ﷺ قبل البعثة ولم يسلم [2]، وادخلوا آباءه وامهاته وأجداده النار رغم ايمانهم به قبل المبعث!

وقد سعىٰ عروة بن الزبير بن العوام لادخال ورقة بن نوفل الجنّة بكل ما أُوتي من قوّة على الكذب لانه اسدي من قبيلته رغم موته علىٰ الشرك![3]

---

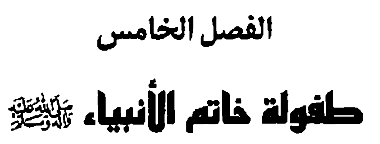
(١) الطبقات ١/١٩٠ ـ ١٩٥ ويطوف بالبيت اسبوعاً أي سبع مرات.

(٢) الروض الأنف ٢ / ٢٤٩.

(٣) الروض الأنف ٢ / ٢٤٩.

الفصل الخامس

طفولة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم



رضاعة رسول الله ﷺ

جاءت حليمة بنت أبي ذؤيب الى مكة وتكنى أم كبشة (بإسم بنت لها اسمها كبشة ويكنى بها أيضاً والدها الذي هو زوج حليمة)، وكانت من هوازن من بني سعد بن بكر فقد خرجت من بلدها معها ابن لها ترضعه اسمه عبدالله ومعها زوجها الحرث بن عبدالعزى وقد أدرك الإسلام مع حليمة فأسلما.

لذلك كان طغاة مكة يسمون النبي ﷺ ابن أبي كبشة احقداً وحسداً لنسب النبي ﷺ. ولقد خرجت حليمة مرّة في نسوة من بني سعد عشرة يطلبن الرضعاء في سنة شهباء أي ذات جدب وقحط لم تبق شيئاً على أتان قَرآء[1]. ومعها شارف أي ناقة مسنة ما تبض أي ما ترشح بقطرة لبن قالت حليمة: وما كنّا ننام ليلتنا أجمع من صبينا الذي معنا من بكائه من الجوع ما في ثديي ما يغنيه، وما في شارفنا ما يغذيه... حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء.

كانت هذه عادة حليمة ونساء بني سعد مع قريش قبل ولادة رسول الله ﷺ. وكان العرب يلتمسون لابنهم مرضعة في غير قبيلتهم ليكون أنجب للولد وأفصح له.

فقال رسول الله ﷺ: أنا اعربكم أي أفصحكم أنا قرشي واسترضعت في بني سعد. وروى أتباع الخط القرشي المعارض للاسلام أنه ما من امرأة إلّا وقد عُرِض

---

(١) شديدة البياض.

عليها رسول الله فتأباه ليتمه فإنَّ المرأة ترجو المعروف من أبي الصبي![1]

وهذا مدهش وعجيب إذ كيف ترفض المرضعات ابن عبدالمطلب وهو حي يرزق ويسمى بسيد قريش وبيده السقاية والرفادة والقيادة.وهو رجل موسر له إبل كثيرة بارك الله تعالى فيها، ولم يستولِ عليها إبرهة مثلما استولى على اموال سائر الناس!

وولدﷺ في عام الفيل[2]. ولقد ارضعته أمه يومين[3] فضجر عبدالمطلب (بعد انقطاع لبن أمهﷺ) وقال لعاتكة: لعله يقبل ثدي واحدة منهنَّ (نساء قريش) ويرضعن ولدي وقرّة عيني، فبعثت عاتكة بالجواري والعبيد نحو نساء بني هاشم وقريش ودعتهن إلى رضاع النبيﷺ، فجئن إلى عاتكة، واجتمعن عندها في أربعمائة وستين جارية من بنات صناديد قريش، فما قبلﷺ منهنَّ أحداً وبقين متحيرات.

فخرج عبدالمطلب مهموماً وقعد عند ستارة الكعبة فدله عقيل بن أبي وقاص على امرأة عاقلة هي أفصح لساناً وأصبح وجهاً وأرفع حسباً ونسباً حليمة بنت أبي ذؤيب عبدالله بن الحارث.

فبعث إليها عبدالمطلب فقال عبدالله بن الحارث لابنته حليمة: ابشري فقد جاءتك الدنيا بأسرها. فجاءت حليمة إلى عبدالمطلب ووضعت ثديها الأيسر في فمه والنبيﷺ لا يأخذه، فأعطته ثديها الأيمن اليابس.

فلما مص النبي الثدي الأيمن امتلأ فانفتح باللبن حتى ملأ شدقيه بأمر الله تعالى وببركته.

ودفعه عبدالمطلب إليها في بيت الله مع اربعة آلاف درهم بعد أن طاف به سبعاً،

(١) تاريخ أبي الفداء ١ / ١٧١. تاريخ ابن الوردي ١ / ٩٥.

(٢) البحار ١٥ / ٢٤٨، ٢٨٧، سيرة ابن اسحاق ٦١ - ٦٤.

(٣) وقيل ثلاثة أو تسعة أيام، تاريخ الخميس ١/٢٢٢، السيرة الحلبية ١/٨٨.

مع أربعين ثوباً من خواص كسوته، ووهب لها أربع جوار روميّات وحلل سندس.

ولم يبق في حي بني سعد صغير ولا كبير ولا شيخ ولا شاب إلّا استقبلوا حليمة وهنّأوها بما رزقها الله تعالى من الكرامة الكبرى[1].

لقد رفض محمد ﷺ ثدي النساء إلّا ثدي حليمة فحسده رجال الحزب القرشي فقالوا: تنكبت عنه المرضعات إلّا حليمة!

وكان في الأصل: ما منّا امرأة إلّا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ فيأباها أو يأباه أي ثدي حليمة الأيسر.

فتغير إلى: ما منّا امرأة إلّا وقد عُرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه!![2].

ولعله قد حدث تصحيف بين يأباه وتأباه لتشابه رسم الكلمتين وعدم وجود النقط في ذلك الزمن. وأستغل أنصار الخط الأموي ذلك لصالح الامويين .

ولا فرق عند العرب بين مكانة الأب والجد، وخاصة إذا كان جده مثل عبدالمطلب الذي أجمعت قريش على زعامته ورئاسته، بل وأيد ملوك المنطقة ذلك ومنهم ملك الروم، وملك الحبشة وملك اليمن[3].وكان عبدالمطلب سيد قريش غير مدافع [4].

فهل لا تكفي هذه المكانة المالية والاعتبارية والرئاسية لسد أجر بسيط لمرضعة؟!

أم هي العصبية الجاهلية وراء أتهام النبي ﷺ بالفقر المدقع في رضاعه وزواجه للنيل من شخصه الكريم! مع العلم المسبق بأنه قد ولد رسول الله ﷺ في عام الفيل عام أغتصاب أبرهة الحبشي اموال قريش إلّا مال عبدالمطلب! فبقي ثريّاً اذا قيس بسواه.

---

(١) البحار ١٥/٣٤٤ـ٣٤٧.

(٢) البحار ١٥/٣٤١ عن الواقدي، عيون الأثر، ابن سيد الناس ١/٤٨، ٥٠.

(٣) السيرة النبوية، دحلان ١/٢٠، ٢٢، المعارف ٧١، تفسير ابن كثير ٤/١٩ ـ٩٢٦، سيرة ابن اسحاق ٦١ـ٦٤.

(٤) وقالوا: ابن سبع سنين وثمان سنين، عيون الأثر ١/٥٥، تاريخ اليعقوبي ٢/١٠.

وكان عبدالمطلب يطعم الحاج في موسم الحج، ولما فقدوا محمداً ﷺ ثم وجدوه نحر له عبدالمطلب الشياه والبقر وأطعم أهل مكة![1].

وقد تكلم عبدالمطلب شخصياً مع حليمة في أمر رضاعة رسول الله ﷺ، ورحبت بها آمنة وقالت لها أهلاً وسهلاً.

قالت حليمة: فوضعت يدي على صدره فتبسم ضاحكاً وفتح عينيه إليَّ فخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السماء فقبَّلته بين عينيه وأخذته.

ولما رجعت إلى رحلي ووضعته في حجري أقبل ثدياي بما شاء الله تعالى من لبن، فشرب حتى روى أي من الثدي الأيمن، وعرضت عليه الأيسر فأباه. وآستمر في قبول ثديها الأيمن دون الأيسر.

وبدأت المعاجز تظهر لحليمة في سرعة أتانها الضعيفة ونطقها: والله إن لي لشأناً ثم شأناً، بعثني الله تعالى بعد موتي، وردَّ لي سمني بعد هزالي ويحكن يا نساء بني سعد إنكن لفي غفلة وهل تدرين مَنْ على ظهري؟ على ظهري خير النبيين، وسيد المرسلين، وخير الأولين والآخرين.

وسجدت الأتان رأسها نحو الكعبة ثلاث مرات[2].

قالت حليمة: فلم نزل نعرف من الله تعالى الزيادة والخير حتى مضت سنتاه ﷺ وكان يشب شباباً لا يشبه الغلمان فلم يقطع سنتيه حتى كان غلاماً جفراً (أي غليظاً شديداً).

فلما بلغ تسعة أشهر كان يتكلم بالكلام الفصيح، ولما بلغ عشرة أشهر كان يرمي السهام، وإنه لفي حجري ذات يوم إذ مرَّت به غنيماتي فأقبلت واحدة منهنَّ حتى سجدت له وقبَّلت رأسه[3].

---

(١) السيرة الحلبية ١/٩٥.

(٢) السيرة الحلبية ١/٩٠، البحار ١٥/٣٣١.

(٣) المصدر السابق.

وقال رسول الله ﷺ لأصحابه بعد بعثته: لا ينبغي في أمتي أن يسجد أحدٌ لأحدٍ ولو كان ينبغي لأحد أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها[١].

وأول كلام تكلم به ﷺ حين فطمته: الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً، وقال ﷺ هذا الكلام ايضاً في ساعة ولادته الاولى وكان لا يمس شيئاً إلّا قال: بسم الله.

وأُلقيت محبته ﷺ في قلوب الناس حتى أن أحدهم إذا نزل به أذى في جسده أخذ كفه ﷺ فيضعها على موضع الأذى فيبرأ باذنه تعالى سريعاً، وكذلك إذا اعتل لهم بعير أو شاة[٢].

وأزداد تعجب حليمة ودهشتها من بركة الرسول ﷺ وكراماته فقالت: ما تمنيت شيئاً قط في منزلي إلّا أُعطيته من الغد، وما أخرجته قط في شمس إلاّ وسحابة تظلّه ولا في مطر إلّا وسحابة تكنّه (تستره) من المطر[٣].

وقالت حليمة: فعرفت البركة والزيادة في معاشنا ورياشنا حتى أثرينا وكثرت مواشينا وأموالنا[٤].

وقال الواقدي: لما خرج محمد ﷺ إلى الرعاء مع اخوته من الرضاعة ما بقي حجر ولا مدر إلّا وهم ينادون:

السلام عليك يا محمد، السلام عليك يا أحمد، السلام عليك يا حامد السلام عليك يا محمود، السلام عليك يا صاحب القول العدل، لا إله إلّا الله، محمد رسول الله، طوبى لمن آمن بك، والويل لمن كفر بك وردّ عليك حرفاً تأتي به من عند ربك، والنبي ﷺ يرد عليهم[٥].

---

(١) السيرة الحلبية ١/٩١.

(٢) السيرة الحلبية ١/٩٢.

(٣) البحار ١٥/٣٤١.

(٤) البحار ١٥/٣٣٣، البداية والنهاية ٢/٣٣٤.

(٥) البحار ١٥/٣٤٩.

فنما رسول الله ﷺ في بني سعد وإخوته من الرضاعة عبدالله بن الحارث، وأنيسة بنت الحارث، والشيماء بنت الحارث[١].

واضافت: لما تمّت للنبي ﷺ سنة تكلّم بكلام لم أسمع أحسن منه سمعته يقول: قدّوس قدّوس، نامت العيون والرحمن لا تأخذه سنة ولا نوم[٢].

وقالت حليمة: جلس محمد ﷺ وهو أبن ثلاثة أشهر، ولعب مع الصبيان وهو أبن تسعة، وسار مع الغنم وهو أبن عشرة، وناضل الغلمان بالنبل وهو ابن خمسة عشر، وصارع الغلمان وهو ابن ثلاثين شهراً[٣].

وبعد وقعة حنين جاءه وفد هوازن بالجعرانة وقد أسلموا، فقالوا: يا رسول الله إنّا أهل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامنن علينا منّ الله عليك، وقام خطيبهم زهير بن صرد فقال: يا رسول الله إنّ ما في الحظائر من السبايا خالاتك وحواضنك اللاتي كنّ يكفلنك، فلو أنا ملحنا (أرضعنا) أبن أبي شمر أو النعمان بن المنذر ثم أصابنا منهما مثل الذي أصابنا منك رجونا عائدتهما وعطفهما، وأنت خير المكفولين[٤].

والمدهش أن قبيلة هوازن عرفت بركة النبوة وكراماتها من قرب، وأشتهرت أخبارها بينهم، ومع ذلك جحدوا الرسالة الإلهية، وركبوا رؤوسهم طغياناً وكفراً مثل أهالي مكة.

ولما لحقتهم الهزيمة العسكرية في معركة حنين وتفرقت أموالهم وأولادهم ونساؤهم بين المقاتلين صحوا من غفلتهم، فجحدوا بعبادة الأحجار، وعدلوا إلى عبادة الرحمن.

---

(١) البدء والتاريخ، البلخي ٢/٤٥.
(٢) كنز الفوائد ٧٢، البحار ١٥/٤٠١.
(٣) البحار ١٥/٣٣٣.
(٤) البداية والنهاية ٢/٣٣٨، ٣٣٩.

فأطلق لهم رسول الله ﷺ الذرية، وكانت ستة آلاف ما بين صبي وأمرأة، وأعطاهم أنعاماً وأناسي كثيراً بقيمة خمسمائة ألف ألف درهم[1].

قال الواقدي: فلما أتى على رسول الله ﷺ أربعة أشهر ماتت أمّه آمنة(رض)، فبقي ﷺ بلا أبٍ ولا أم، وهو من أبناء أربعة أشهر، فبقي يتيماً في حجر جدّه عبدالمطلب، فاشتدَّ عليه موت آمنة ليتم محمد ﷺ ولم يأكل ولم يشرب ثلاثة ايام[2].

وقال ابن اسحاق إنَّ أمه آمنة ماتت وعمره ست سنين في منطقة الأبواء بين مكة والمدينة[3].

محاولة أغتياله ﷺ أثناء الطفولة

لقد كثرت المحاولات الرامية لقتل رسول الله ﷺ في طول مدة حياته! إذ لما اخبرت حليمةُ اليهودَ بكراماته ﷺ قالوا: اقتلوه.

فقالوا: أيتيم هو؟ فقالت: لا هذا أبوه وأنا أمه، فقالوا: لو كان يتيماً قتلناه[4].

ولما ذهبت به حليمة إلى سوق عكاظ الذي يقام قبل الحج في شهر شوال بين الطائف ونخلة للمفاخرة رآه كاهن من الكهان فقال: يا أهل سوق عكاظ أقتلوا هذا الغلام فإنَّ له ملكاً فمالت به عن الطريق، فأنجاه الله تعالى[5].

ولما رجعت به ﷺ مرَّت بذي المجاز، وهو سوق للجاهلية على فرسخ من عرفة، فشاهده العرّاف ونظر إلى خاتم النبوة والحمرة بين عينيه وصاح: يا معشر العرب:

---

(1) البداية والنهاية ٢/ ٣٤٠.

(2) البحار ١٥/ ٣٤١.

(3) وقالوا: ابن سبع سنين وثمان سنين، عيون الأثر ١/ ٥٥، تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٠.

(4) السيرة الحلبية ١/ ٩٥.

(5) السيرة الحلبية ١/ ٩٥، مناقب آل أبي طالب ١/ ٢٣، ٢٤، البحار ١٥/ ٣٣٣، دلائل النبوة البيهقي ٢/ ٣٢٨.

اقتلوا هذا الصبي فليقتلن أهل دينكم وليكسرن أصنامكم وليظهرن أمره عليكم، وجعل يغري بالنبي ﷺ فلم يلبث أن وله فذهب عقله حتى مات[١].

وحاولت جماعة حبشية أخذه بالقوة إلى ملك الحبشة لأنه كائن له ملك فانفلتت به حليمة[٢].

فقدانه ﷺ في الطفولة

ولما جاءت به ﷺ حليمة إلى أمّه اضلته فقال عبدالمطلب:

يا بني هاشم ويا بني غالب اركبو فُقِد محمد ﷺ، وحلف أن لا أنزل حتى أجد محمداً أو أقتل ألف أعرابي ومأة قرشي، وطاف حول الكعبة قائلاً:

يـا رب ردّ راكـبي مـحمداً ردَّ إليَّ واتخذ عـندي يـداً

يا ربِّ إن محمد لن يوجدا تصبحْ قريش كـلهم مـبدّداً

وقال: لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

فسمع هاتفاً من السماء يقول: أيها الناس لا تضجوا إن لمحمد رباً لن يخـذله ولا يضيعه... فوجدوه تحت شجرة بوادي تهامة.

فنزلت عن تلك الواقعة قوله تعالى: ﴿ووجدك ضالاً فهدى﴾[٣].

وعادت به حليمة السعدية إلى أمّه وعمره سنتان [٤] وماتت آمنة وعمره ست سنين وهو الصحيح [٥].

والإختلاف في سنه يومذاك ناشئ من سرعة رشد ونضج رسول الله ﷺ.

---

(١) السيرة الحلبية ١/٩٦.

(٢) السيرة الحلبية ١/٩٦.

(٣) الضحى ٧ السيرة الحلبية ٩٤، تاريخ أبي الفداء ١/١٧٢.

(٤) وقالوا خمس سنين وست سنين، عيون الأثر ١/٥٢.

(٥) عيون الاثر ١ / ٥٥ .تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٠ .

حادثة شق الصدر

جاء في الرواية: لما كان بعض الأيام ورسول الله ﷺ مع أخيه في الرضاع خارجاً عن البيوت إذ أتى ابنُ حليمة أمَّه وقال لها: ذلك القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه وشقا بطنه، فخرجت حليمة وزوجها نحوه، فوجداه قائماً، فقالا: مالك يا بني؟

قال: جاءني رجلان فأضجعاني وشقا بطني.

فقال زوج حليمة: قد حسبت أن هذا الغلام قد أصيب فألحقيه بأهله. فاحتملته حليمة وقدمت به على أمّه آمنة. فقالت آمنة: ما أقدمكِ به وكنت حريصة عليه، فأبدت حليمة عذراً لم تقبله آمنة منها، وسألتها عن الصحيح. فقالت حليمة: أتخوف عليه من الشيطان.

قالت آمنة: كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل إنَّ لابني شأناً[1].

نقول: لا يحتاج الله سبحانه وتعالى لعملية جراحية لتطهير قلب نبيه وإزالة ما به من غل! وإلّا احتاج الأنبياء والأوصياء لذلك.

بل قال اللهُ عزَّ وجلَّ:

﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾[2]

ورواية شق الصدر من الروايات الإسرائيليات والأمويات التي قالها قصاصو المسلمين.

فقال محمود أبو رية: لِمَ لم يخلق اللهُ قلبَ رسوله الذي اصطفاه، كما خَلَقَ قلوبَ إخوانه من الأنبياء والمرسلين نقياً من العلقة السوداء وحظ الشيطان بغير هذه

(١) تاريخ أبي الفداء ١/١٧٢، السيرة الحلبية ١/٩٣، دلائل النبوة، البيهقي ٢/٥، عيون الأثر ١/٥٠، ٥١ الطبقات ١/١١٢، صحيح مسلم ١/١٠١ ـ ١٠٢، سيرة ابن هشام ١/١٧٤١٧٥ السيرة، البوطي ٥٣، النبي ﷺ، محمد الخطيب ١٩٦.

(٢) الأحزاب ٣٣.

العملية الجراحية التي تمزق فيها قلبه وصدره مراراً عديدة[١].

والنجاسة المادية تطهر بالماء والنجاسة المعنوية كالشرك بالله تعالى والعقائد الفاسدة المتعلقة بالقلب لا تطهر بالماء بل تطهر بالتوبة والإستغفار وانعقاد القلب على العقائد الصحيحة وواضع تلك الرواية رجل جاهلي أمي غافل عن هذا المعنى.

وسبب وضع هذه الرواية يكمن في أواخرها حيث قال زوج حليمة: حسبت أنَّ هذا الغلامَ قد أصيب فالحقيه بأهله.

فارجعته حليمة وقالت لأُمه: أتخوف عليه من الشيطان[٢].

لقد حاول القرشيون اختراع قضية بإسم جنون النبي ﷺ لدحره وإلحاق الهزيمة به، وتزييف الإسلام فتكون تلك الرواية أساساً لوصمه بالجنون من طفولته والعياذ بالله تعالى. وذكر الله أكاذيب ومفتريات الكافرين في كتابه الكريم:

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾[٣]

﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾[٤]

وقال رجال الحزب القرشي لرسول الله ﷺ قبل موته وفي بيته: يهجر، يهجر[٥]. أي مجنون!

وبهذه التهمة الجاهلية أوقفوا كتابة الوصية الإلهية لعلي بن أبي طالب عليه السلام[٦].

ولم تعد حليمة برسول الله ﷺ إلى أمه لعملية شق الصدر، بل أن الإتفاق كان

---

(١) اضواء على السنة المحمدية ١٨٧.

(٢) تاريخ أبي الفداء ١/١٧٢، دلائل النبوة، البيهقي ٢/٥، السيرة الحلبية ١/٩٢، عيون الأثر ١/٥٠، ٥١ الطبقات ١/١١٢، السيرة، ابن هشام ١/١٧٤، ١٧٥.

(٣) المؤمنون ٢٥.

(٤) الشعراء ٢٧.

(٥) صحيح البخاري، باب جوائز الوفد من كتاب الجهاد والسير ٢/١١٨، مسند أحمد ١/٣٢٥، الكامل، ابن الأثير ٢/٣٢٠.

(٦) راجع السقيفة انقلاب أبيض، للمؤلف، موضوع من اين جيء بتهمة الهجر للنبي ﷺ.

قائماً على إرضاعه سنتين. وبانتهائهما عاد رسول الله ﷺ إلى جده عبدالمطلب مثل باقي أطفال قريش.

آدابه ﷺ وهو طفل صغير

وصفت حليمة آداب رسول الله ﷺ وهو طفل قائلة: لم يحدث في ثيابه ولم تبد عورته، ولم يحتج في يوم إلّا مرّة[1]، ولم أرَ منه كذبة قط ولا جاهلية قط، ولا رأيته يضحك في موضع الضحك، ولا وقف مع صبيان في لعب، ولا التفت اليهم.

وكنّا لا نسمي على الطعام ولا على الشراب حتى سمعته يقول: بسم الله الأحد ثم يأكل، فإذا فرغ من طعامه قال: الحمد لله كثيراً[2].

وكان النبي ﷺ ابن سبع سنين فقالت اليهود: وجدنا في كتبنا أنّ محمداً يجنبه ربّه من الحرام والشبهات فجرّبوه، فقدّموا إلى أبي طالب دجاجة، سمينة، فكانت قريش تأكل منها، والرسول تعدل يده عنها.

فقالوا: مالك؟

قال ﷺ: أراها حراماً يصونني ربّي عنها.

فقالوا: هي حلال فنلقمك.

قال: فافعلوا إن قدرتم، فكانت أيديهم يعدل بها إلى الجهات، فجاءوه بدجاجة أخرى قد أخذوها لجار لهم غائب على أن يؤدوا ثمنها إذا جاء، فتناول منها لقمة فسقطت من يده فقال ﷺ ما أراها إلّا من شبهة يصونني ربّي عنها[3].

وقالت حليمة: ما شممت من محمد ﷺ النتن قط، وإذا خرج من قبله أو دبره

(١) البحار ١٥/٣٣٣.

(٢) البحار ١٥/٣٣٦.

(٣) البحار ١٥/٣٣٦.

شيء يفوح منه رائحة المسك والكافور[١].

قال الواقدي: لما أتى على النبي ﷺ خمسة عشر شهراً كان إذا نظر إليه الناظر يتوهم أنّه من أبناء خمس سنين لإتمام وقارة جسمه وملاحة بدنه[٢].

(١) البحار ١٥/٣٤٧.

(٢) البحار ١٥/٣٤٧.

الفصل السادس

صبا خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم



كفالة أبي طالب لمحمد ﷺ

وقبل موت عبدالمطلب أوصى برسول الله ﷺ اليتيم إلى عمه أبي طالب لأمور منها:

إنه شقيق أبيه عبدالله، أمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم[1].

وثانياً أنه أفضل أولاد عبدالمطلب الباقين إذ قال فيه عبدالمطلب:

فأنت من أرجى بنيَّ عندي[2].

وكان أبو طالب يحبه ﷺ حباً شديداً لا يحبه ولده، وكان لا ينام إلّا إلى جنبه، ويخرج فيخرج معه، وصبا به أبو طالب صبابة لم يصب مثلها بشيء قط، وكان يخصه بالطعام، وكان إذا أكل عيال أبي طالب جميعاً أو فرادى لم يشبعوا، وإذا أكل معهم رسول الله ﷺ شبعوا، فيقول أبو طالب: إنَّك مبارك[3].

وكان أبو طالب دائماً يقيم محمدا ﷺ من مكانه ويضع علياً مكانه في الليل خوف اغتياله فقال له علي عليه السلام: يا أبة إنّي مقتول؟ فقال له:

اصبرن يا بني فالصبر أحجى ... كل حيٍّ مصيره لشعوب[4]

(١) البداية والنهاية ٢/٢٤٤.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/١٣.

(٣) البداية والنهاية ٢/٢٤٤، الطبقات ١/١١٩.

(٤) شرح النهج ولما قحطوا خرج أبو طالب برسول الله ﷺ كأنه شمس دجى تجلت عنها سحابة قتماء، ـ

صبا رسول الله ﷺ

وكان البعض يبين محاسن النبي ﷺ الصحيحة والبعض الاخر يجتهد للنيل منه بالمثالب المزيفة فن هم هؤلاء ؟

لما بلغ رسول الله ﷺ ست سنين توفيت أمه بالأبواء بين مكة والمدينة وهو الصحيح فأصبح يتيم الأبوين[1].وكانت قد قدمت به على أخواله من بني عدي بن النجار فماتت وهي راجعة إلى مكة، فكفله جده عبدالمطلب، فلما بلغ رسول الله ﷺ ثماني سنين توفي جده[2].

وكان رسول الله ﷺ لا يمر بحجر ولا شجر إلّا قال: السلام عليك يا رسول الله.

فيلتفت رسولُ الله ﷺ حوله وعن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى إلّا الشجر والحجارة[3].

وعاش رسول الله ﷺ صبياً وهو أفضل قومه مروءة وأحسنَهم خلقاً، وأكرمهم مخالطة، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم خلقاً، وأصدقهم حديثاً، وأعظمهم أمانةً، وأبعدهم عن الفحش والأخلاق التي تدنّس الرجال تنزهاً وتكرُّماً فأضحى اسمه الأمين[4].

ولقد حسدت قريش رسول الله ﷺ في كل شيء حتى في صفة الأمانة فحاولوا الصاقها بأبي عبيدة ابن الجراح! حفار قبور المهاجرين الممتنع من حفر قبر رسول الله ﷺ عند موته[5].

ـ فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام بأصبعه وما في السماء قزعة فاقبل السحاب من ها هنا وها هنا واغدق وأخصبت الأرض فقال أبو طالب

وابيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامىٰ عصمة للارامل

(١) البحار ١٥/٣٤١، عيون الأثر ١/٥٥، تاريخ اليعقوبي ٢/١٠.

(٢) تاريخ أبي الفداء ١/١٧٢.

(٣) السيرة الحلبية ١/١٢٣.

(٤) سيرة ابن هشام ١/١٩٧.

(٥) تاريخ الطبري ٢/٤٥٢.

وحاول القرشيون بشتى الوسائل النيل من شخصية الرسول ﷺ فرووا زيفاً قوله:

لقد كنت استظل بظل جفنة عبدالله بن جدعان فكّة عُمَيٌّ أي وقت الظهيرة.

وان الرسول ﷺ قال بعد معركة بدر عن جثة أبي جهل تطلبوه بين القتلى وتعرفوه بشجة في ركبته، فإني تزاحمت انا وهو على مأدبة لابن جدعان فدفعته فسقط على ركبته فانهشمت فأثرها باقٍ في ركبته فوجدوه كذلك.

بينما قالت عائشة للرسول ﷺ: إنَّ ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقري الضيف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة؟

فقال الرسول ﷺ: لا إنه لم يقل يوماً ربِّ إغفر لي خطيئتي يوم الدين[1].

ان جثة أبي جهل يعرفها قاتله، وتُعرف من وجهه وملابسه وخاتمه لا من ركبته، ولقد أراد واضع الرواية الحط من كرامة النبي ﷺ وتشويه صورته بالمتسول اللاهث خلف الموائد، المتصارع عليها، وان اخلاقه في صباه تشابه اخلاق أبي جهل لا فرق بينهما!

ومن ناحية أخرى لاثبات صورة جيدة لعبدالله بن جدعان التيمي بالرغم من انه رجل شرير من أهل جهنم.

وحاول الأمويون الكفرة واعوانهم بشتى الوسائل اعلاء شأن أعداء أهل البيت والحط من شأن ومرتبة رسول الله وآل بيته ﷺ وصحبه المخلصين.

هذا في الوقت الذي كان عبدالمطلب سيد قريش واشرفها واغناها يعترف بمكانته تلك ملوك المنطقة مثل ملك اليمن سيف بن ذي يزن وملك الحبشة وملك الروم، فقد اكرمه إبرهة الحبشي برد إبله دون باقي قريش، واكرمه سيف بن ذي يزن

---

(١) سيرة ابن كثير ١/١١٧.

اسمى اكرام[١]. وكذلك كان أبو طالب شيخ قريش وزعيمها محترماً من قبل الناس.

وكيف يطغي التسول على رجلٍ يُستسقى به المطر[٢] ويسلّم عليه الشجر والمدر وكان لعبد المطلب إبل كثيرة خلفها لمحمد ﷺ وخلف له أبوه عبدالله إبلاً أيضاً[٣].

وسعي الأمويون أيضاً لإتهام النبي ﷺ بسقوط ردائه أثناء حمله حجارة الكعبة، أي انه الوحيد من رجال قريش سقط رداؤه! فأضحى عرياناً!

بينما كان رسول الله ﷺ عفيفاً، شريفاً، حكيماً، عاقلاً، مسلماً، نبياً منذ أن خلقه الله تعالى.

وقالوا في رواية أخرى: إنَّ النبي ﷺ وأصحابه الغلمان كلهم قد تعرّوا لحمل الحجارة[٤].

وان النبي ﷺ لا يعرف طريقة وضع الازار والعباس (عمه) يعلمه أياها قائلاً: يابن أخي لو جعلت إزارك على عاتقك، ففعل فسقط مغشياً عليه، علماً بأن عمر النبي ﷺ حينذاك كان خمساً وثلاثين سنة! وعلى مشارف البعثة النبوية!

ومن أكاذيبهم عليه ﷺ استلامه اصنام الجاهلية وذبحه شاة لصنم العزى[٥].

ثم بجدوا في المقابل رجال قريش من أمثال زيد بن عمرو، وأبي قيس بن هرمة، وقس بن ساعدة، وعبيدالله بن جحش، وعمر بن الحويرث، ورياب بن البراء بأنهم لم يسجدوا لصنم أبداً!. بينما أعلن النبي ﷺ في صباه تنفره من أصنام الجاهلية[٦].

وفي سنة عشرين من مولده ﷺ حدثت حرب الفجار الآخر بين هوازن

---

(١) دلائل النبوة، البيهقي ٢/٩ ـ ١٤.

(٢) انظر دلائل النبوة، البيهقي ٢/١٥.

(٣) دلائل النبوة، البيهقي ٢/٢٠، ٢٢.

(٤) سيرة ابن هشام ١/١٩٤.

(٥) السيرة النبوية، ابن هشام ١/٨٦.

(٦) الطبقات ١/١١٩، البحار ١٥/١٩٣ ـ ٢٠٢، سيرة ابن هشام ١/١٩٤ ـ ١٩٧، سيرة ابن اسحاق ٧٣، مروج الذهب ٢/٢٧١.

وقريش.

وفي سنة سبع عشرة وثبت العظماء والأشراف بالمدائن فخلعوا هرمز وسملوا عينيه وتركوه، وفي سنة تسع عشرة قتلوا هرمز بعد خلعه وفيها ولي إبنه يزدجرد الثالث وكان يسمى كسرى.

وفي سنة خمس وثلاثين كان هدم الكعبة وبنيانها كما في أقوال العلماء.

قالوا: وفي سنة ثمان وثلاثين من مولده ﷺ رأى الضوء والنور وسمع الصوت. والصحيح أنّه منذ الصغر كان يرى ويسمع صوت جبرائيل بنبوته المبكرة، وستقرأ ذلك في الموضوع القادم.

وفي سنة أربعين من مولده ﷺ قَتَلَ كسرى برويز النعمان بن المنذر لغضب كان له عليه، قبل المبعث بسبعة أشهر.

والسؤال هو: لماذا يصرّ الحزب القرشي علىٰ وصم رسول الله ﷺ زيفاً بالتعري وعبادة الأصنام والتسول والفقر المدقع؟ أليس في ذلك دلالة علىٰ نفاقهم وكفرهم.

نبوته المبكرة

جاءت نبوة محمد ﷺ منذ الصغر كعيسى ويحيى عليهما السلام وغيرهما فقد قال تعالى عن يحيى عليه السلام: **﴿وآتيناه الحكم صبياً وحناناً من لَدُنا﴾**[١].

أصبح يحيىٰ نبياً وهو في السّنة الثالثة من عمره إذ اعطاه الله تعالىٰ الحكمة والنبوة والكتاب (التوراة) ورثة من أبيه واعطاه الله الحنان اي الرزق والبركة .

ولما أصبح عيسىٰ ابن سبع سنين تكلّم بالنبوة والرسالة، وأُتي علي عليه السلام الحكمة صبياً[٢].

(١) سورة مريم ١٢،١٣.

(٢) تفسير البرهان ٤ / ٦. تفسير المعين ٢ / ٧٨٨، نور الثقلين ٣ / ٣٢٥، تفسير شبّر ١ / ٣٠٥، بيان السعادة ٣ / ٢

وقال عيسى ﷺ: **﴿إني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً اينما كنت، وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً﴾**[١].

وقال رسول الله ﷺ: كنت نبياً وآدم بين الماء والطين أو بين الروح والجسد[٢].

لذا لم يأكل النبي ﷺ اللحم المذبوح للنصب، وما ذكره البخاري من أكله ﷺ ذلك اللحم فهو من زيف الحزب القرشي، وإلّا كيف يأكله الرسول ﷺ ويمتنع عنه زيد بن عمرو بن عدي كما قالوا[٣]. وحاول رجال الحزب القرشي سلب الحكمة والنبوة والكتاب عن رسول الله ﷺ قبل البعثة وبعدها.

وكيف يأكل رسول الله ﷺ لحوم الأوثان، وجاءت الروايات الصحيحة بمنع الله تعالى إياه من أكل الطعام المحرَّم إذ قال ﷺ عن أكلة محرمة: أراها حراماً يصونني ربِّي عنها[٤].

فهل من المنطق ترك النصوص القرآنية والنبوية في نبوة الأنبياء المبكرة والأخذ بآراء الحاقدين والمغفلين؟!

رعيه الغنم

كان بعض الأنبياء يرعى الغنم ومنهم النبي موسى ﷺ فقال الحاسدون: بأن الرسول كان راعياً لأهل مكة على قراريط يأخذها منهم.

لقد كان النبي ﷺ راعياً لغنم أهله في أطراف مكة، ولم يكن أجيراً لأحد قط، كما قال اليعقوبي في تاريخه[٥].

---

(١) سورة مريم ٣٠، ٣١.

(٢) البحار ١٨/٢٧٨، الغدير ٩/٢٨٧.

(٣) صحيح البخاري ٥/٥٠ باب ماذبح على النصب، السيرة الحلبية ١/١٢٣، فتح الباري ٧/١٠٨، ١٠٩.

(٤) البحار ١٥/٣٣٦، ٣٤٧.

(٥) تاريخ اليعقوبي ٢/٢١ ط. صادر بيروت.

وكان أبوه قد ترك له خمسة من الإبل وحاضنة (أم أيمن)، وترك له عبدالمطلب إبلاً كثيرة.

إن رعي الأغنام بعيداً عن المدن ومشاكلها يمكن الإنسان من عبادة الله تعالى بعيداً عن الناس، والنظر إلى خلق الله سبحانه في سماواته وأرضه. وأن يتربى تربية سليمة بعيدة عن المفاسد الموجودة في المدن.

قال النبي ﷺ: بُعِث موسى ﷺ وهو راعي غَنَم، وبُعِثَ داود ﷺ وهو راعي غَنَم، وبُعِثْتُ وأنا أرعىٰ غَنَمَ أهلي بأجْيَادٍ[1].

وكذب الحزب القرشي بادعائه محاولة الرسول ﷺ في أيام رعية الغنم دخول بيت في مكة فيها عرس وطرب فمنعه الله تعالىٰ[2].

بينما كان أبو طالب يرعاه اذ أخذه إلىٰ الشام وعمره ﷺ تسع سنين[3].

ولقد جاء في الحديث الصحيح ان أبا طالب كان يحب محمداً ﷺ أكثر من أبنائه وأنّه لم يفارقه أبداً في سفره وحضره[4] في صباه.

وأوصى عبدالمطلب أبا طالب بمحمد ﷺ، وضرورة حرصه عليه، وحراسته من أهل الكتاب وقريش، فيكون رعيه ﷺ الغنم لأهله وهو ﷺ في عمر الشباب وليس في عمر الغلمان.

رحلة الشام

والسؤال هنا: لماذا كان أبو طالب لا يفارق رسول اللّه في السفر والحضر؟

ألا يدل ذلك علىٰ اعتقاد أبي طالب بنبوّة محمد ﷺ ووجوب المحافظة عليه كما

---

(١) الطبقات، ابن سعد ١/١٢٦، عيون الأثر، ابن سيد الناس ١/٦٧.واجياد جبل بمكة .

(٢) سيرة ابن اسحاق ٧٩، تاريخ الطبري ٢ / ٣٤.

(٣) عيون الأثر ١ / ٦١.

(٤) البداية والنهاية ٢/٣٤٤، الطبقات ١/١١٩.

اوصىٰ بذلك الاباء والاجداد وكان عمره ﷺ تسع سنين وتعلّق به أبو طالب قائلاً: والله لا افارقه ولا يفارقني[١].

كانت رحلة رسول الله ﷺ الأولىٰ إلى الشام عجيبة ورائعة تستحق العناية الفائقة:

فلما وصل ركب أبي طالب ورسول الله ﷺ إلى صومعة الراهب بحيرى نظر الراهب اليه قائلاً: أنت أنت.

ولما نزلوا تحت شجرة عظيمة قليلة الأغصان ليس لها حمل، اهتزت الشجرة وألقت أغصانها على رسول الله ﷺ وحملت ثلاثة أنواع فاكهة صيفية وشتوية فتعجب الحضور.

وقدم بحيرى طعاماً قليلاً لرسول الله ﷺ فأكله مع مئة وسبعين رجلاً فشبعوا، فقال بحيرى لأصحاب الركب: إنَّ تحت هذه الشجرة غلاماً لو كنتم تعلمون منه ما أعلم لحملتموه على أعناقكم حتى تردوه إلى وطنه وقد أقبل نور من أمامه ما بين السماء والأرض، وهذه السحابة لا تفارقه، وكثرت أغصان هذه الشجرة وكانت يابسة.

وطلب بحيرى من النبي ﷺ الإجابة عن ثلاثة اسئلة فأجابه رسول الله ﷺ: فأقسم عليه في واحدة باللات والعزى فرفض محمد ﷺ ذلك وأعلن تنفره منهما. فقال بحيرى: هذه واحدة.

وسأله عن نومه ويقظته وغير ذلك فأجابه، فأكب عليه بحيرى يقبل رجليه قائلاً: كأني بك قد قدت الأجناد، وتبعك العرب والعجم، وكسرت اللات والعزى، وتبعك الملوك، بعد أن رمتك العرب بوترها وقطعك الأقارب.

وطلب من عمه أبي طالب ردَّه إلى مكة قائلاً: لم يبق على ظهر الأرض يهودي ولا نصراني ولا صاحب كتاب إلّا وقد علم بولادة هذا الغلام ولئن رأوه وعرفوا

---

(١) عيون الأثر ١ / ٦١، وقالوا: كان عمره اثنتي عشرة سنة، أسد الغابة ١ / ١٥.

منه ما قد عرفت أنا منه ليبغينَّه شرّاً، وانه كائن لابن أخيك الرسالة والنبوة ويأتيه الناموس الاكبر الذي أتى موسى وعيسى عليهما السلام[١].

ثم التقوا بالحبر نسطور في الشام فجلس امامه وتغير لونه من سماع اسمه (محمد)، ولما رأى خاتم النبوة على ظهره أكبَّ عليه يقبّله ويبكي ثم قال: لو تدري كم عدوّ له في أرضنا لم تكن بالذي تقدمه معك فصرَّح أبو طالب قائلاً:

إنَّ ابــن آمــنة النـبيَّ مـحمداً ... عــندي بــمثل مــنازل الأولاد

راعــيت فــيه قــرابة مــوصولة ... وحفظت فيه وصية الاجـداد[٢]

والتقى أبو مويهب الراهب بأبي طالب ورسول الله ﷺ في الشام أيضاً فقبَّل ما بين عينيه وقال لأصحاب القافلة: هذا والله نبي آخر الزمان يدعو إلى شهادة أن لا إله إلّا الله فإذا رأيتم ذلك فاتَّبعوه، ثم قال: هل ولد لعمه أبي طالب ولد يقال له علي؟ فقلنا: لا.

فقال: هو أول من يؤمن به، وأنا نجد صفته عندنا بالوصيَّة كما نجد صفة محمد بالنبوة، وإنه سيد العرب وذو قرنيها، يعطي السيف حقه[٣].

وفي الشام أخبر الرهبان زيد بن عمرو بن نفيل بقرب ظهور النبي ﷺ، ولما الحَّ في السؤال اغتاله الروم هناك[٤]. ممّا يبين خوف الروم من النبي محمد ﷺ.

وفي الشام أيضاً قال الديراني لبعض عرب الحجاز: سيبعث فيكم وشيكاً نبي اسمه محمد، فلما صرنا إلى أهلنا ولد لكل رجل منّا غلامٌ فسماه محمداً[٥].

والظاهر ان هؤلاء الثلاثة هم محمد بن سفيان بن مجاشع جد الفرزدق، ومحمد بن

---

(١) سيرة ابن هشام: ١/١٩١.

(٢) الطبقات ١/١١٩ سيرة ابن اسحاق ٧٣، مروج الذهب ٢/٢٧١.

(٣) كمال الدين ١١١، ١١٢، البحار ١٥/٢٠٣ـ٢٠٤.

(٤) البحار ١٥/٢٠٤.

(٥) الخرائج ١٨٤، البحار ١٥/٢١٤.

أحيحة بن الحلاج، ومحمد بن حمران بن ربيعة[1].

ولقد ضم أبو طالب رسولَ الله ﷺ وعمره ثماني سنين، ولما بلغ تسع سنين خرج به إلى الشام[2].

والجواب عن السؤال المطروح في أول الموضوع يتمثّل في أن وصيّة عبد المطلب له كانت تتمثّل في وجوب المحافظة علىٰ محمد ﷺ لانه نبي هذه الامة لذلك ترك أبو طالب اولاده وأهتم بمحمد ﷺ.

محاولة اليهود قتل الرسول ﷺ في الشام

قال بحيرىٰ لأبي طالب: ارجع بابن أخيك إلىٰ بلده، واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغينّه شراً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فأسرع به إلىٰ بلاده.

فخرج به عمه أبو طالب سريعاً حتىٰ أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام فزعموا فيما روى الناس. أن زريراً وتماماً ودريساً، وهم نفر من أهل الكتاب قد كانوا رأوا من رسول الله ﷺ مثلما رآه بحيرىٰ في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمه أبي طالب.

فأرادوه فردهم عنه بحيرىٰ وذكّرهم الله وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته، وأنّهم إن أجمعوا لما أرادوا به لم يخلُصوا إليه.

ولم يزل بهم حتىٰ عرفوا ما قال لهم، وصدّقوه بما قال فتركوه وانصرفوا عنه[3].

ينبهر الإنسان ويندهش عند سماعه بهذه المحاولات المختلفة والكثيرة لقتل رسول الله ﷺ.

---

(١) الروض الأنف ١٥٢/٢، نسب قريش ١٦، الاشتقاق ٩، جمهرة أنساب العرب، ابن حزم ٣١٥ وذكر مغلطاي أن عددهم خمسة عشر رجلاً، الاشتقاق ٨، ٩.

(٢) البدء والتاريخ، البلخي ٤٥/٢، منجد الاعلام ١١٩.

(٣) سيرة ابن هشام ١٩٤/١ طبعة الحلبي ـ مصر.

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

وقال النبي ﷺ: ما خلا يهودي بمسلم قط إلّا هم بقتله[١].

واهتم اليهود بعمليات الإغتيال اهتماماً بالغاً إلىٰ درجة قتلهم هارون عليه السلام واتهامهم النبي موسىٰ عليه السلام بقتله بالسم[٢].

---

(١) البيان والتبيين، الجاحظ ص ٢٣١.

(٢) السيرة الحلبية ٢/١٨٧، ٣/١٢٢.

الفصل السابع

مكة



من اشرف على بناء الكعبة

اشارة :البحث المكتوب هنا يبين الواقعة على حقيقتها ويختلف عما كتبه الحاسدون للنبي ﷺ ومن اخذ عنهم غافلا فانتبه رجاءا.

جاء بأن الملائكة هم أول من بنى الكعبة[1] وأنَّ أول مسجد وضع في الأرض هو المسجد الحرام ثم المسجد الاقصىٰ وبينهما أربعون سنة[2].

﴿إنَّ أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدىً للعالمين﴾[3]

وجاء ايضاً ان أول من بنىٰ الكعبة هو آدم عليه السلام بمعونة حواء بعد ما قال لهما الله تعالىٰ: ابنيا لي بيتاً فخط لهما جبرئيل أساسه ثم حجّه نوح عليه السلام [4].

ثم رفع إبراهيم القواعد «وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع البصير»[5] فكانت غير مسقفة[6].

وطولها ثلاثون ذراعاً وعرضها اثنان وعشرون ذراعاً، وكانت فوق القامة

وبنىٰ بنو عبد المدان الحارثي كعبة نجران مضاهاة للكعبة [7].

وقد زار البيت الحرام كل الأنبياء الذين جاءوا بعد إبراهيم عليه السلام [8].

---

(١) الروض الأنف ٢ / ٢٧١.

(٢) دلائل النبوة، البيهقي ٢ / ٤٣.

(٣) آل عمران ٩٦.

(٤) دلائل النبوة، البيهقي، فيض القدير ١ / ٦٣٩، شرح النهج، عبدة، الخطبة القاصعة ١٨٧.

(٥) البقرة ١٢٧.

(٦) أخبار مكة، الازرقي ١ / ٤ - ٣٠.

(٧) تفسير جامع الجوامع ١ / ٢٩٤، معجم البلدان ٥ / ٢٦٩.

(٨) دلائل النبوة، البيهقي ١ / ٤٧.

وكان إبراهيم عليه السلام عبرانياً وإسماعيل عربياً إذ تكلم وكتب بها [١].

واولىٰ الله تعالىٰ البيت الحرام اهمية خاصة فقالوا: ما زلنا نسمع أن إسافاً ونائلة رجل وامرأة من جرهم زنيا في الكعبة فسخهما الله تعالىٰ حجرين [٢].

أهتم أجداد النبي صلى الله عليه وآله بالكعبة فعبد المطلب أول من جعل باب الكعبة ذهباً [٣] عندما عثر على غزالين وأسياف في بئر زمزم وهما من الذهب الخالص كانت جرهم قد دفنتها

مع نفائس. وكان عبد المطلب رئيس قريش ومكة[٤] فورث منه ذلك أبو طالب ومن الطبيعي أنْ تكون قضية بناء الكعبة بيده.

وبعدما حقّقت موضوع بناء الكعبة وجدت الكتب المعنيّة بهذا الأمر تهتم بما يلي.

١ ـ تدوين مناقب طغاة قريش في هذا الأمر وعلىٰ رأسهم الوليد بن المغيرة في قضية بناء الكعب بابرازه بمظهر المشرف والآمر بالبناء.

٢ ـ تدوين منقبة مزيفة لابي لهب في قضية الأموال الطاهرة التي يجب إنفاقها في البناء، مع محو كامل لاسم أبي طالب زعيم قريش والنبي صلى الله عليه وآله في هذا الموضوع.

٣ ـ محاولة رواة وعلماء الحزب القرشي النيل من رسول الله صلى الله عليه وآله بحجة سقوط ردائه وتعرّيه في الكعبة.

٤ـ سلب فضيلة النبي في بناء الكعبة و فضيلته صلى الله عليه وآله في قضية الحجر الأسود بتصويرهم حدوث ذلك صدفة بقولهم من دخل الكعبة اولاً فهو الحاكم في حل قضية الحجر الأسود.

فأدركت عمق الهجمة علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وعلىٰ عمه أبي طالب.

---

(١) تاريخ الخميس ١ / ٩٨.

(٢) دلائل النبوة، البيهقي ٢ / ٦٤.

(٣) السيرة الحلبية ١ / ٣٤.

(٤) تاريخ الخميس ١٧٨.

فهل كان الأمر كذلك؟ أم أن رجال الحزب القرشي السابقون واللاحقون طمسوا الحقائق وغيّبوا الوقائع لصالح رجال الحزب؟

٥ ـ وكان الوليد بن المغيرة المخزومي (والد خالد) من الطغاة المعاندين للإسلام والمستهزئين برسول الله ﷺ فقال تعالىٰ لرسوله في حقه:

﴿**إنّا كفيناك المستهزئين**﴾[1] ونزلت في حق أبي لهب سورة قرآنية كاملة عليه لا يوفقهما الله تعالى لبناء الكعبة.

٦ ـ ولما حفر الناس حتىٰ انتهوا إلىٰ قواعد إبراهيم فقلعوا منها حجراً فوثب الحجر ورجع مكانه فأمسكوا، وخرج عليهم ثعبان فحال بينهم وبين البناء»[2].

فكانت هذه الحية تشرف على جدار الكعبة ولا يدنو منها احد إلا كشّت وفتحت فاهها، فكانوا يهابونها.

٧ ـ وأدخل رجل من قريش عتلة بين حجرين منها ليقلع به أحدهما، فلما تحرّك الحجر انتقضت مكّة بأسرها [3].

أي أنَّ الكعبة ترفض رجال الكفر والبغي واموال الربا والظلم وتريد أشخاصاً طاهرين مثل النبي ﷺ وأبي طالب.

والصحيح في الموضوع:

١ ـ هناك ثعبان عظيم منع الناس من بناء الكعبة ولم يذكر علماء الإنصاف السبب الحقيقي في القضاء علىٰ هذا الثعبان لماذا؟!.

٢ ـ وكان أمر الكعبة بيد عبد المطلب بن هاشم ولما مات جعل أمرها بيد ابنه الزبير إضافة إلىٰ أمر الحكومة واوصىٰ إلىٰ أبي طالب برسول الله ﷺ وسقاية زمزم

---

(١) الحجر ٩٥.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩.

(٣) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٤٥.

قائلاً: خلّفت في أيديكم الشرف العظيم الذي تطأون به رقاب العرب [١].

وكان أمر الكعبة بعد وفاة الزبير بن عبد المطلب قد أصبح بيد أبي طالب وهو الذي دعا إلىٰ بناء الكعبة كما بناها جده إبراهيم ﷺ [٢] وكان العرب يعظمون الكعبة فلا يدخلونها بحذاء[٣] وواضح على نداءات بناء الكعبة وبنودها اللمسات الهاشمية.

٣ ـ وبنيت الكعبة بإشراف رسول الله ﷺ وبإشارة منه ولولا رسول الله ﷺ لما أقدموا علىٰ هدم وبناء البيت إذ أراد تعالىٰ إكرام رسوله محمداً ﷺ بتجديد بناء البيت كما فعل آدم وإبراهيم ﷺ فتصدّع جدار الكعبة في زمنه ﷺ وعمره خمس وثلاثون سنة وقبل ذلك بخمس سنين انشق جدار الكعبة لفاطمة بنت أسد الحامل المقرب بعلي بن أبي طالب ﷺ فدخلت في جوف الكعبة ووضعت علياً ﷺ.

٤ ـ قال أبو طالب: إنّ هذا لا يصلح أن ينفق فيه إلّا من طيّب المكاسب فلا تُدخلوا فيه مالاً من ظلم ولا عدوان، ليس فيه مهر بغي ومال ربا وظلم، فأحضروا ما لم يشكّوا فيه من طيّب أموالهم ورفعوا أيديهم إلىٰ السماء.

فجاء طائر فاختطف الثعبان حتىٰ ذهب»[٤].

إذن لولا يد رسول الله ﷺ وأبي طالب لما استجاب الله تعالىٰ دعاءهمْ ولَدَحرهم مع طاغيتهم الوليد بن المغيرة.

٥ ـ ولما اختلفوا في قضية بناء الكعبة قسّم رسول الله ﷺ مهام البناء بين قبائل قريش فكان شِق الباب لبني عبد مناف وزهرة، وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضموا إليهم، وكان ظهر الكعبة لبني جمح وسهم، وكان شق الحجر لبني عبد الدار بن قصي وبني أسد وبني عدي بن كعب[٥].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٢، تاريخ الخميس ١٧٨.

(٢) راجع كتاب من لا يحضره الفقيه، الصدوق ٢ / ٢٤٨، الكافي ٤ / ٢١٥.

(٣) طبقات ابن سعد ١ / ١٤٧.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩.

(٥) الروض الأنف ٢ / ٢٦١.

ولما سمح لهم الله تعالىٰ بالمشاركة في البناء عملوا جميعاً في بناء الكعبة لنيل ذلك الشرف العظيم، والعز الدائم.

مشكلة وضع الحجر الأسود

ولما وصلوا الى الحجر الأسود اختلفوا فيما بينهم فيمن يرفع ذلك الحجر القادم من الجنة ويضعه في مكانه فوق جدار الكعبة.

فانقسموا الى حزبين حزب لعقة الدم وحزب الفضول: الحزب الأول يتكون من قبائل بني عبد الدار وبني عدي وبني سهم وبني مخزوم وبني أمية، اتفقوا على الحرب حتى الموت[1]

والحزب الثاني يتكون من بني هاشم وبني المطلب وزهرة وتيم [2] وكانت قبائل حلف لعقة الدم تريد الحرب لا طمعاً في الحسنات الاخروية بل تريدها جرياً وراء الفضائل الدنيوية، فاهالي قريش كانوا يرفعون انفسهم على باقي العرب بالكعبة.

وبقيت الاوضاع متشنجة بين الجانبين خمسة أيام واوشكت الحرب ان تقع بينهم لأجل الحجر الأسود الذي أُنزل من الجنّة وكان أشدُّ بياضاً من اللبن فسوَّدته خطايا الناس.

قال اليعقوبي: فأقبل رسول الله ﷺ وكانت قريش تسمّيه الأمين، فلما رأوه مقبلاً قالوا: رضينا بحكم محمد بن عبد الله. فبسط رسول الله ﷺ رداءه ثم وضع الحجر الأسود في وسطه وقال: لتحمل كل قبيلة بجانب من جوانب الرداء ثم ارفعوا جميعاً ففعلوا ذلك... ولما بلغ الموضع أخذه رسول الله ﷺ ووضعه بموضعه الذي هو به وسقفوها ولم يكن لها قبل ذلك سقف[3].

---

(١) البداية والنهاية ٢ / ٣٠٣، سيرة ابن هشام ١ / ٢٠٩.

(٢) البداية والنهاية ٢/٢٩٣، نسب قريش، مصعب الزبيدي ٣٨٣، شرح النهج ١٤/١٢٩ الروض الأنف ٢/٢٦٤، دلائل النبوة، البيهقي ٢ / ٥٨، الوفا، ابن الجوزي ١٤٤.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٠.

إذن طلبت قريش من رسول الله ﷺ التحكيم فيما بينها لمعرفتها بعقله الوافر وانه الصادق الامين. فقلب أعداء الرسول ﷺ القضية بان قريش طلبت تحكيم أول داخل عليها في المسجد ايّاً كان من الناس! [١]

فقال رجل قرشي: ياعجباً لقوم أهل شرف وعقول وسن وأموال عمدوا الى اصغرهم سِنّاً واقلّهم مالاً فرأسوه عليهم في مكرمتهم وحرزهم كأنهم خدم له. أما والله ليفوتنهم سبقاً وليقسمن بينهم حظوظاً وجدوداً [٢] ولم يكن رسول الله ﷺ اقلهم مالاً فهو زوج خديجة ومالها تحت يديه وانما ذلك من كذب الحزب القرشي

لقد كانت اللمسات والاعمال الهاشمية المحمدية واضحة في قضية بناء الكعبة منها:

أمر الكعبة ورثه بنو عبد المطلب من ابيهم:

رسول الله ﷺ وأبو طالب أول من أمرا ببناء الكعبة بعد الاجازة الإلهية بذلك.

: وضع الحجر الأسود كان بيد رسول الله ﷺ

: صفة الأموال المصروفة حنيفية اسلامية من حيث كونها طاهرة من السرقة والربا والظلم. وقد جاء بان أبا طالب هو الذي اصلح زمزم بعد وفاة عبد المطلب[٣] لان زمزم مختصة بعبد المطلب واصبحت من مختصات أبي طالب من بعده.

وكان أبو طالب زعيم قريش لذلك قال القرشيون له:

انت سيدنا وافضلنا في انفسنا[٤].

وقالوا بنيت الكعبة بعد عام الفيل بخمس وثلاثين سنة اي قبل البعثة النبوية بخمس سنين حيث كان عمره ﷺ خمساً وثلاثين سنة [٥].

---

(١) الروض الأنف ٢ / ٢٦٣، سيرة ابن هشام ١ / ٢٠٩، السيرة الحلبية ١ / ١٤٠ – ١٤٥.

(٢) مروج الذهب ٢ / ٢٧٢، طبقات ابن سعد ١ / ١٤٧.

(٣) السيرة الحلبية ١ / ١٢٢، ١٤٢.

(٤) طبقات ابن سعد ١ / ٢٠٢.

(٥) وقالوا بنيت الكعبة بعد الفيل بخمس وعشرين سنة، البداية والنهاية ٢ / ٣٠٠ وتاريخ الخميس ١ / ٢٧٩ وقالوا بنيت الكعبة بعد الفيل بـ ١٥ سنة، مصنف عبد الرزاق ٥ / ٣١٨، تاريخ ابن الوردي ١ / ٨.

وتعرضت الكعبة للحريق ايضاً مرّة قبل الإسلام ومرّة في زمن يزيد واخرىٰ في زمن عبد الملك بن مروان.

فتركها عبد الله بن الزبير هكذا لتأليب الناس على بني أمية[١].

ولم يتمكن الحجاج من بناء الكعبة لخوف الناس من حية فيها ولما وضع علي بن الحسين عليه السلام اساس الكعبة تمكّن الناس من اكمال البناء [٢].

اي تكررت قضية الثعبان.

لقد كانت الكعبة قبلة للموحدين ومركزا مهماً للمسلمين والكافرين فقد سعىٰ القرشيون واعوانهم في طريق سلب رسول الله ﷺ وأبي طالب شرف بناء الكعبة.

فتحركوا في هذا الطريق وحاولوا اعطاء شرف بناء الكعبة لأعتىٰ طاغية في ذلك الزمان ألا وهو الوليد بن المغيرة المخزومي المنتسب لحلف لعقة الدم.

كيف لا وهو احد المستهزئين بالنبي ﷺ من الذين نزل في ذمهم القرآن الكريم: **﴿إنّا كفيناك المستهزئين﴾** [٣] ومن المحاربين لله تعالى ودينه المبين! فقالوا بان أول من سعىٰ لهدم الكعبة وبنائها هو الوليد بن المغيرة المخزومي.

في حين لم يكن الوليد الا حداداً بسيطاً في المهنة والجاه والشرف!

ثم انتقموا من الكعبة واظهروا منزلتها عندهم بهذه الصورة:

احرق يزيد بن معاوية الكعبة وهدمها بالمنجنيق [٤].

: احرق عبد الملك بن مروان الأموي الكعبة وهدمها بالمنجنيق. [٥]

---

(١) البداية والنهاية ٢ / ٣٠٠ مصنف عبد الرزاق ٥ / ٣١٩، السيرة الحلبية ١ / ١٤١، تاريخ ابن الاثير ١٢٤/٤، صحيح مسلم هامش القسطلاني ٦ / ١٨.

(٢) مدينة المعاجز، هاشم البحراني ٢٥٩، البحار ٤٦ / ١١٥، العوالم ١٨ / ١٧٩، مناقب آل أبي طالب ٢٨١/٣، علل الشرائع ١ / ٤٤٨.

(٣) الحجر ٩٥.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٥١.

(٥) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٦٩ – ٢٧٢.

حاول يزيد بن الوليد بن عبد الملك شرب الخمر فوق سقف الكعبة فخوّفه المحيطون به.

ردّ الفعل الجاهلي

وبسبب ذلك الأمر فقد ردّ أتباع الأمويين وحلف لعقة الدم علىٰ قصة البناء ردّاً قاسياً، لان شرف بناء الكعبة ليس فوقه شرف. وتمثل ردّهم في الروايات الزائفة التالية.

: إرجاع فضل بناء الكعبة لاحد رجال حلف لعقة الدم الكافر ألا وهو الوليد بن المغيرة المخزومي المخالف لحلف الفضول والإسلام معاً.وقال الحزب القرشي الحاقد علىٰ محمد وآله وبني هاشم والمسلمين بان الرجل الذي هدىٰ قريشاً لانفاق المال الطاهر الذي ليس فيه مهر بغي ومال ربا وظلم هو أبو لهب![1] في حين اثبتت النصوص التاريخية اقدام أبي لهب وجماعة علىٰ سرقة مال الكعبة [2]. ولما سرق دويك من الكعبة قطعوا يده [3] وقد قطع يده عتاة قريش، اي أنَّ سارق العلانية يقطع يد سارق السر.

ذلك أنَّ جماعة من قريش كانوا في ليلة من الليالي يشربون الخمر وفيهم أبو لهب ومعهم القيان ولما فنيت اسباب طربهم عمدوا إلىٰ باب الكعبة وسرقوا الغزالين وباعوهما من تجار قدموا مكة بالخمر واشتروا بثمنهما جميع ما في العير من خمر بالمرّة واشتغلوا بالطرب واللهو شهراً ولم يدر من سرق حتّىٰ مرّ العباس وعرف قصة سرقة الغزالين فأخذوهم وضربوهم وقطعوا ايدي بعضهم [4].وكانت قبائل قريش

(١) الروض الأنف ٢ / ٢٧٩.

(٢) تاريخ ابن الاثير ٢ / ٤٤، والمال متمثل في غزالي الكعبة وهما من الذهب الخالص.

(٣) البدء والتاريخ ١ / ٤٩.

(٤) تاريخ الخميس ١ / ١٨١.

الكافرة تفضح كل من خالفها من الناس بعورته: عملاً بخلع ثيابه كما فعلوا مع سيدة بني عامر في سوق عكاظ فتسبب في واحدة من حروب الفجار[١].

: أو اشاعة ذلك زيفا في تعرى رسول الله ﷺ في قضية بناء الكعبة، ونقل ذلك في كتبهم كل المحدثين الحاقدين على رسول الله ﷺ!

وقد روى اليهود مثل هذه الروايات المزيّفة في حق نبيهم موسى فدحرهم الله تعالى[٢].

في حين لم يذكر البخاري ومسلم وامثالهم شيئاً عن تعري أبي جهل وأمية بن خلف وأبي سفيان وابن العاص ومعاوية وباقي الأمويين في طوافهم.

بينما أمر رسول الله ﷺ بستر الفخذ لانها من العورة[٣]

وإتماماً لمهمة الطعن بالأنبياء والمرسلين قال البخاري ومسلم (تعدياً على منزلة النبوة): إنَّ رسول الله ﷺ كان ينقل الحجارة للكعبة وعليه إزاره، فقال له العباس عمه: يابن أخي لو حللت إزارك فجعلته على منكبيك دون الحجارة. وفي رواية مزيّفة أخرى انّ أبا طالب قال له ذلك.

فحلَّه ﷺ فجعله على منكبيه، فسقط مغشياً عليه، فما رؤي بعد ذلك عرياناً»[٤].

فقال ﷺ ما أصابني ما أصابني الاّ في تعدّي[٥] أي ان ذلك جاء من ظلم رسول الله ﷺ للآخرين ويقصد بهم الحزب القرشي اللات والعزى وهُبَل!

---

(١) تاريخ الخميس ١ / ٢٥٥، نسب قريش ٤٠٨، السيرة الحلبية ١ / ١٢٧.

(٢) سنن البخاري ط. سنة ١٣٠٩ ج١ / ٤٠، ٢ / ١٥٨، مسند أحمد ٢ / ٣١٥، تفسير القمي ٢ / ١٩، مجمع الزوائد ٧ / ٩٣، تاسع التكوين، فقرة ٢١، الاصحاح التاسع عشر ٢٣ / ٢٤، الدر المنثور ٥ / ٢٢٣، مشكل الآثار ١/١١.

(٣) سنن البخاري ١ / ٥١، فتح الباري ١ / ٤٣، المستدرك، الحاكم ٤ / ١٨٠، ١٨١.

(٤) صحيح البخاري باب كراهية التعري في الصلاة ١/٥٠، ١٨١، ٢/٢٠٣، صحيح مسلم ١/١٨٤، البداية والنهاية ٢/٢٨٧، مسند أحمد ٣/٢٩٥، ٣١٠، ٣٣٣.

(٥) طبقات ابن سعد ١ / ١٤٥.

واستمر هذا المنحى ضد الأنبياء فرووا أيضاً كشف رسول الله ﷺ فخذه في المدينة أمام أبي بكر وعمر، وعمره يناهز على الستين سنة! بعد أن رووا سقوطه عرياناً في الكعبة وعمره خمس وثلاثون سنة![1].

وسوف تجد أخيراً بان رجال الحزب القرشي قد غيروا الروايات تماماً إذ قال اليعقوبي عن بناء الكعبة: فوضعوا أزرهم يعملون عراة الاّ رسول الله فإنه أبىٰ ان ينزع ثوبه فسمع صائحاً يصيح: لا تنزع ثوبك»[2]

وفي مقابل ذلك قالوا: بان عثمان رجل حيي تستحي منه الملائكة[3].

وإذا لم يتعلم المرء الحياء من رسول البشرية ﷺ فهل يتعلمه من أبي جهل؟

بينما وصف أبو سعيد الخدري النبي ﷺ قائلاً: كان أشدُّ حياءاً من العذراء في خدرها[4].

وجاء عنه ﷺ: بأنه كان مصوناً عمّا يستقبح قبل البعثة وبعدها[5].وقالت حليمة السعدية : ولم تبد عورته [6].وروي أيضاً بأن نساءه لم يشاهدن عورته قط[7].

وحتى بعد موته ﷺ لم يشاهد احد عورته في الغسل إذ ورد: ولو رآها أحد لطمست عيناه[8]. وبلغ الحد في النهي عن رؤية العورة أنَّ أمير المؤمنين علياً ﷺ لم يقتل أعداءه الذين كشفوا عوراتهم حياءاً من النظر إلى عوارتهم[9].

---

(١) المحاسن والمساوئ ١/٦١، حياة الصحابة ٢/٦١١، صحيح مسلم ٧/١١٦/١١٧، البداية والنهاية ٧/٢٠٢.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩.

(٣) حياة الصحابة ٢/٦١١ مسند أحمد ١/٧١، البداية والنهاية ٧/٢٠٢.

(٤) مجمع الزوائد ٩/١٧، صحيح مسلم ٧/٨٧، البداية والنهاية ٦/٣٦.

(٥) فتح الباري ٧/١١١.

(٦) البحار ١٥ / ٣٣٣.

(٧) حياة الصحابة ٢/٦١١، السيرة الحلبية ١/١٤٢، سنن ابن ماجة ١/٦١٩.

(٨) تاريخ الخميس ١/٢١٤.

(٩) سيرة ابن هشام ٣/٧٨، الكامل، ابن الاثير ٢/١٥٢.

بل ان سنَّة عبدالمطلب تحرّم ان يطوف بالبيت عريان[1]. فهل بعد كل هذا التبيان يستملح العاقل افتراءات الناكثين والقاسطين والمارقين؟!

التعرى في الطواف

: كانت العرب تنقل الحجارة لبناء البيت الحرام وهم عراة وهم يـرون أنَّ ذلك ديناً[2]

ولما بدت عوراتهم قالوا زيفاً بان الوحيد الذي بدت عورته في المسجد الحرام هو رسول الله ﷺ![3]

وكان بعض ملوك بني أميّة يتجردون بحضرة الندماء والمغنين مثل يزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد [4].

: فرض الكافرون علىٰ الحُمس الطواف بالبيت في ثياب الحُمس [5]فإن لم يجدوا منها شيئاً طافوا بالبيت عراةً فقالت امرأة:

اليوم يبدو بَعضُهُ أو كُلُّهُ - وما بدا منهُ فلا أُحِلُّهُ [6].

وكان الرجال العراة يطوفون نهـاراً وتـطوف النسـاء ليـلاً، وكـانوا يـطوفون ويصفقون بأيديهم ويصفّرون [7].

وقد حرّم عبد المطلب علىٰ كل شخص الطواف بالبيت وهو عريان.

والاديان كلّها تحرم التّعري تبعاً للفطرة الانسانية الا كفرة مكة، وقد ساعد الله

---

(١) السيرة الحلبية ١/٤
(٢) الروض الأنف ٢ / ٢٨٣، تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩.
(٣) صحيح البخارى ١/٤٠.
(٤) التاج، الجاحظ ٧٧.
(٥) الحمس جماعة من الحجاج .
(٦) الروض الأنف ٢ / ٢٨٥.
(٧) الروض الأنف ٢ / ٢٩٣ .

تعالىٰ بني البشر علىٰ الحشمة والتزين بالالبسة، بالشعر الطبيعي الذي خلقه لستر العورة، وباوراق الشجر وبالعقل البشرى الذي صنع الاقمشة زينة .إذن من اين جاءت فلسفة التّعري في مكّة؟ التي رفضها أجداد النبي ﷺ ورفضتها الاديان السماوية المعروفة في شبه جزيرة العرب وهي النصرانية واليهودية وحرمها عبد المطلب [١].

من المحتمل تأثر بعض أهالي قريش بالحركة المانوية في الزندقة الداعية للمجون والتهتك والخلاعة. والاقوىٰ أنها حركة جاهلية هدفها ارضاء الاوثان عبر التعري في الطواف والتعري أثناء بناء الكعبة، وهذا يبيّن مقدار التخلف الديني والاجتماعي لهؤلاء الذين انقذهم الله تعالىٰ برسوله ﷺ .وكانت الساحرات عاريات والنساء الداخلات في جوف الاصنام عاريات ايضا : فاستقبلت ثقيف الجيش الاسلامي بساحرتها الكاشفة عن عورتها [٢]، وكانت اصنام نائلة والعزى ومناة نساء عاريات [٣] ،ولما حطم المسلمون أصنام الجاهلية خرجت منها نساء عاريات. وكان الكفار يخلعون رداءهم عند شجرة ذات انواط [٤] فكان التعرى رمز عبادتهم ،واستمر التعري إلىٰ السنة التاسعة الهجرية حيث اعلن أمير المؤمنين علي عليه السلام في الكعبة : لا يحجن بعد العام مشرك ولا يطوفنَّ بالبيت عريان [٥].

فأنقذ اللّه تعالىٰ الناس من الفساد الاخلاقي للحزب القرشي.

ولطمس هذا التعري اللاخلاقي افتروا على الانبياء بالتعري :فاختلقوا قضية تعري موسى عليه السلام أمام الملأ من بني إسرائيل ،وتعرى النبي ﷺ أمام القرشيين ونفوا

(١) السيرة الحلبية ١ / ٤.

(٢) مغازى الواقدى ٢/٩٢١.

(٣) مغازى الواقدى ٢/٨٤١،مغازى الذهبى ٥٥٥، ٥٦٣.

(٤) مغازى الواقدى ٢/٨٩١

(٥) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٩٠.

التعري عن المعادين لهم من كفار قومهم!![1]:

جاء في كتاب البخاري: «أن بني إسرائيل اتهموا موسى ﷺ بانه آدر (أي مصاب بانتفاخ في خصيته بسبب الفتق) فنزع ثوبه ووضعه على حجر واغتسل، فلما أراد أنْ يأخذ ثوبه عدا الحجر بثوبه، فأخذ موسى ﷺ عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى نظرت بنو إسرائيل إلى موسى ﷺ.

فقالوا: والله ما بموسى من بأس، وأخذ ثوبه، فطفق بالحجر ضرباً.

قال أبو هريرة: فوالله أنَّ بالحجر لندباً ثلاثاً أو اربعاً أو خمساً، فذلك قوله تعالى: **﴿لا تكونوا كالذين آذوا موسى، فبرأه الله مما قالوا، وكان عند الله وجيها﴾**[2]

والصحيح نزلت الآية الشريفة في قضية اتهام بني إسرائيل لموسى ﷺ بقتل أخيه هارون، إذ ذهب معه في زيارة فمات، فدفنه موسى ﷺ فبرأه الله تعالى بأن أخبرهم جسد هارون بأنه مات ولم يُقتَل[3].

الانحراف عن دين ابراهيم عليه السلام

استمر عبد المطلب وأبو طالب وبعض أبناء عبد المطلب في السير على الدين الحنيف، وكانت عرب الجاهلية قد انحرفت عن دين إبراهيم الخليل ﷺ انحرافاً بيّناً وممقوتاً ومن تلك الانحرافات ما فعلوه في قضية الكعبة والحج:

: ترك العرب الوقوف على عرفة والافاظة منها [4].

: وكانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة ويسمون بالحُمس ولا يقفون

---

(١) تاسع التكوين الفقرة ٢١، الاصحاح التاسع عشر، الفقرة ٢٣/٢٤.

(٢) الأحزاب ٦٩، صحيح البخاري ١/٤٠، ٢/١٥٨، تفسير البرهان ٣/٣٣٩، مجمع الزوائد ٧/٩٣.

(٣) فتح الباري ٦/٣١٣، الدر المنثور، السيوطي ٥/٢٢٣.

(٤) الروض الأنف ٢ / ٢٨٣.

بعرفات، في حين كان رسول الله ﷺ يقف بعرفات قبل البعثة [١].

: وحرّم الكفرة طعام الحل في الحرم [٢].وابعدوا مقام ابراهيم عن مكانه .

والانحراف الخطير تمثل في التعري. وقد ابطل الإسلام هذه العادات الجاهلية السيئة إذ جاء في الكتاب العزيز: **يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا**[٣]. والزينة هي الثياب، وجاء ايضاً:**وما كان صلاتُهم عند البيت الاّ مكاءً وتصدية**[٤]. فالمكاء: الصفير، والتصدية: التصفيق[٥].

بطون قريش

كانت قريش خمسة وعشرين بطناً وهم: بنو هاشم بن عبدمناف، وبنو المطلب بن عبدمناف، وبنو الحارث بن عبدالمطلب، وبنو أميّة بن عبدشمس، وبنو نوفل بن عبدمناف، وبنو الحارث بن فهر، وبنو أسد بن عبد العُزّى، وبنو عبدالدار بن قصي، وبنو زهرة بن كلاب، وبنو تيم بن مرةوبنو مخزوم، وبنو يقظة، وبنو مرة، وبنو عدي بن كعب، وبنو سهموبنو جُمَح وهم قريش البطاح.

وقريش الظواهر هم: بنو مالك بن حنبل، وبنو معيط بن عامر بن لؤيوبنو نزار بن عامر بن لؤي، وبنو الأدرم، وهم تيم بن غالبوبنو محارب بن فهر، وبنو الحارث بن عبدالله بن كنانة، وبنو عائذةوهو خزيمة بن لؤي، وبنو نباتة وهو سعد بن لؤي[٦].

أهالي مكة

(١) الروض الأنف ٢ / ٢٩٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الأعراف ٣٠.

(٤) الانفال ٣٦.

(٥) الروض الأنف ٢ / ٢٩٣.

(٦) مروج الذهب، المسعودي ٢/٢٦٩.

لما نزلت قبيلة جرهم في مكة بقيت بجانب ذرية إسماعيل عليه السلام إلى أن بغوا وظلموا زوار بيت الله تعالى، وسرقوا مال الكعبة.

وكانت في مكة بضع وعشرون قبيلة تعيش جنباً إلى جنب، في منافسة حادة على الرئاسة والجاه والشرف. وولد ذلك التنافس حسداً عميقاً بينها حتى وُصِفت قريش بانها احسد الناس.

وكادت الحرب ان تقع بين قبائلها عدّة مرّات بسبب ذلك التنافس على أسباب الرئاسة والشرف والجاه، والمتمثلة بلواء الحرب والرفادة والسقاية والقيادة.

ثم تنافس القرشيون في بناء الكعبة ووضع الحجر الأسود، وكادت الحرب تقع بينهم، فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولما بعث النبي محمد صلى الله عليه وآله في مكة رفض طغاة مكة التسليم له بالنبوة حسداً لرئاسته الدينية والدنيوية عليهم، بالرغم من يقينهم بدينه ورسالته السماوية.

وقد وصف هذه الحالة أبو جهل وصفاً كاملاً مبيناً رأيه بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وانكاره لها حسداً لأنها تعني تفوّق وتقدم بني هاشم على بني مخزوم!

وتبعاً لهذا الأعتقاد الخاطئ والجهل المركب فقد اعلن زعماء قبائل قريش أمام أبي طالب زعيم بني هاشم وقريش استعدادهم لارضاء محمد صلى الله عليه وآله بالمال والشرف والرئاسة حتى يصبح اكثرهم مالاً، مقابل تراجعه عن الديانة الجديدة!

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعمه أبي طالب: والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن اترك هذا الأمر ما تركته أو اقتل دونه.

وكان رجال مكة من دهاة الناس يتنافسون على أسباب الدنيا تنافساً حاداً دفعهم إلى اغتيال الآخرين، وإقامة جسور العلاقة مع الحكومتين الرومية والفارسية.

واستخدموا وسيلة تبني العبيد والحلفاء لزيادة القدرة البشرية لقبائلهم وعوائلهم

ومنع اضمحلالها وانقطاع نسلها. فتبنى عبد شمس عبده أميّة[١].

وتبنىٰ بنو أسد العوامَ القبطي[٢] والد الزبير وتبنىٰ الأسود الكندي حليفه المقداد، وتبنىٰ العاص بن وائل عمراً[٣].

وتنافسوا علىٰ اللقطاء مثل عمرو بن العاص و طلحة بن عبد الله و زياد بن أبيه تنافساً حاداً[٤].

وتسببت التجارة الصيفية إلى الشام والشتوية إلى اليمن والحبشة ورحلاتهم إلى بلاد كسرى في زيادة اطلاع القرشيين على الأُمم والحضارات الاخرى، وسعة افقهم واطلاعهم على المهارات اللازمة في السياسة والادارة والحرب والاقتصاد وغيرها.

وزيارة الناس لبيت الله الحرام من بلاد ومدن مختلفة اكسبتهم معارفَ كثيرة وأموالاً عظيمة.وتسببت هذه الأُمور واستقلال مكة في أكتساب القرشيين مهارة ادارة أنفسهم ومدينتهم والاعتداد بأنفسهم.فاهتم أهالي مكة اهتماماً خاصاً بالدهاء السياسي والاجتماعي ورعوا الدهاة عناية فائقة، فبرز دهاة عديدون وماكرون كثيرون لا يتورعون عن استخدام الوسائل الباطلة للوصول الىٰ الهدف.

وبرزت هذه الحالة في سفراء قريش إلى ملك الحبشة عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد و عبدالله بن أبي ربيعة فنافس عمارة بن الوليد عمرو بن العاص في زوجته فخانه بها ،والقاه في مياه البحر الأحمر، واستمر عمارة الداهية في مغامراته النسائية حتى بلغ مخدع ملك الحبشة الزوجي![٥].

فوشى به عمرو بن العاص عند ملك الحبشة الذي مكر به مكراً عجيباً بنفخ

---

(١) راجع كتاب المثالب لهشام ابن الكلبي ص ٥٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) التذكرة ١١٧، السيرة الحلبية ١/٤٧، العقد الفريد ١/١٦٤، المثالب، الكلبي ١٢٧.

(٤) المثالب، الكلبي ١٢٩، التذكرة ١١٧، السيرة الحلبية ١/٤٧.

(٥) شرح النهج، المعتزلي ٦ / ٢٩١ .

السواحر في إحليله فهام مع الوحوش الكاسرة في تلك البلاد![1]

وقصص المكر السياسي والاجتماعي في صفوف القرشيين كثيرة ومنها برزت قصة المكر القبلي لاغتيال رسول الله ﷺ في مكة وحرب الأحزاب (الخندق)، وقضية حجة الوداع (بمنعهم الرسول ﷺ من تبليغ رسالة الثقلين القرآن وأهل البيت عليهم السلام إلى المسلمين)[2]، وقضية السقيفة.

ثم توّجوا أمرهم في قبول معاوية بقتل الجماهير عثمان بن عفان ليصبح ولي الدم ويحارب باسمه، ثم حوّل الدولة إلى ملكية وراثية.

فعادت الزعامة إلى بني أميّة في زمن عثمان كما كانت في زمن حرب احد والخندق برئاسة أبي سفيان! فقال أبو سفيان: تلقفوها يا بني أميّة تلقف الكرة فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من جنة ولا نار[3].

وطغاة قريش المكرة هم الذين حرّفوا الحديث النبوي: الخلفاء من بعدي اثنا عشر كلهم من أهل بيتي[4] إلى:

الخلفاء من بعدي اثنا عشر كلهم من قريش [5].

ومنهج قريش في رفض اجتماع النبوة والخلافة في بني هاشم واضح نطقه عمر بن الخطاب عالياً[6] إذ اعلن عمر بن الخطاب تلك النظرية أمام رسول الله ﷺ في يوم الخميس برفضه ثقل أهل البيت عليهم السلام قائلاً: حسبنا كتاب الله[7].

ولما فعلت قبيلة جرهم الظلم صمّمت قبيلتا بني بكر بن عبد مناة بن كنانة،

---

(١) تاريخ الطبري ٢/ ٣٠، شرح النهج ،المعتزلي ٦ / ٢٩١ .

(٢) راجع موضوع حجة الوداع في هذا الكتاب.

(٣) تاريخ الطبري ١١/٣٥٧، النزاع والتخاصم ٥٦، الأغاني ٦/٣٥١ ـ ٣٥٦.

(٤) حلية الاولياء، ١ / ٨٦، الكافي ١ / ١٧٩، ٥٣٤.

(٥) مسند أحمد ٥ / ٨٧، ٩٤، ٩٧، ٩٩، ١٠٠.

(٦) تاريخ الطبري ٣/٢٨٨.

(٧) صحيح البخاري ١/٣٧، الملل و النحل، الشهرستاني ١/٢٣.

وغبشان من خزاعة على إخراجهم من مكة، فتمكّنتا من الحاق الهزيمة العسكرية بها وإخراجها إلى اليمن، فدفن عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي غزالي الكعبة وحجر الركن في زمزم قبل ذهابه إلى اليمن[1].

ثم ساد على مكة عمرو بن لحي الذي فرض عبادة الأصنام عليها[2]، وكان فهر اسمه قريشا وإليه تنتهي وتجتمع قبائل قريش وما فوقه كناني.

وسمي قريشاً لأنه كان يقرّش أي يفتش عن حاجة المحتاج فيسدها بماله، وقيل كان بنوه يقرشون أهل الموسم عن حوائجهم فيرفدونهم[3] والنضر بن كنانة أبو قريش[4].

ولما استقر الأمر في خزاعة تزوج قصيّ منهم، وأزاح يد خزاعة وولي أمر مكة وشرفها، فكان بيده السقاية والرفادة والحجابة والندوة واللواء والقيادة فحصل عبدالدار على اللواء والحجابة ودار الندوة.

واختلفوا بعد موت عبدالمطلب فكانوا جماعتين:

الجماعة الأولى: حلف المطيبين الذين غمسوا أيديهم في الطيب، وهم خمس قبائل: بنو هاشم ، وبنو زهرة، وبنو تيم بن مرة، وبنو الحرث بن فهر.[5]

وجماعة لعقة الدم وهم: بنو مخزوم، وبنو سهم، وبنو جمح، وبنو عدي بن كعب وبنو أمية الذين أخرجوا جفنة مملوءة دماً من دم جزور نحروها ووضعوا أيديهم فيها ولعقوا منها.

واصطلحوا على أن تكون الرفادة والقيادة والسقاية لبني عبدمناف، والحجابة واللواء لبني عبدالدار، ودار الندوة بينهم بالأشتراك.

---

(١) الروض الأنف، السهيلي ٢/١٠، ١١، ١٢، ١٧، البدء والتاريخ، البلخي ٢/٤٠ـ ٤٢.

(٢) مروج الذهب ٢/٢٢٧.

(٣) السيرة النبوية، دحلان ١/١٦.

(٤) المعارف، ابن قتيبة ٦٧.

(٥) السيرة الحلبية ١ / ١٢٨، الروض الأنف ٢ / ٧١.

ثم أعطيت القيادة وهي أمارة الركب لبني أمية بعد ظهور الإسلام لذلك كانت قيادة الجيش لبني أميّة في معركة بدر وبيد عتبة بن ربيعة بن عبدشمس، وكان أبـو سفيان قائد الجيش في الحروب اللاحقة.

وأعطيت الرفادة والسقاية لهاشم، ثم لعبدالمطلب، ثم لأبي طـالب ثم للـعباس واختلف بنو عبدمناف إذ اغتصب نوفل بن عـبدمناف أفـنية ودوراً لابـن أخـيه عبدالمطلب، فأجبرته بنو النجار بالمدينة علىٰ إرجاعها إلى عبدالمطلب فنشأ حلف بين نوفل وبنوه مع عبدشمس وبنيه.

وتأسس مقابله حلف بني هاشم وبني المطلب وخزاعة على بـني نـوفل وبـني عبدشمس[١] فشارك بنو المطلب عبيدة والطفيل ومسطح بن أُثاثة بـن عـباد بـن المطلب وحصين بنو الحارث في حرب بدر إلى جانب النبي ﷺ[٢].

وكانت خزاعة تنقل أخبار قريش لرسول الله ﷺ.

ووقف بنو نوفل إلى جانب الكفار ضد رسول الله ﷺ مثل الحارث بن عامر بن نوفل، وطعيمة بن عدي بن نوفل الذين قُتلا يوم بدر كافرين، واضحت فاختة بنت قرظة بن عبدعمرو بن نوفل أمرأة معاوية بن أبي سفيان.

وأول عداوة وقعت بين هاشم وأميّة بن عبدشمس سببها أن هاشماً ساد قومه بعد أبيه عبدمناف فحسده أميّة، فتكلف أن يصنع ما يصنعه هاشم فعجز فعيرته قريش.

فدعا أميّة هاشماً للمنافرة، فرفض هاشم ذلك أولاً ثم قَبِل المنافرة على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة والجلاء عن مكة عشر سنين فرضي أميّة بذلك، وحكّما الكاهن الخزاعي بعسفان فقال الكاهن:

لقد سبق هاشم أميّـة إلى المفاخر، فنفر هاشم على اميّة، فعاد هاشم إلى مكة ونحر الإبل وأطعم الناس، وخرج أميّـة إلى الشام مدة عشر سنين، فبدأت العداوة بين

---

(١) السيرة النبوية، دحلان ١/١٨، ١٩.

(٢) النسب، ابن سلام ٢٠٣.

الجانبين[1].

فأطعم هاشم الناس في الجاعة، وهشم الخبز والكعك ونحر جزراً، وجعل ذلك ثريداً فأطعم الناس حتى أشبعهم فسمى هاشماً، واسمه المغيرة فقالوا له: أبو البطحاء وسيد البطحاء، ولم تزل مائدته منصوبة في السراء والضراء.

وانتقل نور النبوة من عبدمناف إلى هاشم فكان يتوقد شعاعه ويتلألأ ضياؤه، لا يراه حبر إلّا قبّل يده، ولا يمرُّ بشيء إلّا خضع له تفدوا إليه قبائل العرب ووفود الأحبار يحملون بناتهم يعرضون عليه أن يتزوج بهن.

حتى بعث إليه هرقل ملك الروم قائلاً: إنَّ لي ابنة لم تلد النساء أجمل منها ولا أبهى وجهاً فأقدم إليَّ حتى أزوجكها فقد بلغني جودك وكرمك، وإنما أراد بذلك نور المصطفى ﷺ الموصوف عندهم في الانجيل.

فأبى هاشم ذلك، وكان هاشم يحمل ابن السبيل، ويؤدي الحق، ويؤمن الخائف[2]، ومات بغزة من ارض فلسطين[3].

وكان عبدالمطلب بن هاشم من حلماء قريش وحكمائها، مجاب الدعوة، محرِّماً الخمر على نفسه، وهو أول من تحنَّث بحراء، والتحنث تعبد الليالي ذوات العدد، فإذا دخل رمضان صعده وأطعم المساكين، وكان صعوده للتخلي عن الناس والتفكر في جلال الله وعظمته، فيرفع من مائدته للطير والوحوش في رؤوس الجبال، فقالوا له مطعم الطير والفياض، فكان مفزع قريش في النوائب، وملجأهم في الأمور، وشريفهم وسيدهم كمالاً وفعالاً، وعاش مائة وأربعين سنة[4].

ورفض عبدالمطلب عبادة الأصنام ووحَّد الله تعالى، ويؤثر عنه سنن جاء

(١) السيرة النبوية، دحلان، ١/١٩ ـ ٢٠.

(٢) السيرة النبوية، دحلان ١ / ٢٠، ٢١، ٢٢.

(٣) المعارف، ٧١.

(٤) السيرة النبوية، دحلان ١/٢١، ٢٢.

القرآن بأكثرها منها الوفاء بالنذر، والمنع من نكاح المحارم، وقطع يد السارق، والنهي عن قتل الموءودة، وتحريم الخمر والزنا، وأن لا يطوف بالبيت عريان وكانت قريش تستسقي به ويسمى سيد قريش[١].

ولما هجم إبرهة الحبشي على مكة قال عبدالمطلب: لا يصل إلى هدم البيت لأن لهذا البيت ربّاً يحميه ويحفظه[٢].

ولما أراد ذبح ابنه عبدالله لنذر نذره لله تعالى ضرب بالقداح وقال: يا ربِّ أنت الملك المحمود، وأنت ربي الملك المعبود، من عندك الطارف والتليد.

وغضب على حرب بن أميّة لقتله يهودياً جاراً له، فاضطر حرب لارضائه بدفع مائة ناقة دية ذلك اليهودي[٣].

وبلغت شجاعة وكرم وشرف وهيبة وعفة وعبادة وشهامة بني هاشم حداً لم يبلغه قبله أحد، فأطعموا الفقير وأجاروا الخائف.

إذ أجار عبدالمطلب رجلاً تيمياً خائفاً من حرب بن أمية، ولما دخل التيمي الكعبة لطمه حرب فعدا عليه الزبير بن عبدالمطلب بالسيف، ففر حرب بن أميّة إلى دارعبدالمطلب، فأجاره عبدالمطلب وأكفأ عليه جفنة، وسبعة من بني عبدالمطلب على الباب يريدون قتله، فأخرجه عبدالمطلب واضعاً عليه رداءه دليل الإجارة.

ولما افتخر معاوية بن أبي سفيان بحرب بن أميّة رد عليه عبدالله بن عباس قائلاً: من أكفأ عليه إناءه وأجاره بردائه؟ فسكت معاوية[٤].

لذلك قال رسول الله ﷺ: «يُبعث جدي عبدالمطلب في زيّ الملوك وأبهة الاشراف»[٥].

---

(١) السيرة النبوية، دحلان ١/٢٣، تاريخ ابن الوردي ١/٩٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الكامل في التاريخ ٢/١٥، تاريخ ابن الوردي ١/٩٢.

(٤) السيرة النبوية، دحلان ١/٢٤.

(٥) المصدر السابق.

وقد أخذ عبدالمطلب مبادئ واخلاق دين إبراهيم عليه السلام من هاشم الذي أخذها من عبدمناف.

بنو أمية وأصلهم

كانت العرب في الجاهلية تعتق عبيدها إن أرادت وتزوجهم من كرام العرب ثم تُلحقهم بها.

فكان أمية من الروم استلحقه عبد شمس اذ جاء : أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف وإنّما هو عبد من الروم، وأميّة تصغير أمة فنسب إليه [١].

فبنو أمية كلهم ليسوا من صميم قريش وإنما يلحقون بهم ويصدق ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام لما كتب له معاوية: إنما نحن وانتم بنو عبد مناف .

فكان جواب علي عليه السلام ليس المهاجر كالطليق وليس الصريح كاللصيق [٢].

فهذه شهادة من علي عليه السلام ان بني أمية لصّاق وليسوا صحيحي النسب إلىٰ عبد مناف ولم ينكر معاوية ذلك.

وقال البهائي صاحب الكامل: إنّ أمية كان غلاماً رومياً لعبد شمس فلما ألفاه كيّساً فطناً أعتقه وتبنّاه فقيل أمية بن عبد شمس كانوا يعملون بذلك قبل نزول الآية المحرّمة، لذا روي عن الصادقين عليهما السلام في تفسير قوله تعالىٰ ﴿الٓم، غلبت الروم﴾ انهم بنو أميّة.

فظهر هنا نسب عثمان ومعاوية وحسبهما غير العربي [٣]

وقال ابن قتيبة الدينوري: كان أبو سفيان اعور العين من أصل غير عربي [٤].

---

(١) الزام الناصب ١٠٤ – ١٠٥، شرح النهج ١٥ / ١٩٨ – ٢٩٥.

(٢) البحار ٣١ / ٥٤٣، ٥٤٤، ٣٣ / ١٠٧.

(٣) البحار ٣١ / ٥٤٤.

(٤) المعارف ٥٨٦، ابن قتيبة.

فلم يكن لعبد شمس ابن يأخذ بضعه ويرفع من قدره ويزيد في ذكره وهاشم عبد المطلب سيد الوادي غير مدافع أجمل الناس جمالاً وأظهرهم جوداً وأكملهم كمالاً وهو صاحب الفيل والطير والابابيل وصاحب زمزم وساقي الحجيج[١].

واجمعت الرواة علىٰ أن من أخذ الايلاف لقريش هاشم بن عبد مناف، فلما مات قام أخوه المطلب مقامه[٢].

وكان هاشم رجلاً كثير السفر والتجارة يسافر في الشتاء إلىٰ اليمن وفي الصيف إلىٰ الشام وشرك في تجارته رؤساء القبائل من العرب ومن ملوك اليمن والشام نحو العباهلة باليمن واليكسوم من بلاد الحبشة ونحو ملوك الروم بالشام فجعل لهم معه ربحاً فيما يربح وساق لهم ايلاً مع إبله فكفاهم مؤونة الأسفار علىٰ أن يكفوه مؤونة الأعداء في طريقه ومنصرفه ، فكان في ذلك صلاح عام للفريقين[٣].

وقال سفينة مولىٰ رسول الله ﷺ: أم أميّة الزرقاء وكانت في الجاهلية من صواحب الرايات[٤] وكان أميّة ممن اشتهر بالزنا وكذلك كان ابنه حرب[٥]

وقال معاوية إنّي أحب ان القىٰ رجلاً قد أتت عليه سن وقد رأىٰ الناس يخبرنا عما رأىٰ.

فقال بعض جلسائه: ذلك رجل بحضرموت. فأرسل إليه، فأُتي به، فقال له: ما اسمك؟

قال: أمد.

قال: أبن من؟

---

(١) شرح النهج ١٥ / ٢٠٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) شرح النهج ١٥ / ٢٠٢.

(٤) الروض الأنف ٥ / ١٨٦، الامثال، الاصبهاني.

(٥) شرح النهج ٣ / ٤٥٦ المثالب، هشام بن الكلبي ٦٣.

قال: ابن أبَد.

قال: ما أتى عليك من السِنّ؟

قال: ستون وثلاث مئة.

قال: كذبت.

ثمّ إن معاوية تشاغل عنه، ثم أقبل عليه ما اسمك؟

قال: أمَد.

قال: ابن من؟

قال: ابن أبد.

قال: كم أتىٰ عليك من السنّ؟

قال: ثلاث مئة وستون سنة.

قال: فأخبرنا عما رأيتَ من الأزمان، أين زماننا هذا من ذلك؟

قال: وكيف تسأل من تُكَذِّب؟

قال: إنّي ما كذّبتُك، ولكني أحببت أن أعلم كيف عقلك.

قال: يوم شبيه بيوم، وليلة شبيهة بليلة، يموت ميّت، ويولد مولود، فلولا من يموت لم تَسعْهُم الأرض، ولولا من يُولد لم يبق أحد علىٰ وجه الأرض.

قال معاوية: فأخبرني هل رأيت هاشِماً؟

قال: نعم رأيته رجلاً طُوالاً، حسنَ الوجه، يقال، إنّ بين عينيه بركة أو غُرَّة بركةٍ.

قال معاوية: فهل رأيت أُميّة؟

قال: نعم، رأيته رجلاً قصيراً أعمى، يقال: إنّ في وجهه لشراً أو شُؤماً.

قال معاوية: فهل رأيت محمداً؟قال: مَنْ محمدٌ رسول الله ﷺ ؟ قال نعم

قال: ويحك، ألا فَخَّمتَه كما فَخَّمهُ الله؟ فقلتَ: رسول الله.

قال معاوية: فأخبرني، ما كانت صناعتك؟

قال كنت رجلاً تاجراً.

قال معاوية: فما بلغت تجارتك؟

قال: كنت لا أشتري عَيْباً ولا أردُّ ربحاً.

قال له معاوية: سَلْني.

قال: أسألك أن تدخلني الجنّة.

قال معاوية: ليس ذلك بيدي، ولا أقدر عليه.

قال: أسألك أن ترُدَّ علي شبابي.

قال معاوية: ليس ذاك بيدي ولا أقدر عليه.

قال: لا أرىٰ بيديك شيئاً من أمر الدنيا ولا من أمر الآخرة.

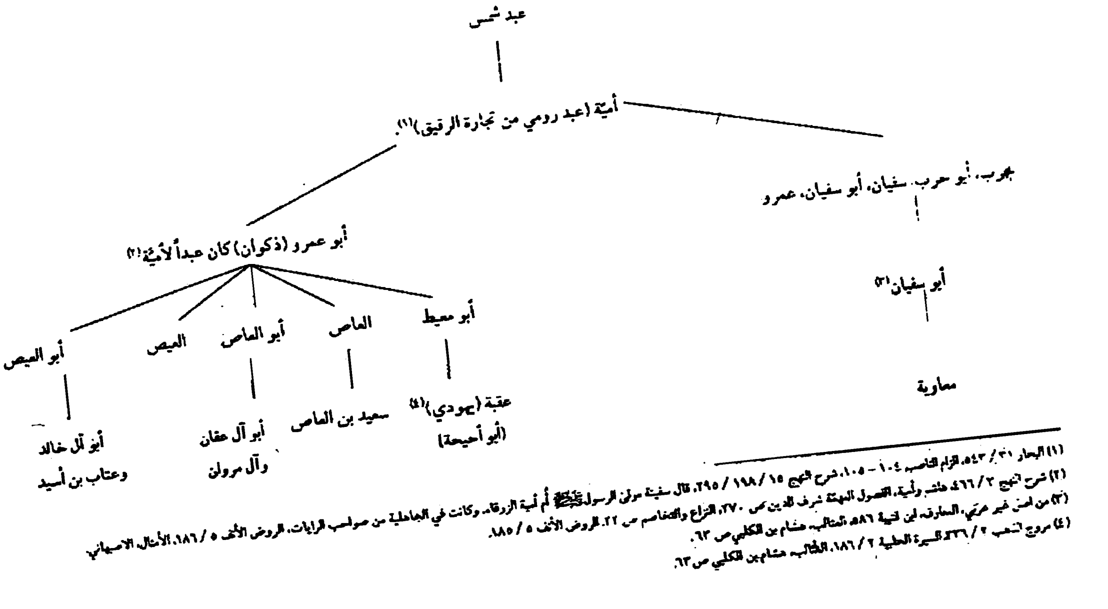
قال فرُدَّني من حيث جئت.

قال معاوية: أما هذا فنعم.

ثم أقبل معاوية علىٰ أصحابه فقال: لقد أصبح هذا زاهداً فيما أنتم فيه راغبون[1].

---

(١) السجستاني (المعمرون والوصايا) ص١٠٨، مختصر تاريخ دمشق ٥ / ٣١،٣٢.



(1) البحار ٣١ / ٥٤٣، الزام الناصب ١٠٤ – ١٠٥، شرح النهج ١٥ / ١٩٨ / ٢٩٥، قال سفينة مولى الرسول ﷺ أم أمية الزرقاء، وكانت في الجاهلية من صواحب الرايات، الروض الأنف ٥ / ١٨٦، الأمثال الاصبهاني.

(2) شرح النهج ٢ / ٤٦٦، هاشم وأمية، الفصول المهمة شرف الدين ص ٢٧٠، النزاع والتخاصم ص ٢٢، الروض الأنف ٥ / ١٨٥.

(3) من أمة غير عربي، المعارف لابن قتيبة ٥٨٦، المثالب هشام بن الكلبي ص ٦٣.

(4) مروج الذهب ٢ / ٣٣٦، السيرة الحلبية ٢ / ١٨٦، المثالب هشام بن الكلبي ص ٦٣.

تعظيم صورة الكفرة والطلقاء

حاول الحزب القرشي زعزعة الثقة برسول الله ﷺ وأهل بيته وصحبه الاخيار بكل الوسائل المتاحة، فوصموا رسول الله ﷺ بأشوه صورهم حسداً وحقداً منهم علىٰ الإسلام والمسلمين وشمّروا سواعدهم لتحجيم شخصية أبي طالب زعيم بني هاشم وقريش الذي ورث قيادة مكة من أبيه وجده وبما وهبه الله تعالىٰ من امكانات فذّة.

ويذكر أنّ قيادة مكة كانت له دون منازع والفرق بينه وبين المنافسين له شاسع ولما أسلم أبو طالب ودافع عن رسول الله ﷺ والمسلمين حاولوا القضاء عليهم اجمعين [١]

ثم تعرّض رسول الله وأبو طالب لأبشع هجمة من قبل الأمويين حتىٰ بلغ بهم الأمر ان وصموا أبا طالب بالكفر ووصفوا أبا سفيان وصفوان بن أميّة بالاسلام[٢].

وتجاهلوا تضحيات أبي طالب العظيمة للاسلام وموته في سبيل الله تعالىٰ وسار علىٰ خطهم الكتاب والمحدّثون المغرضون واشاعوا كل الاكاذيب اللااخلاقية.

وكان عمر بن الخطاب قد هيّأ الاجواء للمجيىء بمعاوية إلىٰ سدّة الزعامة عندما عيّنه والياً عاماً علىٰ الشام، وعيّن أبا موسىٰ الاشعري علىٰ البصرة، والمغيرة بن شعبة علىٰ الكوفة، وعمرو بن العاص علىٰ أفريقيا، وأبا هريرة والياً علىٰ البحرين[٣]. وعبد الله بن أبي ربيعة علىٰ اليمن والوليد بن عقبة علىٰ الجزيرة[٤] واغلبهم حاربوا الإسلام وتراثه في مكّة والمدينة في زمن حياة رسول الله ﷺ ومماته واوجدوا هذه الفتن العظيمة التي ما زلنا نعاني منها من لا عدالة اجتماعية ومالية وأنقسامات

(١) شرح النهج ١٣ / ٢٥٦، ١٤ / ٦٤، البداية والنهاية ٣ / ٨٤.

(٢) البداية والنهاية ٢ / ٣٤٢.

(٣) التي كانت تشمل القسم الشرقي من شبه جزيرة العرب.

(٤) الأرض المحصورة بين نهري دجلة وفرات.

طائفية وقومية وفوضى سياسية [١].

وتلك المجموعة هي التي أرادت قتل رسول الله ﷺ في مكّة وفي المدينة وفي أثناء حملة تبوك [٢].

والسؤال هو لماذا جاء عمر بهذه المجموعة الماكرة إلىٰ سدة الحكم في حياته واوصى إليهم بعد مماته، وفي هؤلاء سفراء قريش إلىٰ الحبشة وقادة الكفار في معركة بدر وفيهم أبو هريرة الذي وصمه عمر بالسرقة والكذب علىٰ رسول الله ﷺ![٣]، وترك أصحاب بيعة العقبة والثابتين في معركتي بدر وأُحد؟!.

إنّ هذه العصابة القرشية اصبحت حاكمة علىٰ سياسة وتراث الامة بعد اغتيال أبي بكر، وعظم دورها بوصول الأمويين إلىٰ السلطة في زمن عثمان ومعاوية وسائر الأسرة الاموية.

فحاول الحزب القرشي ووليده الحزب الأموي تعظيم شخصية الكفرة الذين ماتوا علىٰ الكفر والآخرين الذين ماتوا علىٰ النفاق.

ولما أجبر بعض رجال العرب جواريهم علىٰ الزنا فقد انتشر الفساد ورفعت رايات الفحش لحمامة جدة معاوية وأُم عمرو بن العاص وأُم طلحة بن عبد الله وأُم الضحاك بن قيس.

وأستمرت بعض الزانيات في عملها في الإسلام ومنهن فريعة بنت همام أُم الحجاج بن يوسف الثقفي وهي التي قالت شعراً خليعاً:

يا ليت شعري عن نفسي أزاهقه ... مني ولم أقضي ما فيها من الحاج

ألا سبيل إلىٰ خمر فأشربها ... أم سبيل إلىٰ نصر بن حجاج

إلىٰ فتىٰ ماجد الأخلاق ذي كرم ... سهل المحيّا كريم غير فجفاج.

---

(١) راجع كتاب نظريات الخليفتين للمؤلف.

(٢) المحلّىٰ، ابن حزم ١١ / ٢٢٥.

(٣) البداية والنهاية ٨ / ١١٦ - ١١٧.

وكان نصر بن حجاج شاباً جميلاً فضربها عمر بالدّرة ضربات[١]

وحاول معاوية بن أبي سفيان تعظيم صورة اشخاص من قبائل العرب مقابل رجالات بني هاشم. ومن هؤلاء الرجال عبدالله بن جدعان.

وقد وصفه السهيلي قائلاً: كان ابن جدعان في بدء أمره صعلوكاً تَرِب اليدين، وكان مع ذلك شرِّيراً فاتكاً لا يزال يجني الجنايات، فيعقِل عنه أبوه وقومه، حتى ابغضته عشيرته، ونفاه أبوه وحلف ألّا يؤويه أبداً لما أثقله به من الغرم وحمله من الديات[٢].

فوضعوا له رواية مزّيفة مفادها مناداته من قبل ثعبان مصنوع من ذهب وعيناه ياقوتتان، فشاهد وسط بيت كوماً عظيماً من الياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة والزّبرجد في وسط جبل![٣].

بينما ذكر هشام ابن الكلبي حقيقة عمله كسمسار للبغايا، والمتمثل في ملكية مجموعة من الإماء فيعرضهن على الرجال ليبيع الأطفال من آبائهم أو الغرباء![٤]. فكانت أمواله من أجور الزنا!

وقد قال تعالى: ﴿وَلاَ تُكرِهُوا فَتَيَاتِكُم عَلَىٰ البِغَاءِ﴾[٥]

وكان طغاة قريش يفعلون ذلك لكسب الأموال!!

وحاول القصاصون تعظيم عبدالله بن جدعان ففشلوا! وأين ابن جدعان من هاشم وعبدالمطلب وأبي طالب هؤلاء الذين نذروا أنفسهم لخدمة الإسلام وخاتم الأنبياء وعموم الناس.

---

(١) الروض الأنف ٢ / ٣٠٥، ٣٠٦.

(٢) الروض الأنف، السهيلي ٢/٧٨، ٧٩.

(٣) الروض الأنف السهيلي ٢/٨٠.

(٤) المثالب، هشام ابن الكلبي ص ٧٠.

(٥) النور ٣٣.

وابن جدعان كان يملك صهيباً فادّعا القصاصون زيفاً ملكية أبي بكر له! فكان صهيب ابن هذه المؤسسة .

وكانت مهنته اقذر مهنة في مكّة ألا وهي شراء الإماء وعرضهن علىٰ الرجال ومن ثم بيع الأطفال إلىٰ الناس [١]اى مشروع زنا جماعى .

وهو مشروع جاهلي ابطله الإسلام، فداره اقبح منزل لا أخلاقي في بلاد العرب.

ولكن الحزب القرشي حاول تعظيم ابن جدعان كشخصية راقية زيفاً ودجلاً فجعل بيته مقرّاً لأنعقاد حلف الفضول![٢] .لتشويه حلف الفضول .

وبعدما صنعوا كل ذلك الزيف للتستر علىٰ مهنة ابن جدعان في السمسرة بالنساء الممنوعة شرعياً والمرفوضة أخلاقياً تقدموا اكثر لأهانة رسول اللّهﷺ فقالوا بأن رسول اللهﷺ كان يستظل بجفنة (طعام) عبدالله بن جدعان [٣].

وان ابن جدعان من كثرة كرمه منعه قومه من العطاء! فأخذ يضرب الناس كذباً حتىٰ يعطوهم ديّاتهم من ماله [٤].ومات ابن جدعان كافراً

وكان أبو قحافة من عبيد عبد الله بن جدعان ينادي علىٰ طعامه وعاملاً من عماله في مشروعه الجاهلي السيّيء الصيت لذلك قال الشاعر:

كفينا بني تيم بن مرّة ما جنت   وما التيمُ الا أعـبُدٌ وإمـاء [٥].

وقالوا في حق ابن جدعان من الشعر:

له داعٍ بمكـــة مشـــمعل   وآخر فوق دارته ينادي

فالمشمعل هو سفيان بن عبد الأسد والآخر هو أبو قحافة والاثنان من عبيد عبد

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٥ / ٢٥٤، المعارف ٥٧٦.

(٢) سيرة ابن هشام ١ / ٨٧.

(٣) تاريخ الخميس ١ / ٢٥٦.

(٤) الروض الأنف ٢ / ٨١.

(٥) مختصر تاريخ دمشق ٩ / ٣٠٥، التعازي والمراثي للمبرد بتحقيق محمد الدیباجي ٢٥٧، تاريخ ابن الاثير ٢ / ٢٥٢، تاريخ الطبري ٣ / ٥٣١.

الله بن جدعان. وقال هشام بن الكلبي: كانت أُمّ سفيان بن عبد الاسد أمة لابن جدعان [١] وله مئة مملوك آخر [٢] لذلك قال سعد بن عبادة لابي بكر:

ليس عندك حسب كريم [٣].

وقال عمر لابي بكر نفس العبارة بشكل آخر: والهفاة على ضئيل بني تيم [٤].

وقال أبو سفيان عن تيم بانها أذل قبيلة في قريش [٥].

وحاول الحزب القرشي تعظيم شخصية صفوان بن أُميّة الذي حارب رسول اللهﷺ في مكّة والمدينة وأرسل شخصاً لقتله في المدينة فنجّاه الله تعالىٰ فاعترف عمير بن وهب الجمحي بذلك وأسلم [٦] إلىٰ أن أُجبر على دخول الإسلام في فتح مكّة.

وسعىٰ الحزب الأموي لإعلاء شأن الوليد بن المغيرة المخزومي فاليه نسبوا قضية هدم وبناء الكعبة لانه من اعمدة الحزب الكافر المحارب لله ورسوله الذي قال فيه الباري عزّ وجلّ: ﴿انا كفيناك المستهزئين﴾ [٧]

ومجّد الحزب القرشي أبا لهب الذي نزلت في حقه سورة المسد مدّعين اشارته ببناء الكعبة من المال الحلال الذي ليس فيه مهر بغي، ولا مال ربا ولا ظلم ولا سرقة! [٨] في حين كان أبو لهب هو الذي سرق مال الكعبة! [٩] وحارب الإسلام بكل

---

(١) المثالب، هشام بن الكلبي ١٣٩، معجم البلدان، الحموي ٢ / ٢٤٢، ٥ / ١٨٥، السيرة النبوية، ابن كثير ١١٧/١.

(٢) المعارف ٥٧٦ طبعة دار الكتب ١٩٦٠، مختصر تاريخ دمشق ٥ / ٢٥٤.

(٣) البحار ٢٩ / ١٦٧.

(٤) شرح النهج ٢ / ٣١ - ٣٤.

(٥) أنساب الاشراف ١ / ٥٨٨ .

(٦) سيرة ابن هشام ٢ / ٣١٦ - ٣١٩، التبيان في تفسير القرآن ٣ / ٤٦٣، حلية الابرار، البحراني ١ / ١١٣.

(٧) الحجر ٩٥.

(٨) الروض الأنف ٢ / ٢٧٩.

(٩) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٤٤.

امكاناته وقدراته، واشترك في محاولة قتل رسول الله ﷺ [١].

وأنطلق كفرة قريش وبني أُميّة لتنزيه صورة حكيم بن حزام فأدعوا أن ولادته في الكعبة الشريفة [٢] في حين لم يوفق الله تعالىٰ شخصاً للولادة في بيته الحرام سوى علي بن أبي طالب [٣] والذي دفعهم لذلك موبقات هذا الرجل الكثيرة قبل الإسلام في محاربته للرسول ﷺ وهزيمته بالمسلمين في حنين بعد اسلامه الصوري في فتح مكّة، ودفاعه المستميت عن بني أُميّة في ملوكيّتهم.

ومشاركته مع أبيه في حرب الفجار، واحتكاره المال بعد فتح مكّة، وامتناعه من مبايعة أمير المؤمنين علي ﵇ بعد بيعته وغيرها من المثالب [٤].

وحاول معاوية تمجيد حرب بن أميّة فروىٰ له جنوده بانه أول من أدخل الكتابة الىٰمكّة[٥]. بينما كان النبي إسماعيل ﵇ هو أول من أدخل الكتابة إلىٰ مكّة[٦].

وكذبوا في ادعائهم اطعام حرب للحجيج في حين كان يستحوذ علىٰ اموال الغرباء وشارك في سرقة مال الكعبة [٧].

وحاولوا تنزيهه عن المشاركة في حرب الفجار في حين كان حرب بن أُميّة قائدها[٨].

---

(١) طبقات ابن سعد ١ / ٢٢٧، ٢٢٨.

(٢) قاموس الرجال ٣ / ٣٨٧.

(٣) نور الإبصار ٧٦، الفصول المهمة، ابن الصباغ ٢٩.

(٤) قاموس الرجال ٣ / ٣٨٧، شرح النهج ٢٠ / ١٤٧، مروج الذهب ٣٠ / ٨٦، طبقات ابن سعد ٤ / ١١.

(٥) تاريخ القرآن الكريم، محمد طاهر الكردي ١٣٢.

(٦) السيرة الحلبية ١ / ١١٨.

(٧) تاريخ ابن الأثير ٢ / ١٥، تاريخ ابن الوردي ١ / ٩٢.

(٨) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٥، تاريخ الخميس ١ / ٢٥٥، شواهد التنزيل، الحسكاني ٢ / ١٧٣، السيرة الحلبية ١ / ١٢٧، الدر المنثور ٤ / ٨٤.

الفصل الثامن

المبعث النبوي



التجارة مع خديجة

وعمل رسول الله ﷺ في تجارة خديجة مضاربة منها المال ومنه العمل، قال ابن إسحاق: وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال على مالها مضاربة[1]، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج لها في مال تاجراً إلى الشام، وتعطيه أفضل ما تعطي غيره من التجار مع غلام لها يقال له ميسرة، فقبل رسولُ الله ﷺ[2]. إذن عمل النبي ﷺ معها شريكاً وليس أجيراً.

وقال اليعقوبي: لم يعمل ﷺ أجيراً لأحد قط[3].

وكان الرسول ﷺ أشرف نسباً وأرفع منزلة من سائر الناس، فهو ابن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف، وأجداده زعماء مكة وسادتها، وعليه تكون خديجة في حاجة للعمل مع رجل مثل النبي محمد ﷺ كي لا تضيع أموالها أولاً ولتربح ثانياً.

وكان رجال قريش يحسدون الرسولَ ﷺ على جميع خصاله الحميدة، وما وهبه

---

(١) دلائل النبوة، الاصبهاني ١٧٨.

(٢) البداية والنهاية ٢/٣٥٨، كشف الغمة ٢/١٣٤، البحار ١٦/٩.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/٢١.

الله تعالى من نسب ومنزلة فلقبيلته الحكومة والرفادة والسقاية.

واستبعد توسط أبي طالب عند خديجة لتعمل مع رسول الله ﷺ، فسيد البطحاء وابن هاشم أرفع مكانةً وأعلى شأناً من ذلك، بل هي التي طلبت ذلك كما جاء في الرواية الصحيحة وبعد عودتها من الشام دُهِشت خديجة من كثرة أرباح تجارتها أولاً وتعجبت من حكايات سفرهما (الرسول ﷺ وميسرة) ثانياً. فقد قصّ لها غلامها ميسرة حديث بحيرى الراهب، وكرامات رسول الله في الطريق. ووضّح لها ما شاهده من أخلاقه الباهرة، وآدابه الرفيعة فمالت إليه خديجة في الزواج[1].

وكانت خديجة قد سمعت بمعجزة أصحاب الفيل السماوية وبشارة ورقة بن نوفل برسول الله ﷺ وسمعت قول اليهودي لها ولصواحبها في مكة:

إذ جاء يهودي إلى نساء قريش في المسجد فقال: يا معشر قريش إنّه يوشك فيكن نبي قرب ظهوره، فأيتكن استطاعت أن تكون فراشاً له فلتفعل، فحصبته النساء وقبحنه وأغلظن له، وأصغت خديجة لقوله، ووقع ذلك في نفسها، فلما أخبرها ميسرة بما رآه من الآيات، وما رأته هي، وما قاله لها ورقة لما حدثته بما حدّثها به ميسرة، قالت: إن كان ما قاله اليهودي حقاً ما ذاك إلاّ هذا[2].

الزواج من خديجة

كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي معروفة في مكة بالعفة والجمال والغنى والعقل والحكمة، فسميت بسيدة قريش والطاهرة[3].

والمرأة التي تمتلك هذه الصفات يسعى الرجال للزواج منها لكنها رفضت كل

(١) البداية والنهاية ٢/٣٥٨.

(٢) السيرة الحلبية ١/١٤٠.

(٣) تاريخ الاسلام، الذهبي ٢/١٥٢، الإستيعاب ٤/٢٧٩، سير اعلام النبلاء ٢/١١١، الروض الأنف ١/٢١٥، الإصابة ٤/٢٨١، ٢٨٢، البداية والنهاية ٢/٢٩٤، تاريخ الخميس ١/٢٦٤الطبقات ١/١٣١.

الخاطبين لها، ثم تقدمت إلى النبي محمد ﷺ ليخطبها. فكلمت هالة أخت خديجة عمار بن ياسر، الذي أخبر بدوره رسول الله ﷺ بخطبة خديجة له[١].

فذهب أبو طالب خاطباً لرسول الله ﷺ[٢] إلى عمها عمرو بن أسد اثر مقتل أبيها في حرب الفجار[٣].

وكانت خديجة قد ردَّت الخاطبين القرشيين وغيرهم لها، وعلى رأسهم أبو سفيان، وأبو جهل، وعقبة بن أبي معيط[٤].

فتمَّت الموافقة، وحصل الزواج بينهما[٥]. فحسدت نساء قريش خديجة لزواجها بأفضل وأكمل وأشرف الناس محمد بن عبدالله ﷺ.

وحسد الطغاة رسول الله ﷺ لزواجه بسيدة نساء قريش المسماة بالطاهرة المرأة الشريفة الغنية العفيفة.

ومن صور حسد طغاة قريش لرسول الله ﷺ، تصويرهم مبعثه ببطولة ورقة بن نوفل، بمجيء خديجة بزوجها إلى ورقة بن نوفل خائفاً متردداً حائراً! فأخبره ورقة بن نوفل بان ذلك الناموس الأكبر الذي نزل على عيسى عليه السلام!

والحقيقة أن النبي ﷺ كان عارفاً بنبوته منذ طفولته شأنه شأن عيسى عليه السلام الذي قال في مهده: ﴿آتاني الكتاب وجعلني نبياً﴾[٦].

وكان النبي ﷺ يعبد الله تعالى في غار حراء انتظاراً لنزول القرآن الكريم، ومن المضحك ادعاء معرفة الكهان والرهبان والملوك بنبوة محمد ﷺ ولا يعرف هو بذلك!

---

(١) تاريخ الخميس ١/٢٦٣، السيرة الحلبية ١/١٣٧، البداية والنهاية ٢/٢٩٤، السيرة النبوية لابن هشام ١/٢٠١، الطبقات ١/١٣١.

(٢) السيرة الحلبية ١/١٣٨.

(٣) سيرة ابن هشام ١/٢٠١، السيرة الحلبية ١/١٣٨، البحار ١٦/١٢، البداية والنهاية ٢/٢٩٦.

(٤) البحار ١٦/٢٢.

(٥) عيون الأثر ١/٧١، البدء والتاريخ ٢/٤٨.

(٦) مريم ٣٠.

ومن المفيد جداً ذكر خطبة الزواج التي قالها أبو طالب لمعرفة إيمان بني هاشم بالتوحيد والنبوة قبل البعثة وجاء فيها:

«الحمد لرب هذا البيت، الذي جعلنا من زرع إبراهيم وذرية إسماعيل وأنزلنا حرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس، وبارك لنا في بلدنا الذي نحن فيه. ثم إن ابن أخي هذا ـ يعني رسول الله ﷺ ـ ممن لا يوزن برجل من قريش إلّا رجح به، ولا يقاس به رجل إلّا عظم عنه، ولا عدل له في الخلق، وإن كان مقلاً في المال، فإن المال رفد جار، وظل زائل، وله في خديجة رغبة.

وقد جئناك لنخطبها إليك برضاها وأمرها، والمهر عليّ في مالي الذي سألتموه عاجله وآجله. وله ـ وربِّ هذا البيت ـ حظ عظيم ودين شائع ورأي كامل[1].

وهي تدل على سمو مرتبة الرسول ﷺ على خديجة من الناحية الشخصية، والقبلية، والنسبية، والدينية.

ولم يكن النبي ﷺ فقيراً في وقتها لأنّه عاد من سفرته التجارية من الشام رابحاً، ومما يؤكد ذلك ما جاء في رواية انه ﷺ أمهرها عشرين بكرة[2].

وأنا أميل إلى هذه الرواية الموافقة لما جاء في القرآن الكريم من كون المهر على الرجال دون النساء في قوله تعالى:

﴿... وَءَاتَيتم إحداهُنَّ قِنطَاراً فَلاَ تَأْخُذُوا مِنهُ شيئاً...﴾[3]

وقال شعيب ﷺ في قضية مهر ابنته التي تزوجها موسى ﷺ:

﴿قال إنّي أُريدُ أن أُنكِحَكَ إِحدى ابنَتَي هاتَينِ عَلَى أن تأجُرَني ثَمَاني

---

(١) السيرة الحلبية ١/١٣٩، تاريخ الخميس ١/٢٦٤، السيرة النبوية لدحلان ١/٥٥، البحار ١٦/١٤، المناقب ١/٤٢، المواهب اللدنية ١/٣٩.

(٢) السيرة النبوية، ابن كثير ١/٢٦٣، تاريخ الخميس ١/٢٦٥، السيرة النبوية، ابن هشام ١/٢٠١، الاوائل، العسكري ١/١٦١.

(٣) النساء ٢٠

حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِندِكَ، وما أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ...﴾[١]

وفي الرواية أمهرها النبي ﷺ خمسمائة درهم[٢] لذا قال العلامة الحلي: من تزوج على كتاب الله وسنّة نبيّه ولم يسم مهراً فمهرها خمسمائة درهم[٣] وهو مهر السنّة.

وقالوا: «إنَّ خديجة قد ردت بلطف مهر زواجها الذي دفعه أبو طالب ودفعته هي من مالها. فقال رجال: يا عجباً المهر على النساء للرجال!!

فغضب أبو طالب وقال: إذا كان مثل ابن أخي هذا طلبت الرجال بأغلى الأثمان، واعظم المهر، وإن كانوا أمثالكم لا يزوجوا إلّا بالمهر الغالي» وهو غير صحيح.

وبالرغم من كون الفقر لاعيب فيه، وإنَّ النبي ﷺ قد امتلأت يديه اثر عودته من تجارة الشام، وأصبح عمره خمساً وعشرين سنة، إلّا أن دولة الامويين افترت في وصف ذلك الزواج (حسداً منها) بزواج أيّم قريش من يتيم قريش![٤] بينما لفظ اليتيم لا يطلق على البالغ في السن.

وكان أبو طالب صائباً في رد أمثال هذه الترهات في قوله الحمد لله الذي جعلنا الحكام على الناس. إذ ورثوا الحكومة والسقاية والرفادة من زمن عبدمناف، وهاشم وعبدالمطلب. وهذه المكانة الاعتبارية تجعلهم فوق المال وفوق باقي الناس.

وصرحت عائشة قائلة: ما غِرْت على أحدٍ مثل ما غرت على خديجة[٥]، فأخذت بانتقاصها مراراً أمام النبي ﷺ، ولا يزداد النبي ﷺ من ذلك إلّا حباً وكرامة لها، [٦] وكرهاً لمنافساتها.

---

(١) القصص ٢٧.

(٢) البحار ٢٢ / ١٩٨، ٢٠٥.

(٣) قواعد الإسلام ٢ / ٧٣.

(٤) السيرة الحلبية ١/١٣٨، الاوائل، العسكري ١/١٦٠، ١٦١، مسند أحمد ١/٣١٢.

(٥) الروض الأنف، السهيلي ٢/٤٢٤.

(٦) البداية والنهاية ٣/١٥٨ ـ ١٦٠، الروض الأنف، السهيلي ٢/٤٢٤.

وجاء في الحديث الصحيح «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلّا أربع آسية زوجة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد»[١].

ولما قالت له عائشة: ما تذكر من عجوز حمراء الشدقين هلكت في الدهر قد أبدلك الله خيراً منها.

قال رسول الله ﷺ: ما أبدلني الله خيراً منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني اللهُ ولدها إذ حرمني أولاد النساء[٢].

وخالف ابن كثير رسولَ الله ﷺ في تفضيله خديجة على سائر نسائه وتبعه آخرون، واصفاً منهجهم قائلاً: تحملهم قوة التسنن على تفضيل عائشة لكونها ابنة الصديق![٣].

وماتت خديجة وعمرها قريب من خمسين سنة[٤]. بعد حصار شعب أبي طالب.

لقد حاول رواة بني أمية، والكتاب السائرون على نهجهم الحط من كرامة ومكانة رسول الله ﷺ في رضاعه وعمله وزواجه وغير ذلك، فذكروا امتناع حليمة وسائر المرضعات عن رضاعه ليتمه وفقره!

وفي زواجه من خديجة أُحدثوا نفس النهج بافترائهم سقي خديجة الخمر لعمها عمرو بن أسد ليوافق على زواجها من رسول الله ﷺ ثمّ غضب عمها من ذلك، ثم امضائه لزواجها[٥]. بينا قال أبن اسحاق بأن أخاها عمرو بن خويلد هو الذي

---

(١) تاريخ ابن الوردي ١/٩٩.

(٢) البداية والنهاية ٣/١٥٨.

(٣) البداية والنهاية ٣/١٥٩.

(٤) البداية والنهاية ٢/٣٥٩.

(٥) السيرة الحلبية ١/١٣٧ ـ ١٤١.

أنكحها منه ﷺ [1].

فالقرشيون ارادوا إهانة وقتل النبي ﷺ وخديجة معاً وفي الشعب منعوا عنهما وعن سائر بني هاشم الطعام مدة ثلاث سنين!

ولم يتزوج رسول الله ﷺ خديجة لمالها، بل لكمالها فقد بقي على حبه لها إلى ما بعد وفاتها مما أثار حفيظة وحسد بعض زوجاته. في حين تمنى رسول الله ﷺ وفاة عائشة السريع في حياته [2]

وثانياً إنّ خديجة هي التي طلبت يد رسول الله ﷺ فأقدم على خطبتها وليس العكس [3].

كانت خديجة عذراء

جاء في الرواية الصحيحة ان مريم بنت عمران وآسية زوجة فرعون وكلثم اخت موسىٰ ﷺ سيكونن زوجات النبي ﷺ في الجنّة وقد حمىٰ الله تعالىٰ هؤلاء النسوة عن أن يطأ هنّ أحد [4] اي كنّ باكرات.

وأيد الكثير من العلماء كون خديجة امرأةً باكراً عند زواجها من رسول الله ﷺ، وأنكروا زواجها من اثنين قبله ﷺ:

قال أبو القاسم الكوفي: «إنَّ الإجماع من الخاص والعام من أهل الآثار ونقلة الأخبار على أنه لم يبق من أشراف قريش ومن ساداتهم وذوي النجدة منهم إلّا من خطب خديجة، ورام تزويجها، فامتنعت على جميعهم من ذلك.

---

(١) الروض الأنف ٢ / ٢٤٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإسلام ٩ / ١٩٠.

(٣) السيرة الحلبية ١/١٣٧، سيرة ابن هشام ١/٢٠٠، ٢٠١، البداية والنهاية ٢/٢٩٤، تاريخ الخميس ١/٢٩٤.

(٤) السيرة الحلبية ١ / ٦٥.

فلمّا تزوجها رسول الله ﷺ غَضب عليها نساء قريش وهجرنها وقلن لها: خطبك أشراف قريش وأمراؤهم فلم تتزوجي أحداً منهم وتزوجت محمداً يتيم أبي طالب، فقيراً لا مال له.

فكيف يجوز في نظر أهل الفهم أن تكون خديجة يتزوجها أعرابي من تيم، وتمتنع من سادات قريش، وأشرافها على ما وصفناه! ألا يعلم ذوو التمييز والنظر: أنه من أبين المحال، وأفظع المقال!»[1].

ولا يوجد ضعة في شخصية خديجة لو كانت قد تزوجت رجلاً قبل رسول الله ﷺ وولدت منه زينب ورقية كما يقولون، فلقد تزوج النبي ﷺ لاحقاً بنساء ثيبات مثل أم سلمة وحفصة وزينب.

ولم يتزوج عليها رسول الله ﷺ حتى ماتت احتراماً لمكانتها العظيمة، وكانت خديجة عند زواجها من رسول الله ﷺ بنتاً بكراً غير ثيب وأجمل نسائه ﷺ[2].

فقد قال البلاذري إنّها تزوجت الرسول ﷺ وكانت عذراء، وكانت رقية وزينب ابنتي هالة أخت خديجة[3].

وقال الاصبهاني: كانت خديجة امرأة باكراً[4].

وإذا كانت خديجة قد ردت خطبة أبي جهل، وأبي سفيان، وعقبة بن أبي معيط فكيف تزوجت برجلين نكرتين هما عتيق بن عائذ بن عبدالله المخزومي، وأبي هالة التيمي[5].

---

(١) الإستغاثة، الكوفي ١/٧٠، مناقب آل أبي طالب ١/١٥٩.

(٢) وقد أكّد ذلك المرتضى في الشافي والبلاذري وأبو القاسم الكوفي.

(٣) مناقب آل أبي طالب ١/١٥٩.

(٤) دلائل النبوة، الاصبهاني، ١٧٨ ط. دار طيبة - الرياض.

(٥) الأوائل ١/١٥٩، قاموس الرجال ١٠/٤٣١، السيرة الحلبية ١/١٤٠، أسد الغابة ٥/١٣١٢، ٧١.

وفي كتاب الإستغاثة رد أبو القاسم الكوفي قضية زواجها من عتيق وأبي هالة[١].

والحقيقة تتمثل في زواج الرجل المخزومي من هالة أخت خديجة فولدت له زينب ورقية، فمات المخزومي عنها وضمتهما خديجة إليها، ثم ماتت هالة. فأصبحت زينب ورقية ربائب رسول الله ﷺ[٢].

وهذه عادة معروفة عند العرب قبل الإسلام في قضية الربيب والحليف إذ سمي زيد بن حارثة بزيد بن محمد ﷺ، وسمي المقداد بن عمرو بالمقداد بن الأسود، والأسود حليفه!

إن إصرار الأمويين على اختراع رابطة زواج عثمان الأموي ببنت رسول الله ﷺ أوجد كل هذا الخلط والتشويش في قضية بنات هالة.

وهناك قضية أخرى لها تأثير في الموضوع تتمثل في رغبتهم في جعل عائشة الزوجة الباكر الوحيدة لرسول الله، والمقربة الأولى له ﷺ.

وقالوا بعدم دخول خديجة قصور الجنة ودخولها بيتاً من قصب! إذ جاءوا برواية مرسلة أنّه بشرها ببيت من قَصَب لا صَخَب فيه ولا نَصَب[٣].

أي بيت من قصب لا أثاث فيه ولا زينة؟! وهل يوجد في الجنة بيت من قصب؟! وكيف يكون هذا جزاؤها على ما بذلته من أموال وجهود ومشاق في سبيل الله تعالى.

ويبطل عجبنا إذا علمنا أنّ قريشا قد فعلت أقبح من ذلك مع ابنتها الوحيدة فاطمة عليها السلام ومع زوجها أمير المؤمنين علي عليه السلام.

---

(١) الإستغاثة ١/ ٧٠.

(٢) الإستغاثة، الكوفي ١/ ٦٨ ـ ٦٩.

(٣) رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجال أحمد هم رجال البخاري ومسلم غير ابن اسحاق.الروض الأنف، السهيلي ٢/ ٤٢٤.

سن رسول الله ﷺ وخديجة عند الزواج

تزوج رسول الله ﷺ وعمره ٢٥ سنة[١]. وحمزة أكبر منه ﷺ سناً بأربع سنين والعباس أكبر منه ﷺ سناً بثلاث سنين[٢].

وتزوج رسول الله ﷺ خديجة وعمرها ٢٥ سنة[٣]. لطهارتها وعفتها ونسبها

---

(١) وقد ايد ذلك محمد بن اسحاق وابن هشام والواقدي والبلخي وابن عساكر والحلبي، السيرة الحلبية ١٣٩/١، مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر ٢٧٥/٢، البدء والتاريخ ٤٨/٢.

وقال الزهري: عمره إحدى وعشرون سنة، عيون الأثر ٦٩/١، تاريخ الخميس ٢٦٤/١ مجمع الزائد ٢١٩/٩، المواهب اللدنية ٣٨/١، ٢٠٢.

وقال أبو بكرة بن عثمان: ثلاثون سنة، عيون الأثر ٦٩/١، الروض الأنف، سيرة مغلطاي ١٢، مختصر تاريخ دمشق ٢٧٥/٢.

وجاء تزوج ﷺ وعمره خمس وثلاثون سنة، الأوائل ١٦١/١.

و تزوج ﷺ وعمره سبع وثلاثون سنة، سيرة مغلطاي، مجمع الزوائد، ٢١٩/٩ الأوائل ١٦١/١.

(٢) الروض الأنف ١٧٦/١، السيرة الحلبية ٣٦/١، شرح بهجة المحافل ٣٥/١.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير ٢٩٤/٢، ٢٩٥، السيرة الحلبية ١٤٠/١، دلائل النبوة، البيهقي طبع دار الكتب العلمية ٧١/٢، محمد رسول الله سيرته وأثره في الحضارة ٤٥.

وقد اختلفوا في سنها حين زواجها:

١ ـ ٢٥ سنة.

٢ ـ ٢٨ سنة، أنساب الاشراف ٩٨، سيرة أعلام النبلاء ١١١/٢، مختصر تاريخ دمشق ٢٧٥/٢ شذرات الذهب ١٤/١، تهذيب تاريخ دمشق ٣٠٣/١، البحار ١٢/١٦ بهجة المحافل ٤٨/١المستدرك، الحاكم ١٨٢/٣، سيرة مغلطاي ١٢، المحبر ٧٩، تاريخ الخميس ٢٦٤/١تهذيب الاسماء ٣٤٢/٢، السيرة الحلبية ١٤٠/١.

٣ ـ ٣٠ سنة، تاريخ الخميس ٢٦٤/١، تهذيب تاريخ دمشق ٣٠٣/١، السيرة الحلبية ١٤٠/١سيرة مغلطاي ٢٣.

٤ ـ ٣٥ سنة، السيرة النبوية، ابن كثير ٢٦٥/١، السيرة الحلبية ١٤٠/١، البداية والنهاية ٢٩٥/١.

٥ ـ ٤٠ سنة أنساب الاشراف ٩٨، المحبر ٤٩، سيرة مغلطاي ١٢، المواهب اللدنية ٣٨/١، ٢٠٢ شذرات الذهب ١٤/١، أسد الغابة ٨٠/٧، تاريخ الاسلام، الذهبي ١٥٢/٢، تهذيب الأسماء ٣٤٢/٢، الطبقات ١٣٢/١، السيرة النبوية، دحلان ٥٥/١، البحار ١٢/١٦، ١٩السيرة الحلبية ١٤٠/١.

٦ ـ ٤٤ سنة، تهذيب تاريخ دمشق ٣٠٣/١.

وكمال عقلها[١].

أي أن خديجة ماتت وعمرها خمسون سنة، قضت منه خمساً وعشرين سنة مع رسول الله ﷺ: خمس عشرة سنة قبل البعثة وعشر سنوات بعد البعثة.

هالة بنت خويلد

هالة أخت خديجة بنت خويلد تزوجت في الجاهلية عتيق بن عائذ بن عبدالله المخزومي، فولدت له زينب ورقية، ثم مات عتيق وهالة.

فبقيت زينب ورقية في حضن خالتهما خديجة، فأصبحتا ربيبتي رسول الله ﷺ بزواجه من خديجة[٢]. وكان أبوها خويلد بن أسد قد قُتِلَ في حرب الفجار [٣].

المخزومي والتميمي رجل واحد أم اثنان؟

هناك أدلة تثبت أنّ المخزومي والتميمي رجل واحد وليسا اثنين منها:

جاء أنّ هالة بنت هالة بنت خويلد من زوجها عتيق المخزومي فتكون كنية المخزومي أبا هالة في حين نجد أنّ التميمي يكنى أبا هالة! فكنيتهما واحدة.

ولم يتفقوا على زوجها الأول هل هو المخزومي أم التميمي؟[٤].

وقالوا في اسم وكنية أبي هالة التميمي هند وأبي هند، وجاء عن ابن عتيق اسمه

← ٧ ـ ٤٥ سنة تهذيب الأسماء ٢/٣٤٢، تاريخ الخميس ١/٣٠١، مختصر تاريخ دمشق ٢/٢٧٥ السيرة الحلبية ١/١٤٠، سيرة مغلطاي ١٢.

٨ ـ ٤٦ ـ سنة، انساب، الاشراف ٩٨.

(١) الإصابة ٤/٢٨١، الروض الأنف ١/٢١٥، البداية والنهاية ٢/٢٩٤، الثقات ١/٤٩.

(٢) الإستغاثة، الكوفي ١/٦٨، ٦٩، مناقب آل أبي طالب ١/١٥٩، وقد أخذ عنه المجلسي في البحار والمامقاني. وذكره البلاذري، البحار ٢٢ / ١٥٢.

(٣) سيرة ابن هشام ١ / ٢٠١، السيرة الحلبية ١ / ١٣٨، البحار ١٦ / ١٢، البداية والنهاية ٢ / ٩٢٦.

(٤) الأوائل، العسكري ١/١٥٩.

هند وهو أبو هند، فالإثنان كنيتهما أبو هند أيضاً[١].

وهند ابن المخزومي[٢].

وجاء أنّ الرجلين ماتا في ظروف غامضة.

والصحيح أنّه رجل واحد مات قبل زوجته هالة[٣].

لقد سعى أولاد وحفدة الزبير بن العوام (عروة بن الزبير ومصعب الزبيري والزبير بن بكار) لإبعاد خديجة عن كونها باكراً في زواجها من رسول الله وإبقاء خالتها عائشة بصفة الباكر الوحيدة.

وأعتقد أنّ الزبير بن بكار كان مختلقاً لشخصية أُم كلثوم، جاعلاً منها إبنة لعلي بن أبي طالب ﷺ وفاطمة ﷺ، وزوّجها عمر بن الخطاب![٤].

وساهم اولاد الزبير في انتساب رقية وام كلثوم لرسول الله كذبا،ليكون عثمان بن عفان وعمر بن الخطاب أصهاراً لرسول الله ﷺ! حسداً من آل الزبير لعلي بن أبي طالب ﷺ، صهر النبي الوحيد

إذ لم يرغب آل الزبير، وآل أمية في أبقاء علي ﷺ، صهراً وحيداً للنبي ﷺ فاخترعوا صهرين آخرين له جاعلين من عثمان صهراً بنورين لإحراز افضليته على الآخرين لكونه أموياً! وستؤمن بذلك بعد مطالعة الصفحات القادمة انشاء الله.

وهذا التشويش والإضطراب والإختلاف واضح في قضية زواج خديجة من المخزومي والتميمي، مما يضعف تلك الروايات ويسقطها عن الاعتبار.

إنّ مظلومية خديجة لحقتها من كونها أمّاً لفاطمة ﷺ زوجة علي ﷺ فأصبحت هدفاً لطعون الخوارج والنواصب معاً. أليس كذلك؟

---

(١) سيرة مغلطاي ١٢.

(٢) نسب قريش، مصعب الزبيري ٢٢، قاموس الرجال ١٠/٤٣١، الإصابة ٣/٦١١، ٦١٢ أسد الغابة ٥/١٢، ١٣، ٧١.

(٣) راجع نسب قريش، مصعب الزبيري ٢٢.

(٤) قالوا عن الزبير بن بكار منكر الحديث ومن عداد من يضع الحديث، ميزان الاعتدال الذهبي ٢/٦٦.

فأتباع الخط الأموي رفعوا أقلامهم ضدّها كما رفع أسلافهم سيوفهم على محمد ﷺ وعلي ؑ في بدر وأحد والخندق والجمل وصفين والنهروان!

وجعلهم إيّاها متزوجة من ثلاثة رجال محاولة لأهانة شخصها الكريم بالرغم من صحة ذلك من الناحية الشرعية.

وقد اختلفوا في اسم أبي هالة التيمي هل هو النباش بن زرارة أو زرارة بن النباش أو هند أو مالك أو أبو هند![1].

إنّ هذا الاختلاف يقف دليلاً رصيناً لما ذهبنا إليه من أنّ المخزومي والتيمي رجل واحد لا إثنان فهو أبو هالة وزوج هالة بنت خويلد.

العبادة في حِراء

وكان عبدالمطلب قد رفض عبادة الأصنام ووحّد الله تعالىٰ[2] وركن إلى عبادة الله تعالى في غار حراء، وإطعام الطير والوحش هناك[3]. فكان يصعد حراء في شهر رمضان ويطعم المساكين جميع الشهر[4].

لذلك سمّته قريش بإبراهيم الثاني[5] فقال رسول الله ﷺ إنّ الله يبعث جدّي عبد المطلب امّةً واحدة في هيئة الأنبياء وزي الملوك[6]. فغار حراء يستحق الزيارة للعبادة فيه والسير علىٰ خطىٰ محمد ﷺ وأجداده.

وظاهر الأمر ان عبد مناف، وهاشم، وعبدالمطلب، وعبدالله، وأباطالب وسائر أجداد رسول الله ﷺ قد عبدوا الله عزّ وجلّ في غار حراء، وأصبح ذلك الغار

---

(١) سيرة مغلطاي ١٢، الأوائل، العسكري ١/١٥٩.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٠.

(٣) سيرة ابن دحلان ١/٢١، ٢٢.

(٤) تاريخ ابن الاثير ٢ / ١٥.

(٥) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١١.

(٦) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٤.

مقدساً مطهراً يستحق نزول القرآن الكريم فيه[١].

وكان رسول الله ﷺ يجاور بحراء في كل سنة شهراً، (وهو غار صغير في جبل النور الواقع في شمال غربي مكّة) فيذكر الله تعالىٰ ويزكّي نفسه من الكبر والرياء والحسد والعجب وحبّ الدّنيا. ويتفكر في خلق الله عزّ وجلّ.

وكان علي عليه السلام معه كالتابع والتلميذ[٢] يطعم في ذلك الشهر من جاءه من المساكين، فإذا قضى جواره من حراء كان أول ما يبدأ به إذا انصرف أن يأتي باب الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف به سبعاً أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته حتى جاءت السنة التي أكرمه الله تعالى فيها بالرسالة، فجاور في حراء في شهر رمضان ومعه أهله خديجة وعلي بن أبي طالب عليه السلام وخادم لهم فجاءه جبرئيل بالرسالة: اقرأ[٣].

وكان علي عليه السلام يعبد الله تعالى في حراء مع رسول الله ﷺ[٤].

أولاد خديجة من رسول الله ﷺ

ولدت خديجة من رسول الله ﷺ القاسم وبه كان يكنى ﷺ[٥]. وولدت له أيضاً عبدالله[٦]. ثم ولدت له فاطمة عليها السلام[٧].

وقالوا: إنّ زينب وأم كلثوم ورقية بنات خديجة من رسول الله[٨] وقد كذّبنا ذلك.

---

(١) السيرة النبوية، دحلان ١/٢٠، ٢١، ٢٢، المعارف ٧٠.

(٢) شرح النهج ١٣ / ٢٤٨.

(٣) البحار ١٥/٣٦٣.

(٤) نهج البلاغة ٣٠٠ـ٣٠١.

(٥) المواهب اللدنية ١/١٩٦.

(٦) المواهب اللدنية ١/١٩٦، البدء والتاريخ ٤/١٣٩، ٥/١٦.

(٧) المواهب اللدنية ١/١٩٦.

(٨) المصدر السابق.

وقال البعض إنّ هند ابن خديجة وهو ابن هالة، بل إنّ أبا هالة كنيته أيضاً أبو هند فاختلط عليهم![١].

وقال المقدسي: ولدت خديجة لرسول الله ﷺ عبدمناف في الجاهلية وولدت له في الإسلام غلامين وأربع بنات: القاسم وبه كان يكنى: أبا القاسم، فعاش حتى مشى ثم مات، وعبدالله مات صغيراً، وأم كلثوم، وزينب، ورقية، وفاطمة[٢].

وقال القسطلاني إنّها ولدت لرسول الله ﷺ اثني عشر ولداً كلهم ولد في الإسلام عدا عبدمناف[٣] ولم يحدد أسماءهم.

والحارث بن أبي هالة لا رابطة له بخديجة ونسبوه إليها وللتخلص من ذلك فقد ذكروه أول شهيد في الإسلام، قُتِل بعد بعثة رسول الله ﷺ!![٤].

بينما كان أول شهيد في الإسلام سمية أمّ عمار بن ياسر، ثم ياسر[٥].

من هو الصهر الوحيد للنبي ﷺ ؟

لقد أنزل بنو أمية نقمتهم وحقدهم على خديجة فلم يذكروها بخير بل جعلها راويتهم أبو هريرة في الجنة في منزل من قصب![٦]

ولو كانت خديجة أمّاً حقّاً لزوجتي عثمان الأموي رقية وأم كلثوم لأعطوها مكانتها اللازمة وأظهروا فضائلها!

ولكنهم حاولوا الإستفادة من جاه وشرف رسول الله ﷺ لصالح عثمان الأموي فجعلوه ذاالنورين! وانتقصوا من جانب آخر خديجة ورسول الله ﷺ حقداً منهم

---

(١) راجع نسب قريش، مصعب الزبيري ٢٢، سيرة مغلطاي ١٢.

(٢) البدء والتاريخ ١٣٩/٤، ١٦/٥.

(٣) المواهب اللدنية ١٩٦/١.

(٤) الإصابة ٢٩٣/١، الأوائل، العسكري ٣١١/١، ٣١٢، محاضرة الأوائل ٤٦.

(٥) صفين، المنقري ٣٢٥.

(٦) الروض الأنف، السهيلي ٤٢٤/٢.

عليها وعلى علي عليه السلام وفاطمة عليها السلام.

ولم يحتج عثمان في حياته بانه صهر النبي صلى الله عليه وآله ابداً، ولم يقل النبي صلى الله عليه وآله: عثمان صهري.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: يا علي أوتيت ثلاثاً لم يؤتهن أحد ولا أنا، أوتيت صهراً مثلي ولم أوت أنا مثلي.

وأوتيت صدّيقة مثل ابنتي، ولم أوت مثلها (زوجة).

وأوتيت الحسن والحسين من صلبك ولم أوت من صلبي مثلهما ولكنكم مني، وأنا منكم[1].

فهذا اوضح دليل علىٰ انه عليه السلام الصهر الوحيد للنبي صلى الله عليه وآله.

وقال عمر: لقد أوتي ابن أبي طالب ثلاث خصال لإن تكون لي واحدة منهن أحب إليّ من حمر النعم: زوّجهُ رسول الله صلى الله عليه وآله ابنته وولدت له و...[2] فلم يقل عمر: زوجهُ احدىٰ بناته بل قال زوّجهُ ابنته، وهذا يفضح سعة الهجمة الأموية علىٰ فضائل أهل البيت: وكثرة أكاذيبهم ولو كان عثمان صهراً للنبي صلى الله عليه وآله لما قال الرسول لعلي عليه السلام: أوتيت ثلاثاً لم يؤتهن أحد.

وقال الجوهري واصفاً قول الرسول صلى الله عليه وآله في الغدير: علي الرضى صهري فأكرم به صهراً[3].

ومن الأدلة الأخرى على كون علي عليه السلام صهراً وحيداً للنبي صلى الله عليه وآله:

عن أبي ذر الغفاري قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله تعالى اطلع إلى الأرض اطلاعة من عرشه ـ بلا كيف ولا زوال ـ فاختارني نبياً، واختار علياً صهراًوأعطى له

---

(١) مناقب الكشي مخطوط، المناقب، عبدالله الشافعي ٥٠ مخطوط، درر السبطين، الزرندي الحنفي ١١٤، مقتل الحسين، الخوارزمي ١/١٠٩، إحقاق الحق (قسم الملحقات) ٤/٤٤٤، ٥/٧٤مناقب ابن شهرآشوب ٢/٢٣٣.

(٢) الصواعق المحرقة الفصل ٣، الباب ٩، المستدرك، الحاكم ٣ / ١٢٥.

(٣) مناقب ابن شهرآشوب ٢/٢٣٣.

فاطمة العذراء البتول، ولم يعطِ ذلك أحداً من النبيين. واعطي الحسن والحسين ولم يعطِ أحداً مثلهما، وأعطي صهراً مثلي وأعطي الحوض، وجعل إليه قسمة الجنة والنار، ولم يعطِ ذلك الملائكة[1].

ولو كان عثمان صهراً للنبي ﷺ أيضاً لذكره!

إذن حشروا عثمان صهراً للنبي ﷺ كذباً وزوراً في زمن حكم معاوية والأمويين ولم ينطق بها عثمان ابداً في زمن حكمه.

وقال عبدالله بن عمر لأحد الخوارج: أمّا عثمان فكان اللهُ عفا عنه وأما أنتم فكرهتم أن تعفوا عنه. وأمّا علي، فابن عم رسول الله ﷺ وختنه، وأشار بيده، فقال هذا بيته حيث ترون[2].

فاقتصر ابن عمر على وصف علي عليه السلام بختن رسول الله، ولو كان عثمان ختنه أيضاً لذكره، ولأسرع البخاري إلى ذكر ذلك!

فيتوضح أنّه ختنه وصهره ﷺ من الأوصاف المخصوصة بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

والجدير بالذكر أن لقب ذي النورين قد اضفاه الأمويون متأخراً على عثمان، ولم يكن له ذكر في زمن النبي ﷺ والخلفاء. ففي زمن حكومة عثمان لم يكن له ذكر.

وفي أيام حصار المسلمين لبيت عثمان لم يحتج بنو أميّة وأعوان عثمان على الجماهير الغاضبة بلقب ذي النورين، ولو كان له واقع لاستخدمه الأمويون خير استخدام ولقاله عثمان لعائشة أثناء صراعهما الدامي والعنيف!

هل كانت فاطمة عليها السلام بنتا وحيدة للنبي ﷺ ؟

المطالع للسيرة النبوية بدقة يدرك وجود رابطة مصاهرة بين النبي محمد ﷺ

---

(١) ينابيع المودة ٢٥٥، إحقاق الحق (الملحقات ٧/١٨).

(٢) صحيح البخاري ٣/٦٨.

وعلي عليه السلام من خلال زياراته المتكررة لبيت فاطمة عليها السلام.

فبعد نزول آية التطهير بقي ستة أشهر يمر على بيت فاطمة عليها السلام ويقول: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة[١].

وذكر رسول الله فاطمة عليها السلام كثيراً في أحاديثه فقد قال: من تسرق قطعت يدها، ولو كانت فاطمة بنت محمد. وذكر كثيرون آلاف الروايات عن رابطة فاطمة عليها السلام بأبيها:

قال رسول صلى الله عليه وآله: فاطمة أمُّ أبيها[٢].

وروى ابن عباس ؛ انَّ النبي صلى الله عليه وآله كان إذ قَدِم من سفرٍ قَبَّل ابنته فاطمة عليها السلام[٣].

ولم نجد ذكراً لمروره صلى الله عليه وآله على بيت زينب ولا رقية ولا أم كلثوم!

وجاء عن ابن مسعود: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس وقد نحرت جزور بالأمس، قال أبو جهل: أيُّكم يقوم إلى سلا جزور[٤] بني فلان فيأخذه فيضعه في كتفي محمد إذا سجد؟

فانبعث أشقى القوم فأخذه، فلما سجد النبي صلى الله عليه وآله وضعه بين كتفيه فاستضحكوا، وجعل يميل على بعض وأنا قائم أنظر لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله.

والنبي صلى الله عليه وآله ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة عليها السلام، فجاءت وهي جُويرية، فطرحته عنه ثم أقبلت عليهم تشتمهم[٥].

فأين أم كلثوم؟

---

(١) سنن الترمذي ٢/٢٩، تفسير الطبري ٢٢/٥، مسند أحمد ٢/٢٥٢.

(٢) أسد الغابة ٧/٢٢٠، الإستيعاب ٤/٣٨٠.

(٣) أسد الغابة ٧/٢٢٤، مجمع الزوائد ٨/٤٢، ذخائر العقبى ٣٦.

(٤) لفافة الولد في بطن الناقة كالمشيمة.

(٥) صحيح مسلم ٤/٦٦ ح ١٧٩٤، صحيح البخاري ٣/١٣٩٩ ح ٣٦٤١، مسند أحمد ١/٦٨٨، دلائل النبوة، البيهقي ٢/٢٧٩ ـ ٢٨٠.

وقال المقدسي: كلّ ولد النبي ﷺ ولدوا في الإسلام[١].

وجاء عن معركة أحد: جرح وجه رسول الله ﷺ وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة ؓ بنت رسول الله تغسل الدم، وكان علي بن أبي طالب ؓ يسكب عليها بالمجن[٢].

وقدم رسول الله ﷺ من غزاة له فدخل المسجد فصلًّى فيه ركعتين وكان يعجبه إذا قدم أن يدخل المسجد فيصلي فيه ركعتين، ثم خرج فأتى فاطمة، فبدأ بها قبل بيوت أزواجه، فاستقبلته فاطمة ؓ وجعلت تقبّل وجهه وعينيه وتبكي[٣].

ففي كل هذه الأحاديث نجد علاقة الأبوة موجودة بين رسول الله ﷺ وفاطمة ؓ فقط ولا نجد ذكراً لهذه العلاقة بينه ﷺ وبين ربيبتيه زينب ورقية! لا في مكة ولا في المدينة!

وورد في رواية: جاءت فاطمة ؓ بكسرة خبز في معركة الخندق فرفعتها إليه، فقال: ما هذه يا فاطمة ؓ[٤].

وكان رسول الله ﷺ إذا سافر كان آخر عهده بإنسان من أهله فاطمة ؓ، وأول من يدخل عليه إذا قدم فاطمة ؓ[٥].

وأنّ فاطمة سلام الله عليها شكت ما تلق من أثر الرحى فأتى النبي ﷺ سبيٌ فانطلقت فلم تجده فوجدت عائشة فأخبرتها، فلما جاء النبي ﷺ أخبرته بمجيء

---

(١) البدء والتاريخ، المقدسي ٤/١٣٩، ٥/١٦.

(٢) صحيح البخاري ٤/١٤٩٦ ح٣٨٤٧، صحيح مسلم ٤/٦٤ ح١٧٩٠.

(٣) المستدرك، الحاكم ٣/١٦٩، ح٤٧٣٧، حلية الأولياء ٢/٣٠، المعجم الكبير، الطبراني ٢٢/٢٢٥ ح٥٩٥، مجمع الزوائد ٨/٢٦٢.

(٤) كنز العمال ١/٧٧، الطبقات ٨/٢٤، مجمع الزوائد ٨/٢٦٢.

(٥) مسند أحمد ٥/٢٧٥، سنن أبي داود ٤/٨٧ ح٤٢١٣، المستدرك ١/٦٦٤ ح١٧٩٨، ٣/١٦٩ ح٤٧٣٩، الصواعق المحرقة ١٠٩، ١٨٢، سنن البيهقي ١/٢٦.

فاطمة، فجاء النبي ﷺ اليها[1].

ومئات الأحاديث الأخرى المشابهة المثبتة لعلاقة الأبوة بين محمد ﷺ وابنته فاطمة ؑ، ولا يوجد مثل هذه الأحاديث بين النبي ﷺ من جهة وزينب ورقية من جهة أخرى.

فهل غفل الأمويون عن سيرة النبي ﷺ مع رقية وأم كلثوم، أم كان قصدهم إضفاء لقب ذي النورين على عثمان الأموي!

وإذا كانت أم كلثوم آخر من تزوج من بنات النبي ﷺ، وبقيت بنتاً تعيش مع أبيها كما يدَّعون، فلماذا لم نَرَ لها ذكراً مع رسول الله ﷺ مثلما جاء من الروايات في فاطمة ؑ وأبيها ﷺ؟!

وذكر رقية اقتصر على حياتها مع عثمان بن عفان وكذلك اقتصر ذكر زينب على حياتها مع أبي العاص.

ولا يوجد ذكر لأم كلثوم مع النبي ﷺ وعثمان، مما يبطل قضية وجود هذه المرأة في الدنيا! بل هي من مختلقات الأمويين. ولو كان لها وجود لخطبها الانصار والمهاجرون في المدينة، ولم يذكر ذلك احد! ولو كانت تعيش لوحدها مع رسول الله ﷺ في المدينة لذكرت الروايات سيرتها في المدينة معه بنصوص صحيحة.

رقية وأُم كلثوم امرأة واحدة أم اثنتان؟

لقد حاول الأمويون تبعاً لسياسة معاوية في إضفاء الفضائل على عثمان اختراع مناقب في هذا المجال. ومن هذه المناقب لقب ذي النورين على تقدير زواج عثمان من ابنتي رسول الله ﷺ رقية وأُم كلثوم.

وبسبب هذا الهدف المنشود خبط الرواة خبط عشواء في هذا السبيل لوضع تلك

---

(١) صحيح البخاري ٣/١٣٥٨ ح٣٥٠٢، وص١١٣٣ ح٢٩٤٥، صحيح مسلم ٥/٢٦٢ ح٢٧٢٧، سنن أبي داود ٤/٣١٥ ح٥٠٦٣، حلية الأولياء ٢/٤١.

المنقبة فاختلفوا في رواياتهم اختلافاً شديداً.

وهذا الموضوع يدخل ضمن أمر معاوية بايجاد مناقب لعثمان بن عفان، وأبي بكر، وعمر لمنافسة بني هاشم وبالخصوص أهل البيت ﷺ[١].

لقد اخترعت السياسة امرأتين بأسم أم كلثوم، الأولىٰ جعلتها بنتاً لرسول الله ﷺ وزوجوها من عثمان بن عفان الأموي.

والثانية صنعتها يد الزبير بن بكار، وجعلتها بنتاً لعلي وفاطمة ﷺ وزوجها من عمر بن الخطاب.

قال المفيد: إنَّ خبر تزويج عمر من أم كلثوم غير ثابت لأنه من الزبير بن بكار[٢].

ومن الروايات المزيفة رواية زواج عتبة وعتيبة ابني أبي لهب بأم كلثوم ورقية[٣] لأثبات وجود بنت للرسول اسمها أم كلثوم.

والحقيقة تتمثل في زواج عتبة وأبي العاص بن الربيع برقية وزينب ربيبتي رسول الله ﷺ. فقد جاء في رواية صحيحة:

«قد زوَّج رسول الله ﷺ ابنتيه قبل البعثة كافرين يعبدان الأصنام أحدهما عتبة بن أبي لهب، والآخر أبو العاص بن الربيع.

فلما بُعث النبي ﷺ فرّق بينهما فمات عتبة على الكفر، وأسلم أبو العاص فردها عليه بالنكاح الأول»[٤].

وجاء في كتابي الانوار والبدع أن رقية وزينب كانتا ابنتي هالة أُخت خديجة[٥].

---

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣/١٦٢، الإستيعاب ١/٦٥، الإصابة ١/١٥٤، تاريخ الطبري ٦/٧٧، مختصر تاريخ دمشق ٣/٢٢٢، الأغاني ١٥/٤٤، شرح النهج ١/١١٦.

(٢) المسائل السروية، المسألة العاشرة.

(٣) الدر المنثور ٦/٤٠٩، أسد الغابة ٥/٤٥٦، نسب قريش ٢٢.

(٤) عدة رسائل للشيخ المفيد ص٢٢٩، المسائل السروية، المسألة العاشرة، خرج عتبة بن أبي لهب من مكة الى المدينة مستخفياً لقتل رسول الله ﷺ فقتله أسد في الطريق البحار ١٧ / ٤١٢.

(٥) البحار ٢٢ / ١٩١.

وفي رواية: تزوجت رقية عثمان بن عفان وهاجرت معه إلى الحبشة في السنة الخامسة من البعثة وكانت حاملاً، ثم رجعت معه إلى المدينة وماتت هناك[١].

وفي رواية أخرى تزوج عثمان رقية في مكة ثم ماتت في المدينة مرجع المسلمين من غزوة بدر، فتزوج بعدها أمّ كلثوم وماتت في سنة ثمان، وقيل ماتت ولم يبن بها عثمان[٢].

وبسبب عدم وجود حقيقة لتلك المرأة فقد قالوا بموتها المبكر في السنة الثامنة!

ومن أدلة عدم وجود امرأة بأسم أم كلثوم ما يلي:

قال البلاذري: إنّ خديجة تزوجت رسول الله ﷺ وهي عذراء، وكانت رقيّة وزينب ابنتي هالة اخت خديجة [٣]

لما هاجر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ إلى المدينة اصطحب معه الفواطم وأم أيمن وجماعة من ضعفاء المؤمنين[٤].

فأين كانت أم كلثوم؟ أم أنّ خديجة ولدتها في المدينة!!

وللهرب من عدم وجود سيرة لأم كلثوم في مكة فقد جعلوها أصغر بنات النبي ﷺ إذ جاء:

كانت فاطمة وأختها أم كلثوم أصغر بنات رسول الله ﷺ، وأختلف في الصغرى منهما، وقال ابن السراج: سمعت عبدالله الهاشمي يقول: ولدت فاطمة في سنة إحدى وأربعين من مولد النبي ﷺ[٥].

ولما أنكرت السيرة النبوية ذكر طفولة أم كلثوم في بيت النبي ﷺ في المدينة فقد

(١) الإصابة ٤/٣٠٤، ٤٩٠ نهاية الإرب ١٨/٢١٢، ٢١٤، تهذيب تاريخ دمشق ١/٢٩٨.

(٢) قاموس الرجال ١٠/٤٠٦، تنقيح المقال ٣/٧٣، ٧٤ عن قرب الاسناد.

(٣) مناقب آل أبي طالب ١ / ١٥٩.

(٤) السيرة الحلبية ٢/٥٣.

(٥) الإستيعاب بهامش الإصابة ٤/٣٧٣، ٣٧٤، نهاية الإرب ١٨/٢١٣.

قدَّمها البعض في العمر على زينب ورقية وفاطمة![1] فجعلوا رقية هي الأصغر من الكل حتى من فاطمة ﷺ[2].

أي حار الكتّاب المتأخرون في عمر أُم كلثوم وعدم زواجها وبقائها في العشرين من عمرها تنتظر موت اختها رقية ليتزوجها عثمان فيصبح ذا نورين!

وجاء عن المقدسي قوله: كل ولد النبي ﷺ ولدوا في الإسلام عدا عبدمناف فإنه ولد في الجاهلية[3] وطبقاً لهذا القول يستحيل ان تكون زينب ورقية من بنات رسول الله ﷺ لانهما تزوجتا عثمان وأبا العاص في الجاهلية.

وإذا قلنا بولادتهما بعد المبعث فيستحيل تزويج رسول الله ﷺ زينب لأبي العاص الكافر، ويستحيل أن يتزوج عثمان رقية وعمرها دون السنة الخامسة من العمر!

والحقيقة التي عليها معظم العلماء والرواة أن فاطمة أصغرهن سناً[4]. فولادة فاطمة ﷺ في السنة الخامسة من البعثة[5].

والصحيح أنّ عتبة بن أبي لهب طلق زوجته رقية بعد المبعث النبوي فتزوجها عثمان بن عفان، وبقي أبو العاص بن الربيع مع زوجته زينب ربيبة رسول الله ﷺ طول مدة بقاء النبي ﷺ في مكة ولم يطلقها رغم طلب طغاة قريش ذلك.

---

(١) المواهب اللدنية ١/١٩٦.

(٢) الإستيعاب بهامش الإصابة ٤/٢٩٩، ٢٨٢ البداية والنهاية ٢/٢٩٤، نسب قريش ٢١مختصر تاريخ دمشق ٢/٢٦٣، ٢٦٤، الدر المنثور ٦/٤٠٤، السيرة الحلبية ٣/٣٠٨الإصابة ٤/٣٠٤، دلائل النبوة البيهقي ٢/٧٠، تاريخ الخميس ١/٢٧٣، الوفاء ٦٥٦.

(٣) البدء والتاريخ ٤/١٣٩، ٥/١٦، المواهب اللدنية ١/١٩٦.

(٤) الأوائل، العسكري ١/١٦٦، الروض الأنف ١/٢١٥، السيرة الحلبية ٣/٣٠٨، تاريخ الخميس ١/٢٧٢، بهجة المحافل ٢/١٣٧، ذخائر العقبى ١٥٣.

(٥) البحار ٤٣/١ ـ ١٠ عن الكافي مروج الذهب ٢/٢٨٩، الأثبات الوصية، المسعودي، ذخائر العقبى ٥٢، تاريخ الخميس ١/٢٧٨.

وفي معركة بدر أسر أبو العاص بن الربيع، فاتفق معه رسول الله ﷺ على طلاق زينب لأنها مسلمة وهو كافر فأخلى سبيلها وأرسلها إلى المدينة[١].

وجاء عن زواج عثمان برقية: إنَّ عثمان «تعاهد مع أبي بكر: لو زوَّج مني (الرسول ﷺ) رقية لأسلمت» وذلك بعد أن بشرته كاهنة بنبوة رسول الله ﷺ[٢].

أي أن شرط دخول عثمان الإسلام تزويجه رقية، فتألفه رسول الله ﷺ مثلما تألف الكثير بالأموال وغيرها.

ولأن عثمان أسلم في سبيل الدنيا بخبر كاهنة وزواج من بنت جميلة بقي مكبّاً عليها تاركاً للجهاد فاراً من الحرب نابذا للعدالة في توزيع الأموال والمناصب الحكومية كارهاً لرسول الله ﷺ وأهل بيته، محباً لبني أميّة الزائغين عن الدين مضحيّاً بنفسه في ذلك الطريق!

وكانت رقية ذات جمال رائع[٣]. وعثمان رجل مغمور.

وبعد معركة أحد بقي معاوية بن المغيرة الأموي في المدينة يتجسس أخبار المسلمين، فذهب ليلاً للاختفاء في بيت عثمان بن عفان الأموي، وفي البيت رقية ربيبة رسول الله ﷺ، فأخفاه عثمان وعرفت رقية ذلك!

فنزل جبرائيل من السماء وأخبر النبي ﷺ بالقضية، فأرسل ﷺ جماعة من المسلمين إلى بيت عثمان فجاءوه بمعاوية بن المغيرة.

فطلب عثمان من النبي ﷺ العفو عنه وإمهاله ثلاثة أيام، فوافق النبي العطوف ﷺ على ذلك، فبقي معاوية في أطراف المدينة يتجسس فأرسل إليه الرسول ﷺ عليّاً فقتله.

فاعتقد عثمان بن عفان أنّ رقية هي التي أخبرت رسولَ الله ﷺ بأمر معاوية بن

---

(١) شرح النهج ١٤/١٩٢، الإصابة ٣/٥٩٨، أسد الغابة ٥/٣٨٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١/٢٢.

(٣) المواهب اللدنية ١/١٩٧، ذخائر العقبى ١٦٢، التبيين في أنساب القرشيين ٨٩، نور الإبصار ٤٤.

المغيرة، وليس جبرائيل مثلما يدَّعي رسولُ الله ﷺ تنكّراً منه لقول رسول الله ﷺ فقتلها ثم وطأ جاريتها قبل دفنها!

وأخبر جبرائيلُ النبيَّ ﷺ بذلك فمنعه من دخول قبرها قائلاً: لا يدخل قبرها مَنْ قارف (جامع) الليلة أهله[1].

فانتشر الخبر بين المسلمين وساءت سمعة عثمان في إخفائه لمعاوية في بيته وخيانته للمسلمين وقتله رقية ومنعه من دخول قبرها!

وللتستر على هذه القضية فقد صنع الأمويون لرسول الله ﷺ بنتاً اسمها أُم كلثوم وزوجوها من عثمان!!

ووضعوا رواية كاذبه على لسانه ﷺ: لو كنَّ عشراً لزوجتهنَّ عثمان![2].

وأراد الأمويون أيضاً تفضيل عثمان على بني هاشم والخلفاء والصحابة جميعاً! لكونه ذا نورين!

وقد توفيت زينب سنة ثمان للهجرة بالاتفاق، وتوفي أبو العاص بن الربيع بعد وفاتها بأربع سنوات، أي في السنة الثانية عشرة في خلافة أبي بكر[3].

الوليد الوحيد للكعبة

حصلت معجزات كثيرة في العصر النبوي الشريف علىٰ رأسها مقتل أصحاب الفيل القادمين لهدم الكعبة والمعاجز التي رافقت ولادة رسول الله ﷺ في كلامه وبركته وولادة وصيّه علي عليه السلام في جوف الكعبة والصفات الانسانية الراقية التي وهبها له الله تعالىٰ. واعقب ذلك انتصار الإسلام ودخول الناس في الدين افواجاً.

---

(١) الطبقات ٣٨/٨، مسند أحمد ١٢٦/٣، ٢٢٨، الحاكم ٤٧/٤، السيرة الحلبية ٢٩٠/٢، النزاع والتخاصم، المقريزي ٢٠، أنساب الأشراف ٣٣٧/١، ٣٣٨، الغدير ٩ / ٣٢٩.

(٢) الطبقات ٣٨/٨، سير أعلام النبلاء ٢٥٣/٢.

(٣) سير أعلام النبلاء ٣٣٥/١.

فكان علي ﷺ والكعبة معجزتان من معاجز الله سبحانه فقد انشق جدار الكعبة احتراماً لعلي ﷺ وبعد ثلاثين سنة صعد علي ﷺ علىٰ كتف رسول الله ﷺ وحطّم اصنام الكعبة [١].

ولد علي بن أبي طالب ﷺ بعد ولادة النبي ﷺ بثلاثين سنة أي قبل البعثة النبوية بعشر سنوات وهو المشهور[٢].

وقد ولد أمير المؤمنين ﷺ من شيخ الأبطح أبي طالب وفاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبدمناف.

وقال العلماء لم يولد أحد في جوف الكعبة قبل الإسلام وبعده غير علي ﷺ[٣].

وعندما جاءها المخاض ارسل الله لها صوتا بالذهاب الى الكعبة وعندما طافت بها انشق لها جدار الكعبة فدخلت في جوفها وولدت عليا ﷺ .

ذكر الحاكم في المستدرك على الصحيحين: «وقد تواترت الاخبار أن فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه في جوف الكعبة[٤].

---

(١) راجع تاريخ اليعقوبي ٢ / ٥٨ - ٦١، المستدرك ٣ / ٦.

(٢) الطبقات ٢١/٣، الكافي ٣٧٦/١، اعلام الورى ١٥٣، تاريخ الخميس ٢٨٦/١ الأرشاد المفيد ٩، مناقب آل أبي طالب ٧٨/٢، تاريخ الخلفاء ١٦٦، الفصول المهمة، ابن الصباغ ١٢الإستيعاب ٣٠/٣، سيرة ابن هشام ٢٦٢/١المستدرك، الحاكم ١١١/٣، المناقبالخوارزمي ١٧، ذخائر العقبى، البداية والنهاية ٢٦/٣، البحار ٧/٣٥.

واختلف الآخرون في سنة ولادته ﷺ منهم من قال ولد قبل البعثة بسبع سنين وقيل اثنتي عشرة سنة أو أكثر، التهذيب ٣٣٦/٧، تاريخ الخميس ٢٧٩/١، المعارف، ابن قتيبة ٥١، ذخائر العقبى ٥٨تاريخ بغداد ١٣٤/١، سنن البيهقي ٢٠٦/٦، أسد الغابة ١٦/٤ ـ ١٨ مجمع الزوائد ١٠٢/٩نهاية الإرب ١٨١/٨، فتح الباري ٥٧/٧.

(٣) المستدرك، الحاكم ٤٨٣/٣، كفاية الطالب، الكنجي الشافعي ٤٠٦، ٤٠٧، أسد الغابة ٣١/٤، نزهة المجالس ٢٠٤/٢، الآلوسي في سرح الخريدة الغيبية ١٥، شرح الشفا ١٥١/١، حياة أمير المؤمنين، محمد صادق الصدر ٣٠، الفصول المهمة، ابن الصباغ ١٢، مناقب الإمام أمير المؤمنين، ابن المغازلي ٧ السيرة الحلبية ١٣٩/١، تذكرة الخواص ١٠، مروج الذهب ٢/٢المناقب، محمد صالح الترمذي، آئينة تصوف ١٣١١.

(٤) المستدرك٣/٥٥٠ ح ٦٠٤٤.

وقال الشبلنجي: ولد رضي الله عنه بمكة داخل البيت الحرام يوم الجمعة ثالث عشر من رجب الحرام سنة ثلاثين من عام الفيل، قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة، وقيل بخمس وعشرين سنة، وقبل المبعث باثنتي عشرة سنة، وقيل بعشر سنين، ولم يولد في البيت الحرام قبله أحد سواه[١].

وقال أحمد بن عبدالرحيم الدهلوي الشهير بشاه ولي الله والد عبدالعزيز الدهلوي مصنِّف التحفة الاثني عشرية في كتابه إزالة الخفاء:

تواترت الأخبار أنَّ فاطمة بنت أسد وَلَدت أمير المؤمنين علياً ﷺ في جوف الكعبة فإنَّه ولد في يوم الجمعة ثالث عشر من شهر رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة في الكعبة، ولم يولد فيها أحدٌ سواه قبله ولا بعده[٢].

ومن الذين ذكروا ولادة علي بن أبي طالب ﷺ في الكعبة: المسعودي في مروج الذهب ٢/٢ وابن الجوزي في تذكرة خواص الأمة، والحلبي في السيرة النبوية ١٥٠/١ وعلي الحنفي في شرح الشفا ١٥١/١، وعبدالرحمن الصفوري الشافعي في نزهة المجالس ٢٠٤/٢ ومحمد مؤمن الشبلنجي في نور الابصار ٧٦ وحبيب الله الشنقيطي في كفاية الطالب ٣٧. ومن الشيعة: الحسن بن محمد بن الحسن القمي في تاريخ قم والشريف المرتضى في خصائص الأئمة، والشيخ المفيد في مسار الشيعة ٥١ ومئات المصادر الأخرى.

وقد حاول الزبير بن بكار (حسداً لمنزلة علي ﷺ في ولادته في الكعبة) ايجاد منقبة لاحد الصحابة توازي منزلة علي ﷺ تلك على خطى معاوية بن أبي سفيان، للانتقام من وصي المصطفى فانتخب عدواً لبني هاشم الا وهو حكيم بن حزام الطليق، الذي تلكّأ عن بيعة علي بن أبي طالب ﷺ (مع مجموعة زيد بن ثابت ومحمد

---

(١) نور الإبصار ٧٦، الفصول المهمة، ابن الصباغ ٢٩.

(٢) واخرج الرواية أيضاً محمود الآلوسي صاحب التفسير الكبير في كتاب سرح الخريدة في شرح القصيدة العينيّة لعبد الباقي افندي العمري ١٥.

بن مَسْلَمة) وكان عثمانياً متصلباً[١]. واختلق له فضيلة الولادة في الكعبة [٢].

وآل الزبير من المحاربين لأهل البيت ﷺ وكان عبدالله بن الزبير قدهمَّ باحراق بني هاشم جميعاً أثناء حكمه للحجاز[٣]. فحصر بني هاشم في بيت وجعل الحطب حوله بمستوىٰ جداره وخيرهم بين الموت بالنار والبيعة له! ولم يتورع عن احراقهم في داخل الحرم المكيّ[٤] ويشارك حكيم بن حزام بني الزبير في حقدهم على أهل البيت ﷺ وكلّهم من قبيلة بني عبد العزىٰ.

وبلغت عداوة حكيم بن حزام لبني هاشم درجة عالية إذ جاء: «لما كان يوم بدر جمعت قريش بني هاشم وحلفاءهم في قبّة وخافوهم، فوكلوا بهم من يحفظهم ويشدد عليهم منهم حكيم بن حزام![٥].

وقد خرج حكيم بن حزام وأبو سفيان وصفوان بن أميّة وعبدالله بن أبي ربيعة إلى معركة حنين لا لنصر الإسلام بل كما قال الواقدي: «ينظرون لمن تكون الدائرة واضطربوا خلف الناس والناس يقتتلون»[٦]. أي تسببوا في هزيمة المسلمين. فكانوا من المنافقين إلىٰ نهاية عمرهم.

والذي يقرأ مصادر هذه الحادثة يجد أنّه لم يولد في الكعبة أحد سوىٰ عليّ ﷺ، ومن البعيد ان يجمع الله تعالى هذه الفضيلة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وعدوه الطليق حكيم بن حزام وهو القائل على لسان نبيه ﷺ يا علي لا يحبك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق. واللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره وأخذ ل من خذله.

---

(١) قاموس الرجال ٣٨٧/٣.

(٢) تهذيب التهذيب ابن حجر ٣٨٤/٢

(٣) شرح النهج ١٤٧/٢٠، مروج الذهب ٨٦/٣ طبع الميمنية.

(٤) مروج الذهب ٣ / ٨٦ طبع الميمنية، البدء والتاريخ، البلخي ٢ / ٢٤٧، شرح النهج ٢٠ / ١٤٧.

(٥) طبقات ابن سعد ١١/٤.

(٦) مغازي الواقدي ٨٩٥/٢.

وتجتمع في حكيم بن حزام صفات الطليق الذي أكره على دخول الاسلام، وان أباه حزام بن خويلد ممن قُتِل في حرب الفجار الآخر [١] وكونه عثمانياً متصلباً، ومن المنحرفين عن علي بن أبي طالب عليه السلام، ومن قبيلة الزبير بن العوام وابن عمه[٢].

قد انفرد بهذه الرواية الزبير بن بكار وعمه مصعب بن عبدالله وهما من أبناء عبدالله بن الزبير بن العوام. وقال أحمدبن علي السليماني: إنّ الزبير بن بكار كان من عداد من يضع الحديث، وقال مرة عنه: منكر الحديث[٣].

ومات حكيم بالمدينة سنة أربع وخمسين، وبلغ ثراؤه انه باع داراً له من معاوية بستين ألف دينار![٤] وكان هذا المبلغ عظيماً بحيث ان معاوية عندما اشترى بيت حويطب بن عبدالعزى في المدينة باربعين ألف دينار استشرف لذلك الناس[٥] ولما استعظم الناسُ ذلك قال لهم معاوية: وما اربعون ألف دينار لرجل له خمس من العيال[٦]. واستنقص عبد الله بن الزبير حكيم بن حزام لبيعه دار الندوة من معاوية[٧]

وحب حكيم بن حزام للمال دفعه إلى احتكار الطعام على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله[٨].

وبينما جاهد الانصار والمهاجرون طيلة سنوات عديدة فقد بقي معظمهم يعيشون حالة الفقر والعوز، في حين كان رجال مكة يجمعون الأموال ويدعمون الكفر!

---

(١) تهذيب الكمال ٧ / ١٧٢.

(٢) الإصابة، ابن حجر ١/٣٤٩، الإستيعاب ١/٣٢٠ هامش الإصابة.

(٣) ميزان الاعتدال، الذهبي ٢/٦٦.

(٤) المعارف، ابن قتيبة ٣١١.

(٥) استَشْرَفَهُ حقه: ظلمه، أقرب الموارد ١/٥٨٥.

(٦) الاستيعاب، ابن عبدالبر، بهامش الإصابة ١/٣٨٤.

(٧) الإصابة ٢ / ٤٥.

(٨) وسائل الشيعة، كتاب التجارة ٣١٦.

وفي حنين أول معركة لطلقاء مكّة بعد إكراههم على دخول الإسلام ورغم انهزامهم من ساحة القتال، بقيت أعينهم تصبو للاستحواذ على الغنائم! وعلى رأس هؤلاء أبو سفيان وأبناؤه وحكيم بن حزام.

فقد قال حكيم بن حزام: سألت النبي ﷺ بحنين مئة من الأبل فأعطانيها، ثم سألته مئة فأعطانيها»![1] الظاهر أن كثرة أمواله مثيرة للشك فنسبوا بعضها إلىٰ عطايا رسول الله ﷺ كي يسكت الناس!

بينما عاد الانصار إلى المدينة بأيد خالية! وهم مسرورون بصحبتهم رسول الله ﷺ.

وفي أيام خلافة عثمان عندما أصبحت قضية الحصول على الأموال الطائلة أسهل من زمن النبي ﷺ وأبي بكر وعمر تحوّل حكيم بن حزام إلى المدينة والتف حول عثمان فكنز اموالاً طائلة بلا ورع ولا تقوىٰ. وقد جاء:

«وهو أحد النفر الذين حملوا عثمان بن عفان ودفنوه ليلاً»[2].

ثم ذهب حكيم بن حزام إلىٰ معاوية بن أبي سفيان رفيقه القديم في مكة أيام العمل سوية ضد محمد المصطفى ﷺ! فاعتنى معاوية والأمويون عناية خاصة بمجموعة الأربعة اشخاص الذين دفنوا عثمان[3]. وبالطليق حكيم بن حزام خاصّة.

وكان أموياً مخلصاً للخط الأموي مثلما كان مخلصاً لخط قريش في الجاهلية، وتلك الأعمال والصفات تكفي لإعطائه امتيازات الأمويين وأموالهم! اليس كذلك؟

وكيف لا وهو الذي حارب الحق في الفجار وبدر واحد والخندق وحنين وناصر حرب بن أميّة في الفجار وحفيده معاوية في الشام.

وبعد فترة زمنية عرفت سر حب قريش لام حكيم والمتمثل في كونها المحاربة

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٣٧/٧، طبقات ابن سعد ١٥٢/٢، مغازي الواقدي ٩٤٥/٢.

(٢) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٣٨/٧، طبقات ابن سعد ٧٨/٣، ٧٩.

(٣) طبقات ابن سعد ٧٨/٣، ٧٩.

والاسيرة الوحيدة في معركة بدر[١].

التربية النبوية

لقد تعلّق أبو طالب برسول الله ﷺ فاعتنى به عناية خاصة ليس لها نضير في عالم العرب فقد اصرّ على أخذه إلى الشام وعمره ﷺ تسع سنين خوفاً عليه واهتماماً به ثم اعتنى به وحامى عنه وعن دينه بجاهه واولاده بجسمه وروحه التي اعطاهما في ذلك السبيل، فعاش رسول الله ﷺ مع عمّه الصدّيق اثنين واربعين عاماً في حماية كاملة ودعم تام.

وتبعاً لتلك التربية السليمة الهادفة فقد أخذ رسول الله ﷺ عليّاً من عمّه أبي طالب فربّاه في حجره الشريف وغذّاه بيده الشريفة وهذّبه بنفسه الزكيّة وعلّمه بعلمه السماوي وزوّجه ابنته فاطمة عليها السلام سيّدة نساء العالمين.

قال محمد بن إسحاق عن تربية رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: وكان مما أنعم اللهُ عليه أن كان في حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام وذلك أنَّ قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة فقال رسول الله ﷺ للعباس عمه، «وكان من أيسر بني هاشم: يا عباس إنَّ أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه لنخفف من عياله، آخذ من بنيه رجلاً وتأخذ أنت رجلاً فنكفهما عنه.

قال العباس: نعم. فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه.

فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما عقيلاً وطالباً فاصنعا ما شئتما.

فأخذ رسول الله ﷺ علياً عليه السلام فضمه إليه، وأخذ العباس جعفراً فضمه إليه، فلم

---

(١) السيرة النبوية ابو حاتم ١/١٧٩

يزل علي مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله تعالى نبياً فاتبعه علي ﷺ وآمن به وصدقه، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه[١]».

فكان علي بن أبي طالب ﷺ تلميذاً مخلصاً لرسول الله ﷺ تعلم منه أخلاقه وآدابه وعلمه، وأصبح ختنه ووصيه وخليفته ووزيره.

واضحىٰ منه مثل هارون من موسىٰ ﷺ لا يخالف رسول الله ﷺ في نص ولا يعارضه في أمر فقال فيه النبي ﷺ:

علي إمام المتقين وقائد الغر المحجّلين يوم القيامة [٢].

فنزلة علي ﷺ من رسول الله ﷺ تختلف عن منزلة سائر الاصحاب في طول مدّة حياة علي ﷺ مع رسول الله ﷺ والممتدة لثلاثة وثلاثين سنة كان فيها علي ﷺ يعيش في كنف استاذ البشرية محمد ﷺ ويستقي من علومه ويتهذّب بسلوكه واخلاقه.

---

(١) عيون الأثر ١/١٢٤، ١٢٥، الكامل، ابن الأثير ٢/٥٩، تاريخ الطبري ٢/٥٧.

(٢) مستدرك الحاكم ٣ / ١٣٧، مجمع الزوائد ٩ / ١٠٢.

الباب الثاني

البعثة النبوية

الفصل الاول

الايام الاولى من الاسلام



بُعث النبي محمد ﷺ وعمره أربعون سنة وهو المشهور [1].

وقال مكحول بعث وهو ابن اثنتين واربعين سنة وقال الواقدي ابن ثلاث واربعين سنة[2].

واختلف العلماء ومنهم المفسرون في كيفية نزول القرآن:

١ ـ جاء في الرواية ما يؤيد نزول القرآن دفعة واحدة على قلب النبي ﷺ ثم قاله الرسول تدريجياً فقد ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قوله:

يا مفضل إن القرآن نزل في ثلاث وعشرين سنة، والله يقول:

﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾[3] وقال: **﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنّا كنا منذرين فيها يفرق كل أمرٍ حكيم أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين﴾**[4]

وقال تعالى: **﴿لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك﴾**[5]

قال المفضل: يا مولاي فهذا تنزيله الذي ذكره الله في كتابه، وكيف ظهر الوحي في ثلاث وعشرين سنة؟

---

(١) البداية والنهاية ٣ / ٨.

(٢) الروض الأنف ٢ / ٣٨٤.

(٣) البقرة ١٨٥.

(٤) الدخان ٣ ـ ٥.

(٥) الفرقان ٣٢.

قال: نعم يا مفضل أعطاه الله تعالى القرآن في شهر رمضان وكان لا يبلغه إلّا في وقت استحقاق الخطاب، ولا يؤديه إلّا في وقت أمر ونهي فهبط جبرئيل بالوحي، فبلغ ما أمر به وقوله: **﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾**[١].

وقد أيد الكثير من العلماء هذا التفسير وهذه النظرية فذكروها في كتبهم وشرحوها أي أن القرآن نزل على قلب رسول الله ﷺ ثم بلغه ﷺ للناس تدريجياً وفق الأوامر الإلهية[٢].

وواظب النبي ﷺ على الحضور في غار حراء مستأنساً بعبادة الباري عزَّ وجلَّ وسعيداً بتحميده وتسبيحه، ومنتظراً لنزول القرآن الكريم.

وفي عمر الأربعين نزل عليه جبرائيل بالقرآن الكريم، وكان قبل ذلك الزمن يسمع الصوت وأعطاه الله تعالىٰ الحكمة والنبوة مثل يحيىٰ وعيسىٰ عليهما السلام [٣] بل كان نبيّاً قبل ولادته إذ جاء: كنت نبيّاً وآدم بين الروح والجسد [٤] وكان يجاور في جبل حراء من كل سنة شهراً **ففي سنة مبعثه خرج بأهله وعلي عليه السلام في رمضان إلى حراء للمجاورة فيه حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله تعالى فيها جاءه جبرئيل فقال له اقرأ.**

قال له فما أقرأ؟

قال: (اقرأ باسم ربك الذي خلق...) الى قوله تعالى (علم الانسان مالم يعلم)[٥]

وقالت الشيعة بالاجماع وكثير من أهل السنة بأنّه بعث في السابع والعشرين من

---

(١) سورة القيامة ١٦، البحار ٣٨/٨٩.

(٢) تفسير الميزان ١٨/٢، تفسير الصافي ج ١ المقدمة التاسعة، تاريخ القرآن للزنجاني ١٠.

(٣) تفسير البرهان ٤ / ٦، تفسير المعين ٢ / ٧٨٨، نور الثقلين ٣ / ٣٢٥، البحار ١٨ / ٢٧٧.

(٤) طبقات ابن سعد ١ / ١٤٨، ١٤٩.

(٥) تاريخ ابن الوردي ١/٩٧، ٩٨، سورة العلق ١، ٢.

شهر رجب[١].

وقال المجلسي: إنّه ﷺ حسبما صرحت به الروايات كان قبل البعثة منذ أكمل الله تعالى عقله في بدو سنه نبياً، مؤيداً بروح القدس يكلمه الملك ويسمع الصوت ويرى في المنام، ثم بعد أربعين سنة صار رسولاً وكلمه الملك معاينة، ونـزل عليه القرآن، وأمر بالتبليغ، وقال المجلسي: إنّ ذلك ظهر له من الآثار المعتبرة، والأخبار المستفيضة[٢].

وقد قال عيسى: ﴿**إنّي عبدالله آتاني الكتاب، وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً**﴾[٣]

وقال تعالى عن يحيى ﴿**وآتيناه الحكم صبياً**﴾[٤]

والنبي محمد ﷺ خاتم الأنبياء فمن الطبيعي ان يكون نبياً منذ صغره، والأدلةوالشواهد والقرائن تشير إلى ذلك. وهناك رأيان في البعثة النبوية:

إنّه ﷺ بعث في شهر رجب في السابع والعشرين منه وأصبح جاهزاً ومتهيئاً لتقبل الوحي القرآني في رمضان.

وادعى المجلسي بان الاجماع الموجود عند الشيعة ويؤيّدهم فيه غيرهم ان البعثة النبوية في السابع والعشرين من شهر رجب[٥].

وقال آخرون إنّه ﷺ بُعث في شهر رمضان[٦].

---

(١) منتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ٣/٣٦٢ البحار ١٨/٢٠٤، ١٩٠، السيرة الحلبية ١/٢٣٨، المناقب، ابن شهرآشوب ١/١٧٣.

(٢) البحار ١٨/٢٧٧.

(٣) سورة مريم ٣٠.

(٤) سورة مريم ١٢.

(٥) البحار ١٨/١٩٠، ٢٠٤، منتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ٣/٣٦٢، السيرة الحلبية ١/٢٣٨.

(٦) تاريخ الطبري ٢/٤٤، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٢، ٢٣، سيرة ابن هشام ١/٢٥٦، وقال البخاري باقتران نزول القرآن الكريم بالنبوة.

أي أن القرآن الكريم نزل في شهر رمضان ﴿**شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن**﴾[١] دفعة واحدة على قلب النبي ﷺ فاعطاه جبرئيل صحيفة مكتوب فيها:

﴿**اقرأ بإسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق إقرأ وربك الأكرم الذي علَّم بالقلم علَّم الانسان ما لم يعلم**﴾[٢]

فقرأها رسول الله ﷺ واستمر نزول آيات الكتاب الكريم من الله تعالى إلى رسوله من سورة القلم إلى آخر سورة في القرآن الكريم وهي سورة التوبة وتم ذلك في ليلة القدر المباركة.

ونطق النبي ﷺ تلك الآيات تدريجياً وفق الاوامر الإلهية بواسطة جبرئيل عليه السلام على مدى ثلاث وعشرين سنة في مدينتي مكة والمدينة[٣].

ويذكر أنّ لفظ الإنزال والتنزيل واحد لكن فصل بينهما الطباطبائي[٤].

ويؤيد الطباطبائي نزول القرآن دفعة على قلب رسول الله ﷺ في ليلة القدر، ثم نزل عليه القرآن المفصل تدريجياً[٥].

فنزل: ﴿**ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يُقضىٰ إليك وحيه**﴾[٦] ﴿**لا تحرك**

---

(١) سورة البقرة ١٨٥.

(٢) سورة القلم، وهي دليل على معرفة النبي ﷺ القراءة والكتابة. ولو كان ﷺ لا يعرف القراءة والكتابة لقال له قل باسم ربك الذي خلق.

(٣) راجع البحار ١٨/١٧٧، ١٩٠، ١٩٤، ٢٠٤ عن اكمال الدين ١٩٧، التمهيد في علوم القرآن ١/٨١، ٨٢، المناقب، ابن شهر آشوب ١/٤٣، تفسير الصافي، المقدمة التاسعة، تفسير الميزان ٢/١٨ ـ ٣٠، تفسير شبر ٣٥٠، تصحيح الأعتقاد، المفيد ٥٨، التمهيد في علوم القرآن ١/٣٨٢، ٨٣ تفسير البرهان ١/٢٩، السيرة الحلبية ١/٢٢٤، الدر المنثور ١/٢٤، ٦/٣٦٨، الاتقان ١/٢٣، تاريخ الطبري ٢/٤٢، ٤٣، البداية والنهاية ٣/٤.

(٤) تفسير الميزان ٢/١٦.

(٥) تفسير الميزان ٢/١٨.

(٦) طه ١١٤.

به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه﴾[١]

٢ ـ وقد ورد من طرق أهل البيت ﷺ نزول القرآن الكريم دفعة واحدة الى البيت المعمور في السماء في ليلة القدر من شهر رمضان[٢].

وبدأ نزوله التدريجي على رسول الله ﷺ في السابع والعشرين من شهر رجب[٣].

وأيد بعض العلماء نزول القرآن إلى البيت المعمور دفعة واحدة ثم نزوله التدريجي الى رسول الله ﷺ. وشكك الشيخ المفيد في روايات نزول القرآن إلى البيت المعمور[٤].

فيبقى أنّ القرآن قد نزل على قلب رسول الله ﷺ إمّا دفعة واحدة في ليلة القدر أو بدأ نزوله في ليلة القدر على قلبه ﷺ.

لأنّ الآية **﴿إنّا أنزلناه في ليلة القدر﴾** لا تدل على نزوله دفعة واحدة إذ قد يراد بها بداية نزوله في تلك الليلة المباركة دون واسطة البيت المعمور.

وأول ما نزل من القرآن: **﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾**[٥] في غار حراء[٦].

ونفى أحد الباحثين قضية البيت المعمور في السماء بل يراد بـه الكـرة الأرضـية المعمورة، وفسر اللوح المحفوظ بالطبيعة. وعارض الطباطبائي ذلك[٧].

٣ ـ والرأي الثالث هو الصحيح القائم على نزول القرآن التدريجي من الله تعالى إلى رسوله ﷺ ولم ينزل دفعة واحدة.

---

(١) القيامة ١٦، ١٧.

(٢) راجع الميزان، الطباطبائي ٢/١٥ ـ ٣٠.

(٣) تفسير الميزان، الطباطبائي ٢/١٨، تاريخ القرآن، الزنجاني ١٠.

(٤) تصحيح الأعتقاد.

(٥) العلق ١.

(٦) وهو جبل على ثلاثة أميال من مكة ويقال هو جبل فارات، المذكور في التوراة.

(٧) تفسير الميزان ٢/٢٠.

فكانت بداية النزول في ليلة القدر من شهر رمضان واستمر ذلك ثلاثاً وعشرين سنة.

وأول سورة نزلت العلق: ﴿أقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ وآخر سورة التوبة.

فآية: ﴿شهر رمضان الذي أنزلَ فيه القرآن﴾ قرينته الحالية نزول خصوص أول سورة ﴿إقرأ باسم ربك...﴾ واستمر نزوله في المدة اللاحقة ولا فرق بين الانزال والتنزيل:

﴿وقال الذين كفروا لولا نُزِّل عليه القرآن جملة واحدة﴾[1]

﴿ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه﴾[2] والكتاب المقروء ينزل دفعة واحدة.

وتحقيق الكلمات القرآنية في هذا المجال يوضح عدم الفرق بينهما ويراد به بدء النزول مثل قضية بدء نزول المطر في يوم واستمراره عدة أيام إذ يصح القول جاء يوم مطرت السماء أي في اليوم الأول من بدء نزوله.

كذلك في قضية نزول القرآن يصح القول مجازاً مع وجود القرينة وهي النزول التدريجي: نزل القرآن في شهر رمضان ويراد به نزوله التدريجي.

وقال جبرئيل للنبي ﷺ في حِراء: أبشر فإنّك نبي هذه الأمّة [3].

واستمرت الإشاعات المضادة لرسول الله ﷺ ومن الأكاذيب على رسول الله ﷺ في قضية الوحي. ذكرهم محاولة رسول الله ﷺ الانتحار بعد ان اوحى الله تعالى إليه! «حتى حزن رسول الله ﷺ حزناً غدا منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال فكلما صعد بذروة جبل لكي يلقي بنفسه تبدى له جبرئيل قال: يا محمد إنك رسول الله حقاً فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه، فإذا طالت عليه فترة

---

(١) الفرقان ٣٢.

(٢) الإسراء ٩٣.

(٣) البداية والنهاية ٣ / ٢٠.

الوحي غدا كمثل ذلك[(١)].

وقوله لخديجة: إني لأخشى أن أكون كاهناً[(٢)].

وقوله لخديجة: لقد خشيت على نفسي[(٣)] أي من الجنون.

فقالت: كلا والله لا يخزيكَ اللهُ أبداً[(٤)].

وغير ذلك من الزيف الأموي المشكك برسالة الاسلام ونبوة محمد ﷺ وعقله وحكمته.

وحاولت قريش ابطال نبوة محمد ﷺ بما روته في كتب السيرة والحديث من خوف النبي ﷺ عند نزول القرآن عليه وان خديجة هي التي طمأنته إلى الإسلام وازالت خوفه وأنها أخذته إلى ورقة بن نوفل النصراني، فأخبره بان ذلك الناموس الأكبر[(٥)].

وكذب رجال الحزب القرشي في قضية البعثة النبوية كذباً لا حدود له، ومن هذه الأكاذيب سفر خديجة إلىٰ الشام دون زوجها ﷺ والتقائها ببحيرىٰ الراهب وسؤالها عن جبرئيل فقال لها: انه قدوس قدوس فاستغلت الصليبية الحاقدة هذا الكذب وادعت صلة لها بهذا الراهب![(٦)].

ومن افتراءاتهم سؤال خديجة من عدّاس غلام بن ربيعة عن جبرئيل فقال لها: قدوس قدوس[(٧)].

(١) البداية والنهاية ٣/٦، سنن البخاري، باب كيف كان بدء الوحي ح ٣، ١/ ٣.

(٢) أنساب الاشراف، البلاذري ١/١١٦، ١١٧.

(٣) البداية والنهاية ٣/٦، سنن البخاري باب كيف كان بدء الوحي ٢/ ٣١.

(٤) المصدر السابق.

(٥) راجع صحيح البخاري ١/٥ ـ ٦ طبعة مشكول، صحيح مسلم ١/٩٧، تاريخ الطبري ٢/٤٧، السيرة النبوية لدحلان ١/٨٢

(٦) الروض الأنف ٢ / ٢٤٤.

(٧) المصدر السابق.

لقد عاشت خديجة مع رسول الله ﷺ خمس عشرة سنة وشاهدت معاجز النبوّة وتعلّمت من مدينة العلم المتمثّلة في زوجها الكثير، وتخلّقت بأخلاقه وعرفت الديانات السابقة، وشاهدت عبادة زوجها، فأصبحت عالمة بالأديان وتابعة لزوجها في دينه الجديد، ومنتظرة لتلك الرسالة الجديدة بلهفة.

فما هذا الهراء في سؤالها الأجانب عن ديانة زوجها الحديثة، وسفرها البعيد إلى الشام للسؤال عن جبريل، وجبرئيل ينزل في بيتها!

وما زالت الصليبية المزيفة تستفيد من كذب الحزب القرشي في هجماتها على الإسلام والمسلمين.

وإذا لم يكن النبي ﷺ ينتظر البعثة فلماذا كان يذهب إلى غار حراء في جبل النور باذلاً جهده منفرداً بربه عزَّ وجلَّ لايام طويلة!

لقد حاولت تلك الروايات التشكيك في رسالة محمد ﷺ وهذا هو الهدف الأول لقريش! والحزب الأموي.

الأدلة على نبوة محمد ﷺ قبل البعثة

الواضح أنّ النبي ﷺ كان يصلي قبل نزول القرآن، وقد كان على الهدى وقد قال الإمام علي عليه السلام: صليت قبل الناس بسبع سنين. وأيّد ذلك أبو جعفر الإسكافي.[1]

ان جبرئيل بشّره في حِراء [2]

وانه كان يسمع الصوت قبل البعثة اي صوت جبرئيل يحدّثه [3].

---

(١) تفسير الطبرسي ٥ / ١١٥، فضائل الصحابة ٢ / ٥٨٦.

(٢) البداية والنهاية ٣ / ٢٠.

(٣) السيرة الحلبية ١/٢٢٤، البداية والنهاية ٣/٤، البحار ١٥/٣٦٣، ١٨/١٧٧، ١٩٤، تاريخ اليعقوبي ١٩/٢، سيرة ابن هشام ١ / ٢٨٠.

والفرق بين النبي والرسول ان النبي يرىٰ في منامه ويسمع الصوت ولا يـعاين الملك.

والرسول يرىٰ في منامه ويسمع الصوت ويعاين الملك(١).

والرسول صاحب كتاب والنبي ليس كذلك.

والنبي محمد ﷺ كان قبل البعثة نبيّاً وأصبح بعدها رسولاً، فكان رسولاً نبياً.

و صلى النبي ﷺ في اليوم الثاني من نزول القرآن هو وعـلي ﷺ وخـديجة إذ نزلت سورة الفاتحة بعد سورة العلق وهو الصحيح وقيل أنه ﷺ كان يصلي مـثل صلاته قبل المبعث النبوي.

هل بدأت البعثة بنزول القرآن؟

قبل البعثة كان يترائىٰ ملك سماوي للرسول ﷺ فيسدّده ويساعده [٢].

وكان محمد ﷺ قبل البعثة نبيّاً فأصبح بعد البعثة رسولاً صاحب كتاب.

قال البعض: إنّ البعثة النبوية مقارنة لنزول أول ما نزل من القرآن وأمره بالتبليغ والانذار. ووقعت هذه الواقعة في ليلة القدر:

﴿إنا انزلناه في ليلة مباركة إنا كنّا منذرين﴾[٣]

وأيّد البخاري هذا الرأي[٤] لذلك ذكر الاكاذيب القرشية في حق رسول الله ﷺ قبل البعثة مثل أكله قرابين الأصنام ورغبته في الطرب ثم اتهمه بعد البعثة ايضاً في خوفه الجنون ونيّته الانتحار!! [٥]

---

(١) تفسير الصافي، الفيض الكاشاني، ٣ / ٢٨٤.

(٢) التمهيد في علوم القرآن ١ / ٨٣.

(٣) الدخان ٢.

(٤) سنن ألبخاري، باب كيف كان بدء الوحي ٣/٣١.

(٥) سنن البخاري ٥ / ٥٠ باب ماذبح علىٰ النصب، سيرة ابن اسحاق ٧٩.

في حين طهر البخاري وامثاله من رجال الحزب القريشي ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو عن أكل قرابين الأصنام وشرب الخمر وعبادة الاوثان [١].

فشكلة الحزب القرشي انهم لا يؤمنون بعصمة الأنبياء اولاً وثانياً يجعلون من رسول الله ﷺ قبل البعثة رجلاً عادياً.

وبلغ حقد هذا البعض ذكرهم ان أبا بكر أخذ بيد محمد ﷺ إلىٰ ورقة بن نوفل بطلب من خديجة ليعلمه الحالة التي يعيشها ويفسر له الآيات التي شاهدها[٢].

وقوله ﷺ لخديجة: لقد خشيت علىٰ نفسي اي من الجنون [٣].

فالحزب القرشي يريد تفضيل كل الناس علىٰ رسول الله ﷺ ومنهم خديجة وأبو بكر وورقة حقداً منهم علىٰ الرسالة الإسلامية، مثلما فعل اليهود بعيسىٰ ﷺ فاتهموه بامه كذباً وزيفاً.

وعن علاقة النبوة بالقرآن عارض العلماء ومنهم الطباطبائي ذلك في ميزانه قائلاً:

إنّ النبوة لم تبدأ بنزول القرآن[٤].

وأول ما بدأ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة، وكان يرى الرؤيا فتأتيه مثل فلق الصبح[٥].

فهو ﷺ نبي منذ ان ولدته أمه ونطق حينها قائلا الله أكبر والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة واصيلاً.

وقد ورد في رواية ما يشير إلى وجود ملك يسدده ويساعده على فعل الاعمال

---

(١) الروض الأنف ٢ / ٤٠٤، ٤٠٧.

(٢) الروض الأنف ٢ / ٤٠٨.

(٣) الروض الأنف ١ / ٤١٠.

(٤) تفسير الميزان ٢ / ٢٠.

(٥) تفسير الميزان ٢٠/٣٢٧.

الحسنة الحميدة، وكثيراً ما كان يترائى له ذلك الملك، قبل نزول القرآن الكريم عليه[1].

وجاء في رواية بأن البعثة في السابع والعشرين من شهر رجب وهو المشهور وادعى المجلسي الإجماع عليه عند الشيعة وروي عن غيرهم أيضاً[2].

أول صلاة جماعة في الكعبة

وكانت أول صلاة جماعة في الكعبة تدل على أهمية الجماعة والإتحاد. ومكانة المرأة البارزة في الإسلام ودورها فيه. وعدم اعارة النبي ﷺ الأهتمام لطغاة مكة وجبابرتها وتصميمه على المضي قدماً في رسالته.

قال عفيف: جئت في الجاهلية إلى مكة فنزلت على العباس بن عبدالمطلب، فلما طلعت الشمس وحلّقت في السماء وأنا أنظر إلى الكعبة، أقبل شابٌ فرمى ببصره إلى السماء ثم استقبل الكعبة[3].

فأقام مستقبلها، فلم يلبث حتى جاء غلام فقام عن يمينه، قال: فلم يلبث حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما، فركع الشابٌ، فركع الغلام والمرأة، فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة، فخر الشاب ساجداً فسجدا معه.

فقلت: يا عباس أمر عظيم.

فقال: أمر عظيم أتدري من هذا؟

فقلت: لا.

قال: هذا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب ابن أخي، أتدري من هذا معه؟

---

(١) التمهيد في علوم القرآن ١/ ٨٣.

(٢) البحار ١٨/ ١٩٠، ٢٠٤، المناقب، ابن شهر آشوب ١/ ١٧٣، مسند أحمد ٣/ ٣٦٢، سيرة مغلطاي ١٤، السيرة الحلبية ١/ ٢٣٨.

(٣) كانت الصلاة أولاً إلى بيت المقدس وقد يكون النبي ﷺ صلى باتجاه بيت المقدس والكعبة امامه.

قلت: لا.

قال: هذا علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب ﷺ ابن أخي.

أتدري من هذه المرأة التي خلفهما؟

قلت: لا.

قال: هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخي.

وهذا (النبي ﷺ) حدثني أنّ ربك رب السماء أمرهم بهذا الذي تراهم عليه وأيمُ الله ما أعلم على ظهر الأرض كلها أحداً على هذا الدين غيرهؤلاء الثلاثة[١].

وهذه الرواية تثبت أنّ هؤلاء الثلاثة فقط كانوا على دين الإسلام ثم أنذر ﷺ عشيرته فأسلم بعضهم وعلىٰ رأسهم جعفر بن أبي طالب قبل اسلام الصحابة [٢].

الرسول ﷺ ينذر عشيرته

لقد أبلغ النبي ﷺ عشيرته الأقربين قبل غيرهم فيكون اسلامهم قبل غيرهم.

فلما نزلت آية **﴿وانذر عشيرتك الأقربين﴾**[٣] جمع النبي ﷺ من بني عبدالمطلب أربعين رجلاً أحدهم يأكل الجذعة ويشرب الفرق فصنع لهم مداً[٤] من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي الطعام كأنه لم يمس، ثم دعا بقعب من لبن فجرع منه جرعة ثم قال لهم: اشربوا بسم الله. فشربوا حتى رووا وبقي الشراب كأنه لم يمس، فبدرهم أبو لهب فقال هذا ما سحركم به الرجل. فسكت ﷺ ولم يتكلم.

فتصدى له أبو طالب قائلاً: يا عورة، واللهِ لننصرنّه ثم لنعيننه[٥].

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٥٦.

(٢) عيون الأثر ١ / ١٢٤، ١٢٨.

(٣) الشعراء ٢١٤.

(٤) سورة الشعراء ٢١٤، ويأكل الجذع يقصد به المبالغة في كثرة الأكل.

(٥) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٧.

و ــ طب رسولَ الله ﷺ قائلاً: يـا ابـن أخـي إذا اردت أن تـدعو إلى ربك فاعلمنا حتى نخرج معك بالسلاح[١].

وهذا يثبّت اسلام أبي طالب في ذلك اليوم المشهور ثم طـلبه مـن ابـنه جـعفر الاشتراك في صلاة الجماعة مع رسول الله ﷺ فأطاعه [٢].

ثم أنذرهم الرسول ﷺ كما أمره الله تعالى ودعـاهم إلى عـبادة الله تـعالى، وأعلمهم تفضيل الله تعالى أياهم واختصاصه لهم إذ بعثه بينهم وأمره أن ينذرهم. وقال الرسول ﷺ:

يا بني عبدالمطلب إني لكم نذير من الله عزَّ وجلَّ، إنِّي أتيتكم بما لم يأت به أحد من العرب، فإن تطيعوني ترشدوا وتفلحوا، وتنجحوا، إنَّ هذه مـائدة أمرني الله تعالى بها، فصنعتها لكم كما صنع عيسى بن مريم ﷺ لقومه، فمن كفر بعد ذلك منكم فإن الله يعذبه عذابا شديداً، لا يعذبه أحداً من العالمين، واتقوا الله تعالى واسمعوا ما أقول لكم[٣].

وقال ﷺ : أيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخـي ووصـي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي فاحجم القوم إلّا علياً وهو أصغر القوم يومئذ (سناً) حيث قام وقال:

أنا يا رسول الله.

فقال ﷺ : أنت[٤].

ونزلت سورة المسد: تبت يدا أبي لهب وتبَّ...» فكناه الله تعالىٰ بأبي لهب دلالة

---

(١) المصدر السابق.

(٢) تفسير القمي ١ / ٣٧٨.

(٣) البحار ١٨/٢١٥، ٢١٦.

(٤) البحار، المجلسي ٣٤/٢٢٢، ينابيع المودة ١/١٢٢، الكامل لابن الاثير ٢/٢٢، قال المتقي الهندي: وقد صحح هذا الحديث الطبري، كنز العمال ١٥/١١٣.

علىٰ استقراره في نار ذات لهب واسمه عبد العزّىٰ بن عبد المطلب [١].

ومن حينها بدأت العداوة بين بني هاشم وأبي لهب، فأعلن أبو طالب الإسلام، وتمسك أبو لهب بالكفر.

وأصبح علي بن أبي طالب عليه السلام خليفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووصيه ووزيره ووارثه، وعمره احدى عشرة سنة[٢]. وروى أحمد بن حنبل الحديث المذكور من طريق رجال الصحاح وهم شريك والأعمش والمنهال وعباد عن علي عليه السلام[٣].

ووفق نصّ الإسكافي ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال: هذا أخي ووصيي وخليفتي من بعدي[٤].

وقد ذكر الطبري ذلك الحديث في تفسيره وفي تاريخه[٥] إلاّ ان ناسخ تفسيره حرَّف الرواية إذ جاء فيها قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي، وكذا وكذا إلى أن قال: إنَّ هذا أخي وكذا وكذا» [٦].

وقد سار البعض على تحريف الناسخ ومنهم ابن كثير الأموي الهوى فترك تاريخ الطبري في تلك الواقعة وأخذ بتفسيره بالرغم من اعتماده على تاريخ الطبري في كتبه[٧].

وتبع محمد حسنين هيكل ابن كثير في ذلك فحى من سيرته في الطبعة الثانية ما

---

(١) ٥ / ٦٣٧.

(٢) اخرج الحديث الثعلبي والطبري في تفسيرهما لسورة الشعراء من تفسيريهما الكبيرين والطبري في تاريخه والسيرة الحلبية ١/٣٨١ وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ١/١١١، ١٥٩، وأخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ١٣/١١٤ وأخرجه المفيد في الأرشاد ١١، وذكر مصادره السيد شرف الدين في المراجعات.

(٣) مسند أحمد ١/١١١.

(٤) شرح النهج، المعتزلي ١٣/٢٤٤.

(٥) تفسير الطبري ١٩/٧٥، تاريخ الطبري ٢/٦٣.

(٦) تفسير الطبري ١٩/٧٥.

(٧) تفسير ابن كثير ٣/٣٥١، السيرة النبوية، ابن كثير ١/٤٥٩، البداية والنهاية ٣/٤٠.

ذكره في الطبعة الأولى عبارة وخليفتي فيكم واقتصر على قوله:.

فأيكم يؤازرني علىٰ هذا الأمر؟[١]

ومن المدهش ان رجال الحزب القرشي في شتىٰ صنوف مهنهم لا يحترمون محمدا وآل محمد ﷺ فقد ركع هؤلاء للمادة والهوىٰ وتعصبوا فامتنعوا عن ذكر قصة تبليغه ﷺ لعشيرته الأقربين، وكأن معاوية ويزيد ما زالا حاكمين إلىٰ الآن يدعمان منهجهما الحزبي القرشي رغم مرور قرون عديدة، وتبدّل الاوضاع واختلاف الزمان.

ولادة فاطمة وتاريخ رحلتها

جاء في تاريخ ولادة أم الحسنين عليها السلام إنها ولدت في السنة الخامسة بعد البعثة النبوية الشريفة، وقد انعقدت نطفتها من ثمر الجنة الذي جاء به جبرائيل إلى رسول الله ﷺ في الإسراء والمعراج[٢]، وكانت تحدث أمّها من بطنها[٣].

وقد أحبّ رسول الله ﷺ ابنته الوحيدة فاطمة عليها السلام وفضّلها علىٰ باقي نساء الأمّة قائلاً: إنما فاطمة بضعة منّي يؤذيني ما آذاها ويغضبني ما أغضبها [٤].

وقال رسول الله ﷺ: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنّة [٥].

---

(١) فعل هيكل ذلك مقابل خمسمائة جنيه، راجع كتاب فلسفة التوحيد والولاية، مغنية ص١٧٩، ١٣٢، سيرة المصطفى، الحسني ١٣٠، ١٣١، حياة محمد، هيكل الطبعة الأولى ص١٠٤، الطبعة الثانية ص١٣٩ طبع

(٢) كشف الغمة ٢/٧٥، البحار ٤٣/١ ـ ١٠، تاريخ الخميس ١/٢٧٨، ذخائر العقبى ٥٢المستدرك ٣/١٥٦، الدر المنثور ٤/١٥٣، تاريخ بغداد ٥/٨٧، لسان الميزان ١/١٣٤.

(٣) تذكرة الخواص، ابن الجوزي ٣٠٦، ٣٠٧، خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام النسائي ١١٤، المناقب، ابن شهرآشوب ٣/٣٤٥.

(٤) سنن البخاري ٣ / ١٣٦١ ج ٣٥١٠، سنن مسلم ٥ / ٥٤، سنن الترمذي ٥ / ٦٥٦ ج ٣٨٦٩، سنن النسائي ٥ / ٩٧ ج ٨٣٧٠، ٨٣٧١، المستدرك، الحاكم ٣ / ١٧٣ ج ٤٧٥١.

(٥) سنن البخاري ٣/١٣٢٦ ج ٣٤٢٦ و ٥/٢٣١٧ ج ٥٩٢٨، سنن مسلم ٥ / ٥٦ ج ٩٨، سنن ابن ماجة ←

وكان رسول الله ﷺ إذا سافر كان آخر عهده بفاطمة، وإذا رجع بدأ ببيت فاطمة عليها السلام أيضاً[١].

وعن تاريخ شهادتها عليها السلام فهو بعد شهادة رسول الله ﷺ على اقوال:

١ ـ أربعون يوماً بعد شهادة أبيها [٢] فتكون الشهادة في ٩ ربيع الثاني.

٢ ـ خمسة وسبعون يوماً بعد وفاة أبيها قاله الكليني والمفيد والسيد هاشم البحريني[٣]. فتكون مناسبة الشهادة في ١٤ جمادي الاولى.

٣ـ ثلاثة أشهر بعد شهادة أبيها [٤].

وقالوا استشهدت عليها السلام لثلاث خلون من جمادي الآخر.

وقبر فاطمة عليها السلام مجهول لبيان مظلوميّتها إذ دفنت ليلاً وصلّى عليها علي عليه السلام وسلمان وحذيفة وعمّار وأبو ذر والمقداد ولم تسمح لأبي بكر وعمر بحضور مراسم دفنها

وقد يكون قبرها في بيتها أو في المسجد إذ قال رسول الله ﷺ بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنّة [٥].

وشهادتها قد وقعت وعمرها ثمانية عشر عاماً. واتفقت الأقوال في انها استشهدت في السنة الحادية عشر للهجرة بعد فترة وجيزة من شهادة أبيها ﷺ[٦].

ـ ١/٥١٨ ح ١٦٢١، خصائص النسائي ٥ / ٩٦ ح ٨٣٨٦، مسند أحمد ٧ / ١٠٤ ح ٢٥٨٧٤، أسد الغابة ٧ / ٢٢٣.

(١) مسند أحمد ٥ / ٢٧٥، ذخائر العقبى ٣٧.

(٢) مقاتل الطالبيين ص ٤٩، بيروت، مروج الذهب ١ / ٤٠٣، كتاب سليم ٢٠٤.

(٣) معالم الزلفى ١٣٣، الكافي ١ / ٤٥٨، اي وفاتها في اواسط جمادي الاولى، وقال ابن شهر آشوب: اثنان وسبعون يوماً، المناقب ٢ / ١١٢.

(٤) مقاتل الطالبيين ٤٩ وقاله ابن سعد والواقدي، البحار ٤٣ / ٢١٥.

(٥) الكافي ٦ / ٤٥٢، البحار ٤٧ / ١٧.

(٦) وقد اختلفت الأقوال في سنة ولادتها فقال البعض أنها ولدت قبل البعثة النبوية الشريفة بخمس سنين، ـ

المسلمون الأوائل

ذهب كثير من الناس إلىٰ أن عليا عليه السلام لم يشرك بالله شيئاً فيستأنف الإسلام بل كان تابعاً للنبي صلى الله عليه وآله في جميع أفعاله مقتدياً به، وبلغ علىٰ ذلك فعصمه الله تعالىٰ وسدده ووفّقه لتبعيّته لنبيّه عليه السلام[1].

فكان علي بن أبي طالب أول من أسلم وهو القائل: أنا عبدالله وأخو رسوله، وأنا الصدّيق الأكبر لا يقولها بعدي إلّا كاذب مفتر، صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله قبل الناس بسبع سنين[2]،وقال البعض إنّ خديجة أول من أسلم وأول مخلوق آمن به[3].

والصحيح أنّ خديجة أول من آمن به من النساء ولكن بعد علي عليه السلام .وعلي عليه السلام أول من آمن به من الناس إذ جاء ذلك عن سلمان وأبي ذر وخباب وجابر وأبي سعيد الخدري وزيد بن أرقم والتزمه ابن اسحاق والزهري[4]. وقد أيد وأكد ذلك الصحابة الأوائل قبل العهد الأموي[5].

قال النبي صلى الله عليه وآله اولكم وروداً عليّ الحوض اولكم اسلاماً علي بن أبي طالب[6].

ولقد حاول الأمويون تقديم خديجة على أمير المؤمنين عليه السلام ليس حباً لها بل

ـ تاريخ الخميس ١/٢٧٧، البحار ٤٣/٩.

وبعضهم قال ولدت قبل البعثة بسبع سنين، تاريخ الخميس، ذخائر العقبى وقالوا: ولدت قبل البعثة باثنتي عشرة سنة، المستدرك ٣/١٦١، الإستيعاب بهامش الإصابة ٤/٣٧٤.

وقالوا: ولدت سنة البعثة، البحار ٤٣/٨، تهذيب التهذيب ٢/٤٤١، وقالوا: ولدت في السنة الثانية بعد البعثة، البحار ٤٣/٩، الإستيعاب بهامش الإصابة ٤/٣٧٤.

(١) مروج الذهب ٢ / ٢٧٦.

(٢) تاريخ ابن الأثير ٢/٥٧.

(٣) السيرة النبوية، دحلان، الأوائل، الطبراني ٨٠، السيرة الحلبية ١/٢٦٧.

(٤) عيون الأثر ١/١٢٤، مناقب الخوارزمي ١٨ ـ ٢٠، السيرة الحلبية ١/٢٦٨، ٢٧٥ حلية الأولياء ١/٦٦، السيرة النبوية، دحلان ١/٩١، تاريخ بغداد ٤/٢٣٣، تهذيب تاريخ دمشق ٣/٤٠٧، الكامل ابن الأثير ٢/٥٧.

(٥) المستدرك، الحاكم ٣/١٣٦، الأوائل ١/١٩٥، حياة الصحابة ٢/٥١٤، ٥١٥.

(٦) مستدرك الحاكم ٣ / ١٣٦، الإصابة ٣ / ٢٨.

طمساً لفضائله عليه السلام. ثم حاولوا محاولة أخرى لتقديم أبي بكر عليه لكنها فشلت إذ ادعى العلماء اسلام أبي بكر بعد سنوات من البعثة النبوية[١] أي بعد اسلام أكثر من خمسين رجلاً[٢].

وبالضبط بعد رحلة الإسراء والمعراج التي كانت قبل الهجرة بسنة ونصف برواية الواقدي[٣].

أي أسلم أبو بكر وسن علي عليه السلام واحد وعشرون سنة وقبل الهجرة بسنة ونصف[٤].

وقال النبي صلى الله عليه وآله هذا علي عليه السلام أول من آمن بي وصدّقني وصلّى معي[٥]

ومشكلة حكوماتنا في التاريخ تتمثل في رغبتها في جعل سلاطين البلدان هم الاوائل في كل شيء اولو تفحصنا الأمر لوجدناه صحيحا أليس كذلك؟

وقد أسلم أبو بكر بناءاً على نصيحة كاهن في الشام أخبره بوقت خروج النبي صلى الله عليه وآله وأمره باتباعه[٦].

وفي يوم وفاة النبي صلى الله عليه وآله عصىٰ أبو بكر الأمر النبوي بحملة اسامة. وشارك عمر في قولهم لرسول الله صلى الله عليه وآله يهجر اي أنه مجنون واغتصب خلافة الرسول صلى الله عليه وآله. وأمر باقتحام بيت فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله[٧].

وقال أبو القاسم الكوفي: «إنَّ أبا بكر قد أسلم بعد سبع سنين من البعثة[٨].

---

(١) السيرة الحلبية ١/٢٧٣.

(٢) البداية والنهاية ٣/٢٨، تاريخ الطبري ٢/٦٠.

(٣) مجمع الزوائد ١/٧٦.

(٤) مجمع الزوائد ١ / ٧٦ عن الطبراني في الكبير.

(٥) شرح النهج المعتزلي ١٣ / ٢٢٥، تاريخ بغداد ٤ / ٢٢٤.

(٦) البداية والنهاية ٣/٢٩ ـ ٣٠، السيرة النبوية، ابن كثير ١/٤٣٩.

(٧) البداية والنهاية ٨ / ٧٣، عيون الأثر ٢ / ٢٨١، لسان الميزان ٨ / ١٨٩ في ترجمة علوان، تاريخ اليعقوبي ٢/١٣٧، راجع كتاب هل اغتيل النبي محمد صلى الله عليه وآله للمؤلف.

(٨) الإستغاثة ٢/٣١.

وقال المسعودي: ذهب كثير من الناس إلى أنه (علي عليه السلام) لم يشرك بالله شيئاً فيستأنف الإسلام، بل كان تابعاً للنبي صلى الله عليه وآله في جميع أفعاله مقتدياً به وبلغ وهو على ذلك، وإنّ الله تعالى عصمه وسدده ووفقه لتبعيته لنبيه صلى الله عليه وآله... ومنهم من رأى أنّه أول من آمن وان الرسول دعاه وهو موضع التكليف بظاهر قوله عزّ وجلّ ﴿وانذر عشيرتك الأقربين﴾[1] وكان بدؤه بعلي عليه السلام إذ كان أقرب الناس إليه وأتبعهم له[2].

وقال السيوطي: إنّه (علي عليه السلام) أول من أسلم ونقل بعضهم الإجماع عليه[3].

وقد جاء في الروايات بان علياً عليه السلام سبق الناس في الصلاة سبع سنين وهي لا تخالف رواية صلاته قبل الناس بثلاث سنين، لانه عليه السلام سبق الناس بعد البعثة بثلاث سنين وسبقهم قبل البعثة بأربع سنين فيكون المجموع سبع سنين.

إذ قال علي بن الحسين بن علي عليه السلام: لقد آمن بالله تبارك وتعالى وبرسوله صلى الله عليه وآله وسبق الناس كلهم إلى الايمان بالله وبرسوله وإلى الصلاة ثلاث سنين[4].

وقال أبو جعفر الإسكافي: ضم رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام إلى نفسه سنة القحط والمجاعة وعمره يوم ذاك ثماني سنين، فمكث معه سبع سنين إلى أن أتاه جبرئيل بالرسالة وقد أصبح بالغاً كامل العقل والإدراك فأسلم بعد إعمال الفكر والنظر، وورد في كلامه أنه صلى قبل الناس سبع سنين، وعنى بذلك السنين السبع التي التحق فيها بالرسول صلى الله عليه وآله قبل مبعثه، ولم يكن حينذاك دعوة ولا نبوة، وانما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتعبد على ملة إبراهيم ودين الحنيفية وعلي يتابعه فلما بلغ الحلم وبُعث

---

(١) الشعراء ٢١٤.

(٢) مروج الذهب، المسعودي ٢/٢٧٦.

(٣) تاريخ الخلفاء، السيوطي ١٨٥، المستدرك، الحاكم ٣/١٣٦، حلية الأولياء ١/٦٦ تاريخ الخطيب البغدادي ٢/٨١، السيرة الحلبية ١/٢٦٨.

(٤) الكافي الكليني ٨/٣٣٩، المستدرك، الحاكم ٣/١١١، ذخائر العقبى ٦٠، صفين، نصر بن مزاحم ١٠٠، الرياض النضرة ٢/١٥٨، كتاب الغدير ٣/٢٢١ ـ ٢٤٠.

النبي ﷺ دعاه إلى الإسلام فأجابه عن نظر ومعرفة لا عن تقليد [١].

والمسلمون الأوائل هم:

جعفر وزوجته أسماء بنت عميس وعقيل[٢] وعبيدة بن الحارث[٣] ثم أسلم زيد بن حارثة[٤]. ومصعب بن عمير [٥] وبلال والزبير بن العوام.

وخالد بن سعيد بن العاص وامرأته أمينة بنت خلف بن أسعد[٦].

وحاطب بن عمرو بن عبدشمس بن عبد ود[٧]. وعتبة بن غزوان[٨]. وعبيدة بن الحارث بن المطلب[٩].

وأبو حذيفة مهشم بن عتبة بن ربيعة[١٠]. وعتبة بن مسعود أخا عبدالله بن مسعود[١١].

وخالد وعامر وعاقل وإياس بنو البكير بن عبد ياليل[١٢].

والارقم بن أبي الارقم[١٣] وأبو ذر جندب بن جنادة[١٤]، وعمار بن ياسر

(١) شرح النهج، المعتزلي ١٣ / ٢٤٨.

(٢) عيون الأثر ١/١٢٤، ١٢٨، سير أعلام النبلاء ١/١٤٤.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٧.

(٤) عيون الأثر ١٢٦ قال ابن اسحاق انه أسلم بعد علي بن أبي طالب ﷺ، سير أعلام النبلاء ١/١٤٤.

(٥) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٣٢.

(٦) عيون الأثر ١/١٢٩، الكامل، ابن الاثير ٢/٦٠، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٣.

(٧) عيون الأثر ١/١٢٩.

(٨) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٢.

(٩) سير أعلام النبلاء ١/١٤٤.

(١٠) عيون الأثر ١/١٢٩.

(١١) عيون الأثر ١/١٣٠، البداية والنهاية ٧/١٦٠.

(١٢) عيون الأثر ١/١٣٠.

(١٣) عيون الأثر ١/١٢٧، البدء والتاريخ ٤/١٤٦، سير أعلام النبلاء ١/١٤٤.

(١٤) عيون الأثر ١/١٢٩، سير أعلام النبلاء ١/١٤٥.

العنسي[١] وأبوه وأُمه وخباب بن الأرت[٢] وعبدالله بن جحش واخوه أبو أحمد بن جحش[٣]، وعبدالله بن مسعود[٤] وخنيس بن حذافة بن قيس[٥]، وعمرو بن عنبسة السلمي[٦]، وعامر بن ربيعة العنزي[٧] وحاطب بن الحرث بن معمر وامرأته فاطمة بنت المجلل[٨] والسائب بن عثمان بن مظعون[٩] والمطلب بن ازهر بن عبد عوف وامرأته رملة بنت أبي عوف بن صبيرة[١٠].

وكل هؤلاء قد أسلموا قبل أبي بكر[١١] وأول شهيد في الإسلام سميّة أُم عمار حين ربطت بين بعيرين ووجيء قلبها بحربة وقتل زوجها ياسر[١٢].

المستهزؤون وتعذيب المسلمين

كان المستهزؤون برسول الله ﷺ من قريش: الوليد بن المغيرة المخزومي، والعاص بن وائل السهمي، والحارث بن حنظلة[١٣] والأسود بن عبد يغوث بن وهب الزهري، والأسود بن المطلب بن أسد. فدعا النبي ﷺ عليهم فنزلت فيهم: ﴿إِنَّا

---

(١) عيون الأثر ١/١٣٠، سير أعلام النبلاء ١/١٤٥.

(٢) عيون الأثر ١/١٢٧، سير أعلام النبلاء ١/١٤٤.

(٣) البدء والتاريخ، المقدسي ٤/١٤٦، سير أعلام النبلاء ١/١٤٤.

(٤) عيون الأثر ١/، سير أعلام النبلاء ١/١٤٤.

(٥) عيون الأثر ١/١٢٧.

(٦) نفحات الأزهار ١/٣١٣، عيون الأثر ١/١٢٩.

(٧) عيون الأثر ١/١٢٧.

(٨) عيون الأثر ١/١٢٧.

(٩) عيون الأثر ١/١٢٨، سير أعلام النبلاء ١/١٤٤.

(١٠) عيون الأثر ١/١٢٨.

(١١) شرح النهج ١٣ / ٢٢٤، العثمانية ٢٨٦، الغدير ٣ / ٢٤١.

(١٢) اسباب نزول الآيات، الواحدي ١٩٠.

(١٣) وقالوا الحارث بن عيطلة أو الحارث بن قيس، راجع تفسير القمي، الآية، وكتاب الاحتجاج.

﴿كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[١]، فأماتهم الله شر ميتة[٢].

وحاول الحزب القرشي مدح الوليد بن المغيرة لذلك فأسندوا إليه قضية بناء الكعبة كذباً وزوراً[٣]. وسار علىٰ ذلك معظم رجال السيرة المحبين للحزب القرشي

وكان المستهزؤون يتغامزون بالنبي ﷺ وأصحابه ويقولون: قد جاءكم ملوك الأرض ومن يغلب على كنوز كسرى وقيصر ويصفرون به ويصفقون فاومأ النبي ﷺ إلى عيني الأسود فعمي فشغله عن رسول الله ﷺ، وقُتِل ابنه وابن ابنه عُتَيب وابن ابنه الآخر الحارث بن زمعة بن الأسود في بدر[٤].

وكان أبو لهب يضع الأوساخ على باب جاره رسول الله ﷺ فَقَتله اللهُ تعالى بالعَدَسة[٥]. بعد معركة بدر.

والأسود بن عبديغوث بن وهب بن عبدمناف بن زهرة وهو ابن خال النبي ﷺ فكان يقول للنبي ﷺ مستهزئاً: أما كُلِّمتَ اليوم من السماء يا محمد فأومأ جبرائيل إلى السماء فأصابته الأكلة فامتلأ قيحاً فمات[٦].

والحارث بن قيس السهمي أكل حوتاً مملوحاً فلم يزل يشرب الماء حتى مات[٧].

ووطيء الوليد بن المغيرة المخزومي سهماً فخدشه، فأومأ جبرائيل إلى ذلك الخدش بيده فانتقض ومات[٨].

---

(١) الحجر ٩٥.

(٢) تفسير البرهان ٢/٦١، البحار ٦١/٤، تفسير الصافي ٩١٤/١، تفسير العياشي ٢٥٢/٢ تفسير القمي ٣٧٨/١، تفسير الدر المنثور، السيوطي ١٠٦/٤.

(٣) لاحظ موضوع بناء الكعبة في هذا الكتاب.

(٤) تاريخ ابن الأثير ٧٥/٢.

(٥) تاريخ ابن الاثير ٧١/٢ العدسة بثرة تخرج في الجسد وهي من الطاعون.

(٦) المصدر السابق.

(٧) المصدر السابق.

(٨) تاريخ ابن الأثير ٧٢/٢.

ومن المستهزئين ركانة بن عبديزيد بن هاشم بن المطلب[١]. وربض الحمار العاص بن وائل السهمي ولُدغ في رجله فانتفخت حتى صارت كعنق البعير فمات منها[٢].

ومنهم طعيمة بن عدي بن نوفل بن عبدمناف قتل في بدر [٣].

ومن جملة اعمال القتل التي تعرَّض لها أصحاب رسول الله ﷺ أنْ أخذت قريش من استضعفت منهم وعذبتهم لإجبارهم علىٰ الرجوع عن الإسلام والشتم لرسول الله ﷺ فكان ممن يعذَّب في الله عمار بن ياسروياسر أبوه وسُميَّة أمّه، حتى قتل أبو جهل سميّة، طعنها في قلبها فماتت، فكانت أول شهيد في الاسلام.

وخباب بن الإرت، وابو ذر الغفارى ، وأبو فكيهة الازدي، وعامر بن فهيرة، وبلال بن رباح. قال خباب بن الأرت: يا رسول الله ادْعُ لنا.

فقال ﷺ: إنّكم لتعجلون، لقد كان الرجل ممن كان قبلكم يُمشط بأمشاط الحديد، ويُشق بالمنشار فلا يرده ذلك عن دينه، والله ليتممن الله هذا الأمرَ حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلّا الله تعالى والذئب على عنزه.

واشتد على القوم العذاب ونالهم منه أمر عظيم، فرجع عن الإسلام خمسة نفر وهم: أبو قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة...[٤]

فروي أن فيهم نزلت هذه الآية:

﴿الذينَ تتوفاهم الملائكةُ ظالمي أنفُسِهِم...﴾[٥]

قال محمد بن اسحاق: فصدع رسول الله ﷺ بأمر الله تعالى، وبادى قومه

(١) تاريخ ابن الأثير ٢/٧٥.
(٢) تاريخ ابن الأثير ٢/٧٣.
(٣) تاريخ ابن الأثير ٢/٧٥الاحاد والمثانى ١/٣٦١.
(٤) بياض في الأصل.
(٥) النحل ٢٨، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٨.

بالإسلام، فلما فعل ذلك لم يبعد منه قومه، ولم يردوا عليه بعض الرد فيما بلغني حتى ذكر آلهتهم وعابها، فلما فعل ذلك ناكروه، وأجمعوا على خلافه وعداوته إلاّ من عصم الله تعالى منهم بالاسلام، وهم قليل مستخفون[١].

فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ لا يعتبهم من شيء أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم، ورأوا أن أبا طالب قد حدب عليه وقام دونه فلم يسلمه لهم، مشىٰ رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب، عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البختري بن هشام والأسود بن المطلب والوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام والعاص بن وائل ونبيه ومنبه ابنا الحجاج.

فقالوا: يا أبا طالب إنَّ ابن اخيك قد سَبَّ ألهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا، فإما ان تكفه عنَّا وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه[٢].

فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً وردَّهم ردّاً جميلاً، فانصرفوا عنه ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه يظهر دين الله ويدعو إليه، ثم سرى الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا. واكثرت قريش ذكر رسول الله ﷺ بينها وتذامروا فيه، وحض بعضهم بعضاً عليه، ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرَّة أخرى، فقالوا:

يا أبا طالب إنّ لك سناً وشرفاً ومنزلةً فينا وإنّا قد نهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنَّا. وإنا واللهِ لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين.

وفي مرة ثالثة جاءوا إلى أبي طالب فقال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى أبي طالب

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٦٤.

(٢) إذ كان أبو طالب سيد قريش لا يمكنهم تجاوزه، ولما ازداد حقدهم واشتد دفاع أبي طالب عن رسول الله ﷺ خلعوه من زعامة قريش وحصروه في الشعب. وكان أبو طالب كاتماً لايمانه.

فنكلّمه فيه فلينصفنا منه، فيأمره فليكف عن شتم آلهتنا وندعه وإلهه.

فبعث إليه أبو طالب، فلما دخل عليه رسول الله ﷺ قال: يا ابن أخي هؤلاء مشيخة قومك وسرواتهم، وقد سألوك النصف أن تكف عن شتم آلهتهم، ويدعوك وإلهك.

قال ﷺ: أي عم أولا أدعوهم إلى ما هو خير لهم منها.

قال: وإلى ما تدعوهم؟

قال: ادعوهم إلى أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب ويملكون بها العجم.

فقال أبو جهل من بين القوم: ما هي وأبيك لنعطيكنّها وعشر أمثالها.

قال ﷺ: تقول لا إله إلاّ الله.

فنفروا، وقالوا: سلنا غير هذه.

فقال ﷺ: لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها.

فغضبوا وقاموا من عنده غضابى، وقالوا: واللهِ لَنشتُمنَّك وإلهك الذي يأمرك بهذا. فقال الله تعالى عنهم:

﴿وانطلق الملأ منهم ان امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد﴾[1]

ثم ردَّ أبو طالب عرضهم في اعطائه عمارة بن الوليد بن المغيرة ليكون ابناً له ويعطيهم محمداً ﷺ ليقتلوه!

فقال المطعم بن عدي بن نوفل بن عبدمناف [2] لأبي طالب: لقد انصفك قومك.

فقال أبو طالب: واللهِ ما أنصفوني ولكنَّك قد أجمعت على خذلاني ومظاهرة القوم عليَّ فاصنع ما بدا لك[3].

---

(١) سورة ص ٦، تاريخ الطبري ٢/٦٥، ٦٦.

(٢) ابن عم رسول الله ﷺ!

(٣) لقد اختلف أولاد عبدمناف فيما بينهم فوقف المطلب إلى جانب هاشم ووقف نوفل إلى جانب أمية واستمر ذلك في أبنائهم، سيرة ابن اسحاق ١٥٢، تاريخ الطبري ٢/٦٦، ٦٧، تاريخ ابن الأثير ٢/١٥٢.

فحميت الحرب بينهم، ووثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم، ومنع الله تعالى رسوله منهم بعمه أبي طالب.

فكانت فتنة شديدة الزلزال على من اتبع رسول الله ﷺ من أهل الإسلام، فافتتن من افتتن وعصم الله تعالى منهم من شاء، فلما فعلوا ذلك بالمسلمين أمرهم رسول الله ﷺ أن يخرجوا إلى أرض الحبشة[١].

وبقي رسول الله ﷺ في مكة يدعو إلى الله تعالى سراً وجهراً قد منعه الله تعالى بعمه أبي طالب وبمن استجاب لنصرته من عشيرته.

ولما رأت قريش أنهم لا سبيل لهم إليه رموه بالسحر والكهانة والجنون وأنه شاعر. وجعلوا يصدون عنه من خافوا منه أن يسمع قوله فيتبعه.

قال عمرو بن العاص: قد حضرتهم وقد اجتمع اشرافهم يوماً في الحجر، فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط سَفَّه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرّق جماعتنا وسبَّ آلهتنا، لقد صبرنا منه على امرٍ عظيم.

فبينما هم كذلك إذ طلع رسول الله ﷺ فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مرَّ بهم طائفاً بالبيت، فلما مرَّ بهم غمزوه ببعض القول، قال: فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ، ثم مضىٰ فلما مرَّ بهم الثانية غمزوه مثلها، ثم مرَّ بهم الثالثة فغمزوه بمثلها.

فوقف ﷺ فقال: أتَسمعون يا معشر قريش أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح.

فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلّا كأنما على رأسه طائر واقع، وحتى أن أشدهم فيه وطأة، قبل ذلك ليرفأه بأحسن ما يجد من القول حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم راشداً، فوالله ما كنت جهولاً[٢].

(١) تاريخ الطبري ٢/٦٧ ـ ٦٩.
(٢) تاريخ الطبري ٢/٧١.

واستمر المسلمون في السعي و الاجتهاد إذ قرأ عبدالله بن مسعود القرآن في الكعبة:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم، الرحمن علّم القرآن خلق الإنسان علمه البيان﴾[١]

فقاموا اليه يضربونه في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله تعالى أن يبلغ[٢].

وكان أمية بن خلف يخرج بلال بن رباح إذا حميت الظهيرة، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له: لا والله لا تزال هكذا حتى تموت، اوتكفر بمحمد ﷺ وتعبد اللات والعزى فيقول: أحدٌ أحدٌ[٣].

وأخذ المشركون بعض المسلمين فألبسوهم أدرع الحديد وصهروهم في الشمس. وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمّار بن ياسر وبأبيه وأمه (وكانوا أهل بيت إسلام) إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة، فيمر بهم رسول الله ﷺ فيقول: صبراً آل ياسر موعدكم الجنة[٤]. وأول شهيد في الإسلام كانت أم عمار سمية طعنها أبو جهل بحربة في قُبُلها[٥].

وكان أبو جهل الفاسق إن سمع برجل قد أسلم له شرف ومنعة أنبه وخزاه وقال تركت دين أبيك وهو خير منك، لنسفهن حلمك، ولنفيلنّ رأيك، ولنضعفنّ شرفك؛ وان كان تاجراً قال: والله لنكسدنّ تجارتك ولنهلكنّ مالك، وإن كان ضعيفاً ضربه

(١) الرحمن ٤.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٧٣.

(٣) البداية والنهاية ٣/٧٥.

(٤) سيرة ابن هشام ١/٣٤٢، البداية والنهاية ٣/٧٦، دلائل البيهقي ٢/٢٨٢، المستدرك الحاكم ٣/٣٨٨، مجمع الزوائد، الهيثمي ٩/٢٩٣.

(٥) الاستيعاب، بهامش الإصابة ٤/٣٣٠، الإصابة ٤/٣٣٥، البداية والنهاية ٣/٧٦.

وأغرى به.

قال ابن عباس: إن كانوا ليضربون أحدهم، ويجيعونه، ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضرب الذي به حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة.

فنزل قوله تعالى:

﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلّا من أُكرِهَ وقلبُهُ مطمئنٌ بالإيمانِ ولكن مَّنْ شَرَحَ بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذابٌ عظيم﴾[١].

الصراع الأبدي علىٰ السياسة

كان الوليد بن المغيرة وأبو جهل المخزوميان وبنو عدي (قبيلة عمر) وبنو عبد الدار من حزب لعقة الدم المعارض لحلف الفضول فأستمر هؤلاء في محاربة حلف الفضول وأفراده والإسلام المحمدي صراعاً علىٰ السلطة فأراد عمر بن الخطاب قتل رسول الله ﷺ في مكّة قبل إسلامه، ولما فشل توسل بالسياسة فأعلن إسلامه وكرّر محاولاته في المدينة مع رجال الحزب القرشي فنجحوا أخيراً[٢]. ثم نجح أفراد حزب لعقة الدم في قتل أبي بكر ايضاً لاقصاء بني تيم المنتمية إلىٰ حزب الفضول عن السلطة [٣]. وبابعاد بني هاشم وبني تيم عن الحكم خلت الاجواء لرجال حزب لعقة الدم من بني عدي وبني اميّة [٤].

وكان الوليد بن المغيرة المخزومي من أشد الناس على رسول الله ﷺ فجمع قريشاً وقال لهم: قد حضر الموسم، وان وفود العرب ستقدم عليكم، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فاجمعوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، ويرد

---

(١) النحل ١٠٦، البداية والنهاية ٣/٧٦.

(٢) راجع كتاب هل أغتيل النبي محمد ﷺ للمؤلف.

(٣) راجع كتاب اغتيال الخليفة أبي بكر وعائشة.

(٤) راجع موضوع بناء الكعبة في هذا الكتاب لأهميّته.

قول بعضكم بعضاً.

فقالوا: نقول كاهن. فقال: ما هو بكاهن، لقد رأيت الكهان فما هو بزمزمة الكاهن وسجعه.

فقالوا: نقول مجنون [١]، فقال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو تخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته.

فقالوا: نقول شاعر، فقال: ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر برجزه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر.

قالوا: فنقول ساحر، قال: ما هو بساحر، قد رأينا السحار وسحرهم ما هو بنفثه ولا عقده.

قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟

قال: والله إنّ قوله لحلاوة وإنّ أصله لعذق، وإن فرعه لجناة، فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلّا عرف أنه باطل، وإن اقرب القول لأن تقولوا: ساحر يفرق بين المرء وبين أبيه وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته، فتفرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون يسألون الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم احد إلّا حذروه وذكروا لهم أمره، فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة:

﴿ذَرني وَمَن خَلَقتُ وَحيداً... إلى قوله سَأُصليهِ سَقَرَ﴾[٢]

وكانت اطروحة الحزب القرشي في محاربة الإسلام تتمثل في.

١ – منع انتشار الإسلام بين الناس.

٢ – اغتيال رسول الله ﷺ.

٣ – القضاء على رسول الله ﷺ والمسلمين بالحرب.

---

(١) وهو رأي عمر وقد تمسّك عمر بن الخطّاب بهذا الاقتراح إلى الأبد ففي يوم مقتل رسول الله ﷺ قال له انه يهجر اي مجنون سنن البخاري، باب جوائز الوفد ٢ / ١١٨.

(٢) سورة المدثر ١١ ـ ٢٦، تاريخ ابن الاثير ٢/١٥١، البداية والنهاية ٣/٧٨، ٧٩، عيون الأثر ٢ / ١٣٤.

٤ - دخول بعض دهاة قريش في الإسلام صورياً مثل أبي بكر وعمر وابن العاص وخالد ومحاولتهم تنفيذ البنود السابقة والسيطرة علىٰ خلافة رسول الله ﷺ.

٥ - دخول زعماء الحزب القرشي في الإسلام ظاهراً بعد فتح مكّة ونجاحهم في جر جيش المسلمين إلىٰ الهزيمة وتمّ ذلك فتدخل الله تعالىٰ ونصر مجموعة المسلمين الصامدة بقتل علي عليه السلام لحامل لواء هوازن فتسبب في فرار الكافرين [1]. فنجح المشروع الرابع ووصل زعماء الحزب القرشي إلىٰ سدّة الرئاسة والحكومة. وهذا الأمر كان معروفاً في قريش في حينها فلقد أظهر أبو طالب الكفر واسرّ الايمان، قال جعفر الصادق عليه السلام:

إنّ مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف اسرّوا الايمان واظهروا الشرك فأتاهم الله أجرهم مرتين[2].

ونزلت في الوليد بن المغيرة ﴿عُتُلٍّ بعد ذلك زنيم﴾[3]

واعترف أبو جهل بالاسلام قائلاً: واللهِ إني لأعلم أن ما يقول حق ولكن يمنعني شيء، إن بني قصي قالوا: فينا الحجابة. فقلنا: نعم.

ثم قالوا: فينا السقاية.

فقلنا: نعم.

ثم قالوا: فينا الندوة.

فقلنا: نعم.

ثم قالوا: فينا اللواء.

فقلنا: نعم.

---

(١) راجع موضوع معركة حنين في هذا الكتاب.

(٢) شرح النهج ١٤ / ٧٠ البحار ٣٥ / ١١١، اصول الكافي ١ / ٣٧٣.

(٣) سورة القلم ١٣.

ثم أطعموا وأطعمنا. حتى إذا تحاكت الركب قالوا: منّا نبي، والله لا أفعل[(١)].

وهذا الحسد والصراع القَبَلي والقومي هو الذي دعا أبا بكر وعمر ورجال الحزب القرشي لا حقاً لمعارضة اجتماع النبوة والخلافة في قبيلة بني هاشم [(٢)] وذلك الصراع هو الذي دعا هؤلاء لقتل رسول الله ﷺ وابنته فاطمة ﷺ [(٣)]، وهو الذي تسبب في اقدام عمر وعثمان علىٰ قتل أبي بكر وصحبه [(٤)]، وهو الذي دفع عثمان وبني أميّة لقتل عمر، وهو الذي دعا معاوية للمساعدة في قتل عثمان ليصل السلطة!!.

اسلام حمزة

واستمر طغيان قريش على رسول الله ﷺ بعد موت أبي طالب فمرَّ أبو جـهل عليه وهو جالس عند الصفا فآذاه وشتمه ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف له فلم يكلمه رسول الله ﷺ.

فأقبل حمزة متوشحاً قوسه راجعاً من قنص له. وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، وكان إذا فعل ذلك لم يمر علىٰ ناد من قريش إلَّا وقف وسلم وتحدث معهم، وكان أعز قريش وأشدها شكيمة.

فقالت له مولاة عبدالله بن جدعان: يا أبا عمارة لو رأيت ما لقي ابن اخيك محمد آنفاً قبل أن تأتي من أبي الحكم بن هشام وجده ههنا جالساً فسبَّه وآذاه وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه، ولم يكلمه محمد.

فاحتمل حمزة الغضب فخرج سريعاً لا يقف على أحدٍ كما كـان يـصنع يـريد الطواف بالكعبة، فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً في القوم، فأقبل نحوه حتى إذا قام

---

(١) دلائل النبوة، البيهقي ٢/٢٠٧، البداية والنهاية ٣/٨٣.

(٢) تاريخ ابن الاثير ٣ / ٢٤، شرح النهج ٣ / ١٠٧، تاريخ الطبري ٣ / ٢٨٩، الأرشاد ١ / ٢٤٨.

(٣) راجع كتاب هل اغتيل النبي محمدﷺ للمؤلف.

(٤) راجع كتاب اغتيال الخليفة أبي بكر وعائشة.

على رأسه رفع القوس فضربه بها ضربة فشجه بها شجة منكرة، وقال:

أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول فُردَّ ذلك عليَّ إن استطعت.

وقامت رجال بني مخزوم لينصروا أبا جهل، فقال أبو جهل: دعوا أبا عُمارة فإني والله لقد سببت ابن اخيه سبّاً قبيحاً[1].

فلما أسلم حمزة عُزَّ به الدين والنبي ﷺ[2] وكان حمزة أعز فتى في قريش وأشدهم شكيمة[3].

محاولة قتل النبي ﷺ في مكة

ومن ضمن المحاولات الرامية لقتل رسول الله ﷺ في مكة محاولة عمر بن الخطاب:

جاء عن انس بن مالك بأن عمر خرج متقلدا سيفه فلقيه رجل من بني زهرة، فقال: اين تعمد يا عمر؟

فقال: أُريد أن اقتل محمداً.

قال: وكيف تأمن في بني هاشم، وبني زهرة، وقد قتلت محمداً؟

فقال عمر: ما أراك إلا صبوت وتركت دينك الذي أنت عليه.

قال: أفلا أدلُّك على العجب يا عمر؟ إنَّ ختنك[4] واختك قد صبوا وتركا دينك الذي انت عليه.

فقال عمر: أتيت الدار (دار أرقم بن أبي الأرقم) وحمزة وأصحابه جلوس في الدار، ورسول الله ﷺ في البيت، فضربت الباب، فاستجمع القوم، فقال لهم حمزة:

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٧٢، ٧٣.

(٢) البدء والتاريخ، المقدسي ٥/٩٨.

(٣) السيرة النبوية، ابن هشام ١/٣١٢، تاريخ الطبري ٢/٧٢ ـ ٧٣.

(٤) زوج اخته.

ما لكم؟

قالوا: عمر بن الخطاب.

قال: وعمر بن الخطاب؟ افتحوا له الباب، فإن أقبل قبلنا منه، وإن أدبر قتلناه.

قال: فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: ما لكم؟

قالوا: عمر بن الخطاب.

فخرج رسول الله ﷺ فأخذ بمجامع ثيابه، ثم نتره نترة، فما تمالك أن وقع على ركبتيه في الأرض. وقال ﷺ: ما أنت بمنتهٍ يا عمر؟

قلت: أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله[١].

أي ان عمر خرج متقلداً السيف وقائلاً: اريد ان اقتل محمداً، وبعد ضربه لاخته لم ينزع سيفه، بل ذهب إلىٰ رسول الله بسيفه ليقتله إذ جاء:

حتىٰ أتىٰ ﷺ عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف، فقال: أما أنت منته يا عمر حتىٰ يُنزِلَ اللهُ بك من الخزي والنكال ما انزل بالوليد بن المغيرة[٢].

وواضح من النص أنَّ النبي ﷺ وحمزة كانا متيقنين من قدوم عمر للاغتيال، إذ جاء متقلداً سيفه.

وذكر ابن اسحاق: وقد بلغ رسول الله ﷺ أن عمر يطلبه ليقتله[٣].

وكان عمر كثير الأذىٰ لرسول الله ﷺ في مكة لذا قال النبي ﷺ له: يا عمر ما تتركني ليلاً ولا نهاراً[٤]. وقال له أيضاً: ما أنت بمنته يا عمر[٥].

ولما فشلت محاولة عمر اضطر إلىٰ الاستسلام والدخول في الإسلام لينال السلطة

---

(١) مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر ٢٦٩/١٨ طبع دار الفكر، سيرة ابن اسحاق ١٨١/٢ طبع دار الفكر.

(٢) الطبقات، ابن سعد ٢٦٨/٣، ٢٦٩، طبع دار صادر ـ بيروت، صفوة الصفوة، ابن الجوزي ٢٦٩/١.

(٣) سيرة ابن اسحاق ص١٨٣ طبع دار الفكر.

(٤) حلية الأولياء ٤٠/١.

(٥) حلية الأولياء ٤٠/١.

من الطرق السياسية. والوصول إلى الزعامة من الناحية الداخلية أفضل من الاستحواذ عليها من الأبواب الخارجية، أليس كذلك؟

ولكن من بعث عمرَ لاغتيال رسول الله ﷺ؟

ذكر محمد بن اسحاق أنَّ قريشاً بعثت عمر بن الخطاب لقتل النبي محمد ﷺ فتقلد سيفه[1].

وقال ابن عساكر: لقد حاول عمر بن الخطاب في مكة أيام الجاهلية قتل رسول الله ﷺ بأمر قريش، لكنه فشل في ذلك[2]. وفشل في محاولاته الأخرى في المدينة ثمّ حاول مرّة أخرى في سنة ١١ هجرية، فهل نجح أم فشل في مهمّته القرشية ستقرأ ذلك في نهايه الكتاب.

لذلك لم يقتل زعماء قريش وهم العاص بن سعيد وخالد بن الوليد وضرار بن الخطاب الفهري عمر في حروبهم عندما تمكّنوا منه ثلاث مرات في بدر واحد والخندق [3].

تصميم النبي ﷺ على تبليغ الرسالة

لما ضغطت قريش على أبي طالب وهددته قال للنبي ﷺ:

يا ابن أخي إنَّ قومك قد آذوني فأبق عليَّ وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت. واكفف عن قومك ما يكرهون من قولك هذا الذي فرق بيننا وبينهم.

---

(١) سيرة ابن اسحاق ص ١٦٠، طبع دار الفكر.

(٢) مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر ١٨/٢٦٩، طبع دار الفكر، الطبقات، ابن سعد ٣/١٩١، صفوة الصفوة، ابن الجوزي ١/٢٦٩.

(٣) الأرشاد ١ / ٧٦ مغازي الواقدي ١ / ٢٣٧، السيرة الحلبية ٢ / ٢٣١، مختصر تاريخ دمشق ١١ / ١٥٦، ١٥٧ طبعة دار الفكر، شرح النهج ١٤ / ٢١٤، طبقات الشعراء لابن سلام ٦٣، البداية والنهاية ٣ / ١٠٧.

فقال رسول الله ﷺ: يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي ما تركت الأمر حتى يظهره الله تعالى أو أهلك في طلبه.

فقال أبو طالب: إمضِ على أمرك، وأفعل ما أحببت، فوالله لانسلمك بشيء ابداً[١].

واغروا النبي ﷺ بالمال والشرف والنساء فرفض عرضهم إذ قال له عتبة بن ربيعة:

أيها الرجل إن كنت إنما بك الرياسة عقدنا الويتنا لك فكنت رأساً ما بقيت، وإن كان بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً، وإن كان إنما بك الباه فاختر أي نساء قريش شئت فنزوجك عشراً، فقال رسول الله ﷺ: فرغت؟

قال: نعم.

فقال رسول الله ﷺ: **﴿بسم الله الرحمن الرحيم، حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون... فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾**[٢]

فلم يهتم النبي ﷺ لعروضهم المغرية في الملك والمال والنساء، ولم يخف أعمالهم المخزية بل مضى لأمر الله تعالى، فنصره الله تعالى.

فعاد عتبة إلى قومه فقال لهم: أجابني بشيء والله ما هو بسحر ولا بشعرٍ ولا كهانة، قرأ: **﴿بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم﴾** حتى بلغ **﴿فإن اعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾**[٣]

فأمسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف، وقد علمتم أنَّ محمداً إذا قال شيئاً لم

---

(١) سيرة ابن اسحاق ١٥٤، تاريخ ابن الأثير ٢/١٥٧.

(٢) فصلت ٢ ـ ١٣.

(٣) فصلت ١ ـ ١٣.

يكذب، فخفت أن ينزل عليكم العذاب[١].

وأضاف عتبة: يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فلكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به[٢].

ولكن قريشا استمرت في غيّها وجبروتها في محاربة رسول الله ﷺ والمسلمين ومناصرة اوثانها والذود عنها، واعتمدوا علىٰ محورين في مجابهة الإسلام ؛ الأول اغراء رسول الله ﷺ بحطام الدنيا والثاني اعتماد سياسة العصا الغليظة لتخويف المسلمين.

فلم يهتم النبي ﷺ لعروضهم المغرية في الملك والمال والنساء ولم يخف اعمالهم المخزية بل مضى لأمر الله تعالى، فنصره اللهُ تعالى.

الدلائل والعبر

في النواحي التربوية والعقائدية والفقهية:

سعى عبد المطلب وابو طالب الى صيانة النبي ﷺ من المخاطر الاجتماعية وواظب محمد على تهذيب نفسه وضبط اهوائه وتحكيم طاعته لله تعالى فجزاه الله الجزاء الاوفى فقد آتاه البارى الحكم صبيا مثل يحيى وساعده الله تربويا بالملائكة والمعاجز الالهية فلايستطيع احد اطعامه الشيء الحرام فأصبح معصوما بالتربية.

ثم تربى في بيته علي عليه السلام منذ نعومة اظفاره ولم يفارقه ابدا مثلما لم يفارق ابو طالب محمدا ﷺ ثم تربت في بيته فاطمة عليها السلام.

---

(١) دلائل النبوة، البيهقي ٢/٢٠٣، البداية والنهاية ٣/٨١.

(٢) البداية والنهاية ٣/٨٢.

ومن الجهة الاخرى ربى طغاة قريش الوليد بن المغيرة وابو سفيان وابو جهل افرادهم على التربية المضادة المتمثلة في تكذيب آيات الله ووصم النبي ﷺ بالجنون.

ومنع تلاميذهم بعد اسلامهم المزيف تدوين القرآن والحديث ونادوا بجنون النبي ﷺ في بيته وفي يوم شهادته.

ومن الناحية العقائدية جاء النبي ﷺ بكتاب كامل في اصول الدين في التوحيد والعدل والنبوة والامامة والمعاد وسار المسلمون والكافرون في هذا الطريق العقائدي والفكري في خطين متوازين لا يلتقيان ولما اسلم طغاة قريش بعد فتح مكة زيفا بقي هذان الخطان لايلتقيان الاول بقيادة اهل البيت والثاني بقيادة الحزب القرشي. فقال علي عليه السلام عند شهادته :فزت ورب الكعبة ،وقال ابو بكر :ياليتني كنت بعرة وقال عمر ياليتني كنت عذرة[١]

ومن الناحية الفقهية فقد بين النبي ﷺ فروع الدين العشرة بعدالبعثة النبوية واحكامها تدريجيا وقال الله تعالى عن البعثة المباركة:

﴿وما كنّا معذبين حتىٰ نبعث رسولاً﴾[٢].

فبعث عزّ وجل محمداً رسولاً الىٰ البشرية هادياً إيـاها الىٰ الصراط المستقيم، وقدوة في الآداب والأخلاق، ومنقذاً من الضلالة الىٰ النور.

فأصبحت البلاد العربية القاحلة والمتروكة من قبل القوتين العظيمتين الرومية والفارسية مركزاً مهماً للحضارة، وقطباً مهماً في السياسة.

ولم يمض زمناً طويلاً حتىٰ أضحت الدولة الإسلامية الفتيّة مسيطرة علىٰ بلاد كثيرة، والأمر القيادي بإدارة ايران والعراق والشام وافريقيا يصدر منها! وذلك من

---

(١) حياة الصحابة للكاندهلوى ٢/٩٩.وكنز العمال ٤/٣٦١ و ٦/٣٦٥.وتاريخ الخلفاء للسيوطي ١٤٢.والامامة والسياسة لابن قتيبة ١/١٨.

(٢) الإسراء ١٥.

العبر المستحقة للنظر والتدقيق!

فالله تعالى هو الرازق والواهب يفضّل من يشاء علىٰ من يشاء ويدحر من أراد في لحظة واحدة. ولقد فضّل الله تعالى مكّة علىٰ من سواها بنزول كتابه الشريف علىٰ محمدﷺ وجعلها قبله للعالمين.وبينما كانت مدينة القدس القبلة الاولى للموحدين حلّت مكة محلها رغم المركزية الجغرافية التي تتمتع بها القدس، والمكانة النائية التي تتصف بها مكة. فاعتبروا يا أولي الألباب.

فصلّى خاتم الأنبياء اول صلاة جماعة في مكة مع أمير المؤمنين عليعليه السلام وخديجة فكانت حادثة عظيمة تتناقلها المجالس في مدن العرب. وباقي الحواضر العالمية.

ولما ولد النبيﷺ في مكة وبعث فيها أضحى الحديث فيها عن رسول اللهﷺ وكتابه المنزّل ومكة هو الغالب علىٰ بقية الأحاديث.وكرّم الله تعالى الكعبة بولادة أمير المؤمنين عليعليه السلام في جوفها الذي قال فيه خاتم الانبياء:«امام المتقين وقائد الغر المحجلين يوم القيامة»[1].ومن العبر النادرة تطهير وليد الكعبة عليعليه السلام الكعبة من الأصنام في يوم فتح مكة وعلىٰ دربه سار الأئمة الخلفاء من ولدهعليهم السلام.وأبقى الله تعالى تلك الشموس المضيئة للبشرية يتبعها المهتدون بقول رسول الحضارة محمدﷺ:

اهل بيتي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم[2].

لقد كانت هاجر خادمة سارة ثم أصبحت ضرّتها واما لاسماعيل فلم تستحمّل سارة ذلك. فنقل النبي إبراهيمعليه السلام سكنها الى مكّة.وقد وقفت عند العبرة المستوحاة من رحلة اسماعيلعليه السلام وامه هاجر الىٰ امّ القرى فقد حَزَنت من ترك إبراهيمعليه السلام لها وابنها في ارض جرداء لا ماء فيها ولا شجر ولا بشر بعد غضب سارة عليها.

ولكن لم تدم حسرة هاجر ولم يطل حزنها، بجري اسماعيلعليه السلام في الارض الحرام

---

(١) الاصابة ٤ / ٣٢، اسد الغابة ١ / ٦٩، ٣ / ١١٦، المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٤٨ ح ٤٦٦٨.

(٢) مناقب آل ابي طالب ٣ / ٢٠٩.

إذ نبع ماء زمزم تحت قدميه ففرحت هاجر وجرت دموع الفرح علىٰ خديها بعد حزنها العميق وحسرتها الطويلة.فتحول ذلك الماء علة لسكن الناس ونبات الشجر في مكة فطار صيتها وذاع خبرها في الآفاق حتىٰ اصبحت أمّاً للقرى فهل من مدَّكر؟

ثم ولدت سارة ولدا (اسحاق) مثلما ولدت خادمتها هاجر ولدا فهل من معتبر؟

وعلىٰ طريق العبر ذكرت كتب السير بان أميّة بن خلف قد عذّب بلالاً الحبشي في رمضاء مكة عذاباً لا نضير له، ولم تمض ايام كثيرة إلّا وأميّة بن خلف مهزوماً من معركة بدر وبلال الحبشي جارياً خلفه في براري الحجاز وقاضياً عليه![1]

وبينما شارك ابو جهل في اهانة وتعذيب عبد الله بن مسعود شاءت الصدف ان يصعد ابن مسعود علىٰ صدره في معركة بدر افقد أجلس الله تعالى ابن مسعود الهذلي حليف بني زهرة علىٰ صدر رئيس قبيلة مخزوم كرامةً له واهانة للطاغية افقال له ابو جهل: لقد ارتقيت يا رويعي الغنم مرتقىً صعباًافاحتزّ ابن مسعود رأسه [2].

والأدلّة علىٰ رؤية النبيﷺ للملائكة قبل المبعث

١ ـ قوله تعالىٰ:

﴿إلّا من ارتضىٰ من رسولٍ فإنّه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً﴾[3]

فقال محمّد الباقر: يوكّل الله تعالىٰ بأنبيائه ملائكة يحصون أعمالهم ويؤدّون إليه تبليغهم الرسالة. ووكّل بمحمّدﷺ ملكاً عظيماً منذ فصل من الرضاع يرشده الى الخيرات ومكارم الأخلاق ويصدّه عن الشرّ ومساوئ الأخلاق وهو الذي كان يناديه: السلام عليك يا محمّد يا رسول الله[4].

٢ ـ وقال اليعقوبي كان جبرئيل يظهر له ويكلّمه وربّما ناداه من السماء ومن

---

(١) شرح النهج ١٤ / ١٣٨.

(٢) تاريخ ابن الأثير ٢ / ١٢٧.

(٣) سورة الجن: ٢٧.

(٤) شرح النهج: ١/ ١ / ٢٠٧.

الشجر ومن الجبل، ثمّ قال له: إنّ ربّك يأمرك أن تجتنب الرجس من الأوثان فكان أوّل أمره ﷺ[١].

٣ ـ قال علي بن أبي طالب عليه السلام: كنت في غار حراء أرىٰ نور الوحي والرسالة وأشمّ ريح النبوّة ولقد سمعت رنّة الشيطان حين نزل عليه فقلت للنبي.

فقال ﷺ: إنّك تسمع وترىٰ ما أرىٰ إلّا أنّك لست بنبي ولكنّك لوزير[٢].

٤ ـ قال جعفر الصادق عليه السلام: كان علي عليه السلام يرىٰ مع رسول الله ﷺ قبل الرسالة الضوء ويسمع الصوت[٣].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٧.

(٢) شرح النهج: ١٣ / ١٩٧.

(٣) شرح النهج: ١٣ / ٢١٠.

الفصل الثاني

الهجرة إلى الحبشة



هجرة المسلمين إلىٰ الحبشة فيها وجهات نظر واهداف عديدة منها :

ضرورة الهجرة إلىٰ الأماكن الاخرىٰ هرباً من الطغاة والعتاة كما قـال تـعالىٰ: «**قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها**» [1].

عليه يجب علىٰ المسلم الركون إلىٰ أصحاب الديانة والرحمة والشفقة والابتعاد عن الكفرة والقساة والفسقة وتمت الهجرة وكان النـجاشي النـصراني بـين ضـغط قريش واغراءاتها وبين مطالب المسلمين، فهل كان ذلك الملك عـند حسـن ظـن رسول الله ﷺ؟

هذا ما نراه من خلال البحث الاتي.

لما قهرت قريش المسلمين المستضعفين، وعذّبت العبيد فـيها أمـرهم رسـول الله ﷺ بالخروج إلى الحبشة في السنة الخامسة للبعثة، وفيها مَلِكٌ صالح يـقال له النجاشي لا يُظلم أحد بأرضه، وكانت أرض الحبشة مَتْجَراً لقريش يتجرون فـيها ويجدون فيها رفاغاً من الرزق وأمناً ومتجراً حسناً.

وأصبح مجموع الخارجين إلى الحبشة ثلاثة وثمانين رجلاً وتسع عشرة إمرأة عدا الاطفال، ويقال: إنّ المجموعة الاولى كانت عشرة رجال وأربع نساء عليهم عثمان بن مظعون [2].

---

(١) النساء ٩٧.

(٢) البداية والنهاية ٣/٦٧، سيرة ابن هشام ١/٣٤٥، السيرة الحلبية ١/٣٢٤، تاريخ الخميس ١/٢٨٨.

وكان مخرجهم في رجب في السنة الخامسة من حين نُبيءَ رسول الله ﷺ، وخرجت قريش في آثارهم حتى جاءوا البحر حيث ركبوا فلم يدركوا منهم أحداً(١).

وفي الحبشة جاورهم الأحباش أحسن جوار، وآمنوهم على دينهم لا يؤذوهم ولا يسمعوهم شيئاً يكرهوه في ظل عدالة الملك الحبشي النصراني. والمهاجرون إلى الحبشة: جعفر بن أبي طالب، وعثمان بن مظعون، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبدشمس، وامرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو، وأبو سبرة بن أبي رُهم بن عبدالعُزى، وأبو سلمة وأم سلمة(٢) وأبو سلمة أول من هاجر بأهله وحاطب بن أبي عمر وسليط بن عمرو(٣).

واختار النبي ﷺ الحبشة لملكها العادل واستقلالها عن الروم وفارس، وطغت قريش ولم تفرح من هجرة المسلمين إليها بل أرادت ارجاعهم منها وقتلهم.

فلما رأت قريش أنَّ المهاجرين قد أطمأنّوا بالحبشة وأمنوا، وأنَّ النجاشي قد أحسن صحبتهم، ائتمروا بينهم فبعثوا عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة، وعمارة بن الوليد بن المغيرة ومعهم هدايا كثيرة إلى النجاشي وأعيان أصحابه.

فساروا حتى وصلوا الحبشة، وأعطوا أصحاب النجاشي هدايا وقالوا لهم: إنَّ ناساً من سفهائنا فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دين الملك وجاءوا بدين مُبْتَدع لا نعرفه نحن ولا أنتم.

---

(١) تاريخ الطبري ٦٩/٢، تاريخ اليعقوبي ٢٩/٢.

جاء بان ابن العاص ذهب إلى الحبشة ليكيد الإسلام مرتين السيرة النبوية، ابن كثير ٢٧/٢البداية والنهاية ٧٦/٣الاحتجاج ٤١١/١، ٤١٢ أي مرة مع عمارة بن الوليد ومرة مع عبدالله بن أبي ربيعة.

قال اليعقوبي: أرسلت قريش ابن العاص وعمارة بن الوليد وقال الطبري ارسلوا ابن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة وقال آخرون ارسلوا ثلاثة: ابن العاص وعمارة وعبدالله بن أبي ربيعة دلائل النبوة ٢٩٧ ـ ٣٠٣، عيون الأثر ١٥٦/١.

(٢) أسد الغابة ١٩٦/٣، الإصابة ٣٣٥/٢، الإستيعاب بهامش الإصابة ٣٣٨/٢، السيرة الحلبية ٣٢٣/١.

(٣) الإصابة ٣٠١/١، السيرة الحلبية ٣٢٣/١.

وقد أرسلنا أشراف قومهم إلى الملك ليردّهم إليهم، فإذا كلّمنا الملك فيهم، فأشيروا عليه بأن يرسلهم معنا من غير أن يكلمهم، وخافوا ان سمع النجاشي كلام المسلمين أن لا يسلمهم.

فحضروا عند النجاشي وأعطوه الهدايا، وطلبوا منه تسليم المسلمين.

فأشار أصحابه بتسليم المسلمين إليهم. فغضب من ذلك وقال: لا والله لا أسلم قوماً جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على مَنْ سواي حتى ادعوهم وأسألهم عما يقولون.

فأرسل النجاشي الى أصحاب النبي ﷺ، وقد أجمعوا على صدقه فيما ساءه وسرّه، وكان المتكلم عنهم جعفر بن أبي طالب.

فقال لهم النجاشي: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا دين أحد من الملل؟

فقال جعفر: أيها الملك كنّا أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القويُّ منّا الضعيف.

حتى بعث اللهُ إلينا رسولاً منّا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا لتوحيد الله تعالى، وأن لا نشرك به شيئاً ونخلع ما كنّا نعبد من الأصنام وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء.

ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وأمرنا بالصلاة والصيام، فآمنّا به وصدّقناه، وحرّمنا ما حرّم علينا وحللنا ما أحل لنا.

فتعدى علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردّونا إلى عبادة الاوثان، فلما قهرونا وظلمونا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك، واخترناك على مَنْ سواك ورجونا أن لا نُظْلَم عندك أيها الملك.

فقال النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله تعالى شيء؟

قال: نعم فقرأ عليه بعض سورة الكهف.

فبكى النجاشي وأساقفته، وقال: إنَّ هذا والذي جاء به عيسى عليه السلام يخرج من مشكاة واحدة، انطلقوا والله لا أسلمهم أبداً.

فلما خرجوا قال عمرو بن العاص: والله لآتينَّه غداً بما يبيد خضراءهم فلما كان الغد قال للنجاشي: إنَّ هؤلاء يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً.

فأرسل النجاشي فسألهم عن قولهم في المسيح عليه السلام.

فقال جعفر: نقول فيه الذي جاءنا به نبينا: هو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

فأخذ النجاشي عوداً من الأرض، وقال: ما عدا عيسى عليه السلام ما قلتَ هذا العود.

وردَّ هدية قريش، وقال: ما أخذ اللهُ تعالى الرشوة مني حتى آخذها منكم، اخرجا من بلادي، فخرجا مقبوحين[1].

وبعدما فشل وفد قريش في مأموريتهم تفرغوا لأمرهم. وكان عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد قد تلاحيا في الطريق، وكانت رابطة بنت منبه بن الحجاج السهمي مع زوجها عمرو بن العاص. وكان عمارة مغرماً بالنساء فقال لعمرو: قل لها فلتقبلني.

فقال: سبحان الله: أتقول هذا لابنة عمِّك؟

قال: والله لتفعلن أو لأضربنك بهذا السيف.

فقال لها: قبّليه، ثم إنّ عمارة اعتقل عمراً فألقاه في البحر، فعام عمرو وأوهمه أنّه فعل هذا مزاحاً فقال: ألقِ إلى ابن عمك الحبل، فألقى إليه الحبل فخرج.

فلما أراد عمرو وعمارة الانصراف وأيسا من عند النجاشي، قال عمرو لعمارة. لو أرسلت إلى امرأة الملك النجاشي فلعلنا ننال منها حاجتنا عنده، ففعل ذلك ولاطفها،

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٣٦٠، البداية والنهاية ٣/٧٤، تاريخ الخميس ١/٢٩٠، حلية الاولياء ١/١١٤، تاريخ ابن الأثير ٢/٨١، ٨٢، تاريخ الطبري ٢/٧٣.

فكان ينام عندها، ودهنته بدهن النجاشي.

وقال عمرو بن العاص له: لقد أصبت شيئاً ما أصاب أحد من العرب مثله، امرأة الملك، ثم وشى به عند النجاشي فدعا به ودعا السواحر فنفخن في احـليله فـجن وخرج هارباً مع الوحوش(١).

وعمارة بن الوليد من المتّهمين بالزنا بهند بنت عتبة مع ثلاثة آخرين ومعاوية منهم(٢).

إنّ أعمال عمارة اللاأخلاقية مع زوجة عمرو بن العاص وزناه بـزوجة المـلك الحبشي كان فيها تجربة جيّدة للنجاشي للتعرف علىٰ فساد زوجته وسفيري قريش وطهارة المسلمين وعلىٰ رأسهم جعفر بن أبي طالب، وهي تجربة تربوية له ولبـاقي الملوك في وجوب الابتعاد عن الكافرين والمنافقين والاعتماد علىٰ المؤمنين.

والسؤال المطروح هو هل ادىٰ هذا العمل إلىٰ اسلام النجاشي؟

لقد أرسلت قريش ثلاثة من دهاتها إلى الحبشة ليمكروا بالمسلمين فمكر الله تعالى بهم فجن عمارة وعاد ابن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة ذليلين إلى مكة.

ثم نال ابن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة أعلى المناصب في زمن خلافة قريش ولو عاش عمارة لنال ما ناله ابن العاص وابن أبي ربيعة، اللذان كانا مثل باقي طغاة مكة لا يتمسكان بالتقوى ولا يدينان بالورع! ولم يستخدم أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية المسلمين السابقين المهاجرين في وظائف الدولة لماذا؟

هل أصبح عمر في كفّة ابن العاص وابن أبي ربيعة بعد ان رفضهم رسول الله ﷺ والنجاشي؟

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٣٠، سيرة ابن اسحاق ١٦٨، ١٦٩.
(٢) البحار ٣٣ / ٢٠١.

اسلام النجاشي

بعث رسول الله ﷺ رسالة إلى النجاشي ملك الحبشة بيد جعفر بن أبي طالب جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم عظيم الحبشة سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسوله فأسلم تسلم.

﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلّا الله، ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله. فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾[١].

فإن أبيت فعليك إثم النصارى من قومك[٢].

فأسلم النجاشي وكتب رسالة إلى النبي ﷺ بذلك جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم. إلى محمد رسول الله من النجاشي الاصحم بن أبجر، سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته لا إله إلّا هو الذي هداني إلى الإسلام، فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى عليه السلام.

فورب السماء والأرض إنّ عيسى عليه السلام ما يزيد على ما ذكرت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا وقد قربنا ابن عمك وأصحابه، فأشهد إنك رسول الله صادقاً مصدقاً، وقد بايعتك، وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين.

وقد بعثت اليك يا نبي الله بأريحا بن الاصحم بن أبجر فأني لا أملك إلّا نفسي، وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله، فإني أشهد أن ما تقول حق»[٣].

---

(١) آل عمران ٦٤.

(٢) المستدرك، الحاكم ٢/٦٢٣، البداية والنهاية ٣/٨٢، دلائل النبوة ٢/٣٠٨.

(٣) دلائل النبوة ٣/٣١٠، البداية والنهاية ٣/٨٣ ـ ٨٤، البحار ١٨/٤١٨.

وقال: اشهد أنه رسول الله وإنّه الذي بشر به عيسى عليه السلام في الانجيل[١].

ولما عرف الأحباش بإسلامه ثاروا عليه، فوضع النجاشي المسلمين في سفينة قائلاً لهم إن هزمت فاذهبوا بسفينتكم، وإن انتصرت فابقوا عندي، فنصره الله تعالى على أعدائه، وبقي المسلمون في دولته[٢].

قضية الغرانيق والايات الشيطانية

إخترع الحزب الأموي أكذوبة مفادها: مدح النبي ﷺ لأصنام العرب اللات والعزى ومناة، وتلقي رسول الله ﷺ الوحي من الشيطان.

وهدف قريش من ذلك إعلاء شأن أصنامها، واتهام النبي ﷺ في رسالته وعصمته ومصداقيته، والتشكيك في القرآن الكريم.

والقصة المخترعة تتمثل في جلوس النبي ﷺ مع كفار قريش بعد هجرة المسلمين إلى الحبشة بحوالي شهرين، فأنزل الله تعالى عليه سورة النجم ؛ فقرأها حتى إذا بلغ قوله تعالى:

﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾[٣]

وسوس إليه الشيطان بكلمتين، هما (تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى) ظاناً أنهما من جملة الوحي.

حتى إذا بلغ السجدة، سجد وسجد معه المسلمون والمشركون ولكن الوليد بن المغيرة لم يتمكن من السجود لشيخوخته، أو لتكبره فرفع ترابا إلى جبهته فسجد عليه.

وسجد الانس والجن، وطار الخبر في مكة، وفرح المشركون، فحملوا الرسول

---

(١) عيون الأثر ١/١٥٥.

(٢) السيرة الحلبية ٢/٢٠٢، البداية والنهاية ٣/٨٨، سيرة ابن هشام ١/٣٦٥.

(٣) النجم ١٩، ٢٠.

وطافوا به في مكة من اسفلها إلى أعلاها.

ولما امسى جاءه جبرائيل فعرض عليه السورة، وذكر الكلمتين فيها ؛ فانكرهما جبرائيل فقال ﷺ: قلتُ على الله ما لم يقل؟

فأوحى الله اليه: **﴿وإن كادُوا لَيفتنونَكَ عن الذي أوحَينا إليكَ، لتفتري علينا غَيرَهُ، وإذاً لاتَّخذُوكَ خليلاً...﴾**[1]

ودعموا هذه القصة الكاذبة بالآية القرآنية: **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلَّا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته، فينسخ الله ما يلقي الشيطان، ثم يحكم الله آياته، والله عليم حكيم، ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض...﴾**[2]

والصحيح أنّ الله تعالى بيَّن رأيه في رسوله قائلاً: **﴿إن هو إلّا وحي يوحى﴾**[3] **﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين﴾**[4].

وكذب الله تعالى سلطة الشيطان على المؤمن قائلاً:

﴿إنَّه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾[5]

﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾[6]

ولم تأت أحاديث نبوية تكذب هذه القصة مما يبين كذبها، إذ لو كانت القصة مختلقة في زمن النبي ﷺ لكذبهاالنبي في حينه لكنها وجدت في العصر الاموى .

---

(١) سورة الاسراء ٧٣.

(٢) الحج ٥٢، ٥٣ تفسير الطبري ١٣١/١٧ ـ ١٣٤، تفسير الدر المنثور، السيوطي ١٩٤/٤، فتح الباري ٣٣٢/٨.

(٣) النجم ٤.

(٤) الحاقة ٤٤، ٤٥.

(٥) سورة النحل ٩٩.

(٦) سورة الإسراء ٦٥.

فنحن نعتقد بأنّ القصة كاذبة من أصلها اخترعها الأمويون.

وسار معظم المؤرخين والحفاظ على نظرية الحزب الأموي فذكروا قضية الغرانيق في كتبهم[1].

واستفاد سلمان رشدي الملحد من هذه القصّة فألّف كتابه الآيات الشيطانية اعتمادا على كتاب البخاري ومسلم.

وكذّب محمد بن اسحاق هذه القصة وألف في ذلك كتاباً وقال بانها من وضع الزنادقة[2].

وقال أبو حيان: إنّه نزه كتابه عن ذكر هذه القصة أي قصّة الغرانيق فيه[3].

وقد كذّب هذه القصة السيد المرتضى، وابن العربي، والبيهقي، والرازي، والنووي، والنسفي، والقاضي عبدالجبار[4].وقد كذّبها الدمياطي والحافظ عبدالعظيم المنذري.

وكذب اليعقوبي قضية الغرانيق وما اتصل بها من الهجرة الثانية إلى الحبشة فلم يذكرها في تاريخه.

ورغم هذا دوّنها المتأخرون في كتبهم.

وبقي جعفر وصحبه ١٢ سنة في الحبشة لتبليغ الاسلام وعادوا في فتح خيبر.

كذب الهجرة الثانية الى الحبشة

جاء في الخبر الصحيح كانت الهجرة إلى الحبشة واحدة فقد روى الواقدي أن

---

(١) البدء والتاريخ، البلخي ٢/٥٤، عيون الأثر، ابن سيد الناس ١/١٥٨، تاريخ الطبري ٢/٧٧٦، تاريخ ابن الأثير ٢/٧٧، البداية والنهاية ٣/١١٣، سيرة ابن اسحاق ١٧٧.

(٢) راجع البحر المحيط لأبي حيان ٦/٣٨١.

(٣) تفسير البحر المحيط ٦/٣٨١.

(٤) تنزيه القرآن عن المطاعن ٢٤٣، فتح الباري ٨/٣٣٢، تفسير الرازي ٢٣/٥٠، المواهب اللدنية ١/٥٣، السيرة الحلبية ١/١١.

أول من هاجر منهم أحد عشر رجلاً وأربع نسوة[١].

وقال ابن جرير وآخرون بل كانوا اثنين وثمانين رجلاً سوى نسائهم وأبنائهم[٢].

وقد قال عبدالله بن مسعود: «بعثنا رسول الله ﷺ الى النجاشي ونحن ثمانون رجلاً، ومعنا جعفر بن أبي طالب وعثمان بن مظعون... فدخلوا على النجاشي فلم يسجدوا له.

فقالوا: ما لكم لم تسجدوا للملك؟.

فقال (جعفر بن أبي طالب): إنّ الله عزّ وجلّ بعث إلينا نبيه فأمرنا أن لا نسجد إلاّ لله تبارك وتعالى»[٣].

ومن الطبيعي ان تكون الهجرة إلى الحبشة مثل الهجرة إلى المدينة في مجموعات متفرقة مستخفية على ان يكون التقاؤها في جدة أو في الساحل الحبشي. وتسمى هذه هجرة واحدة.

لكن مخترعي قصة الغرانيق احتاجوا لتكميل قصتهم إعادة بعض المسلمين خيالياً من الحبشة بعد شهرين من وصولهم اليها لتكمل اكذوبتهم فقالوا بعودة بعض المسلمين إلى مكة منهم عثمان بن مظعون.

ولم يكن كذبهم مرتّباً إذ كيف يصل خبر المصالحة بين رسول الله ﷺ وقريش بهذه السرعة القياسية إلى الحبشة، فيعودوا إلى مكة! بلا ضمان ودون التثبت من صحّة الخبر!

إذ ان وصول الخبر إلى الحبشة وعودتهم إلى مكة يحتاج إلى شهرين! وبعض المسلمين لم يكن مضى عليه في الحبشة شهر واحد، ولماذا لم يرجع كل المسلمين من الحبشة بعد سماعهم الخبر؟

---

(١) البداية والنهاية ٣/٨٤.

(٢) البداية والنهاية ٣/٨٥.

(٣) دلائل النبوة، البيهقي ٢/٢٩٨.

إن عودة بعض المسلمين من الحبشة ورجوعهم اليها مستندة إلى قصة الغرانيق، والمبني على الفاسد فاسد.[١]

الدلائل والعبر

من الناحية العقائدية عذّب المشركون المسلمين وأذاقوهم ألوان العذاب في مكة بدءاً من المقاطعة الاجتماعية والاقتصادية والعذاب الجسدي والنيل من كرامتهم لترك العقيدة الاسلامية .فصبر المسلمون ودعوا الله تعالىٰ بانقاذهم من شر العتاة المردة، فأوجد الباري عزّ وجل طريقاً للنجاة والكرامة لهم متمثلاً في الحبشة بتسهيل أمر الهجرة اليها من جهة وهداية ملكها الىٰ الإسلام من جهة اخرى.فحصل المسلمون علىٰ العز والراحة والأمان في تلك البلاد.

﴿والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة﴾[٢].

فاشتد غضب قريش وطار صوابها لأمور عديدة منها:

الأول: نجاة المسلمين من القتل والعذاب القرشي.

الثاني: أصبحت هجرتهم مكسباً هاماً في اذهان أهالي مكة والحجاز يشجع الناس علىٰ دخول الاسلام، ويدفع المسلمين الىٰ مواصلة الاعتقاد بالدين الجديد.

الثالث: خوف قريش من تحالف الحبشيين مع المسلمين ومساعدتهم لهم في صراعهم مع قريش. فتفقد مكة تجارتها مع الحبشة وتخسر صديقا قديماً لها. وكان القرشيون يزورون الحبشة واليمن في رحلتهم التجارية الشتوية.

ومن الناحية العقائدية ايضا أرسلت قريش اعتىٰ شياطينها الىٰ الحبشة للمجيء بالمسلمين وقتلهم، وتقوية علاقاتها بدولة الحبشة وهم عمرو بن العاص وعبد الله

---

(١) سالبة بانتفاء الموضوع بزيف قصة الغرانيق.

(٢) النحل ٤١.

بن ابي ربيعة وعمارة بن الوليد المخزومي[1] فحصل صراع عقائدي بين الإسلام والكفر في الحبشة مركزه القصر الملكي واشتدّ ذلك الصراع فانقسمت الحكومة الحبشية بين مؤيد ومعارض.

وبينما كان جعفر بن أبي طالب يقود راية الإسلام في هذا البلد كان عمرو بن العاص يحمل راية الكفر هناك، وبعد مناقشات حادّة نصر الله تعالىٰ الموحّدين وطمس راية المشركين، فردّ الملك هدايا القرشيين.

وهما نموذجان لتربيتين مختلفتين الاولى تربية أبي طالب وفاطمة بنت اسد الدينية والثانية تربية العاص والنابغة الجاهلية

ومن الناحية التربوية ايضا أصبحت أخلاق المسلمين في الحبشة عبرة للمسيحيين، في حين أصبحت أعمال الكافرين لعنة عليهم وعلى أنصارهم، إذ نفذ عمارة المتربي في حضن الوليد بن المغيرة الى مخدع ملكة البلاد، فأخبر عمرو بن العاص ملك الحبشة بذلك فطار الخبر في البلاد واصبح عمارة بن الوليد بن المغيرة عبرة للزناة الخونة وللناس جميعاً، اذ كانت الحبشة نهاية لمغامراته النسائية، التي كان منها روابطه اللامشروعة بهند (ام معاوية) وملكة الحبشة.فاصبحت رحلة سفراء قريش المذكورة عاراً ولعنة عليها، ومن دواعي سوء علاقتها بملك الحبشة.

وهذه من مصاديق قوله تعالىٰ «إن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم»[2].

فجعل الباري عزَّ وجل الحبشة أرضاً للسلام ومقراً للعز والأمان للمسلمين انه علىٰ كلّ شيءٍ قدير.

فبرزت ناحية فقهية مهمة في تحريم الاسلام للزنا ورعايته للعفة وانجرار الكفرة وراء الانحطاطات اللااخلاقية .

---

(١) سيرة ابن هشام ١ / ٣٦٠، البداية والنهاية ٣ / ٧٤، تاريخ الخميس ١ / ٢٩٠، حلية الأولياء ١ / ١١٤.

(٢) محمد ٧.

الفصل الثالث

المقاطعة السياسية والاجتماعية والاقتصادية

صحيفة المقاطعة

لما فشلت إغراءات قريش للنبي ﷺ واستمر بنو هاشم في الدفاع عن محمد ﷺ ائتمروا في أن يكتبوا بينهم كتاباً يتعاقدون فيه على أن لا يُنكحوا بني هاشم وبني المطلب ولا يَنكحوا إليهم، ولا يبيعوهم ولا يبتاعوا منهم شيئاً، فكتبوا بذلك صحيفة وتعاهدوا على ذلك، ثم علّقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً لذلك الأمر على أنفسهم.

فلما فعلت قريش ذلك انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب، فدخلوا معه في شعبه، وخرج من بني هاشم أبو لهب بن عبدالمطلب إلى قريش، فلقي هنداً بنت عتبة فقال:

كيف رأيت نصري اللّات والعزى؟ قالت: لقد أحسنتَ[1].

وقد وقّع على تلك الصحيفة أربعون رجلاً من وجوه قريش، وختموها بخواتيمهم وذلك في السنة السابعة من البعثة النبوية[2].

وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة فشلت يده وقُتِل يوم بدر كافراً[3].

ولقد اضطرت قريش إلى هذه المقاطعة بحق بني هاشم والمطلب لأجبارهم على

---

(١) تاريخ ابن الأثير ٨٧/٢ـ ٩٠.

(٢) تاريخ ابن الأثير ٨٧/٢ـ ٩٠.

(٣) تاريخ ابن الاثير ٨٩/٢، سيرة ابن دحلان ١ / ٢٢٢.

تسليم رسول الله ﷺ ليقتلوه، إذ أنّ قريشا خافت إقدامها على قتل النبي ﷺ من رد فعل بني هاشم والمطلب.

فأقام ومعه جميع بني هاشم وبني المطلب ثلاث سنين حتى أنفق رسولُ الله مالَه، وانفق أبو طالب ماله، وانفقت خديجة بنت خويلد مالها وصاروا إلى حد الضرّ والفاقة.

ووضعت قريش عليهم الرقباء حتى لا يأتيهم أحد بالطعام، فكانوا لا يخرجون من شعب أبي طالب إلاّ في موسم العمرة في رجب وموسم الحج في ذي الحجة للبيع والشراء، أكلوا فيها الخبط وورق الشجر[1]،وتعرض الاطفال لمحنة عظيمة وعلى رأسهم فاطمة بنت محمد ﷺ التي بقيت في الحصار من عمر اثنين سنة الى خمس سنين .

فتحركت قريش لمنع ذلك بشراء بضاعة التجار بأغلى الأثمان، وتهديد المتعامل مع بني هاشم بمصادرة ماله، وعلى رأس أولئك أبو جهل، وأبو لهب، وأبو سفيان[2].

وفي فترة المحنة كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ يأتيهم بالطعام من مكة سرّاً، ولو أنّهم ظفروا به لم يبقوا عليه[3].

ولما كان هدف قريش الإجهاز على روح النبي ﷺ، فقد احتاط أبو طالب في ذلك بنقله من فراشه ليلاً ووضع أحد أبنائه محله[4].

وكان عمر وأبو بكر مع المحاصرين لشعب أبي طالب لأنّهما لم يسلما في ذلك التاريخ[5].

---

(١) سيرة ابن دحلان ١ / ٢٢٢.

(٢) البحار ١٩/١٦، البداية والنهاية ٣/٨٤، تاريخ اليعقوبي ٢/٣١.

(٣) شرح النهج، المعتزلي ١٣/٢٥٦.

(٤) شرح النهج، المعتزلي ١٣/٢٥٦، ١٤/٦٤، البداية والنهاية ٣/٨٤، سيرة ابن دحلان ١ / ٢٢٣.

(٥) مجمع الزوائد ١ / ٧٦ عن الطبراني في الكبير.

أبو طالب بن عبدالمطلب

وهو عبدمناف بن عبدالمطلب ترأس قبيلة بني هاشم بعد أبيه عبدالمطلب، وسار على وصية أبيه في الأهتام بمحمد ﷺ اهتماماً خاصاً[١]. فكان يحبه اكثر من ابنائه إلى درجة السعي للتضحية بابنائه في سبيل الدفاع عنه.

وظهر ذلك في شعب أبي طالب يوم كان يضع أحد ابنائه في فراش النبي ﷺ ليلاً لانقاذه من أي شر محدق به!!

وتمثل اهتمام أبي طالب برسول الله ﷺ في عدم مفارقته له، بأخذه معه إلى الشام للتجارة وهناك التقى بحبر من احبار اليهود في تيماء، فقال لأبي طالب: ما هذا الغلام منك؟

قال: هو ابن أخي. قال: أشفيقٌ أنت عليه.

قال: نعم. قال: فوالله لئن قَدِمْتَ به الشام لا تصل به إلى اهلك أبداًلَتَقْتُلَنَّه اليهودُ، إنَّ هذا عدُّوهم فرجع به أبو طالب من تيماء إلى مكة[٢]. والظاهر أنّ رسول الله ﷺ التقى بالرهبان في أطراف الشام.

واهتمت فاطمة بنت أسد زوجة أبي طالب بمحمد ﷺ واهتمامها نابع من اعتقادها الديني الراسخ بدين إسماعيل وإبراهيم فقال ﷺ في وصف رعايتها يوم ماتت:

اليوم ماتت أمي، وكفنها بقميصه، ونزل في قبرها، واضطجع فيه، وصنع ما لم يصنعه مع مسلم قبلها، وقال لمن سأله عنها: إنها كانت أمي تجيع أولادها وتطعمني وتشعثهم وتدهنني، وما أحسست باليتم منذ أن التجأت إليها.

وأسلم أبو طالب سراً و هذا أمرٌ مؤكد، ومما يدل على اسلامه:

---

(١) تاريخ أبي زرعة ٢٢.

(٢) دلائل النبوة، البيهقي ١/٨٩.

١ ـ قوله لرسول الله ﷺ: والله لا يخلص اليك أحد بشيء تكرهه ما بقيت[١].

٢ ـ وذكروا انه قال لعليّ: أي بُني ما هذا الدين الذي أنت عليه؟

فقال: يا أبت آمنت برسول الله، وصدقت بما جاء به، وصليت معه لله واتبعته.

فقال أبو طالب له: أما أنّه لم يدعك إلاّ إلى خير فالزمه[٢].

٣ ـ ولما أظهرت قريش عداوتها، حدب عليه أبوطالب عمه ونصره ومنعه[٣] وقال:

والله لَنْ يصلوا إليك بجمعهم حتى أُغَيَّبَ في التراب دَفينا

ودَعَوتني وزَعمتَ أنّكَ ناصحٌ وَ لَقَدْ صَدَقتَ وكنتَ ثمَّ أميناً

وعرضتَ ديناً قَدْ عَلمتُ بأنَّهُ من خَيْرِ أديانِ البريّةِ ديناً[٤]

٤ ـ وقال ابن اسحاق: كان أحب الناس إلى أبي طالب رسول الله ﷺ[٥].

٥ ـ وقد أجمع أهل البيت ﷺ على إيمان أبي طالب[٦]، بل جاء أنّه من الأوصياء[٧].

وقال العلامة الأميني: إنَّ بعض العلماء من أهل السنة صرحوا بإيمان أبي طالب مثل الإسكافي والبلخي والتلمساني والشعراني وسبط ابن الجوزي والقرطبي والسبكي والسيوطي[٨].

---

(١) عيون الأثر ١/١٢٦، تاريخ ابن الأثير ٢/٥٨، تاريخ الطبري ٢/٥٨، ٥٩

(٢) عيون الأثر ١/١٢٦، الكامل، ابن الأثير ٢/٥٨، تاريخ الطبري ٢/٥٨، ٥٩.

(٣) أسد الغابة ١/١٩.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢/٣١.

(٥) سيرة ابن اسحاق ١٥٥.

(٦) شرح النهج، المعتزلي ١٤/١٦٥، البحار ٣٥/١٣٥، اوائل المقالات ١٣، التبيان، الطوسي ٢/٣٩٨، مجمع البيان ٢/٢٨٧.

(٧) الغدير ٧/٣٨٩ وألف البعض كتباً في إيمان أبي طالب، منها منية الراغب في إيمان أبي طالب للطبسي، وأبو طالب مؤمن قريش للخنيزي.

(٨) الغدير ٧/٣٦٩.

٦ ـ وقال ابن الأثير: ما أسلم من أعمام النبي ﷺ غير حمزة والعباس وأبي طالب عند أهل البيت[١].

٧ ـ واستدل سبط ابن الجوزي على ايمانه بأنه لو كان أبو علي كافراً لكان شنع عليه معاوية وحزبه والزبيريون وأعوانهم وسائر اعدائه عليه السلام مع أنّه عليه السلام كان يذمّهم ويزري عليهم بكفر الآباء والأُمهات ورذالة النسب[٢].

٨ ـ جاء أبو بكر بأبيه أبي قحافة إلى رسول الله ﷺ يقوده وهو شيخ أعمى يوم فتح مكة، فقال رسول الله ﷺ: ألا تركت الشيخ في بيته حتى نأتيه؟

قال: أردت أن يؤجره الله تعالى لأني كنت بإسلام أبي طالب أشد فرحاً مني بإسلام أبي، التمس بذلك قرة عينك[٣].

٩ ـ وقال عماد الدين أبو الفداء: أسلم أبو طالب قبل موته[٤]، وذكر شعره.

ودعوتني وعلمت أنك صادق ولقد صدقت وكنت ثم أميناً
ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية ديناً
والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفيناً[٥]

١٠ ـ وقال المعتزلي: «روي بأسانيد كثيرة بعضها عن العباس بن عبدالمطلب، وبعضها عن أبي بكر بن أبي قحافة: انّ أبا طالب ما مات حتى قال: لا إله إلاّ الله، محمد رسول الله[٦].

وجمع أبو طالب قريشاً قبل موته فقال لهم: لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد، وما

(١) الغدير ٣٦٩/٧، البحار ١٣٩/٣.
(٢) راجع كتاب أبو طالب مؤمن قريش.
(٣) حياة الصحابة ٣٤٤/٢، مجمع الزوائد ١٧٤/٦، شرح النهج، المعتزلي ٦٩/١٤، الإصابة ١١٦/٤.
(٤) تاريخ أبي الفداء ١٧٩/١.
(٥) تاريخ أبي الفداء ١٧٩/١.
(٦) شرح النهج، المعتزلي ١٧١/١٤ الإصابة ١١٦/٤، البداية والنهاية ١٢٣/٣، السيرة الحلبية ٣٧٢/١ تاريخ أبي الفداء ١٢٠/١، سيرة ابن هشام ٨٧/٢.

اتبعتم أمره، فأطيعوه ترشدوا، فلم يقبلوا منه قوله، ولما مات أبو طالب اشتدت قريش على النبي ﷺ ونالت منه من الأذى ما لم تكن تطمع فيه في حياته [١].

١١ ـ وقد ترحم واستغفر النبي ﷺ على أبي طالب بعد موته على المنبر[٢]، في حين لم يترحم على من مات كافراً[٣].

١٢ ـ وسُئِل الإمام السجاد عليه السلام عن إيمان أبي طالب فقال: واعجبا إنَّ الله نهى رسولَه أن يقر مسلمة على نكاح كافر.

وقد كانت فاطمة بنت أسد من السابقات إلى الاسلام، ولم تزل تحت أبي طالب حتى مات[٤].

١٣ ـ وقال الصادق عليه السلام: «إنَّ مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف أسرُّوا الإيمان وأظهروا الشرك، فأتاهم الله تعالى أجرهم مرتين»[٥].

لقد حاول معظم أتباع الخط القرشي اثبات كفر أبي طالب بشتى الوسائل والطرق غير المشروعة بغضاً لامير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي قال رسول الله ﷺ في حقه: يا علي لا يحبك إلَّا مؤمن ولا يبغضك إلَّا منافق.[٦]

واعتقد بأنَّ إسلام أبي طالب أصبح علنياً في الشعب. فأبغضه الكفار واحبوا أبا سفيان وصفوان بن أميّة والحكم بن أبي العاص وادخلوهم الجنّة زيفا، لأنّ منهجيّتهم عكس منهجيّة أبي طالب.

---

(١) سيرة ابن دحلان ١ / ٢٢٧.

(٢) عيون الأنباء ٧٠٥.

(٣) السيرة الحلبية ٣/٢٠٥.

(٤) الغدير ٣٨١/٧، ٣٨٩، شرح النهج، المعتزلي ٦٨/١٤، الدرجات الرفيعة، كتاب الحجة ٢٤.

(٥) شرح النهج، المعتزلي ٧٠/١٤، البحار ١١١/٣٥، امالي الصدوق ٥٥١، اصول الكافي ٣٧٣/١ روضة الواعظين ١٣٩.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الايمان ١٢٠/١ ح ١٣١، سنن النسائي ١٣٧/٥ ح ٨٤٨٥، سنن ابن ماجة ٤٢/١ ح ١١٤.

وهل من الإنصاف إدخال أبي سفيان وهند الجنّة وإحراق أبي طالب في النار؟

وقد ضحّىٰ أبو طالب بكل شيء في سبيل الإسلام واستخدم زعامته لقريش في سبيل الدفاع عن رسول الله ﷺ والإسلام لذلك لم تصل قريش بأذىٰ للنبي ﷺ في حياته فهو سيد قريش الأول لذلك قالت اخت عمرو بن عبد ود عن قاتل اخيها علي ﵇.

لكــن قــاتله مــن لا يــعاب بــه   أبوه من كان يدعىٰ سيد البلد[1]

انشقاق القمر

لقد طلب المشركون من رسول الله ﷺ في السنة الثامنة للهجرة عندما كان في شعب أبي طالب أن يريهم آية. فدعا الله سبحانه وتعالى فانشق القمر نصفين حتى نظروا إليه ثم التأم.

لكن قريشاً استمرت في كفرها فقالوا: هذا سحر مستمر.

فأنزل تعالى: **﴿اقتربت الساعة وانشق القمر، وإن يروا آيةً يعرضوا ويقولوا سحر مستمر﴾**[2].

وقد وصف السيد المرتضى ذلك الحديث بالمتواتر[3].

واجمع المسلمون علىٰ وقوع ذلك في زمنه، حتىٰ رأىٰ أهالي مكة حراء بينهما، إذ أصبح القمر فرقتين فرقة علىٰ هذا الجبل وفرقة علىٰ جبل آخر وقالوا: انشق القمر مرّتين[4].

(١) تاريخ الخميس ١ / ٤٨٨.

(٢) سورة القمر ١، ٢، تفسير الميزان ٦٢/١٩، ٦٤، الدر المنثور ١٣٣/٦، مناقب آل أبي طالب ١٢٢/١.

(٣) تفسير الميزان ٦٠/١٩.

(٤) مسند أحمد ١ / ٣٧٧، ٤١٣، ٤٤٧، سنن مسلم في كتاب المنافقين ٤ / ٢١٥٩، سنن البخاري في كتاب المناقب ج٣٦٢٧، فتح الباري ٦ / ٦٣١، دلائل النبوة، البيهقي ٢ / ٢٦٨.

وحادثة انشقاق القمر من الوقائع الخطيرة في حياة الإنسان الدينية تبين، العظمة الإلهية من جهة، والتعصّب الجاهلي من الجهة الأخرىٰ.

وهل يُسْلم الكافرون اليوم لو انشق القمر لهم مرّة أخرىٰ وتعصّبهم غالب عليهم؟

نقض الصحيفة

وفي السنة الثالثة من المقاطعة الاجتماعية والإقتصادية أخبر جبرئيل النبي ﷺ بأن الأرضَة أكلت كل ما في صحيفتهم من ظلم وقطيعة رحم، ولم يبق فيها إلَّا ما كان اسماً لله تعالى.

فأخبر النبي ﷺ عمه أبا طالب بذلك، وكان أبو طالب لا يشك في قوله فخرج من الشعب إلى الحرم، فاجتمع الملأ من قريش في أعظم تجمع جماهيري تشهده مكة فقال أبو طالب:

إن ابن أخي أخبرني أنَّ الله أرسل على صحيفتكم الأرضة فأكلت ما فيها من قطيعة رحم وظلمٍ وتركت اسم الله تعالى فأحضروها، فإن كان صادقاً علمتم أنّكم ظالمون لنا قاطعونَ لأرحامنا وإن كان كاذباً علمنا أنّكم على حق وأنّا على باطل[1].

وذكر اليعقوبي: ان ابا طالب قال لهم:

يا قوم أحضروا صحيفتكم فلعلّنا أن نجد فرجاً وسبباً لصلة الأرحام وترك القطيعة؛ وأحضروها وهي بخواتيمهم. فقال: هذه صحيفتكم علىٰ العهد لم تنكروها. قالوا: نعم. قال: فهل أحدثتم فيها حدثاً؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: فإن محمّداً أعلمني عن ربّه أنّه بعث الأرضة فأكلت كلّ ما فيها إلّا ذكر الله؛ أفرأيتم إن كان صادقاً ماذا تصنعون؟

---

(١) تاريخ ابن الأثير ٢/٨٩ ـ ٩٠، تاريخ الطبري ٢/٧٨، ٧٩، عيون الأثر ١٦٥ ـ ١٦٨، البدء والتاريخ، البلخي ٢/٥٦.

قالوا: نكفُّ وغُميك. قال: فإن كان كاذباً دفعته إليكم تقتلونه. قالوا: قد أنصفت وأجملتَ؛ وفُضّت الصحيفة فإذا الأرَضَة قد أكلت كلّ ما فيها إلّا مواضع اسم الله عزّوجلّ. فقالوا: ما هذا إلّا سحر، وما كنّا قطّ أجدّ في تكذيبه منّا ساعتنا هذه. وأسلم يومئذٍ خلق من الناس عظيم وخرج بنو هاشم من الشّعب وبنو المطّلب فلم يرجعوا إليه[1].

وحرّفها القرشيون الىٰ ان جماعة من قريش وهم: هشام بن عمرو بن الحرث بن عمرو بن لؤي وزهير بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي ومطعم بن عدي وزمعة بن الاسود اتفقوا على نقض الصحيفة فقال زهير لزعماء مكة: والله لا اقعد حتىٰ تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة.

فقال أبو جهل: كذبت والله لا تشق.

قال زمعة: انت والله أكذب ما رضينا بها حين كتبت وقال المطعم بن عدي: صدقتما وكذب من قال غير ذلك. وقال هشام بن عمرو نحواً من ذلك .

فقال ابو جهل: هذا أمر قضي بليل فقام مطعم بن عدي ليشقها فوجد الأرَضَة قد اكلتها إلّا ما كان باسمك اللهم[2]

فكانت محاولة للقضاء علىٰ المعجزة الالهية لرسول الله ﷺ التي شهدها معظم اهالي مكة وكذبوا رواية مفادها ان حكيم بن حزام كان ينقل الطعام لعمته خديجة[3].

وخرج بنو هاشم والمطلب من شعب أبي طالب بفضل تلك المعجزة الإلهية وبواسطة اضعف خلق الله تعالى الأرَضة[4].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٣٢.

(٢) مقام الامام علي عليه السلام نجم الدين العسكري ٣ / ٢٩، شرح النهج ١٤ / ٦١، تاريخ ابن الاثير ٢ / ٩٠.

(٣) شرح النهج ١٤ / ٥٨.

(٤) سيرة ابن كثير ٢/٤٤، البداية والنهاية ٣/٨٥ـ ١١٩، دلائل النبوة ٢/٣١٢، تاريخ ابن الأثير ٢/٨٨ـ ٩٠، أنساب الاشراف ١/٢٧٣.

وكان نقض الصحيفة في السنة العاشرة للهجرة[١].

وصمود بني هاشم وانتصارهم في شعب أبي طالب يشبه صمود النبي ايوب ﷺ وانتصاره على المشركين. وقد برز إيمان أبي طالب بيّنا في تلك القضية الخطيرة[٢].

عام الحزن

وبعد خروج النبي ﷺ وبني هاشم من شعب أبي طالب وعبورهم مرحلة المقاطعة الاجتماعية والإقتصادية فوجيء النبي ﷺ بحادث مؤلم آخر ألا وهو وفاة أبي طالب وخديجة.

وقد سمى النبي ﷺ عام وفاة أبي طالب وخديجة عام الحزن، وهو السنة العاشرة من البعثة النبوية[٣]. وعمره ست وثمانون سنة [٤] وعمرها خمسون سنة.

ففقد رسول الله ﷺ بذلك اقوى محام له على تبليغ دينه، واعظم شخصية عاصرت البعثة الإسلامية في مكة، واقوى مضّحٍ في سبيل الإسلام في عصره الأول. قال رسول الله ﷺ: ما زالت قريش كاعين (منهزمين) عني حتىٰ مات أبو طالب[٥].

وتبع ذلك موت خديجة زوجته، أول امرأة مسلمة، وأفضل نساء رسول الله ﷺ إذ توفيت بعد أبي طالب بثلاثة أيام [٦].

وقد حزن رسول الله ﷺ لفقدهما حزناً عميقاً احتراماً لخدماتهما الجليلة

(١) سيرة ابن دحلان ١ / ٢٢٤.

(٢) راجع الغدير ٧/٣٨٨، ٣٥٩، الكافي ١/٤٤٩، أبو طالب مؤمن قريش ص٧٣، نزهة المجالس ٢/١٢٢، السيرة الحلبية ١/٢٩١، ٢٩٢.

(٣) اسنى المطالب ٢١، تاريخ الخميس ١/٣٠١.

(٤) تاريخ اليعقوبي ١ / ٣٥.

(٥) سيرة ابن اسحاق ٢٣٩.

(٦) وقيل بشهر واحد البداية والنهاية ٣/١٢٧، السيرة الحلبية ١/٣٤٦، التنبيه والاشراف، المسعودي ٢٠٠. عيون الأثر ١ / ١٧١، وقال الواقدي توفت قبله بخمس وثلاثين ليلة، عيون الأثر ١ / ١٧١.

وتضحياتهما القيمة للاسلام قائلاً: اجتمعت على هذه الأمة مصيبتان، لا أدري بأيهما أنا أشدُّ جزعاً[١].

قال ابن اسحاق: فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه ترابا.

فدخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه فاطمة عليها السلام تغسله وتبكي.

ورسول الله ﷺ يقول: لا تبكي يا بنية فإنَّ الله مانع أباك، ويقول بين ذلك: ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب[٢].

وأقسم الملأ من قريش باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى على قتل محمد ﷺ فأقبلت فاطمة عليها السلام تبكي حتى دخلت على أبيها ﷺ فقالت: هؤلاء الملأ من قومك في الحجر قد تعاقدوا على أن لو رأوك قاموا إليك فليس منهم رجل إلَّا عرف نصيبه من دمك.

فقال: يا بنية أريني وضوءاً، فتوضأ ثم دخل عليهم المسجد، فلما رأوه قالوا: هو هذا هذا هو.

فخفضوا أبصارهم وعقروا في مجالسهم فلم يرفعوا إليه أبصارهم ولم يقم منهم رجل، فأقبل رسول الله ﷺ حتى قام على رؤوسهم فأخذ قبضة من تراب فحصبهم بها، وقال: شاهت الوجوه، فما أصاب رجلاً منهم حصاة إلَّا وقُتِل يوم بدر كافراً[٣].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/٣٥، عيون الأثر ١/١٧١.

(٢) البداية والنهاية ٣/١٥١، عيون الأثر ١ / ١٧١.

(٣) دلائل النبوة، البيهقي ٢/٢٧٧، المستدرك، الحاكم ١/١٦٣، صحيح ابن حبان ١٦٩١، دلائل النبوة، أبو نعيم ١/٦١، تفسير ابن كثير ٣/٥٨٦، الوفا بأحوال المصطفى ١٨٧.

خروج النبي ﷺ إلى الطائف

ذهب النبي ﷺ إلى الطائف وأقام فيها عشرة أيام بصحبة علي ؑ فلم يدع أحداً من أشراف ثقيف إلَّا جاءه وكلمه[١] فما هي اسباب رحلته الى الطائف ؟

قال محمد بن اسحاق: لما مات أبو طالب ونالت قريش من رسول الله ﷺ ما لم تكن تنال منه في حياته خرج إلى الطائف [٢] يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله تعالى.

فلما انتهى إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف، وهم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم، وهم أخوة ثلاثة عبدياليل، ومسعود، وحبيب بنو عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف فجلس إليهم رسول الله ﷺ وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه.

فقال له أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله تعالى أرسلك.

وقال الآخر: أما وجد الله أحداً يرسله غيرك.

وقال الثالث: والله لا أكلمك أبداً لئن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي أن نكلمك.

فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف، و قال لهم ﷺ: إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عليَّ سفري إليكم.

إذْ كَره النبي ﷺ أن يبلغ قومَه فلم يفعلوا وأغروا بـه سـفهاءهم وعـبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس.

قال موسى بن عقبة قعدوا له صفين على طريقه، فلما مرَّ رسـول الله ﷺ بـين صفيهم جعل لا يرفع رجليه ولا يضعها إلَّا رضخوهما بالحجارة حتى أدموا رجليه.

---

(١) البدء والتاريخ، البلخي ٢/٥٧.

(٢) وقال ابن سعد معه زيد بن حارثة.

وزاد سليمان التيمي انه ﷺ كان إذا أذلقته الحجارة[١] قعد إلى الأرض فيأخذون بعضديه فيقيمونه، فإذا مشى رجموه وهم يضحكون[٢].

ثم دعا النبي ﷺ قائلاً: اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري. إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو تحل عليّ سخطك لك العتبى حتى ترضى، لا حول ولا قوة إلّا بك[٣].

قال النبي ﷺ فانطلقت وانا مهموم على وجهي، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل ﷺ فناداني، فقال:

إنّ الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث لك ملك الجبال، لتأمره بما شئت فيهم، ثم ناداني ملك الجبال فسلّم عليّ ثم قال: يا محمد قد بعثني اليك ربك لتأمرني ما شئت، إن شئت تطبق عليهم الأخشبين؟

فقال رسول الله ﷺ: ارجو أن يخرج الله تعالى من أصلابهم من يعبد اللهَ لا يشرك به شيئاً[٤]. فلم يدعو النبي الى قتلهم واحراقهم .

لقد خالف أهل الطائف الأعراف العربية والأخلاق الانسانية مع ضيفهم رسول الله ﷺ فكشفوا عن وجه قبيح وشخصية حاقدة وهوية بذيئة.

إذ كان بإمكانهم رده رداً جميلاً وتقديم عذرٍ مقبولٍ بدل تلك المنجهية السيئة.

---

(١) أي بلغت منه الجهد.

(٢) عيون الأثر ١/١٧٥، ١٧٦، البدء والتاريخ، البلخي ١/٥٧، تاريخ الطبري ٢/٨٠، تاريخ ابن الأثير ٢/٩١، أنساب الاشراف ١/٢٧٣.

(٣) البداية والنهاية ٣/١٦٦، ١٦٧.

(٤) سنن البخاري، كتاب بدء الخلق ح٣٢٣١، فتح الباري ٦/٣١٢ ـ ٣١٣، سنن مسلم، كتاب الجهاد ٣٩ح ١١١ ص١٤٢٠، دلائل النبوة، البيهقي ٢/٤١٧، البداية والنهاية ٣/١٦٨.

وقابلهم رسول الله ﷺ بعفوٍ مشكور وصفح مشهود وفعلاً خرج من اصلاب اولئك الكفار مؤمنون نصروا الدين وضحوا من أجله.

ومن الأكاذيب التي وضعت على النبي ﷺ عن رحلته إلى الطائف عطف شيبة وعتبة الأمويين عليه هناك وإعطائه شيئاً من عنب بستانهما وأكل رسول الله ﷺ ذلك.

بينما كان النبي ﷺ يرد هدية الكفار ويرفضها[١] وكيف يعطفان على النبي ﷺ وقد شاركا في حصار بني هاشم في الشعب لقتلهم مع اطفالهم جوعاً!

ومن ضمن الأكاذيب عودته ﷺ إلى مكة بجوار المطعم بن عدي بن نوفل بن عبدمناف. بينما كان المطعم مثل أبي لهب محارباً عنيداً للاسلام، وكيف يخاف النبي ﷺ قريشاً وقبيلته في مكة يدافعون عنه[٢]!

وهل يحتمي النبي ﷺ بجوار كافر معاند، ويترك قبيلته عرضة لسطوات قريش!

وكان أهل الطائف معاندين للاسلام حتى تأخر اسلامهم عن اسلام أهل مكة واطرافها، وكان لوجود صنم اللات فيها الأثر الكبير في تمسكها بالدين الجاهلي[٣].

فاسلموا بعدما تأثروا بأخلاق النبي محمد ﷺ في حقهم.

دعوة الناس إلى الإسلام

ثم هاجر النبي ﷺ إلى بني صعصعة فلم يجيبوه وغاب عن مكة عشرة أيام،

---

(١) تاريخ الطبري ٨١/٢، البدء والتاريخ، البلخي ٥٧/٢، وهدية الكافر حلال شرعاً، الا إذا كان فيها إساءة لرسول الله ﷺ والإسلام فتكون حراماً.

(٢) تاريخ ابن الأثير ٩٢/٢، أنساب الأشراف، ٢٧٤/١، البداية والنهاية ١٦٩/٣.

(٣) الاصنام، الكلبي، تاريخ الخميس ١٣٥/٢، السيرة النبوية، لدحلان المطبوع بهامش السيرة الحلبية ١١/٣.

وهاجر إلى بني شيبان، وغاب ثلاثة عشر يوماً فلم يجيبوه أيضاً[١]. وهو يلقي الحجة على الكافرين.

أي أنّه عمل في تبليغ رسالته على أحسن وجه بلا تردد ولا وجل كما كان ﷺ يعرض نفسه على القبائل في أيام الموسم داعياً إياهم إلى الإسلام، فكان يلقى منهم تجهماً وغلظةً، ولقي من بني عامر بن صعصعة ما لم يلقَ من العرب، اذ قال له رجل من بني محارب يوماً:

والله لا يؤوب بك قوم إلى دارهم إلّا آبوا بشر ما آب به أهل موسم وكان يطوف على القبائل يدعوهم وأبو لهب خلفه يثبط الناس عنه. وزار رسول الله ﷺ بني حنيفة يدعوهم للاسلام فلقي ما لقي من بني عامر!

ولم يكن حيّ من العرب ألين قولاً ولا أحسن رداً عليه من كندة، ودعا كلباً لأن يقبلوا منه. فقال شيخ منهم: ما أحسن ما يدعو إليه هذا الفتىٰ إلّا أنَّ قومه قد باعدوه، ولو صالح قومه لاتبعته العرب[٢].

وقدم قوم من الأوس مكة يطلبون حلف قريش على الخزرج، لما كان بينهم من الحرب، فدعاهم رسول الله ﷺ إلى الاسلام. فقال له أنس بن رافع: عجباً، جئنا نطلب حلف قريش على اعدائنا فنرجع وقريش عدونا، ومال اليه بعضهم[٣].

وأسلم في تلك الفترة الطفيل بن عمرو الدوسي وذهب إلى قومه داعياً اياهم إلى الاسلام[٤].

ووقف النبي ﷺ في سوق ذي المجاز قائلاً: يا أيها الناس قولوا لا إله إلّا الله تفلحوا[٥].

---

(١) شرح النهج، المعتزلي ٤/١٢٦.

(٢) أنساب الاشراف، البلاذري ١/٢٧٤، تاريخ ابن الأثير ٢/٩٣.

(٣) أنساب الاشراف ١/٢٧٤.

(٤) عيون الأثر ١/١٨٤.

(٥) البداية والنهاية ٣/١٧٠.

واشترطت بنو عامر على الرسول ﷺ أن ينصروه على أن تكون الخلافة لهم من بعده فقال الرسول ﷺ: الأمر لله يضعه حيث يشاء .فقالوا:

أفنهدف نحورنا للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا، لا حـاجة لنـا بأمرك[١].

ولما عاد بنو صعصعة إلى قومهم قال لهم شيخهم: والذي نفس فلان بيده ما تقوّلها اسماعيلي قط، وإنها لحق فأين رأيكم كان عنكم؟[٢].

إسلام الجن

وكان إبليس من الجن المؤمنين ثم فسق عن أمر ربه قال تعالى عليه السلام

﴿كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾[٣]

والجن ليسوا من الملائكة بل مخلوقون من النار مكلفون بتكاليف و فيهم المؤمن و الكافر كالإنسان[٤].

قال تعالى: **﴿وأنّا منّا المُسلِمونَ و مِنّا القَاسِطُوَن فَمَنْ أَسْلَمَ فَأولَئك تَحَرّوا رَشَداً، وَأَمّا القاسِطُوَن فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً﴾**[٥]

والجن كالانس لاتعلم الغيب فقد جاء في القرآن:

﴿أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين﴾[٦]

إذ قبض عزرائيل روح النبي سليمان ﷺ وهو متكيء على عصاه فكث الجن مدة

(١) البداية والنهاية ٣/١٧١.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٦٥ ـ ٦٦، البداية والنهاية ٣/١٧١.

(٣) الكهف ٥٠

(٤) تفسير فرات الكوفي ١٩٩.

(٥) الجن ١٤، ١٥.

(٦) سبأ ١٤.

طويلة يبنون ويعتقدون بأنّ سليمان ﷺ حيّ، فلما أكلت الأرضَة عصاه سقط سليمان ﷺ.

﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الجِنُّ أَن لَّو كَانُوا يَعلَمُونَ الغَيبَ مَا لَبِثُوا فِي العَذَابِ المُهِينِ﴾[١]

فالجن تشكر الأرضَة بما عملت بعصا سليمان ﷺ [٢]

واستمر رسول الله ﷺ في جهوده لنشر الإسلام بلا كلل ولا ملل دائباً في هدفه الساعي لنشر الاسلام. فمر به سبعة من جن نصيبين فآمنوا به، ورجعوا إلى قومهم منذرين فانزل الله تعالى ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الجِنِّ يَستَمِعُونَ القُرآنَ﴾[٣] ونزلت ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ﴾[٤]

فجاءت جماعة منهم زهاء ثلاثمائة رجل، وخرج رسول الله ﷺ الى الحجون فقرأ عليهم، ودعاهم إلى الله عزَّ وجلَّ فآمنوا به وصدَّقوه ثم صلَّى بهم وقرأ في الصلاة تبارك (الملك) وسورة الجن[٥].

وقد انكر البعض الجن ومنهم الفلاسفة وعلىٰ رأسهم أبو علي سينا، واعترف بالجن قدماء الفلاسفة.

وقال ابن عباس إنّ رسول الله ﷺ ما رآهم، في حين قال عبد الله بن مسعود إنَّه رآهم[٦] ومشكلة زعماء الجن أن بعض الانس زادوهم رهقاً بالاستعاذة بهم دون الله تعالىٰ ذلك ان الرجل من العرب كان إذا امسىٰ في واد قفر في بعض مسايرة

---

(١) سبأ ١٤.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم القمي ١/٥٥.

(٣) الاحقاف ٢٩.

(٤) الجن ١.

(٥) البدء والتاريخ، البلخي ٢/٥٨، البداية والنهاية ٣/١٦٩، تاريخ الخميس ١/٣٠٣ ـ ٣٠٤الدر المنثور ٦/٢٧٠، ٢٧٥.

(٦) تفسير الفخر الرازي ١٠ / ٦٦١ – ٦٧٨.

وخاف علىٰ نفسه قال: أعوذ بسيّد هذا الوادي من سفهاء قومه.

يريد الجن وكبيرهم، فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا: سدنا الانس والجن[١].

المجاعة الشديدة في مكة

ولما وجد النبي ﷺ اصرار قريش على الكفر ومحاربة الإسلام دعا عليهم فأخذهم العوز واشتدت بهم الفاقة فأكلوا الكلاب الميتة والجيف، ونبشوا القبور وأكلوا العلهز والقد[٢].

فكانت تلك فرصة طيبة للنبي ﷺ لتبليغ دينه أثناء انشغال قريش بجوعها، وفي السنة الحادية عشرة طلبت قريش من رسول الله ﷺ بصلة الرحم الدعاء لها لكشف مجاعتها، وعلى رأس المطالبين أبو سفيان.

فدعا لهم النبي ﷺ واستجاب الله تعالى دعاءه قائلاً:

﴿إنّا كاشفوا العذاب قليلاً إنكم عائدون﴾[٣].

لاحظ الفرق بين رحمة المسلم وطغيان الكافر، فالكفار أرادوا قتل المسلمين في الشعب، والنبي ﷺ دعا لهم بإزالة العذاب الإلهي!

الدلائل والعبر

من الامور العقائدية التربوية في سيرة محمد واهل بيته ﷺ المتقين التضحيات المستمرة لهم وزهدهم وعفتهم وتركهم للدنيا.

فأصبحت هذه المسألة من الدلائل علىٰ صدق رسالة محمد ﷺ. ولو كان رسول الله ﷺ واهل بيته من اللاهثين خلف الدنيا والساعين نحو لذاتها وسرابها لشكك

(١) تفسير الزمخشري ٤ / ٦٢٤.

(٢) طعام من وبر الناقة والدم اليابس يدق مع بعض.

(٣) سورة الدخان ١٥، تفسير البرهان، الآية، البدء والتاريخ، المقدسي ٤/١٥٧.

الكثير من الناس بدينهم ورسالتهم.فتحمل الاذى وقال رسول الله ﷺ ما أُوذي نبيٌّ مثل ما أُوذيت[١].

وقدم ارحام النبي حمزة وطالبا وجعفرا ابنى أبي‌طالب وابا عبيدة وعليا ﷺ وحسنا وحسينا ﷺ قرابين في طريق الاسلام .ومات رسول الله ﷺ ولم يشبع من خبز بر[٢].

وقال النبي ﷺ: «الدنيا جيفة وطلابها كلاب»[٣].

الاغراءات الدنيوية المتمثلة بتنصيبه ملكاً عليهم، وجعله اكثرهم مالاً، وافضلهم نساءاً رفضها النبي متمثلاً في قوله ﷺ: والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته[٤]

ومن القضايا العقائدية والتربوية تضحية أبي‌طالب بابنه على ﷺ في سبيل الدفاع عن الدين فكان يضجعه في سريره ليلا خوفا عليه من القتل .

ولم يقتصر الأمر على الأذى الجسدي والمعنوى لرسول الله ﷺ في مكة بل اقدموا على حصره وقبيلته في شعب ابي طالب فلاقى رسول الله ﷺ وعلي ﷺ وفاطمة ﷺ وامها وأبو طالب وآخرون من بني هاشم مجاعة شديدة ومشقّة بالغة أستمرت ثلاث سنين ذهب ضحيتها ابو طالب وخديجة! فكان ذلك اعظم قربان قدّمه محمد ﷺ في طريقه المخلص لإنقاذ البشرية، ونشر المدنية، والدعوة لعبادة الله الواحد سبحانه.

وهو من دواعي بذل الآخرين أنفسهم وأموالهم في طريق الإسلام، فصمد عمار وابوه وأمه في هذا الدرب الطويل فضحى ياسر بدمه في هذا المشروع الإلهي

---

(١) كشف الغمة، الاربلي ٣ / ٣٤٦.

(٢) الطبقات الكبرى ١ / ٤٠١، تهذيب الكمال، المزي ١ / ٢٣٠.

(٣) كنز العمال ٣ / ٧١٩، فيض القدير ١ / ١٤٧، كشف الخفاء، العجلوني ١ / ٤٠٩.

(٤) مناقب آل ابي طالب، ابن شهر آشوب ١ / ٥٣، البحار ١٨ / ١٨٢، دلائل النبوة، الأصبهاني ١٩٧.

وأعطت سمية نفسها الزكية قرباناً للتوحيد الإلهي.لتكون مع زوجها ياسر وابـنها عمار نموذجا في التربية الاجتماعية. أليس من العبر الملفتة للنظر حصول سمية (مملوكة بني مخزوم) علىٰ لقب اول شهيدة في الاسلام لتنال بذلك المنزلة العـالية في نـفوس الناس في الدنيا والكرامة في الآخرة، ويُقبر ابو جهل سـيد بـني مخـزوم في مـزبلة القليب؟

ومن الدلائل والعبر استمرار النبي في تبليغ الاسلام رغم المعارضة القوية له من قبل الطغاة والقبائل فبلغ الاسلام لكل قبائل الجزيرة العربية القادمة للحج مـلقيا الحجة عليهم.

وبصمود بنى هاشم فقد تحول الحصار الى اعظم نصر الهى للـمسلمين واعـظم هزيمة للكافرين.

وثبت الجهل المركب الطغاة على الكفر رغم المعجزات الالهية في انشقاق القـمر واكل الأرضة للصحيفة وتركهااسم الله.

الفصل الرابع

الإسراء والمعراج



سألني طالب ياباني في طوكيو متيقن بالدين وموله برحلات الفضاء:

كم مرّة سافر رسول الله ﷺ إلىٰ السماء العليا ومتىٰ وبأي وسيلة وما هي الغاية من رحلته؟

فكان هذا البحث جوابا لسؤاله ولقراء السيرة النبوية.

جاء في رواية: أُتي رسول الله ﷺ بالبراق فحمل عليها والنص القرآني لم يذكر البراق في عروج النبي ﷺ الى السماء وهو الصحيح فهو ﷺ لا يحتاج إلىٰ بـراق للاسراء والمعراج وأيد العلم ذلك.

فخرج النبي يرى الآيات فيما بين السماء والأرض حتى انتهى إلى بيت المقدس، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى ﷺ في نفر من الأنبياء قد جُمعوا له فصلى بهم[1].

وجاء أيضاً أنّه ﷺ التقى بالأنبياء في السماء[2] فيكون لقاؤه بهم مرة في الأرض، ومرة في السماء.

الإسراء برسول الله ﷺ، الى بيت المقدس، والعروج به إلى السماء من المعاجز الخطيرة التي مرَّ بها رسول الله ﷺ في حياته الرسالية.

فذكرها العلماء في دلائل النبوة له ﷺ، وقد أيد العلم الحديث خروج الانسان

(١) تفسير الزمخشري ٢/٣٩٥، تفسير الطوسي ١٥/٤٤٧، البداية والنهاية ٣/١٣٦، ١٣٧، دلائل النبوة ٢/٣٦٠، تفسير القرطبي ١٠/٢٠٨.

(٢) الطبقات، ابن سعد ١/٢١٣، سنن البخاري ٤/٢٤٨.

إلى السماء، فأصبح الإسراء والمعراج مؤكداً ومقبولاً ومؤيداً بالسنن العلمية.

قال تعالى: **﴿سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾**[١]

﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾[٢]

وواضح من ذلك أن الرؤية كانت على نحوين: رؤية بالعين المجردة ورؤية في المنام.

واتفق العلماء والمؤرخون على كون الإسراء والمعراج قبل الهجرة إلى المدينة واختلفوا في تاريخ الإسراء والمعراج إلى رأيين اثنين:

١ ـ في السني الأولى للبعثة النبوية المباركة.

٢ ـ في السنوات الثلاث الأخيرة قبل الهجرة إلى المدينة.

والصحيح في الأمر أنّ النبي ﷺ أسري به إلى بيت المقدس وعرج به إلى السماء مرتين بعد البعثة النبوية. وعلى ذلك لا يكون هناك اختلاف بين الرأيين.

وعن عدد مرات عروج رسول الله ﷺ إلى السماء جاء في الكافي: عرج برسول الله ﷺ مرتين وقال بذلك علماء آخرون[٣].

وأيد الطباطبائي ذلك بقوله تعالى: **﴿ولقد رآه نزلة اخرى﴾**[٤]

وفي عدد مرات الإسراء قالوا: وقع له ثلاثون مرة[٥] وقيل اربعاً وثلاثين مرة بجسمه والباقي بروحه.

وقال ابن دحلان: حمل البعض اختلاف روايات الأحاديث على تعدد الإسراء،

---

(١) الإسراء ١.

(٢) الإسراء ٦٠.

(٣) تفسير الميزان ٣١/١٣، البداية والنهاية ١٤٢/٣، تفسير الألوسي ٧/١٥، تفسير القرطبي ٢٠٧/١٠ ـ ٢١٢.

(٤) النجم ١٣.

(٥) السيرة الحلبية ٣٦٥/١.

وأنّه وقع له ذلك ثلاث مرّات أو أكثر، وكان واحد منها بجسده وروحه، وباقيها في المنام[١].

وعن الذين قالوا بأنَّ الإسراء والمعراج في بداية البعثة النبوية قال ابن عساكر وعياض: إنّه بعد البعثة بخمسة عشر شهراً، وأكد ذلك النووي وقيل معظم السلف وجمهور المحدثين والفقهاء[٢].

وقالوا: في السنة الثانية من البعثة[٣].

وفي كتاب الخرائج: في السنة الثالثة من البعثة[٤].

وقال الديار بكري عن الزهري أنّه كان بعد النبوة بخمسة أعوام وأيده القرطبي[٥].

وقد ولدت فاطمة ﷺ بعد البعثة بخمس سنوات لقول النبي :

لما أسري بي إلى السماء أدخلني جبرئيل الجنة، فناولني منها تفاحة فأكلتها فصارت نطفة في صلبي، فلما نزلت واقعت خديجة ففاطمة من تلك الجنة، حوراء انسية، وكلما اشتقت إلى الجنة قبّلتها[٦].

ولم يذكر البعض تاريخاً معيناً للإسراء والمعراج، ومن هؤلاء الطبرسي والطوسي

---

(١) سيرة ابن دحلان ١/٢٣٤، تفسير الآلوسي ١٥/٧ ـ ١٠، تفسير الرازي ٧/٢٩٢ ـ ٢٩٥.

(٢) شرح الشفاء، القاري ١/٢٢٢، سيرة مغلطاي ٢٧.

(٣) تفسير الطباطبائي ١٣/٣١.

(٤) تفسير الطباطبائي ١٣/٣١.

(٥) سيرة مغلطاي ٢٧، تاريخ الخميس ١/٣٠٧، البحار ١٨/٣٧٩، تاريخ بغداد ٥/٨٧، المواهب اللدنية ٢/٢٩، المستدرك، الحاكم ٣/١٦٥، ذخائر العقبى ٣٦، مقتل الحسين، الخوارزمي ٦٣/٦٤، ميزان الإعتدال ٢/٢٩٧، علل الشرائع ٧٢، ينابيع المودة ٩٧، مناقب المغازلي ٣٥٨، عيون الأثر ١/١٩٦، تفسير الآلوسي ١٥/٦.

(٦) المستدرك، الحاكم ٣/١٦٥، ميزان الإعتدال ٢/٢٩٧، ينابيع المودة ٩٧، تاريخ بغداد ٥/٨٧، البحار ١٨/٣١٩، ٣٨١، المناقب، ابن شهر آشوب ١/١٧٧، تفسير القرطبي ١٠/٢١٠.

واليعقوبي[١].

قال الطباطبائي: ولا مستند يصح التعويل عليه في السنة والشهر واليوم[٢].

وقال الأكثرية إنّ الإسراء والمعراج كان قبل الهجرة إلى المدينة على الشكل التالي:

ثلاث سنين قبل الهجرة: وعلى رأس هؤلاء ابن اسحاق الذي قال إنّ الإسراء والمعراج كان قبل موت أبي طالب، وقال ابن الجوزي والبخاري بعد موت أبي طالب[٣]، أيّد ذلك ابن الأثير والحلبي[٤].

سنتان قبل الهجرة: قال البعض إنّ الإسراء والمعراج كان قبل الهجرة بسنتين[٥].

سنة ونصف قبل الهجرة: قال بذلك السدي وابن سعد[٦].

سنة قبل الهجرة: قال بذلك الواقدي والبيهقي عن الزهري[٧] وادعى ابن حزم الإجماع على ذلك[٨].

حدث هذا الخلط لان المعراج حدث مرّتين مرّة بعد البعثة بخمسة أعوام، ومرّة قبل الهجرة بثلاث سنين من بيت أبي طالب وقبل موته [٩].

---

(١) راجع تاريخ اليعقوبي، تفسير الطبرسي ٢/٣٩٥، تفسير الطوسي ١٥/٤٤٦.

(٢) تفسير الطباطبائي ١٣/٣١.

(٣) تاريخ أبي الفداء ١/١٧٨.

(٤) تاريخ ابن الأثير ٢/٥١، السيرة الحلبية ١/٣٣٦، سنن البخاري، باب مناقب الانصار ٤١ باب حديث الإسراء ح٣٨٨٦ فتح الباري ٧/١٩٦، سنن مسلم، كتاب الايمان ح٢٧٦، سنن الترمذي في تفسير سورة الإسراء، تفسير الآلوسي ١٥/٦.

(٥) السيرة الحلبية ١/٣٣٦، سيرة ابن دحلان ١/٢٣٤.

(٦) البدء والتاريخ، البلخي ٢/٥٩، عيون الأثر ١/١٩٤، ١٩٦، البداية والنهاية ٢/١٣٥أنساب الأشراف ١/٢٩٩، الطبقات ١/٢١٣، دلائل النبوة ٢/٣٥٥.

(٧) الوفا باحوال المصطفى ٢٢١، البداية والنهاية ٣/١٠٨، دلائل النبوة، البيهقي ٢/٣٥٤.

(٨) السيرة الحلبية ١/٣٦٦، راجع سيرة ابن دحلان ١/٢٣٤، تاريخ أبي الفداء ١/١٧٨، البداية والنهاية ٣/١٠٨، تاريخ ابن الأثير ٢/٥١، تفسير القرطبي ١٠/٢١٠، تفسير الزمخشري ٢/٦٤٦.

(٩) راجع تفسيرالميزان ١٣ / ٣١، تفسير القرطبي ١٠ / ٢٠٧ - ٢١٢.

ولأن الإسراء والمعراج كان لمرات عديدة في المنام واليقظة فقد ذكروا ثلاثة تواريخ لليوم والشهر الذي أسري به:

٢٧ ربيع الأول: قال بذلك الزهري وعروة وابن أبي شيبة[١].

رجب: قال به عبدالغني المقدسي وآخرون[٢].

١٧، ٢٩ رمضان: قال به الواقدي وآخرون[٣].

ولكن هل كان الإسراء والمعراج بالروح أم بالروح والجسد؟

هذا ما ستعرفه الان.

لقد سار الله تعالى بموسى ﷺ إلى الطور: ﴿**وما كنت بجانب الطور**﴾[٤]

وسار تعالى بإبراهيم ﷺ إلى السماء الدنيا ﴿**وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين**﴾[٥]

وعرج تعالى بعيسى ﷺ إلى السماء الرابعة: ﴿**بل رفعه الله إليه**﴾[٦]

وعرج بادريس ﷺ إلى الجنة ﴿**ورفعناه مكاناً علياً**﴾[٧]

والعروج الأعظم لمحمد ﷺ ﴿**فكان قاب قوسين أو أدنى**﴾[٨]

ويراد بسرى واسرى به أي سار به ليلاً، والإسراء يعني السير بالليل إذ جاء قوله تعالى لموسى ﷺ:

---

(١) البداية والنهاية ٣/١٣٥، الوفا بأحوال المصطفى ٢٢٢، تفسير الآلوسي ١٥/٦، السيرة الحلبية ١/٣٦٦.

(٢) البداية والنهاية ٣/١٣٥، الوفا باحوال المصطفى ٢٢٢، الطبقات ١/٢١٤، سيرة ابن دحلان ١/٢٣٤، البداية والنهاية ٣/١٣٥، تفسير الآلوسي ١٥/٦، تفسير القرطبي ١٠/٢١٠.

(٣) الوفا باحوال المصطفى ٢٢١، السيرة الحلبية ١/٣٦٦، تاريخ أبي الفداء ١/١٧٨، تفسير الآلوسي ١٥/٦.

(٤) القصص ٤٦.

(٥) الأنعام ٧٥.

(٦) النساء ١٥٨.

(٧) مريم ٥٧.

(٨) النجم ٩.

﴿ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي﴾[١]

أي سر بهم ليلاً، والسير يختص بالنهار أو يعمه والليل. في يقظته دون منامه[٢].

والذي عليه المشهور (الإسراء والمعراج) أنّه كان بجسده وروحه[٣].

وقال البعض كان في نومه، وقالوا كان الإسراء جسدانياً والمعراج روحانياً[٤].

والخوارج ينكرون المعراج.

وقالت الزيدية والمعتزلة بعروجه بروحه وجسمه إلى بيت المقدس[٥].

وقال الطباطبائي والطبري بعروجه بروحه[٦] وأيد معظم المفسرين عروجه بروحه وجسده إلى السماء[٧].

اقول: إنّ العروج برسول الله ﷺ كان بروحه وجسده ولو كان بروحه فقط فليس هذا بالأمر المعجز والآية العظمى.

والعلم الحديث يؤيد انتقال المادة بسرعة الضوء، والقرآن يؤيد ذلك في قول وزير سليمان: ﴿انا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾[٨]

فالوزير قادر على المجيء بعرش بلقيس من اليمن إلى القدس بسرعة الضوء، والله تعالى على كل شيء قدير، وخاتم الأنبياء محمد ﷺ أفضل من وزير سليمان عليه السلام بالاجماع.

---

(١) طه ٧٧.

(٢) تفسير الطوسي ٦/٤٤٦.

(٣) تاريخ أبي الفداء ١/١٧٨، سنن البخاري في تفسير سورة الإسراء ح٤٧١٦، تفسير الميزان ١٣/٣٢.

(٤) تاريخ أبي الفداء ١/١٧٩.

(٥) تفسير الطباطبائي ١٣/٣٢.

(٦) تفسير الطباطبائي ١٣/٣٢، تفسير الفخر الرازي ٧/٢٩٢.

(٧) تفسير الفخر الرازي ٧/٢٩٢، ٢٩٤، تفسير الزمخشري ٢/٦٤٦، تفسير القرطبي ١٠/٢١٠ ـ ٢١٣، تفسير الطوسي ١٥/٤٤٦.

(٨) سورة النمل ٤٠.

وأيد الله تعالى ذلك بقوله:

(ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى)[١]

وقال تعالى: **﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام﴾**[٢]

واحتج الجمهور بانه لو كان مناماً ما تعجبت منه قريش وكان غير معجز[٣].

وقال الفخر الرازي: لو امتنع ارتفاع رسول الله ﷺ إلى العرش ونزوله في لحظة لامتنع نزول جبرئيل من العرش إلى مكة في لحظة، ولما كان ذلك باطلاً كان ما ذكروه أيضاً باطلاً[٤].

وإن حركة ابليس السريعة تثبت امكانية حركة النبي ﷺ وعروجه إلى السماء فابليس جسم[٥].

ومن آيات مسراه قوله ﷺ: «ثم أقبلت حتى إذا كنت بضجنان[٦] مررت بعير بني فلان فوجدت القوم نياماً ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء فكشفت غطاءه وشربت منه وارقت الباقي، ثم غطيت عليه كما كان.(وللماء اهمية كبيرة في الصحراء).

وآية ذلك أن عيرهم تصوب الآن من ثنية التنعيم البيضاء يقدمها جمل اورق عليه غرارتان إحداهما سوداء والأخرى برقاء، واخبرهم بيوم مجيئها مكة.

فابتدر القوم الثنية وسألوهم عن الإناء وعن البعير فأخبروهم كما ذكر ﷺ»[٧]

---

(١) سورة النجم ١٧، ١٨.

(٢) الإسراء ١، سنن البخاري ٤/٢٨٤.

(٣) تفسير الآلوسي ١٥/٧، تفسير القرطبي ١٠/٢٠٩، تفسير الطبرسي ٣/٣٩٥.

(٤) تفسير الرازي ٧/٢٩٣.

(٥) تفسير الرازي ٧/٢٩٣، ٢٩٤.

(٦) بين ضجنان ومكة خمسة وعشرون ميلاً.

(٧) تفسير القرطبي ١٠/٢٠٨، تفسير الزمخشري ٢/٦٤٦، ٦٤٧، تفسير الطبرسي ٢/٣٩٩ البداية والنهاية ٣/١٣٧، تفسير الميزان، الطباطبائي ١٣/١٧، تفسير الطبرسي ٢/٣٩٥تفسير الطوسي ١٥/٤٤٦.

فزار الرسول ﷺ الطبقات السبعة، وشاهد سدرة المنتهى، والتقى بالملائكة والأنبياء، وقال له جده إبراهيم ؑ: يا محمد اقرأ امتك مني السلام واخبرهم أنَّ الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلّا بالله[١].

ولما عاد الرسول ﷺ إلى الأرض حدَّث الناس بذلك في الحرم فصدقه المسلمون وكذبه الكافرون كعادتهم وعلى رأسهم طغاة قريش.

ولما اسرى بالنبي بحث بنو هاشم عن محمد ﷺ وخافوا عليه من رجال قريش وجمع أبو طالب أفراد قبيلته وسلحهم بالحديد ليقتلوا به زعماء قريش[٢].

وكان الإسراء من بيت أبي طالب [٣]. ولما كان الإسراء مرتين يكون مرة من الحجر ومرة من بيت أبي طالب.

وجاء عن رؤية النبي ﷺ ربه في السماء:

«من زعم أنَّ محمداً رأى ربه عزوجل فقد أعظم الفِرْية على الله عزوجل»[٤].

وقد كذبوا كثيراً في رؤية النبي ﷺ لله تعالى، وقد قال تعالى في كتابه الكريم:

﴿لا تدركه الابصارُ وهو يدرك الابصار﴾[٥]

ولما قال موسى لربه: ﴿ربِّ أرِنِي أنْظر إلَيكَ﴾

قال الله تعالى لنبيه موسى: ﴿لن تراني...﴾[٦]

---

(١) تفسير الطباطبائي ١٣/٢٤.

(٢) الطبقات ١/٢١٤.

(٣) السيرة الحلبية ١/٣٦٦، الطبقات ١/٢١٤، تفسير الآلوسي ١٥/٤، ٦، تفسير الزمخشري ٢/٦٤٦، تفسير الطوسي ١٥/٤٤٦.

(٤) دلائل النبوة ٢/٣٧٠، سنن مسلم ١، كتاب الايمان ٧ باب آية «ولقد رآه نزلة أخرى الحديث ٢٨٧، ١/١٥٩، سنن البخاري، كتاب بدء الخلق ٧ باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء ح ٣٢٣٤، فتح الباري ٦/٣١٣.

(٥) الأنعام ١٠٣.

(٦) الأعراف ١٤٣.

وكذب بعض المفسرين حديث شق بطنه وغسل قلبه قبل الإسراء [١]؛ كالطبرسي والرازي لزيف ذلك.

الصلاة

وذكروا أنّ الله سبحانه وتعالى أعطى رسوله ﷺ الصلوات الخمس في السماء السادسة أثناء عروجه اليها واتفق العلماء على ان الصلاة فرضت ليلة الإسراء [٢] وفُرِضت الصلاة عشراً ركعتين ركعتين.

ولما ولد الحسن والحسين ﷺ زاد رسولُ الله ﷺ سبع ركعات شكراً لله تعالى فأجاب الله له ذلك [٣]. والصلاة عمود الدين .واول ما يسأل الله تعالى عنها يوم القيامة.

والصلاة فريضة إلٰهية إن قبلت قُبِل ما سواها واصل من اصول الدين.

الدلائل والعبر

الهدف من رحلته ﷺ إلىٰ السماء تتمثّل في رغبة الباري في اطّلاعه ﷺ علىٰ آياته: بقوله تعالى **«لنريه من آياتنا إنّه هو السميع البصير»** [٤].

ولاثبات معجزة الهية للناس في ذلك العصر وعصرنا المؤمن بامكانية الرحلة للفضاء الدّالة علىٰ عظمة الإسلام، والبرهنة علىٰ عدم امكانية رؤية الباري عزّ وجل في الأرض والسماء [٥].وتوجيه انظار الناس إلىٰ عظمة الآية السماوية وامكانية

---

(١) تفسير الطّبرسي ٢/٣٩٥، تفسير الرازي ٧/٢٩٢ ـ ٢٩٥.

(٢) تفسير القرطبي ١٠/٢١٠ دلائل النبوة، البيهقي ٢/٣٧٣، تفسير الميزان ١٣/١٦، ٢٢المناقب، ابن شهرآشوب ١/٤٣.

(٣) تفسير الطباطبائي ١٣/١٦ ـ ٢٢ عن الكافي ومن لا يحضره الفقيه للصدوق.

(٤) الإسراء ١.

(٥) دلائل النبوة ٢ / ٢٧٠، سنن البخاري كتاب بدء الخلق ج ٣٢٣٤.

الرحلة الفضائية

«لا تنفذون إلا بسلطان»[1].وتوجيه الناس نحو الفضاء والوصول اليه وفعلا تم هذا.

كان الاسراء والمعراج اعظم معجزة الهية فعلها النبي ﷺ وايدها العلم الحديث وهذا من مفاخر الاسلام .وبينت هذه الرحلة السماوية عدم امكانية رؤية البارى عز وجل وهذا أمر مهم في قضية التوحيد.

والصلاة عملية عبادية تربوية تربط الانسان بربه وتهذب النفس وتطهر الروح وتمكن الانسان من السيطرة على رغباته الجسدية .وهى تصقل العقائد الاسلامية وتربي المسلم على النظام ومراعاة قضية الوقت .وصلاة الجماعة اكبر مشروع اقليمي لبث المساواة بين الناس ونشر المحبة بين المسلمين وصف المصلين في وحدة اسلامية شاملة .ولاهمية الصلاة الفائقة فقد بنى النبي ﷺ مسجده في المدينة قبل اى مشروع سياسى وادارى وتربوى آخر.

فالمسجد مركز العقائد الدينية ومدرسة التربية الروحية والثقافية والفقهية.

(١) الرحمن ٣٣.

الدعوة وبيعتي العقبة

باب

الدعوة وبيعتي العقبة

بداية المنافسة على الملك

عَرَفَ عبدالمطلب سيد قريش والمسمىٰ بإبراهيم الثاني بحسد قومه لبني هاشم وسعيهم للنيل منهم وكأنّه أخذ ذلك عن إسماعيل وإبراهيم عليهما السلام فقال قبل موته:

لتنفسني قريش غداً الشرف العظيم والبناء الكريم والعزّ الباقي والسناء العالي إلىٰ آخر الدهر ويوم المحشر[1].

فخاف عبد المطلب العالم بالدين والأمور الاجتماعية والسياسية في مكّة من حسد قريش للنبي ورفضهم للاسلام .

ويقصد عبدالمطلب حسدهم للنبوة العظيمة والرسالة الجليلة، وقد قال ملك اليمن ابن ذي يزن نفس الكلام لعبد المطلب.

وبعد موت عبد المطلب حصل ابو طالب على منصب رئاسة قريش ونافسه حرب بن امية دون جدارة فلم يتمكّن من تحقيق اغراضه .

وفي زمن رسول الله صلى الله عليه وآله ورسالته استمرت تلك المنزلة الاجتماعية لأبي طالب لجدارته وأخلاقة، فاستطاع بها الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

وبعد استمراره في الدفاع عن ابن أخيه في تبليغه الدين الجديد وحطّه من آلهة قريش استنكر زعماء قريش زعامته وحاصروه في شعبه مع قومه.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/١٢.

وفي أثناء تلك الفترة ظهرت القيادة الجديدة لقريش والمتمثّلة في أبي سفيان وأبي جهل وعتبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة المخزومي وعبد الله بن جدعان.

واستمر هذا المنحى في المنافسة على الزعامة فنافس أبو جهل المخزومي وأبو سفيان وعتبة وشيبة الأمويون محمداً ﷺ ونافس أبو بكر التيمي وعمر العدوي وأبو عبيدة الفهري وعثمان الأموي علياً ﷺ!

فسار أبو بكر التيمي على خطى ابن جدعان التيمي، وسار خالد بن الوليد المخزومي على خطى الوليد المخزومي، وسار أبو سفيان وعثمان ومعاوية الأمويون على خطى أميّة وحرب بن أمية.

ولكن ابن جدعان الصعلوك والوليد الحداد لم تكن عندهما المكانة القبلية والاعتبارية والشخصية والنسبية التي كانت عند أبي طالب فبقي هو السيّد والزعيم الأول في مكّة مثل أبيه عبد المطلب.

وخلعت قريش زعامته قبل حصار بني هاشم في الشعب عندما تيقّنوا باسلامه فهو مثل مؤمن بني فرعون الذي ذكره الله تعالىٰ في كتابه قائلاً:

وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه» [1].

«ولما عرفت قريش بحقيقة قصّة أبي طالب دسّت هي ايضا مجموعة من دهاتها في صفوف المسلمين مدعين الإسلام فحاولوا مراراً قتل رسول الله ﷺ فلم ينجحوا وأفلحوا أخيراً، وهم الذين سيطروا علىٰ خلافة المسلمين بالتعاون مع زعماء قريش أبي سفيان ومعاوية وعكرمة بن أبي جهل وحكيم بن حزام.

وكان الحزب القرشي الماكر قد أرسل شياطين متعددين إلىٰ صفوف المسلمين افتضح أمرهم لاحقاً مثل عمرو بن العاص .

---

(١) غافر ٢٨.

دار أبي طالب مركز الإسلام والمسلمين

عاش رسول الله ﷺ في منزل عمه أبي طالب منذ أن كان عمره ثماني سنين وإلى زمن زواجه، أي سكن فيهاالنبي ﷺ سبع عشرة سنة! ولم يفارقها رسول الله ﷺ فهي مركز بني هاشم، ومقر سيد قريش وزعيم مكّة.

وبعد البعثة النبوية المباركة تعاظم دور تلك الدار فأصبحت مناراً للاسلام والمسلمين ففيها قال رسول الله لأبي طالب: يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته[١].

وفيها قال أبو طالب شيخ البطحاء للنبي ﷺ: لا يخلص اليك احد بشيء تكرهه ما بقيت[٢]، وفي طول مدة البعثة النبوية كانت وفود قريش تتردد على تلك الدار وتتوسل بأبي طالب لمنع النبي ﷺ من فضح آلهتها.فعاشت دار أبي طالب ثلاث عشرة سنة مع البعثة المحمدية تتلألأ نوراً بالاسلام، وتصمد صموداً مذهلاً بوجه الكفر.

وفشلت محاولات قريش في إقناع أبي طالب بشكاواها، فابتكروا الحصار الاقتصادي والاجتماعي الذي استمر ثلاث سنوات ففشل أيضاً!

وأعظم تضحية قدمها أبو طالب في ذلك المجال نفسه الزكية إذ مات في داره الصامدة بعد انتهاء الحصار الاقتصادي الظالم، عليه وعلى بني هاشم.

واحترم الله تعالى تلك الدار الخيرة التي أصبحت مناراً للاسلام ومركزاً للتوحيد الإلهي بعروج النبي ﷺ منها إلى السماء العليا وهذا تمجيد لها ما فوقه تمجيد، وبركة إلهية غير منكرة.[٣]

---

(١) تفسير القمي ٢/٢٢٨، البداية والنهاية ٣/٦٣، عيون الأثر ١/١٣٢، سيرة ابن هشام ١/١٧٢.

(٢) عيون الأثر ١ / ١٢٦، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٥٨، تاريخ الطبري ٢ / ٥٨، ٥٩.

(٣) السيرة الحلبية ١ / ٣٦٦، الطبقات ١ / ٢١٤، تفسير الآلوسي ١٥ / ٤، ٦، تفسير الزمخشري ٢ / ٦٤٦، تفسير الطوسي ١٥ / ٤٤٦.

ووفر ابو طالب بسياسته سبع سنين للنبي يبلغ فيها الاسلام قبل الحصار الاقتصادي ازداد فيها عدد المسلمين وقويت شوكة الدين قبل يقظة قريش من غفلتها.

كذب الدعوة السرية وزيف دار الأرقم

لم يوجد في قاموس الدعوة المحمدية شيء اسمه الدعوة السرية المحدوده زمنيا، فمنذ البعثة النبوية ورسول الله ﷺ يدعو الناس إلى الإسلام مبتدءاً بقبيلته بني هاشم بصورة علنية وصريحة.

إذ استمر الرسول ﷺ يدعو القريب والبعيد والقرشي وغيره والأسود والأبيض إلى الإسلام دون كتمان ولا تردد.

ولقد افترى الأمويون قضية الدعوة السرية لاغراض سياسية ولقد محصت الموضوع وحققته فوجدته فرية من أباطيل أعداء الإسلام لا أصل ولا واقع له.

ولقد حاول البعض الالحاح لتعظيم قضية الدعوة السرية في بيت الأرقم بن أبي الأرقم كذباً لطمس معالم بيت أبي طالب المركز السياسي للاسلام والمسلمين.

ان اعطاء دور خطير لدار الأرقم بن أبي الأرقم هدفه تقليص دور دار أبي طالب قبل وبعد المحاصرة الإقتصادية والاجتماعية، لانها هي الدار العظيمة التي تربى وكبر فيها محمد ﷺ وعلي عليه السلام وجعفر. ومنها اسري برسول الله ﷺ إلىٰ القدس وعرج به إلىٰ السماء[1].

وقضية الدعوة السرية في دار الأرقم معتمدة على رواية مزيفة ذكرها ابن كثير الأموي[2].

---

(١) السيرة الحلبية ١ / ٣٦٦، طبقات ابن سعد ١ / ٢١٤، تفسير الطوسي ١٥ / ٤٤٦.

(٢) السيرة النبوية، ابن كثير ١/٤٤، البداية والنهاية ٣/٤٠.

ومما ذكروه لتعظيم دار الأرقم قولهم: أسلم خباب بن الارت قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم[١].

وكانوا في الروايات الصحيحة يضعون زمن دخول الرسول وبني هاشم شعب أبي طالب تاريخاً لمعرفة مراحل الحركة الإسلامية. فيقولون أسلم قبل حصار بني هاشم في الشعب أو بعده.

ولكن الخط الأموي والقرشي الحاقد على بني هاشم لم يرغب في منقبة فيها ذكر لشعب أبي طالب ودار أبي طالب فوضعوا المناقب لدار الأرقم! لأنّها دار مخزومية كافرة غير هاشمية.

فقال ابن حجر عن عبدالله بن جحش: أسلم قديماً قبل دخول النبي ﷺ دار الارقم[٢].

واضاف ابن حجر: واقد بن عبدالله بن عبدمناف التيمي أسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم[٣]. وأبو الأرقم اعمىٰ كافر[٤] مات علىٰ الكفر.

وحاول ابن الأثير تعظيم دار ابن الأرقم قائلاً:

«إنَّ رسول الله ﷺ لما خاف كفار قريش اختفى هو ومن معه في دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي إلى أن أسلم عمر فخرجوا!»[٥].

أمّا لماذا انتخب الأمويون دار الأرقم فلأنّها في بني مخزوم قبيلة أبي جهل والوليد بن المغيرة عدوي الإسلام.

وكان بنو مخزوم حلفاء بني أمية في الجاهلية والاسلام! وهذا كاف لتعظيم دورهم، فهم من حزب لعقة الدم الذي أصبح نواة للحزب القرشي.

---

(١) تهذيب التهذيب ٣/١١٥.

(٢) تعجيل المنفعة ٢١٧.

(٣) المصدر السابق ٤٣٥.

(٤) البداية والنهاية ٣ / ٤٢.

(٥) أسد الغابة، ابن الأثير ١/١٩، ٣/١٣١.

وختموا الرواية المزيفة بخروجهم من دار الأرقم بإسلام عمر بن الخطاب! فأراد بنو أميّة أن تكون دار الأرقم بدل دار أبي طالب ويكون الأرقم محل أبي طالب!

في حين كان عمر بن الخطاب رجلاً عادياً من عبيد الحبشة المنتسبين لقبيلة عدي في الجاهلية ليس له جاه ولا عظمة ولا رئاسة ولا أتباع ولا قبيلة قوية، وكان عبداً من عبيد الوليد بن المغيرة المخزومي[1].

ولم تكن عنده بطولة يحتمي بها المسلمون كما هو واضح في المعارك الإسلامية الشهيرة فقد فر في معارك أحد والخندق وخيبر وحنين وحملة اسامة، ولم يقتل كافراً قط!! وكان جباناً معروفاً في الحروب وجباراً على النساء والمستضعفين وفي أيام رئاسته لم يقد جيشاً لحرب قط[2].

ورغم معرفة اغلب المؤرخين بكذب قضية دار الأرقم إلّا أنّهم أرخوا بها أحداثهم في إسلام كثير من الصحابة باسم قبل وبعد دخول النبي ﷺ دار الأرقم[3].

وأصل الرواية موجود في سيرة ابن كثير الدمشقي الأموي عن ابن الحسن خيثمة بن سليمان الطرابلسي، عن عبيدالله بن محمد بن عبدالعزيز العمري قاضي المصيصة عن أبي بكر عبدالله بن عبيدالله بن اسحاق بن محمد بن عمران عن أبي عبيدالله عن عبدالله بن محمد بن عمران عن القاسم بن محمد بن أبي بكر عن عائشة[4].

قالوا أسلم عمر بن الخطاب وأعلن الإسلام الذي به بدأت المرحلة العلنية وانتهت المرحلة السرية! وانهم اقاموا في الدار شهراً وهم تسعة وثلاثون رجلاً وكل ما كتبوه في هذا المجال اعتمد على رواية عائشة عن اسلام عمر في دار الأرقم.

---

(١) شرح النهج، المعتزلي ١٢/١٨٣. اقرب الموارد، مادة عسف.

(٢) راجع باب الحرب في هذا الكتاب.

(٣) تهذيب الكمال المزي ١٤/١٩، ١٧/٧٢٧، سير اعلام النبلاء، الذهبي ١/٨، ١/٧١٣٥/٣٦٢، تاريخ الطبري ٣/٤٤٤، ١٠/١٨.

(٤) السيرة النبوية، ابن كثير ١/٤٤١، البداية والنهاية ٣/٤١، ٤٢.

وعائشة معروفة بعدائها لعلي عليه السلام وارحام علي عليه السلام كما اعترفت به.

وقد زار النبي صلى الله عليه وآله وسلم دور أصحابه جميعاً في المناسبات الحاصلة عندهم من حزن وسرور ومن الطبيعي أن يزور النبي صلى الله عليه وآله وسلم دار الأرقم .وادلة بطلان الموضوع هي.

١ ـ الرواية المزيفة عن المرحلة السرية في بيت الأرقم لم تبين سبب الاختفاء المذكور، فإن كان مرجعه إلى الاضطهاد القرشي فهو مستمر منذ سنوات دون كلل ولاملل.

٢ ـ ولو كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بحاجة إلى اختفاء لاختفى في دور بني هاشم ليحموه، بل أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن بحاجة إلى ذلك الاختفاء مع وجود أفراد بني هاشم.

٣ ـ ولم تكن عند قريش في تلك الفترة خطة لإغتيال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كي يختفي، بل انهم بدأوا بتعذيب المسلمين الضعفاء فهاجروا وهربوا واختفوا، وبقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإمام علي عليه السلام وحمزة في مكة في حماية قبيلتهم.

٤ ـ والمدهش أن الرواية تربط نهاية المرحلة السرية في دار الأرقم بإسلام عمر بن الخطاب فهو الذي أخاف قريشا وحمى المسلمين فبدأت المرحلة العلنية!

ولو كانت القصة هكذا فلماذا هاجر المسلمون إلى المدينة! ولم يبقوا في حماية عمر!

ولقد انتشرت تلك القصص المزيفة بواسطة قصاصي معاوية المنتشرين في مساجد المسلمين، الذين أمرهم معاوية بصنع احاديث في مناقب الخلفاء والصحابة لارغام انوف بني هاشم (كما قال معاوية)[1].

٥ ـ ولقد أمر اللهُ تعالى رسولَه بانذار عشيرته أولاً: **﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾**[2]

---

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ١٨/٣١١، لسان الميزان، الذهبي ٢/١٢، شرح النهج، المعتزلي ١/٣٦٠.

(٢) الشعراء ٢١٤.

ثم أمر بانذار باقي الناس عليه السلام ﴿قم فأنذر﴾[١].

فوقف رسول الله على حجر فقال: يا معشر قريش، يا معشر العرب أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلّا الله، وأني رسول الله، وآمركم بخلع الانداد والاصنام، فأجيبوني تملكون بها العرب، وتدين لكم العجم، وتكونون ملوكاً في الجنة.

فاستهزأوا به وقالوا: جُنّ محمد بن عبدالله، ولم يجسروا لموضع أبي طالب[٢].

فكيف يعود النبي ﷺ إلى المرحلة السرية!

٦ ـ وفي مرة أخرى وقف رسول الله ﷺ على الصفا ونادى قريشاً فاجتمعوا له فقال لهم: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً في سفح هذا الجبل قد طلعت عليكم أكنتم مصدقيّ؟

قالوا: نعم، أنت عندنا غير متهم وما جربنا عليك كذباً قط.

فقال: إنّي نذير لكم من عذاب شديد : فنهض أبو لهب وصاح به: تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعت الناس؟ وتفرقوا عنه.

فأنزل الله تعالى: ﴿تبّت يدا أبي لهب وتب﴾[٣].

وهذه الأدلة كلها تثبت عدم توسل الرسول ﷺ بالناحية السرية في التبليغ إذ لا يعقل تمسكه بالمرحلة العلنية أولاً ثم عودته الى السرية لاحقاً!

٧ ـ وقد اختلفوا في زمن ومدة الفترة السرية لزيفها، فقال ابن سعد وابن كثير بأنها قبل هجرة المسلمين إلى الحبشة اي في زمن حياة أبي طالب [٤].

واختلفوا في مدتها فقالوا مدتها ثلاث أو أربع سنوات. وقالوا: مدتها شهر واحد

---

(١) المدثر ٢.

(٢) تفسير نور الثقلين ٣/٣٤عن تفسير القمي.

(٣) تفسير السيوطي تفسير سورة الشعراء آية ٢١٤.

(٤) السيرة النبوية، ابن كثير ١/٤٤، البداية والنهاية ٣/٤١، ٤٢، تهذيب الكمال، المزي ١٤/١٩، ١٧/٢٢٧.

فقط![1].

فزيف الموضوع تسبب في اختلافهم في تاريخ ومدة وكيفية الاختفاء في دار الارقم.

٨ ـ أخرج الطيالسي وعبدالرزاق والترمذي وابن الضريس وابن جرير وابن مردويه وابن الانباري أنّ سورة المدثر، أول سورة نزلت[2].

وجاء في رواية عن جابر بن عبدالله أنّ أوّل ما نزل على الرسول سورة المدثر[3].

وذكر السيوطي بأنها ثالث سورة بعد العلق والمزمل[4] إذ قال:

﴿يا أيها المدّثر قم فانذر وربك فكبر، وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر﴾[5]

وإذا كانت أول أو ثالث سورة قرآنية فهذا يبيّن أنّها نزلت في بداية البعثة في مكة تأمر رسول الله ﷺ بإنذار قومه جميعاً دون تردد ولا خوف منهم.

وهذا ينفي ما ذكره البعض عن المرحلة السرية في تبليغ رسول الله ﷺ فالإنذار حركة جماهيرية لكل أفراد الأمة.

وخوف المسلمين المستضعفين من طغاة قريش وخوف العبيد المسلمين من أسيادهم أدىٰ إلى كتمان بعضهم الاسلام. وهذا الكتمان قد يوحي إلى البعض مرور النبي ﷺ والمسلمين بالمرحلة السرية!

٩ ـ وكان أبو الأرقم المخزومي كافراً معانداً فكيف يوافق على تجمع المسلمين في بيته تجمعاً خطيراً لمدة ثلاث سنوات؟

---

(١) راجع السيرة النبوية، ابن كثير ١/٤٤١، البداية والنهاية ٣/٤١، ٤٤، تهذيب الكمال، المزي ١٤/١٩، ١٧/٧٢٧.

(٢) تفسير الدر المنثور ٦/٢٨٠.

(٣) تفسير التبيان، الطوسي ١٠/٣٧٨.

(٤) تفسير الدر المنثور ٦/٢٤٩.

(٥) المدثر ١ ـ ٧.

١٠ ـ وذكر الرسول ﷺ أنّ قريشاً لم تؤذه في حياة أبيّ طالب فكيف يتوسل الرسول بحماية الأرقم مع وجود أبي طالب وقبيلته. والأرقم نفسه بحاجة إلىٰ حماية.

وإنّ أبا الأرقم لم يكن مجيراً للمسلمين ولم يكن مسلماً ولم يسع للدفاع عن الإسلام والمسلمين فكيف تكون داره مقراً لتجمع عشرات المسلمين على مدى ثلاث سنوات.

وقد دافع النجاشي عن المسلمين لنصرانيته ودخوله الإسلام واضطر لخوض حرب دامية مع المخالفين للاسلام في الحبشة انتصر فيها، ولم يكن أبو الأرقم المغمور الكافر المعاند للحق كذلك.وسمّىٰ الأمويون دار الأرقم بدار الاسلام[1].

وقال رسول الله ﷺ في الابطح[2] أمام قريش:

إنّي رسول الله ادعوكم إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، ولا تخلق ولا ترزق، ولا تحيي ولا تميت، فاستهزأت منه قريش وآذته[3] فنزلت: **﴿فاصدع بما تُؤْمَرُ واعرض عن المشركين، إنّا كفيناك المستهزئين الذي يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون، ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون، فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾**[4].

قال ابن اسحاق وابن جرير في قوله: **﴿فاصدع بما تؤمر﴾** هذا أمر من الله تعالى لنبيه بتبليغ رسالة قومه[5].

وابن اسحاق لم يذكر المرحلة السرية في سيرتة وانكرها.

---

(١) التراتيب الادارية ١ / ٤٠٨.

(٢) مكان بين مكة ومنى.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٤.

(٤) سورة الحجر ٩٤ ـ ٩٩.

(٥) تفسير الدر المنثور السيوطي ٤/١٠٦.

وبعد ذلك الأمر الإلهي بانذار الناس فهل يبقى مجال للدعوة السرية!

١٢ ـ ولم توجد آية في القرآن الكريم تدعو النبي ﷺ إلى المرحلة السرية، وما دام الأمر العلني الإلهي لم ينسخ ﴿**وانذر عشيرتك الأقربين**﴾[1] و﴿**فاصدع بما تؤمر**﴾ فليس هناك داع للمرحلة السرية.

ولو كانت القضية متعلقة بتعليم رسول الله ﷺ المسلمين اصول وفروع دينهم في بعض بيوت المسلمين وخارج الكعبة فهذه الجلسات كانت موجودة على مدار ثلاث عشرة سنة في مكة ولا ارتباط لها ببيت الأرقم ولا تاريخ معين ولا ايام معدودة في الوعظ والتبليغ.

١٣ ـ ومن زيف الروايات عن ذلك البيت السري جداً انهم ذكروا مجيء عمر بن الخطاب (يوم كان كافراً) إلى دار الأرقم لقتل الرسول ﷺ فتصدى له حمزة والرسول ﷺ فأسلم عمر.

فأي سرية مع معرفة قريش ومنهم عمر بتجمع المسلمين في دار الأرقم اوهي في حي بني مخزوم المحاربين للاسلام.

١٤ ـ ولا يمكن تجمع عشرات المسلمين في حي بني مخزوم وفيها طاغيتهم الوليد بن المغيرة وفرعونهم أبو جهل وإخوانه وخالد بن الوليد وقد لعن النبي ﷺ بني المغيرة وبني أمية.

ولم تبين الرواية الكاذبة سبب تجمع المسلمين في دار الأرقم، فإن كان لتعلم أحكام الإسلام فيجب ان يستمر ذلك المنحى لأنهم بحاجة مستمرة إلى تعلم الإسلام الجديدة والمشاورة في قضايا المسلمين.

والرواية نفسها تنفي هذا السبب لانها تدعي بان المدة كانت محدودة زمنياً وانتهت بإسلام عمر بن الخطاب.

---

(١) الشعراء ٢١٤.

وان كان سبب الاختفاء هرباً من قريش فبيت الأرقم الكافر لم يكن آمناً، إذ ادعت الرواية معرفة قريش بتجمع المسلمين فيه!

ثم إنّ عمر أسلم متأخراً بعد هجرة المسلمين إلى الحبشة وبعد خروج بني هاشم من شعب أبي طالب. قال بذلك معظم المؤرخين ومنهم ابن كثير[١].

كل هذه القضايا والحقائق تنفي فرية المرحلة السرية وتنفي وجود دار معروفة ومركزية للمسلمين باسم دار الارقم بن أبي الارقم في حي الطاغيتين أبي جهل والوليد بن المغيرة.

حاجة الأنصار لمصلح

لقد آمن الكثير برسول الله ﷺ ومنهم تبع الأوّل وسيف بن ذي يزن ملكا اليمن [٢] وكانت قبيلتا الأوس والخزرج اليمانيتان تنتظر خاتم الأنبياء ﷺ لأسباب عديدة:

١ ـ معرفة الأنصار بقرب ظهور رسول الله ﷺ الصادق المصدّق المنصور من السماء وتوارثهم ذلك أبا عن جد. وبشارات اليهود بقرب ظهور النبي محمّد ﷺ تزيدهم إيماناً فوق إيمانهم.

٢ ـ إختلاف الأوس والخزرج وحروبها المستمرة جعلتها بحاجة إلى مصلح عظيم يهديهم إلى الحقّ وينقذهم من الفتنة، فقال أسعد بن زرارة:

«إنّا من أهل يثرب من الخزرج وبيننا وبين أخوتنا من الأوس حبال مقطوعة فإن وصلها الله بك، لا أحد أعزّ منك»[٣].

٣ ـ الأخلاق الحسنة التي يتحلّى بها الأنصار جعلتهم ينسجمون مع الرسالة

---

(١) البداية والنهاية ٣ / ٤٢.

(٢) ثمرات الأوراق ٢٩٠، عن القرطبي.

(٣) البحار ١٩/ اعلام الورى ٥٧.

الإسلامية العظيمة السمحة فهم على خلاف أهالي مكّة الذين تمتاز طائفة كبيرة منهم بالمكر والخديعة والإحتيال.

فطبيعة سكّان مكّة غير طبيعة سكّان المدينة، فالناس في المدينة تغلب عليهم طبيعة أخلاق الفلاحين الكرماء مثل سعد بن عبادة، واسعد بن زرارة، وسعد بن معاذ.

والناس في مكّة تغلب على طباعهم المكر والدهاء مثل عمرو بن العاص وأبي سفيان وأبي لهب وابن الجراح.

وأخلاق المدن المكتظّة بالزائرين كالموانئ ومدن السياحة عادةً ما تتّصف بهذا الأمر من الدهاء.

فقال اليعقوبي في وصف أهل يثرب:

«وكان الأوس والخزرج إبني حارثة بن ثعلبة أهل عزّ ومنعة في بلادهم حتّى كانت بينهم الحروب التي أفنتهم في أيّام لهم مشهورة، منها يوم الصُّفينة وهو أوّل يوم جرت الحرب فيه، ويوم السرارة، ويوم وفاق بني خطمة، ويوم حاطب بن قيس، ويوم حُضير الكتائب، ويوم أُطم بني سالم، ويوم أبتروه، ويوم البقيع، ويوم بُعاث، ويوم مضرب، ومُعَبَّس، ويوم الدار، ويوم بُعاث الآخر، ويوم فجار الأنصار؛ وكانوا ينتقلون في هذه المواضع التي تعرف أيّامهم بها ويقتتلون قتالاً شديداً. فلمّا ضرّستهم الحرب، وألقت بَرْكَها عليهم وظنّوا أنّها الفناء، واجترأت عليهم، بنو النضير وقريظة وغيرهم من اليهود، خرج قوم منهم إلى مكّة يطلبون قريشاً لتقوّيهم؛ فاشترطوا عليهم شروطاً لم يكن لهم فيها مقنع.

وكان المشترط عليهم أبو جهل بن هشام المخزومي؛ وقد قيل إنّ قريشاً أجابتهم حتّى قدم أبو جهل من سفر له وكان غائباً فنقض الحلف واشترط عليهم شروطاً لم يقنعوا بها.

ثمّ صاروا إلى الطائف فسألوا ثقيفاً فأبطأوا عنهم فانصرفوا. وقدم رجل منهم بعد مبعث رسول الله يقال له سويد بن الصامت من الأوس حاجّاً أو معتمراً فبلغه أمر رسول الله فلقيه وكلّمه فدعاه رسول الله إلى الله.

فقال له سويد: إنّ معي مجلّة لقمان.

قال النبي ﷺ: فاعرضها عليّ؛ فعرضها عليه. فقال رسول الله: إنّ هذا الكلام لحسن، والذي معي أحسن منه: كلام الله، وقرأ عليه. فقال: يا محمّد إنّ هذا لكـلام حسن. ثمّ انصرف إلى المدينة، فلم يلبث أن قتلته الخزرج؛ ثمّ قدم نفر منهم أيضاً إلى مكّة، وهم بنو عَفراء، يتفاخرون مع أسعد بن زرارة، فلقيهم رسول الله ودعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن.

فقال رجل منهم يقال له إياس بن معاذ: ياقوم هذا واللهِ النبي الذي كانت اليهود تعدكم به، فلا يسبقنّكم إليه أحد، فأسلموا»[1].

بيعة العقبة الأولى

قال جابر الأنصاري: رأيت رسول الله ﷺ قبل ان يهاجر إلىٰ المدينة يطوف علىٰ الناس في منازلهم بمنىٰ يقول: يا ايها الناس إنّ الله يأمركم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، يا ايها الناس قولوا: لا اله إلا الله تفلحوا وخلفه رجل له غديرتان اي ذؤابتان يرجمه بالحجارة حتىٰ ادمىٰ الكعبة ويقول: يا ايها الناس لا تسمعوا منه فإنّه كذّاب. فسألت عن النبي ﷺ فقيل لي: إنّه غلام عبدالمطلب والذي يرجمه عمّه عبد العزّىٰ يعني أبا لهب[2].

كانت الأخبار منتشرة بين سكّان المدينة عن قرب ظهور النبي محمّد ﷺ ولمّا تعرّف بعض المدنيين على رسول الله ﷺ في مكّة سرعان ما أسلموا طبقاً لما سمعوه

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ /٣٨، تاريخ ابن الأثير ٢ /٩٦.

(٢) سيرة ابن دحلان ١ / ٢٣٨.

سابقاً، وشوقاً إلى التعاليم الرائعة للإسلام.

ولمّا عادت تلك المجموعة إلى المدينة، وأخبرت بما رأت وسمعت من النبي محمد ﷺ أصبح حلم الناس في رسول الله ﷺ حقيقة، فانتشرت تلك الأخبار وطار صيتها.

وفي السنة الثانية، وفي موسم الحجّ جاء وفد المدينة إلى مكّة وهناك التقى منهم جماعة برسول الله ﷺ وهم إثنا عشر رجلاً ثلاثة منهم من الأوس والباقي من الخزرج. وكان اللقاء في العقبة، فاتّفق معهم رسول الله ﷺ على بيعته بيعة النساء:أن لا يشركوا بالله شيئاً، ولا يسرقون ولا يزنون ولا يقتلون أولادهم، ولا يأتون ببهتان يفترونه من بين أيديهم وأرجلهم، ولا يعصونه في معروف، فان وفوا فلهم الجنّة، وان غشّوا من ذلك شيئاً فأمرهم إلى الله عزّوجلّ، إن شاء عذّب وإن شاء غفر».وهم: أسعد بن زرارة، وعوف، ومعاذ إبنا الحارث، ورافع بن مالك بن عجلان، وذكوان بن عبد قيس من بني زُريق، وعُبادة بن الصامت من بني عوف بن الخزرج، ويزيد بن ثعلبة بن خزمة، وعبّاس بن عبادة بن نضلة من بني سالم، وعقبة بن عامر بن نابئ، وقطبة بن عامر بن حديدة وهؤلاء من الخزرج وشهدها من الأوس أبو الهيثم بن التيّهان حليف لبني عبدالأشهل، وعويم بن ساعدة حليف لهم وسعد بن خيثمة [1].وأرسل رسول الله ﷺ مع مسلمي المدينة مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار ليقرئهم القرآن ويفقههم في الدين ويعلّمهم الإسلام، فنزل عند أسعد بن زرارة فخرج به أسعد بن زرارة فجلس في دار بني ظفر، واجتمع عليها رجال من [قبيلة] أسلم،فأسلم على يديه سعد بن معاذ وآخرون [2].

---

(١) تاريخ ابن الأثير ٢/٩٦، تاريخ الطبري ٢/٨٧ البدء والتاريخ ٢ / ٦٣.

(٢) تاريخ ابن الأثير ٢/٩٦، ٩٧.

وبهذا الاتفاق فقد انتصر الاسلام في ثلاث جبهات مكـة والمـدينة والحـبشة. وفشلت قريش في محاصرته فأصبح قويا واضحى عالميا بهجرة المسلمين للحبشة في السنة الخامسة

بيعة العقبة الثانية

وفي موسم حج السنة الثانية بعد بيعة العقبة الأُولى المصادف للسنة الثالثة عشرة جاء حجّاج يثرب إلى مكّة وعددهم خمسمائة حاج، فيهم المسلمون، فاتّفق معهم رسول الله ﷺ على اللقاء في أوسط أيّام التشريق بالعقبة. اي في أواخر أيام الحج علىٰ ألا ينبهوا نائماً ولا ينتظروا غائباً.

فخرجوا بعد مضي ثلث الليل مستخفين يتسلّلون حتّى اجتمعوا بالعقبة، وهـم سبعون رجلاً وامرأتان هما نُسيبة بنت كعب أُمّ عمارة وأسماء أُمّ عمرو بن عدي من بني سلمة. فجاءهم رسول الله ﷺ وحمزة وعلي ﷺ[١].

حاول العباسيون ذكر العباس جدهم في بيعة العقبة الثانية علىٰ حساب شخصية رسول الله ﷺ فقالوا بانه كان أشهر من رسول الله ﷺ لانه معروف بالتجارة في المدينة فيعرفونه بالعباس وحاول الأمويون تعظيم منزلة أبي بكـر عـلىٰ حسـاب شخصية رسول الله ﷺ فقالوا بان أهل المدينة عرفوا أبا بكر عند مجيئه المدينة ولم يعرفوا الرسول ﷺ [٢].

في حين كانت منزلة العباس أقل من منزلة رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ يومها في سن الخمسين وقد أصبح أشهر من الصفا والمروة يتكلّم في نبوّته أهـالي فارس والروم.

---

(١) اعلام الورى ٥٩، البحار ١٩/١٢، ١٣، ٤٧، السيرة الحلبية ١٦/٢، السيرة النبوية، دحلان ١/١٥٢.

(٢) راجع البداية والنهاية ٣ / ١٩٣، طبقات ابن سعد ٣ / ٦١٨، تاريخ الطبراني ٢/٣٦١، سيرة ابن هشـام ٨١/٢

وأبو بكر رجل مغمور من قبيلة ضئيلة المنزلة لا يعرفه أبو سفيان الا بأبي فصيل[١].

ولو كان العبّاس مهتماً بحياة رسول الله ﷺ لأسلم ولحقه إلىٰ المدينة!.. أليس كذلك؟

وحاول الأمويون والعباسيون حشر أبي بكر والعباس بن عبد المطلب في قضية بيعة العقبة الثانية لكنهم فشلوا.

لقد بقي العباس بن عبادة بن نضلة الأنصاري في مكّة إلىٰ ان هاجر النبي ﷺ فهو انصاري مهاجري واستشهد باحد[٢].

لحصل خطأ متعمد بين العباس بن عبادة بن نضلة الأنصاري والعباس بن عبدالمطلب بحشر العباسيين اسم جدّهم في هذه البيعة والا فإنّالعباس لم يكن له تاريخ في نصرة الإسلام ورسول الله ﷺ في مكة.

لذلك لم يكن لابي بكر وللعباس بن عبد المطلب ذكر في رواية عاصم بن عمر بن قتادة[٣]. ولم يذكرهما جابر بن عبد الله الأنصاري في روايته[٤].

ولم يذكرهما الديار بكري وابن سيد الناس والبلخي وأخرون[٥].

فقال حمزة: يا معشر الخزرج (وكانت العرب تسمّي الخزرج والأوس به)، إنّ محمّداً منّا حيث قد علمتم في عزّ ومنعة، وإنّه قد أبيإلّا الإنقطاع إليكم، فإن كنتم ترون أنّكم تفون له بما دعوتموه إليه وتبايعوه فأنتم وذلك وإن كنتم ترون أنّكم مسلّموه فمن الآن دعوه فإنّه في عزّ ومنعة.

---

(١) اي راعي الأبل، شرح النهج ٢ / ٣١ - ٣٤، تاريخ الخلفاء، السيوطي ٦٦.

(٢) سيرة ابن دحلان ١ / ٢٤٣.

(٣) البداية والنهاية ٣ / ١٩٨.

(٤) ألوفا، ابن الجوزي ٢٣٠.

(٥) تاريخ الخميس ١ / ٣١٦، عيون الأثر ١ / ٢٠٧، ٢٠٨، البدء والتاريخ ٢ / ٦٢.

فقال الأنصار: قد سمعنا ما قلت، فتكلّم يارسول الله وخذ لنفسك وربّك ما أحببت.

فتكلّم ﷺ وتلا القرآن ورغّب في الإسلام ثمّ قال: تمنعوني ممّا تمنعون منه نساءكم وأبناءكم. ثمّ أخذ البراء بن معرور بيده وقال: والذي بعثك بالحقّ لنمنعنّك ممّا نمنع منه أُزرَنا، فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل الحرب.

فاعترض الكلام أبو الهيثم بن التيّهان فقال: يارسول الله إنّ بيننا وبين الناس حبالاً، وإنّا قاطعوها، يعني اليهود، فهل عسيت إن أظهرك الله عزّوجلّ أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟

فتبسّم رسول الله ﷺ، وقال: بل الدم الدم والهدم الهدم، أنتم منّي وأنا منكم، أُسالم من سالمتم وأُحارب من حاربتم.

وكانت البيعة في هذه العقبة على غير الشروط في العقبة الأُولى. فإنّ الأُولى كانت على بيعة النساء وهذه البيعة على حرب الأحمر والأسود[1]. بل هي بيعة على الدفاع عن الاسلام حتى الموت .

وقال لهم العبّاس بن عبادة بن نضلة الأنصاري: يامعشر الخزرج هل تدرون على ما تبايعون هذا الرجل؟ تبايعونه على حرب الأحمر والأسود، فإن كنتم ترون أنّكم إذا نُهكت أموالكم وقُتِلَ أشرافكم قتلاً أسلمتموه، فمن الآن فهو والله خزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنّكم وافون له فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة.

قالوا: فإنّا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف، فما لنا بذلك يارسول الله؟

قال الرسول ﷺ : الجنّة.

قالوا: ابسط يدك، فبايعوه.

---

(١) راجع تاريخ ابن الأثير ٢/٩٦ ـ ١٠١، السيرة النبوية، أبو حاتم ١/١١٨ ـ ١٢٢، عيون الأثر ١/٢٢٣، تاريخ الطبري ٢/٨٧ ـ ٩٣.

وما قال العبّاس بن عبادة ذلك إلّا ليشدّ العقد له عليهم.

فكان أوّل من بايعه أبو الهيثم بن التيّهان، وكان لايقرب في الجاهلية الاوثان[١].

ثمّ تتابع القوم فبايعوا.

لقد أدرك العبّاس بن عبادة بن نضلة وآخرون خطورة الأمر من قول الرسول ﷺ: «وتدين لكم العجم وتكونون ملوكاً».

وقال له العبّاس بن عبادة: والذي بعثك بالحقّ نبيّاً لئن شئت لنميلنّ غداً على أهل منى بأسيافنا. فقال ﷺ: لم نؤمر بذلك فرجعوا.

وقال عبادة بن الصامت: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحقّ حيثما كنّا لا نخاف في الله لومة لائم[٢]. قال السيوطي: يريد الملك والأمارة[٣].

وقال رسول الله ﷺ: أخرجوا إليّ إثني عشر نقيباً يكونون على قومهم، فأخرجوهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس.

وقال ابن هشام: إنّما جعل النبي ﷺ النقباء إثني عشر اقتداءً بقوله سبحانه في قوم موسى ﷺ: ﴿وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثنَي عَشَرَ نَقِيباً﴾[٤]

وكذلك أرسل الله تعالىٰ اثني عشر خليفة للمسلمين اولهم علي بن أبي طالب ﷺ ثم الحسن والحسين ﷺ و... وآخرهم المهدي (عج).

فلمّا بايعوه صرخ الشيطان من رأس العقبة: ياأهل الجباجب[٥]، هل لكم في

---

(١) البدء والتاريخ، البلخي ٢ / ٦٢، تاريخ الطبرى ٢/٩٣.

(٢) عيون الأثر ١/٢٢٣ مسند أحمد ٥/٣١٤، سير أعلام النبلاء ٢/٧، سنن النسائي ٧/١٣٨ ـ ١٣٩ الموطأ المطبوع مع تنوير الحوالك ٢/٤ سنن البخاري ٤/١٥٦، السيرة النبوية، ابن هشام ٢/٩٧.

(٣) تنوير الحوالك ٢/٤.

(٤) المائدة ١٢، عيون الأثر ١/٢٢٥.

( ) كمال الدين ٧٣، ينابيع المودة، الكنجي الشافعي ٤٤٦.

(٥) المنازل.

مُذمّم والصُّباة معه قد اجتمعوا على حربكم؟

فقال رسول الله ﷺ: أما والله لأفرغنّ لك أي عدو الله!

ثمّ قال الرسول ﷺ : انفضُّوا إلى رحالكم.

ولمّا جاءت قريش بسلاحها ورجالها لمعرفة نتيجة الاجتماع وأهدافه قال حمزة: ما اجتمعنا، وما هاهنا أحد، والله لا يجوز أحد هذه العقبة إلّا ضربته بسيفي.

فرجعت قريش إلى عبدالله بن أُبي فقالوا له: قد بلغنا أنّ قومك بايعوا محمّداً على حربنا، والله ما من حي أبغض من أن ينشب الحرب بيننا وبينه منكم، فحلف لهم عبدالله أنّهم لم يفعلوا، ولا علم له بذلك، وانّهم لم يطلعوه على أمرهم، ورحلت الأنصار ورجع رسول الله ﷺ إلى مكّة.

ولمّا تأكدت قريش من خبر البيعة طلبت الأنصار فأدركت سعد بن عبادة والمنذر بن عمير فهرب المنذر وبقي سعد بن عبادة في قبضتهم فعذّبوه.

ولمّا سمع جبير بن مطعم والحارث بن حرب بن أُميّة جاءا وأنقذاه لأنّه يجير لهما تجارتهما ويمنع الناس من التعدّي عليهما(١).

فلمّا بايعوه ورجعوا إلى المدينة، أقام رسول الله ﷺ، بمكّة بقيّة ذي الحجّة والمحرّم وصفر ثلاثة أشهر، وهاجر إلى المدينة في شهر ربيع الأوّل، وقدمها لاثنتي عشرة ليلة خلت منه.

وكانت قريش لمّا بلغهم إسلام مَن أسلم من الأنصار اشتدّوا على مَن بمكّة من المسلمين، وحرصوا على أن يفتنوهم، فأصابهم جهد شديد، وهي الفتنة الآخرة؛ وأمّا الأُولى فكانت قبل هجرة الحبشة.

إنّ جهود رسول الله ﷺ المتواصلة لتبليغ الإسلام للقبائل قد نجحت أخيراً مع

(١) تفسير القمّي ١/٢٧٢، ٢٧٣، البحار ١٩/١٢، ١٣، أعلام الورى ٥٧، عيون الأثر ١/٢١٧، ٢١٨، ٢٢٣، تاريخ الطبري ٢/٩٦، تاريخ الخميس ١/٣١٨، ٣١٩، البداية والنهاية ٣/١٥٨، السيرة النبوية، ابن كثير ٢/١٩٣، ٢١٩، دلائل النبوّة، البيهقي ٢/٤٥٠.

قبيلتين مهمتين هما الأوس والخزرج.

وثانياً إنّ النبي ﷺ عقد بيعة الأنصار له وهو في مكّة احكاماً للأمر وتثبيتاً لنجاحه، فهو لا يريد الفرار من مكّة كما يدّعون بل يريد قوماً يتعهّدون بالتضحية بما يملكون في سبيل الإسلام، ويبايعونه على حرب كلّ القوى العظمى والصغرى التي يحاربها رسول الله ﷺ.

فغضبت قريش غضباً عظيماً على ذلك الاتّفاق الخطير، ووجدت الحلّ الوحيد لمشكلتها يتمثّل في اغتيال رسول الله ﷺ لمنع الكارثة التي ستحلّ بها عاجلاً.

إنّ السرية التي أحاطت ببيعة العقبة تثبت بأنّه ﷺ قد استخدم السرية طول فترة وجوده الشريف في مكّة والمدينة كلّما تطلّب الأمر ذلك، ولم يخصص السرية بفترة محددة كما قال بعض رجال الحزب القرشي!

أمّا من ناحية الأنصار فانّهم دخلوا الإسلام سريعاً لإنتظارهم الطويل له، وشوقاً لتعاليمه السمحاء وأحكامه الفاضلة، ولم يفعلوا أفعال قريش وأهل الطائف في محاربة الإسلام والتمسك بأصنام الجاهلية وعاداتها، فهم بقايا عرب اليمن الذين كانت حضارتهم أرفع من باقي أرجاء جزيرة العرب.

وإتّفاق الأنصار مع رسول الله ﷺ قائم على تضحية وإخلاص وإيمان من قبلهم على أن يُعطوا الجنّة[1].

الدلائل والعبر

نال منزل أبي طالب مرتبة افضل منزل في الدنيااذ تربى في هذه الدار خاتم الانبياء محمد ﷺ وخاتم الاوصياء علي عليه السلام، وفي تلك الدار عاش رسول الله سبع عشرة سنة عند أبي طالب المتكفل بتربيته ،ثم انتقل الىٰ بيت زوجيته مع خديجة.وفي

(١) تاريخ الطبري ٢/ ٩٣.

تلك الدار عاش علي بن ابي طالب ﷺ قبل انتقاله الى بيت رسول الله ﷺ وفيها ولد طالب بن أبي طالب الممتنع عن حضور معركة بدر في صفوف المشكرين.

وفيها ولد جعفر بن ابي طالب زعيم المهاجرين الىٰ الحبشة وقائد حملة مؤتة وشهيدها.

وعاصرت تلك الدار البداية الرائعة للبعثة النبوية والدعوة الاسلامية، فكان يحتمي بها رسول الله ﷺ وباقي أفراد بني هاشم، لتجري فيها المناقشات الحادّة بين رسول الله من جهة وطغاة قريش من جهة حول ادلّة الديانة الجديدة وسقم عبادة الاصنام.

وبينا كان جعفر بن ابي طالب يدافع عن الاسلام في الحبشة كان علي بن ابي طالب ﷺ يصحب رسول الله ﷺ مدافعاً عنه في مكة والمدينة ولأجل تلك المسيرة المشهودة لابي طالب وعائلته حاول الحزب القرشي لاحقاً مهاجمة كل فضيلة تعود لأبي طالب وأولاده! باذلين في هذا السبيل اموالاً طائلة.وبعد مرور قرون عديدة نلاحظ فشل مساعيهم وخيبة آمالهم في هذا الطريق فأصبحوا عبرة للمعتبرين.

ومن الناحية العقائدية أضحت هذه الدار مقرا لنشر عقيدة لا اله الا الله محمد رسول الله.

وأصبحت هذه الدار مقراً لقيادة رسول الله ﷺ وقطباً مركزياً لنشر الرسالة المحمدية في ربوع شبة الجزيرة العربية.كلما حاول طغاة وعتاة مكة الدفاع عن أوثانهم طرقوا بابها متحدثين مع ابي طالب في مطاليبهم، فيردّهم ابو طالب زعيم مكة بالأساليب الملائمة لنفوسهم المهدئة لاندفاعهم فيعيدهم الىٰ مجالسهم.وكانت دار ابي طالب مركزاً لمداولات أمور قريش وبني هاشم يقصدها الأشراف وعامة الناس.

وما ان يبدأ رسول الله ﷺ ثانية بالنيل من اوثانهم والحط من دينهم حتىٰ يجرون

ثانية الىٰ دار ابي طالب راجينه الحد من حركة ابن أخيه.

فكانت تلك الدار وسيدها في خدمة الاسلام والمسلمين من بداية البعثة النبوية والىٰ ساعة وفاة ابي طالب فاستحقَّت بجدارة نيل عنوان مقر قيادة البعثة الاسلامية في مكة، ونال ابو طالب باستحقاق كامل لقب سيد قريش وحامي رسول الله ﷺ فلم تجرؤ قريش علىٰ النيل من محمد ﷺ في حياته.

وبعدما مات ابو طالب وفقد رسول الله ﷺ ناصره فرح القرشيون وحزن المسلمون فمرَّت برسول الله ﷺ فترة صعبة وحرجة ردَّ فيها اهالي الطائف دعوته وردَّت قبائل العرب ارشاداته وتعاليمه.

ولما أيقن القرشيون بالنصر الكاذب أنزل الله تعالى نصره علىٰ رسوله متمثلاً في اسلام اليثربيين المبايعين له في العقبة الاولى والثانية.فطار صواب قريش وجنَّ جنونها ببيعة أهالي يثرب رسول الله ﷺ فقررت قراراً طائشاً متمثلاً في اغتيال رسول الله ﷺ لانه الوسيلة الوحيدة الباقية في يديها.ولكن الله تعالى أفشل خطتها مرّة اخرى وخيَّب أملها فبلغ خاتم الأنبياء ﷺ يثرب. فكانت قصة سيد الرسل ﷺ من أحسن القصص التي مرَّت بها الحواضر العالمية.

ونلاحظ بأن النبي لم يذهب الى يثرب الا بعد اجرائه عقد البيعة مع الانصار في مكة في حين كان بامكانه الذهاب ليثرب دون عقد بيعة وكان بامكانه عقد البيعة في يثرب لاحقا مما يبين احكامه للامور وعدم تسرعه في تنفيذ مشاريعه الدينية والسياسية وفي هذا حكمة للمسلمين .

ولم يكتف النبي ببيعة العقبة الاولى بل اجرى بيعة العقبة الثانية بعد مرور سنة كاملة بينما كان بامكانه الاكتفاء بالبيعة الاولى والهجرة للمدينة خاصة مع وجود الاضطهاد القرشي له وللمسلمين .

الفصل السادس

الهجرة إلى المدينة



محاولة ممثلي قبائل قريش أغتيال النبي ﷺ في مكّة

أمر النبي ﷺ أصحابه بالهجرة إلى المدينة، فكان أوّل مَن قدمها أبو سلمة بن عبد الأسد، ثمّ هاجر بعده عامر بن ربيعة حليف بني عدي مع امرأته ليلى إبنة أبي حشمة، ثمّ عبدالله بن جحش ومعه أخوه أبو أحمد وجميع أهله، فأُغلقت دارهم وتتابع الصحابة، ثمّ هاجر عمر بن الخطاب وعيّاش بن أبي ربيعة فنزلا في بني عمرو بن عوف.

وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عيّاش بن أبي ربيعة بالمدينة، وكان أخاهما لأمّهما، فقالا له احتيالا: إنّ أمّك قد نذرت أنّها لا تستظل ولا تمتشط. فرقّ لها وعاد فسجناه وعذباه وتتابع الصحابة بالهجرة [1].

واستمرّت المحاولات لأغتيال النبي ﷺ فجاء:«وإجتمعت قريش على قتل رسول الله، وقالوا: ليس له اليوم أحد ينصره، وقد مات أبو طالب، فأجمعوا جميعاً على أن يأتوا من كلّ قبيلة بغلام نهد فيجتمعوا عليه فيضربوه بأسيافهم ضربة رجل واحد، فلا يكون لبني هاشم قوّة بمعاداة جميع قريش.

فطلب النبي ﷺ من علي ﷺ المبيت في فراشه والنوم ببردته فنام في مكانه ليحسبوه رسول الله ﷺ .

ولما اراد الخروج قرأ النبي ﷺ شيئا من سورة ياسين :

---

(١) تاريخ ابن الأثير ٢/١٠١، ١٠٢، ١٠٣.

﴿وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون﴾
وخرج فلم يشاهدوه ووضع التراب على رؤوس المحاصرين لبيته وذهب إلى غار ثور وحده.

وأوحى الله تعالى في تلك الليلة إلى جبريل وميكائيل أنّي قضيت على أحدكما بالموت فأيّكما يواسي صاحبه؟ فاختار الحياة كلاهما. فأوحى الله إليهما: هلّا كنتما كعلي بن أبي طالب، آخيت بينه وبين محمّد، وجعلت عمر أحدهما أكثر من الآخر، فاختار علي الموت وآثر محمّداً بالبقاء وقام في مضجعه، اهبطا فاحفظاه من عدوّه.

فهبط جبريل وميكائيل فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه يحرسانه من عدوّه ويصرفان عنه الحجارة، وجبريل يقول:

بخ بخ لك يابن أبي طالب من مثلك يباهي الله بك ملائكة سبع سماوات!

وصار إلى الغار فكمن فيه، وأتت قريش فراشه، وجعل المشركون يرمون علياً بالحجارة، كما كانوا يرمون رسولَ الله ﷺ وهو يتضوّر (أي يتقلّب) وقد لفّ رأسه في الثوب لا يخرجه حتّى أصبح، فهجموا عليه.

فلمّا بصر بهم علي عليه السلام قد انتضوا السيوف وأقبلوا عليه يقدمهم خالد بن الوليد، وثب به علي عليه السلام فختله وهمز يده فجعل خالد يقمص قماص البكر[1]، ويرغو رغاء الجمل، وأخذ من يده السيف وشدّ عليهم بسيف خالد، فأجفلوا أمامه اجفال النعم إلى خارج الدار، وتبصّروه فإذا علي.

قالوا: وإنّك لعلي؟

قال: أنا علي. قالوا: فإنّا لم نردك، فما فعل صاحبك؟[2].

قال: قلتم له اخرج عنّا، فخرج عنكم.

---

(١) اي يصرخ من الألم.

(٢) أمالي الشيخ الطوسي ٢/٨٢، ٨٣ تاريخ اليعقوبي ٢/٣٩، النور والبرهان، ابن الصباغ المالكي، الاصل المطبوع بكراجي.

قال الخطيب ونوم علي عليه السلام في فراش محمّد صلى الله عليه وآله وارتداؤه لباسه والتصرّف على أنّه رسول الله صلى الله عليه وآله أكبر دليل على خلافة علي عليه السلام لخاتم الأنبياء[١].

والمهاجمون لبيت النبي صلى الله عليه وآله هم: أبو جهل والحكم بن أبي العاص وعقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث وأُميّة بن خلف وابن الغيطلة وزمعة بن الأسود وطعيمة بن عدي، وأبو لهب وأُبي بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجّاج.

ووسيلة الأغتيال أسهل طريقة ظالمة لوصول المجرمين إلى غاياتهم، وأسرع طريقة للقضاء على صوت الحقّ والعدالة.

فكان مشروع قريش للقضاء على حياة الرسول صلى الله عليه وآله مشابهاً لمشروع اليهود في القضاء على حياة عيسى عليه السلام، وهو ذات المشروع الغادر ليهود جزيرة العرب ضدّ رسول الله صلى الله عليه وآله.

وهنا علامة سؤال : لماذا انتظر المهاجرون إلىٰ الصباح ولم يهجموا عليه ليلاً؟

لقد انتظر المهاجمون لبيت النبي صلى الله عليه وآله إلى الصباح خوفاً من انتقاد العرب لهم إذ لمّا اقتحموا عليه الجدار صاحت امرأة من الدار، فقال بعضهم لبعض: إنّها لسُبّة في العرب، أن يتحدّث عنّا: أنّا تسورنا الحيطان على بنات العم[٢].

إذ كان في البيت فاطمة عليها السلام فتكون فاطمة قد تعرضت لهجومين علىٰ بيتها مرّة في مكة بقيادة الحزب الجاهلي ومرّة في المدينة بقيادة عمر وبعض المهاجمين اشتركوا في الهجومين اي معاوية وابن العاص وخالد بن الوليد فنجت في الحملة الاولىٰ وأستشهدت في الثانية[٣].

ونزلت في مبيت علي عليه السلام في فراش النبي صلى الله عليه وآله:

---

(١) علي بن أبي طالب، عبدالكريم الخطيب ١٠٥، ١٠٦.

(٢) الروض الأنف ٢/٢٢٩، السيرة الحلبية ٢/٢٨، سيرة ابن هشام ٢/١٢٧، تاريخ الهجرة النبوية، البلاوي ١١٦.

٣) راجع نظريات الخليفتين للمؤلف ح ١ باب بيت فاطمة عليها السلام.

﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله﴾[١].

فكان علي ﷺ موطّناً نفسه على القتل[٢].

من صاحب النبي ﷺ في الغار ابو بكر أم ابن بكر ؟

ولما خرج سيد الرسل ﷺ وحده ليلا الى جبل ثور لم يعلم بذلك الا علي ﷺ ولم يكن هناك غار في ذلك الجبل فليَّن الله تعالى له الصخر كما ليَّن الحديد لداود ﷺ فازال النبي ﷺ صخورا من الجبل وصنع غارا وسكنه ،ثم تعرَّف رسولَ الله ﷺ بمعونة الله تعالى على الدليل عبد الله بن بكر الراعي [٣].

وعبد الله بن بكر هو الذي أرسله النبي ﷺ الى علي ﷺ ليهيء له راحلة لسفره ويبشره بالهجرة الى المدينة [٤].

وفي الغار حزن عبد الله بن بكر صاحب النبي ﷺ خوفاً، فقال له رسول الله ﷺ: لا تحزن إنّ الله معنا[٥].

و قال عبد الله بن بكر بن اريقط: كنت مع النبيّ ﷺ في الغار فنزلت عليه والمرسلات [٦].

وكان عبد الله بن بكر بن اريقط خبيرا بطريق المدينة فسار برسول الله ﷺ في أرض وعرة بعيدا عن الناس اوصلته الى يثرب[٧].

(١)البقرة ٢٠٧. شرح النهج، المعتزلي ١٣/٢٦٢.
(٢) أمالي الشيخ الطوسي ٢/٦٢، البحار ١٩/٥٦.
(٣) اعلام الورى ٦٣ و ٦٤.
(٤) اعلام الورى ٦٣ و ٦٤.
(٥) سورة التوبة ٤٠.
(٦) غريب الحديث للحربي ٢ / ٥٥٧.
(٧) سيرة ابن هشام ١ / ٧٤٣.

تحريف رواية الغار

ثم اختلق القصاصون والرواة متأخرا رواية في مصاحبة ابي بكر للنبي في الغار فوضعوا ابا بكر بدل ابن بكر وجعلوا اسم أبي‌بكر عبد الله واسمه الحقيقي عتيق [١] لان ابن بكر اسمه عبد الله.

وقد عظَّم الامويون زيفا دور أبي‌بكر وعائلته في قضية الغار والهجرة بشكل مستغرب في مقابل دور علي عليه السلام في المبيت في فراش سيد الرسل ﷺ وتوزيع أمانات الناس الموجودة عنده ، والمجيء بفاطمة بنت محمد ﷺ الى المدينة[٢].

اذن لم يهاجر النبي ﷺ مع أبي‌بكر ولم يسمع الناس بقضية هجرته مع النبي ﷺ ومرافقته له في الغار في ايام رسول الله ﷺ ،لذا لم يفتخر ابو بكر وعمر بها ابدا قبل السقيفة. وبعد السقيفة طرحها الحزب القرشي كأس من اسس انتخاب أبي‌بكر للخلافة.

وكذلك حرّف العباسيون مناقب الشهيد العباس بن نضلة الانصاري لصالح العباس جدهم[٣] ،فجعل المتزلفون للدنيا للعباس بن عبد المطلب منقبة في العقبة الثانية بحضوره فيها ،بينما كان العباس حينها من اصحاب ابي‌سفيان والوليد بن عتبة.

فمات العباس بن نضلة الانصاري شهيدا في طريق الاسلام ،واضحى الناس اليوم لا يعرفونه ولا يعرفون مناقبه !

وبنفس الطريقة سلبوا منقبة عبد الله بن بكر الذي خاطر بنفسه في سبيل الله وتحمّل اعباء السفر وخوف ملاحقة قريش له ولرسول الله ﷺ [٤] واعطوها

(١) أوائل المقالات، المفيد ١٨، منهاج الكرامة، الحلّي ٣٥، سنن التيمي وكان اسمه عتيق، الترمذي ٥ / ٢٦٧، المستدرك، الحاكم ٣ / ٦٢.

(٢) اي يصرخ من الألم.

(٣) راجع سيرة ابن دحلان ١ /٢٤٣وتاريخ الخميس ١ /٣١٦.

(٤) سيرة ابن هشام ١ / ٧٤٣.

لعتيق بن أبي‌قحافة !

ان افتقاد أبي‌بكر لاصل يعتمد عليه في مشروعية خلافته هو الذي دفع انصاره لاختلاق منقبة الغار له، وحاول الرواة والقصاصون تعظيم هذا الدور فاعطوا سهما فيه لكل اولاد أبي‌بكر وارحامه وغلامه لطمس النص الالهي على خلافة علي عليه السلام.

واعطوا فضيلة اعداد الراحلة وشرائها لابي بكر في حين جاء في الحديث الصحيح :

وكان علي عليه السلام هو الذي أرسل زاداً وراحلة لرسول الله صلى الله عليه وآله بالتعاون مع عبد الله بن بكر . وكان اعداد الراحلة عملية صعبة لا يقوم بها غير علي عليه السلام فغيَّر الامويون هذا ايضا لصالح أبي‌بكر[1].

اختلاق المناقب المزوّرة

ومن هذه الروايات الموضوعة :اعطى عروة بن الزبير بن العوام أجير معاوية في اختلاق السيرة دورا لامه اسماء بنت ابي بكر (زوجة الزبير) في قضية الهجرة فسماًها بذات النطاقين لبذلها نطاقا في شد طعام رسول الله ، لدعم افراد الحزب القرشي .وأيد عبد الله بن الزبير الذى حكم مكة بلا مناقب ولا محبوبية شعبية هذه الروايات المختلقة ،بينما كانت اسماء في حينها في الحبشة مع زوجها الزبير[2] !

وقال عبد الله بن الزبير (مختلق شهادة الزور في الحلف بالله العظيم كذبا): ان قرية الحوأب التى نزلها جيش الجمل هي قرية اخرى ،لارضاء عائشة بمواصلة الطريق للبصرة ،وابطال القول النبوي لعائشة :في اقدامها على الخروج من بيتها

(١) البحار ١٩/ ٧٠، ٧٥، اعلام الورى ٦٣، الإحتجاج، الطبرسي ١/ ٢٠٤.

(٢) الثقات، ابن حبّان ٣ / ٢٣.

ومحاربة وصيه علي عليه السلام ونباح كلاب الحوأب لها [١].

واعطى عروة ايضا دورا حربيا كاذبا لجدته صفية في منازلة الرجال وقتلها يهوديا في معركة الخندق ،وحضورها في معركة خيبر [٢].

وهكذا وضع الطغاة واعوانهم الروايات الكاذبة لمصلحتهم على حساب الاسلام والمسلمين.

ووضعوا فضيلة لعبد الله بن أبي بكر الكافر في المجيء بالطعام والاخبار لرسول الله [٣]،بينما كان عبد الله بن ابي بكر وأمه نملة كافرَين [٤] ،وثانيا كان أمير المؤمنين علي عليه السلام هو الذي يأتي النبيَّ صلى الله عليه وآله بالطعام والشراب إلى الغار [٥].

ووضع انصار طلحة فضيلة لطلحة التيمي بلقائه رسول الله وأبي بكر في هجرتهما حاملا ثيابا بيضا من الشام فأعطى النبيَّ صلى الله عليه وآله واحدا منها وواحدا لابي بكر [٦].

بينما سلك النبيُّ صلى الله عليه وآله ودليله عبد الله بن بكر طريقا وعرا لا يسلكه الناس هربا من قريش ،فلم يلتق بالتجار والمسافرين.

وجعلوا فضيلة لعبد العزى (عبد الرحمن) بن أبي بكر في الغار [٧] بينما كان حينها كافرا ثم شارك في محاربة المسلمين في بدر واحد والخندق واسلم في الحديبية في السنة السادسة [٨]. وهذا يبين سعة المشروع المزيّف في قضية الغار.

---

(١) سير اعلام النبلاء للذهبي ٢ / ١٧٧ وانساب الاشراف للبلاذري ٢٢٤ ط.مؤسسة الاعلمي – بيروت.

(٢) اسد الغابة ٧ / ١٧٤ والطبقات لابن سعد ٨ / ٢٥٠..

(٣) المصنف للصنعاني ٥ / ٣٩٠.

(٤) سورة الممتحنة: ١٠،شرح النهج، المعتزلي ١٣ / ٢٧٠ طبع عيسى الحلبي وشركاه ١٩٦٠ـ مصر.

(٥) تاريخ دمشق، ترجمة الإمام علي بتحقيق المحمودي ١/١٣٨، اعلام الورى ١٩٠، البحار ١٩/٨٤.

(٦) الطبقات لابن سعد ٣ / ١٧٣.

(٧) التاريخ الكبير للبخارى ٥ / ٢٤٢.

(٨) شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي ١ / ١٠٤.

ووضعوا منقبة لغنم أبي‌بكر وراعيه في مروره ورجوعه على جبل ثور ليستفيد النبيّ ﷺ من ألبانها ولحومها [١].

ولا ادرى كيف صعدت هذه الاغنام ذلك الجبل الذى يصعب على الرجال صعوده وكيف شوى النبيّ ﷺ بعض تلك الاغنام وقريش تلاحقه ؟

واعطوا فضيلة لصهيب بن سنان الرومي واسموه غلام أبي‌بكر في دعوة رسول الله ﷺ اياه للهجرة معا . وقالوا زيفا ان النبيّ ﷺ قال عند مجيء قريش للغار: واصهيباه ولا صهيب لي [٢].

بينما كان صهيب غلاما لعبد الله بن جدعان [٣].

وثانيا كان صهيب قد هاجر إلى المدينة سابقا [٤].

وقال ابو القاسم :كانوا يروون عن النبيّ ﷺ فى فضائل اوليائهم ما تمجه الاسماع ولا يتفق مع المنطق الصحيح وكلها موضوعة مكذوبة على النبيّ ﷺ [٥].

ورغم اتفاق الروايات على خروج رسول الله الى الغار وحيدا وفي الليل فقد اختلقوا رواية خروجه الي الغار نهارا ومن بيت أبي‌بكر [٦].

ولعدم موافقة العقلاء عليها فقد اختلقوا رواية في خروج أبي‌بكر ليلا وهى الاخرى مخالفة لروايات صحيحة متمثلة فى محاصرة قريش لبيت النبيّ ﷺ ومبيت علي عليه السلام في فراشه ثم خروج النبيّ ﷺ من وسط ذلك الحصار المضروب

---

(١) البداية والنهاية ٣ / ٢١٩.

(٢) تاريخ دمشق ٢٤ / ٢٢٧.

(٣) المعجم الكبير للطبرانى ٨ / ٣٨،اسد الغابة ٣ / ٣٣ مجمع الزوائد ١٠ / ١٢.

(٤) سيرة ابن هشام ٢ / ١٢١.

(٥) الاستغاثة لابى القاسم الكوفي ٢ / ٢.

(٦) صحيح ابن حبان ١٤ / ١٨٠.

بالعناية الالهية ووضعه التراب على رؤوس المحاصرين لبيته [١].

اذن كيف دخل ابو بكر الى بيت رسول الله ﷺ المحاصر وسؤاله من علي ؑ عن النبيّ ﷺ فأخبره بخروجه الى بئر ميمون ؟ ثم كيف خرج من الدار وقد ادعوا وضع كفار قريش دية في قتل وأسر النبيّ ﷺ وأبي بكر [٢]؟

وكان رسول الله ﷺ قد أمر اصحابه قائلا :لا يخرج الليلة احد من داره لشدة الهجوم القرشي [٣].

اثبات الكذبة السياسية

هناك ادلة كثيرة تثبت عدم هجرة أبي بكر مع خاتم الانبياء ﷺ تتمثل في روايات صحيحة وشواهد وقرائن عديدة:

١ ـ الواضح من الرواية عدم معرفة أبي بكر السابقة بوقت هجرة النبيّ ﷺ وعدم معرفته بمؤامرة قريش في قتل رسول الله ﷺ فكيف دخل بيت النبيّ ﷺ المحاصر؟ مما ينفي مجيء ابي بكر الى بيت النبيّ ﷺ وينفي هجرته معه لانهم قالوا كذبا:

كانت قريش قد بذلت مائة بعير لمن جاءها بالنبي محمّد ﷺ وأبي بكر.

والصحيح كانت الدية في رسول الله ﷺ فقط [٤].

٢ ـ وقال كرز بن علقمة الخزاعي الذى اقتاف (تبع) أثر النبيّ ﷺ :هذه قدم

(١) أمالي الشيخ الطوسي ٢/ ٨٢، ٨٣، تاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٩، النور والبرهان، ابن الصباغ المالكي، الاصل المطبوع بكراجي.

(٢) عيون الاثر ١ / ٢٤٤.

(٣) البحار ١٩ / ٧٣.

(٤) السيرة الحلبية ٢/ ٣٩، البداية والنهاية ٣/ ١٨٢، تاريخ الخميس ١/ ٣٣٠.

محمد ولم يذكر ابا بكر [١].

٣ ـ وفي جبل ثور التقى ﷺ بعبد الله بن اريقط بن بكر دليله المتفق معه على الهجرة الى المدينة [٢]، وهو الذى صحبه فى الغار والسفر. وفي الغار حزن صاحب النبي ﷺ ابن بكر خوفاً فقال له ﷺ: لا تحزن إنّ الله معنا [٣].

٤ ـ وقال عبد الله بن بكر بن اريقط: كنت مع النبيّ ﷺ في الغار فنزلت عليه والمرسلات [٤].

٥ ـ وقال ابن بكر للنبيّ ﷺ والله لاسلكن بك مسلكا لا يهتدى اليه احد فقال رسول الله ﷺ: ائت عليا ؑ وبشره بأن الله قد أُذن لي في الهجرة [٥].

٦ ـ قال عامر بن واثلة ابن الطفيل: كنت اطلب النبيّ ﷺ فيمن يطلبه ليلة الغار فقمت على باب الغار ولا ارى فيه احدا [٦]. والنبيّ ﷺ لا تـراه الاعـين حـينها لقرائته آية:

﴿وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون﴾

فأين ابو بكر ؟

٧ ـ ولم تنزل آية الغار فى حق أبي‌بكر اذ قالت عائشة: لم ينزل فينا قرآن [٧]. مما يبين عدم العلاقة بين أبي‌بكر وقصة الغار.

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري ١ / ٦٤.

(٢) طبقات ابن سعد ١ /٢٢٩، الروض الانف ٤/ ١٨١ وتاريخ الطبرى ٢ / ١٠٣.

(٣) سورة التوبة ٤٠.

(٤) غريب الحديث للحربي ٢ / ٥٥٧.

(٥) اعلام الورى ٦٣ و٦٤.

(٦) الاصابة ٧ / ١٩٣.

(٧) تفسير الجلالين للسيوطى ٧٠٣ ط.دار المعرفة - بيروت وتفسير الدر المنثور للسيوطى ٦ / ٤١ مطبعة الفتح - جدة والناشر: دار المعرفة - بيروت. وتفسير ابن كثير ٤ / ١٥٩ وفتح القدير ٥ / ٣٦ بنشر عالم الكتب.

٨ ـ وأنكر محمد بن جعفر الكوفي (مؤمن الطاق) وتلميذ الامامين الباقر والصادق عليهما السلام :ان الله لم يقل قط في القرآن ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا [١].ولانه انكر وجود أبي بكر في الغار فاتهموه في القرآن اذ قال الطغاة: من انكر صحبة الصديق في الغار فقد كفر [٢].

فلاهتمام الحكومات الاموية والعباسية وغيرها بقصة الغار المختلقة وطمس قصة الغار الحقيقية افتى وعاظ السلاطين بقتل كل من ينكر قصة الغار المختلَقة .

٩ ـ ولقد حفر النبيّ ﷺ الغار في ليلة الغار ولم يكن ثمة غار سابقا[٣]. اذ ألان الله تعالى له الحجر فحفر غارا فكيف جاء ابو بكر لاحقا الى غار لم يكن موجودا سابقا ولا يعرفه !

١٠ ـ وكان محمد بن المهدي من ذرية رسول الله ﷺ ومؤسس الدولة الفاطمية يكذب حديث الغار [٤].

١١ ـ وشن رجال الحزب القرشي واتباعهم حملة على الخالفين لحديث الغار المختلق فلان ابراهيم بن الهيثم لم يذكر ابا بكر في حديث الغار فقد قال الذهبي :

حديثه مستقيم سوى حديث الغار فانه كذبه الناس وواجهوه اوهم البرديجي [٥].

وانكر سليمان بن حرب رواية خالد بن خداش عن الغار [٦].لعدم ذكر اسم أبي بكر ظاهرا .

١٢ ـ وجاءت رواية الغار من طريق أبي هريرة وانس بن مالك وعروة بن

---

(١) لسان الميزان لابن حجر ٥ / ١٠٨ .

(٢) فيض القدير للمناوي ١ / ١١٩ وتحفة الاحوذي للمباركفوري ١٠ / ١٠٦ .

(٣) تفسير نور الثقلين للحويزي ٤ / ٣١٧ .

(٤) ولد سنة ٢٦٠ هجرية ومات سنة ٣٢٢ هجرية وكان مهيبا شجاعا قضى على الخوارج في افريقيا. سير اعلام النبلاء للذهبي ١٥ / ١٥١ والبيان المغرب ١ / ٢١٦ والذريعة ١ ٦٠ والخطط المقريزية ٢ / ١٨٤ .

(٥) ميزان الاعتدال للذهبي ١ / ٧٣ ط اولى - دار المعرفة - بيروت وسير اعلام النبلاء ١٣ / ٤١٢ .

(٦) تاريخ بغداد ٨ / ٣٠٢ وتهذيب التهذيب لابن حجر ٣ / ٧٥ .

الزبير وعبد الله بن عمر وقد طعن ابو حنيفة في ابي هريرة وانس بن مالك وابن عمر [١]. وطعن الامام علي عليه السلام فيهم .وكان عروة أجيرا عند معاوية واتباعه لوضع الحديث في صالحهم [٢].

١٣ ـ وضعف العلماء رواة احاديث الغار المزورة مثل أبي مصعب المكى فقالوا :لا يعرف [٣].

وقال ابن عدى وابو حاتم عن محمد بن الوليد : كان يضع الحديث وقال الدارقطني: ضعيف [٤].

١٤ ـ وكذب العلامة ابن معين (من رجال القرن الثالث الهجري) حديث الغار عن همام عن ثابت عن انس عن أبي بكر [٥].

ترك مكة

وخرج رسول الله متوجهاً إلى المدينة، ومرّ بأمّ معبد الخزاعية فنزل عندها.

ثمّ نفذ لوجهه حتّى قدم المدينة، وكان جميع مقامه بمكّة حتّى خروجه منها إلى المدينة ثلاث عشرة سنة من مبعثه. وروى بعضهم: ما علمت قريش أين توجّه رسول الله حتّى سمعوا هاتفاً من بعض جبال مكّة يقول:

فإن يُسلم السعدان يُصبح محمّدٌ بمكّة لا يَخشى خلافَ المخالف

وقال أبو سفيان: من السعود سعد هذيم وسعد تميم وسعد بكر، فسمعوا قائلاً يقول:

فياسعد سعدَ الأوس كن أنت ناصراً ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف

---

(١) حلية الابرار لهاشم البحراني ١ / ١٣٦.

(٢) راجع كتاب صاحب الغار ابو بكر أم رجل آخر ،للمؤلف وشرح النهج للمعتزلي ١ / ٣٥٨.

(٣) ميزان الاعتدال للذهبي ٣ / ٣٠٨ ولسان الميزان لابن حجر ٤ / ٣٨٨.

(٤) ميزان الاعتدال للذهبي ٤ / ٥٨ — ٦٠.

(٥) تهذيب الكمال للمزى ٢٩ / ٢٦ ط .اولى بتحقيق بشار عواد معروف نشر مؤسسة الرسالة وسير اعلام النبلاء.

أتــيا إلى داعــي الهـدى وتـمنّيا   على الله في الفردوس منية عـارف

فعلمت قريش أنّه قد مضى إلى يثرب. واتّبعه سُراقة بن جشعم المدلجي لمّا صار إلى ماء بني مدلج. فلمّا لحقه قال رسول الله ﷺ: اللهمّ اكفنا سُراقة.

فساخت قوائم فرسه، فنادى رسول الله ﷺ أن يـدعو الله بـإطلاق فـرسه، فلعمري لئن لم يصبك منّي خير لا يصبك منّي شرّ.

فلمّا رجع إلى مكّة خبّرهم الخبر فكذّبوه، وكان أشدّهم له تكذيباً أبو جهل، فقال سراقة:

أبـا حكــم والله لو كـنت شـاهداً   لأمر جوادي حيث ساخت قوائمه

عـلمت ولم تشكّك بأنّ مــحمّداً   رسول وبرهان فـمن ذا يكـاتمه[1]

أداء الأمانة من قبله ﷺ

كان الناس المسلمون منهم والكفّار يضعون أماناتهم عند رسول الله ﷺ قبل وبعد المبعث الشريف.

ولمّا هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة اهتمّ اهتماماً بالغاً بردّ الأمانات إلى أهلها رغم ما في ذلك من خطورة على القائم به.

وكان المضحّي بهذا الدور الخطير علي بن أبي طالب عليه السلام. إذ أمره رسول الله ﷺ أن ينادي صارخاً بالأبطح غدوة وعشياً: من كان له قبل محمّد أمانة فليأت فلنؤدّ له أمانته.

وبعد ما مات رسول الله ﷺ نادى علي بن أبي طالب عليه السلام: مـن كـان له عـند رسول الله ﷺ عدّة أو دَين فليأتني.

واستمر الإمام عليه السلام في ندائه المذكور كلّ عام عند العقبة يوم النحر وتـولّى ذلك

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٤٠ طبعة ليدن، أُسد الغابة، ابن الأثير ٤/ ١٩، تاريخ ابن خلدون ٣/ ١٥.

بعده الإمام الحسن عليه السلام ثمّ الإمام الحسين عليه السلام. فلا يأتي أحد من خلق الله تعالى إلى علي عليه السلام بحقّ أو باطل إلّا أعطاه[1].

الطريق إلى قباء

ومرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعبدالله بن اريقط بن الديل بن بكر بخيمة أُم معبد في طريقهما إلى المدينة، فطلب عندها قرى، فقالت: ما يحضرني شيء، فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى شاة في ناحية قد تخلّفت عن الغنم لضرّها، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: أتأذنين في حلبها؟

قالت: نعم ولا خير فيها فمسح يده على ظهرها فصارت أسمن ما يكون من الغنم ثمّ مسح يده على ضرعها، فأرخت ضرعاً عجيباً ودرّت لبناً كثيراً، فطلب صلى الله عليه وآله وسلم العس وحلب لهم فشربوا جميعاً حتّى رووا.

ثمّ عرضت عليه أمّ معبد ولدها الذي كان كقطعة لحم لا يتكلّم ولا يقوم فأخذ رسول النبي صلى الله عليه وآله وسلم تمرة فمضغها وجعلها في فيه فنهض في الحال، ومشى وتكلّم، وجعل نواها في الأرض فصار نخلة في الحال، وقد تهدّل الرطب منها، وأشار إلى جوانبها فصار مراعي.

ورحل صلى الله عليه وآله وسلم فلمّا قتل صلى الله عليه وآله وسلم لم ترطب تلك النخلة، فلما قُتِلَ علي عليه السلام لم تخضر، فلمّا قُتِلَ الحسين عليه السلام سال منها الدم[2].

ولمّا وصل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ناحية قباء نزل فيها في بيت عمرو بن عوف ورفض الدخول في المدينة إنتظاراً لمجيء علي عليه السلام قائلاً صلى الله عليه وآله وسلم: ما أنا بداخلها حتّى يقدم ابن أمّي وأخي وابنتي يعني علياً وفاطمة عليهما السلام[3].

---

(١) الطبقات، ابن سعد ٢/القسم ٢ ص٧٩.

(٢) تاريخ الخميس ١/٣٣٥.

(٣) الأمالي، الطوسي ٢/٨٣، البحار ١٩/٦٤، ١٠٦، ١١٥، ١١٦، الفصول المهمة، ابن الصباغ المالكي ٣٥.

من هاجر بالفواطم الى المدينة ؟

فخرج الإمام علي بن أبي طالب ﷺ بالفواطم وهنّ فاطمة بنت رسول الله ﷺ وفاطمة بنت أسد (أمّه) وفاطمة بنت الزبير بن عبدالمطلب من مكة باتجاه المدينة.

وهذا يثبت ان رسول اللهﷺ ليس عنده بنت بإسم أم كلثوم اصغر سنّاً من فاطمةﷺ وانما ذلك من زيف الأمويين الذين اختلقوها وزوّجوها عثمان الأموي[1].

فأدركه المشركون قرب ضجنان وهم سبعة فوارس وثامنهم جناح مولى الحارث بن أميّة. فأنزل عليﷺ النسوة وأقبل على القوم منتضياً سيفه فأمروه بالرجوع.

فقالﷺ: فإن لم أفعل؟

قالوا: لترجعنّ راغماً، اولنرجعنّ بأكثرك شَعراً، وأهون بك من هالك. ودنا الفوارس من المطايا ليثوروها، فحال عليﷺ بينهم وبينها فأهوى جناح بسيفه، فراغ عليﷺ عن ضربته، وتختله عليﷺ فضربه على عاتقه فأسرع السيف مضياً فيه حتّى مسّ كاتبة فرسه، وشدّ عليهم بسيفه وهو يقول:

خلّوا سبيل الجاهد المجاهد آليت لا أعبد غير الواحد

فتصدّع القوم عنه وقالوا: أغن عنّا نفسك يابن أبي طالب.

قال: فإنّي منطلق إلى ابن عمّي رسول الله بيثرب فمن سرّه أن أفري لحمه، وأُهريق دمه فليتبعني أو فليدن منّي ثمّ أقبل على صاحبيه فقال لها: أطلقا مطاياكم. ثمّ سار ظاهراً حتّى نزل بضجنان، فتلوم بها قدر يومه وليلته ولحق به نفر من

ـ اعلام الورى:٦٦.

(١) راجع موضوع بنات النبي في هذا الكتاب.

المستضعفين من المؤمنين وفيهم أمّ أيمن مولاة الرسول ﷺ فعبدوا الله تعالى تلك الليلة قياماً وقعوداً، وعلى جنوبهم.

وفي أثناء المسير من مكة إلى المدينة كان الإمام علي ؑ يصلي بالمرافقين له جماعة فنزلت في حقهم:

﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، ويتفكرون في خلق السموات والارض، ربّنا ما خلقت هذا باطلاً﴾

فاستجاب لهم ربهم : **﴿أنّي لا أضِيعُ عَمَلَ عاملٍ منكم منَ ذَكرٍ أو أنثى﴾**[1]

ولما بلغ النبي ﷺ قدومه ؑ قال: ادعوا لي علياً، فقالوا له: يا رسول الله لا يقدر أن يمشي، فأتاه ﷺ بنفسه، فلما رآه اعتنقه وبكى رحمة لما بقدميه من الورم، وكانتا تقطران دماً[2].

وقال ﷺ لعلي ؑ: أنت أوّل هذه الأمّة إيماناً بالله ورسوله، وآخرهم عهداً برسوله لا يحبّك إلاّ مؤمن قد امتحن قلبه للإيمان ولا يبغضك إلاّ منافق أو كافر[3].

ولمّا وصل علي بن أبي طالب ؑ والفواطم إلى قباء نزل مع رسول الله ﷺ عند كلثوم بن هدم[4].

وأقام رسول الله ﷺ بقباء ثلاثة أيّام وأسّس مسجده ثمّ أقام أوّل جمعة في بني سالم بن عوف في المدينة[5].

استقبال الأنصار للرسول ﷺ

---

(١) آل عمران ١٩١ ـ ١٩٥.

(٢) البحار ١٩/٦٤ ـ ٦٧، المناقب ابن شهرآشوب ١/١٨٣، ١٨٤، تفسير البرهان ١/٣٣٢، ٣٣٣، الأمالي، الطوسي ٢/٨٣ـ٨٦.

(٣) تفسير البرهان ١/٣٣٢، ٣٣٣، البحار ١٩/٦٤، الأمالي، الطوسي ٢/٨٣ـ٨٦.

(٤) الروض الأنف، السهيلي ٤/٢٣١.

(٥) الروض الأنف ٤/٢٣٢.

ولمّا سمع المسلمون بالمدينة بخروج رسول الله ﷺ إلى بلدهم كانوا يغدون كلّ غداة إلى الحرة ينتظرون قدومه ﷺ حتّى يردهم حرّ الظهيرة.

ولمّا وصل رسول الله ﷺ المدينة، استقبله الناس وقال النساء والولدان شعراً جاء فيه:

طلع البدر علينا ... من ثنيّات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع
أيّها المبعوث فينا ... جئت بالأمر المطاع[1]

ورويت روايات في رقص وغناء المستقبلين للنبي ﷺ في المدينة[2] لا تصحّ مخالفة لعفّة وحياء رسول الله ﷺ بل هي مخالفة لخُلُق أشراف عَرَب الجاهلية. وكان رسول الله ﷺ حرم الرقص والغناء[3].

لمّا وصل رسول الله ﷺ المدينة ركب ناقته وأرخى لها الزمام فجعلت لا تمرّ بدار من دور الأنصار إلّا دعاه أهلها إلى النزول عندهم، وقالوا له: هلّم يارسول الله إلى العدد والعُدّة والمنعة فيقول لهم ﷺ:

خلّوا زمامها فانّها مأمورة حتّى انتهت إلى موضع مسجده اليوم فبركت على باب مسجده[4]. فعوضه الله تعالى محبة الانصار بدل بغض قريش.

وكان موضع مسجد النبي ﷺ لبني النجار وكان فيه نخل وحرث وقبور من

---

(١) دلائل النبوّة، البيهقي ٢/٢٣٣، فتح الباري ٧/٢٠٤، السيرة الحلبية ٢/٥٤، تاريخ الخميس ١/٣٤١، ٣٤٢.

(٢) تاريخ الخميس ١/٣٤١، البداية والنهاية ٣/٢٠٠، فتح الباري ٧/٢٠٤، دلائل النبوّة، البيهقي ٢/٢٣٤، ٢٣٥، السيرة الحلبية ٢/٦١.

(٣) تفسير الآلوسي ٢١/٧٦، سنن البيهقي ١٠/٢٢١، الدرّ المنثور ٢/٣٢٤، إرشاد الساري ٩/١٦٣، نيل الأوطار ٨/٢٦٤، السيرة الحلبية ٢/٦٣، تفسير الطبري ٢١/٣٩، تفسير ابن كثير ٣/٤٤٢، سنن الترمذي كتاب ١٢/باب ٥١، تفسير الخازن ٣/٣٦، تفسير القرطبي ١٤/٥١، المستدرك، الحاكم ٢/٤١١، تاريخ البخاري ٤ قسم ١ ص ٢٣٤.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/١٤٠.

قبور الجاهلية فقال لهم رسول الله ﷺ: ثامنوني به.

فقالوا: لا نبتغي به ثمناً إلّا ما عند الله، فأمر رسول الله ﷺ بالنخل فقطع، وبالحرث فأفسد وبالقبور فنبشت. وتولّى بناء مسجده ﷺ هو بنفسه وأصحابه من المهاجرين والأنصار[١] وكانت القبور دارسة.

ولمّا أثقلوا عمّار بن ياسر باللّبن لبناء المسجد قال: يارسول الله قتلوني يحملون عليّ ما لا يحملون.

فنفض النبي ﷺ وفرته بيده وهو يقول: ويح ابن سُميّة ليسوا بالذين يقتلونك، إنّما تقتلك الفئة الباغية[٢].

وكانت مشادّة حدثت بين عمّار بن ياسر وعثمان بن عفان في غبار نال عثمان من بناء المسجد بعدما مر وهو واضع كمّه على أنفه.

فقال علي بن أبي طالب:

لا يستوي من يبتني المساجدا	يظل فيها راكعاً وساجداً
كمن يمر بالغبار حائداً	يعرض عنه جاهداً معانداً

وارتجز بالشعر عمّار بن ياسر.

فقال عثمان بن عفان: قد سمعت ما قلت اليوم يا ابن السوداء إياي تعني؟ والله إنّي لأراني سأعرض هذه العصا لأنفك وفي يده عصا.

فغضب رسول الله ﷺ ثمّ قال: ما لهم ولعمّار يدعوهم إلى الجنّة ويدعونه إلى النار إنّ عمّاراً جلدة ما بين عيني وأنفي[٣]. فكف الناس عن ذلك ثم قالوا لعمار: إنّ

---

(١) تاريخ الطبري ١١٦/٢، ١١٧.

(٢) الروض الأنف ٢٣٥/٤، سيرة ابن هشام ١٤٢/٢.

(٣) تاريخ الخميس ٣٤٥/١، السيرة الحلبية ٧٢/٢، وفاء الوفاء ٣٢٩/١ الروض الأنف ٢٣٥/٤، ٢٣٦، سيرة ابن هشام ١٤٢/٢ وقد ذكر ابن إسحاق اسم الرجل عثمان بن عفان وسمّاه ابن هشام رجلاً خوفاً من افتضاح أمره منذ الأيّام الأُولى لوصول المسلمين إلى المدينة.

النبي ﷺ قد غضب فيك، ونخاف ان ينزل فينا القرآن.

فأخذ رسول الله ﷺ بيده ومسح وفرته[١] وطاف به في المسجد.

ثم أتىٰ عثمان رسول الله ﷺ فقال له لم ندخل معك لتُسب اعراضنا.

فقال له رسول الله ﷺ: قد أقلتك اسلامك فاذهب، فانزل الله تعالىٰ:

﴿يمنون عليك أن اسلموا﴾[٢].

وكان أوّل من بنى مسجداً عمّار بن ياسر[٣].

وهذه الحادثة بين عثمان وعمّار تبيّن قِدَم الصراع بين أتباع أهل البيت ﷺ وأفراد الحزب القرشي العائد إلى أيّام مكّة، والمنفجر بعد وصول المسلمين إلىٰ المدينة انفجاراً حاداً. وقد وقف النبي ﷺ إلىٰ جانب عمار ووصفه بإمام من أئمة الجنة ووصف عدوه بإمام من أئمة جهنم. ووقوف النبي ﷺ إلى جانب أتباعه المعروفين مثل عمّار وأبي ذر وسلمان والمقداد وحذيفة ظاهرة معروفة للجميع.

واستمرت هذه الحالة من الخصام إلى أيّام رئاسة عثمان بن عفان الذي أعاد الكرّة على عمّار رغم إنذار رسول الله ﷺ له فوطأ عمّاراً بنفسه وفتق بطنه![٤].

فانتشر الإسلام في المدينة المنوّرة بصورة سريعة في السنة الأُولى من وصول رسول الله ﷺ إليها فأسلم أهلها إلّا ما كان من خطمة وواقف ووائل وأُميّة وتلك أوس الله وهم حي من الأوس فانّهم أقاموا على شركهم[٥]. ثم أسلموا.

الدلائل والعبر

---

(١) المصدر السابق.

(٢) البحار ٢٠ / ٢٤٣، تفسير القمي ٢ / ٣٢٢.

(٣) المصدر السابق.

(٤) نهج الحق، العلامة، الحلي ٢٩٧. وهاتان الحادثتان تبين اقدام عثمان علىٰ قتل اعدائه بالعصا والقدم.

(٥) الروض الأنف ٤/٢٣٩.

بعدما حارب القرشيون الاسلام وآذوا رسول الله ﷺ فتح الله تعالى عليه بابين من رحمته:

الباب الاول هو الحبشة التي عاش فيها المسلمون في رغد وأمان يتعلّمون فيها طقوس دينهم من القرآن والحديث ويتعبّدون بنصوصه ويعبدون الله عزّ وجل في أرضه.

والباب الثاني يثرب التي تنوّرت بنور الاسلام فأصبحت المدينة المنورة مصداق من مصاديق الوعود الإلهية بالنصر.

﴿فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾[1].

فعاصرت قريش حدثين مهمين في الهجرة الىٰ الحبشة ويثرب، اصبح فيها ملك الحبشة واهل يثرب في صف رسول الله ﷺ في صراعه مع جبهة الكفر.

وتحوّل ملك الحبشة وأهالي يثرب الىٰ جبهة المسلمين دليلاً علىٰ عظمة الدين الاسلامي وكماله. فهؤلاء نظروا الىٰ هذا الدين من باب خال من التعصب فوجدوه مشروعاً متكاملاً وشاملاً فاعتنقه ملك الحبشة واهالي يثرب.

اما القرشيون فكانوا يزدادون تعصباً وجهلاً مع كل معجزة الهية تشاهدها اعينهم وتصححها نفوسهم! مستمرين في طريق الكفر والفساد.

ومن العبر العجيبة في رحلة قريش مع الاسلام مخالفة معظمهم له رغم معايشتهم له علىٰ مدى ثلاث وعشرين سنة، ولم تنفعهم مبايعتهم رسول الله ﷺ في فتح مكة فارتدوا بعد شهادة النبي ﷺ فأمرهم سهيل بن عمرو باتباع سبيل الرشاد وهدّدهم بجيش المدينة فعادوا الىٰ الدين!

إنّ نظرة اهالي يثرب الصحيحة للاسلام ارشدتهم للهداية واليقين، ونظرة اهالي قريش الباطلة له منعتهم من ذلك ودفعتهم الىٰ الكفر.

---

(١) الروم ٤٧.

وكان التعصب الممقوت المتمثل في الالتزام بالقومية والمذهبية والحزبية من دواعي خذلان الانسان وانحطاطه وفساده، والىٰ يومنا هذا يسير الكثير من الناس علىٰ خطى الحزب القرشي في رؤاه المعادية للاسلام ورسوله ﷺ.

ورغم المخاطر الجمّة الحافة برسول الله في رحلته للمدينة والصعوبات المحيطة بعلي ابن أبي طالب عليه السلام في مكة أوكل النبي ﷺ الىٰ علي عليه السلام مهمة ارجاع الأمانات الىٰ اصحابها.

مما يبين بجيئه ﷺ لتأسيس حضارة قائمة علىٰ الاخلاق اهدافها واضحة وسيرتها بيّنة.

وكان بإمكان النبي ﷺ دعوة علي عليه السلام الىٰ المدينة وترك الأمانات هناك او جلبها معه وتبرير ذلك بالمخاطر المحدقة به وبعلي عليه السلام في مكة.

ولتعزيز الركن الأخلاقي بردّ أمانات الناس استمر علي والحسن والحسين عليهم السلام بالنداء في مكة في موسم الحج قائلين:

من كان له قبل محمد ﷺ أمانة فليأت فلنؤدّ له أمانته، وهذا العمل النبوي مشروع إنساني للبشرية بحفظ حقوق الناس وأموالهم. فياترى هل يتّبع المسلمون اليوم هذا المشروع الحضاري؟

القسم الثاني:

النبي الاكرم في المدينة المنورة

الباب الاول:

مرحلة البناء

الفصل الاول

الحكومة الإسلامية في المدينة

أوّل صلاة جمعة

بعد وصول رسول الله ﷺ إلى المدينة صادفته أوّل جمعة هناك فصلّاها جماعة طبقاً للمراسم العبادية للمسلمين في مسجد الجمعة وذلك أنّ ارتحاله عنها كان يوم الجمعة عامداً المدينة فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف ببطن وادٍ لهم، قد اتّخذ اليوم في ذلك الموضع مسجداً وكانت هذه الجمعة أوّل جمعة جمّعها رسول الله ﷺ في الإسلام. قال فيها:

«الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأؤمن به ولا أكفره وأُعادي من يكفره، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأنّ محمّداً عبده ورسوله أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل وقلّة من العلم وضلالة من الناس وأنقطاع من الزمان ودنوّ من الساعة وقُرب من الأجل مَن يُطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى وفرط وضلّ ضلالاً بعيداً.

وأُوصيكم بتقوى الله فانّه خير ما أوصى به المسلمُ المسلمَ أن يحضّه على الآخرة وأن يأمره بتقوى الله فاحذروا ما حذّركم الله من نفسه ولا أفضل من ذلك نصيحة ولا أفضل من ذلك ذكراً وإنّ تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربّه عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة.

ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السرّ والعلانية لا ينوي بذلك إلّا وجه

الله يكن له ذكراً في عاجل أمره وذخراً فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدّم وما كان من سوى ذلك يودّ لو أنّ بينه وبينه أمداً بعيداً ويحـذّركم الله نـفسه والله رؤوف بالعباد والذي صدّق قوله وأنجز وعده لا خُلف لذلك فانّه يقول عزّوجلّ:

﴿ما يُبدّلُ القول لديّ وما أنا بظلّام للعبيد﴾[1]

فاتّقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السرّ والعلانية، فانّه من يتّق الله يكفّر عنّه سيّئاته ويُعظم له أجراً، ومن يتّق الله فقد فاز فوزاً عظيماً، وإنّ تقوى الله يوقّ مقته ويوقّ عقوبته ويوقّ سخطه وإنّ تقوى الله يبيّض الوجوه ويـرْضي الربّ ويـرفع الدرجة؛ خذوا بحظّكم ولا تفرّطوا في جنب الله؛ قد علّمكم الله كتابه ونهـج لكـم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين.

فأحسنوا كما أحسن الله إليكم وعادوا أعداءه وجاهدوا في الله حقّ جهاده هو اجتباكم وسمّاكم المسلمين ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيا من حيَّ عن بيّنة ولا قوّة إلّا بالله، فأكثروا ذكر الله،

واعملوا لما بعد اليوم فانّه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس، ذلك بأنّ الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه، ويملك من الناس ولا يملكون منه، الله أكبر ولا قوّة إلّا بالله العظيم[2]».

فكانت كلماته الرسالية النورية تدخل في قلوب الأنصار، وتبتهج بها النـفوس فهي الأساس القويم للدين الجديد النازل من السماء.

بناء مسجد المدينة

ووصل رسول الله المدينة يوم الأثنين لثمان خلون من شهر ربيع الأول وعـند

---

(١) ق، ٢٩.

(٢) تاريخ الطبري ٢/١١٦.

وصول رسول الله ﷺ إلىٰ المدينة قرر الشروع في الحصول علىٰ ارض والقيام بنائها مسجدا، فاشترىٰ مربداً ليتيمين من الخزرج بعشرة دنانير.

ومكان المسجد اختارته ناقة رسول الله ﷺ حيث بركت عنده ونقلوا اليه الحجارة من منطقة الحرّة[1].

ومثلما ساهم رسول الله ﷺ في بناء الكعبة فقد شارك في بناء مسجد المدينة. فكان مسجد رسول الله ﷺ هو المقر العام للحكومة الإسلامية والمركز المهم لتجمع المسلمين ومتابعة شؤونهم السياسية والاجتماعية والإقتصادية والعسكرية.

وجعل بيوت ازواجه امام القبلة وبنى بيت فاطمة في غرب المسجد حيث قبره الان اذ دفن النبي ﷺ في بيتها .

وابتنىٰ جيران المسجد منازلهم وجعلوا أبوابها إلىٰ المسجد، إلىٰ ان أمر الله تعالىٰ بسد الابواب الاّ باب رسول الله ﷺ وباب علي عليه السلام [2].

وقد أزال المسلمون القبور الموجودة في تلك الأرض قبل البناء عليها وكانت قبورها دارسة مما يبين جواز هذا الأمر مع المقابر.

وكان طول المسجد اولاً مئة ذراع في مثلها[3] ثم زيد في مساحة مسجد النبي ﷺ في مرّات عديدة.

وقد قال الله تعالى:

﴿لمسجد أُسّس على التقوى من أوّل يوم أحقّ أن تقوم فيه﴾[4].

---

(١) وهي المنطقة التي حدثت فيها واقعة الحرّة بين أهل المدينة وجيش يزيد فقتل الجيش الشامي الرجال وسبي النساء وسرق الأموال وفعل بأهالي المدينة مالم يفعله المسلمون مع الكفار، دلائل النبوّة، البيهقي ٥٣٨/٢، تاريخ الطبري ٢ / ١١٦.

(٢) مسند احمد ٢ / ٢٦، مجمع الزوائد ،الهيثمي ٩ / ١٢ .

(٣) تاريخ الخميس ١ / ٣٦٥، وفاء الوفاء ١ / ٣٤٠.

(٤) سورة التوبة ١٠٨ وراجع الروض الأنف ٢٤٦/٢، فتح الباري ٢٠٨/٧، ٢٠٩، البداية والنهاية ٢٠٧/٣.

وقال رسول الله ﷺ: لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد. والهدف من ذلك اجتماع المسلمين في بيوت الله سبحانه ودراسة امورهم وحل مشاكلهم ونشر الأخوّة في صفوفهم.

وكان رسول الله ﷺ قد بنى مسجد قباء اولا، واستمر بناء المساجد في ارجاء المدينة المنورة.

التأريخ الهجري

أشاع الحزب القرشي عدم تدوين المسلمين للتاريخ في زمن رسول الله ﷺ فهل يصح هذا؟

كانت العرب قبل الإسلام تؤرخ بموت كعب جد النبي ﷺ إلى عام الفيل فأرخوا به ثم أرخوا بموت عبد المطلب[1] وكانت الفرس تؤرخ بملوكهم فيتجدد ذلك بموت كل ملك[2].

والروم تؤرخ بزمن الاسكندر[3] ثم عدلوا إلى ميلاد المسيح[4].

وقال السهيلي: إنّ التاريخ الهجري نزل به القرآن وإنّ اتّفاق الصحابة على جعل الهجرة مبدأ للتاريخ إن كان مستنداً إلى القرآن الكريم فنعم الإستفادة تلك.

وقال ابن عبّاس عين ما نقل عن السهيلي[5].اي ان القرآن نزل بالتاريخ الهجري.

وقال الحاكم: كان التاريخ في السنة التي قدم فيها رسول الله ﷺ المدينة وفيها

---

(١) السيرة الحلبية ١ / ١٦.

(٢) البحار ٥٨ / ٣٤٩، ٣٥٠، الخطط، المقريزي ١ / ٢٨٤، تاريخ ابن الوردي ١ / ١٤٥.

(٣) البحار ٥٨ / ٣٥٠، كنز العمال ١٠ / ١٩٥، نزهة الجليس ١ / ٢٢.

(٤) المصدر السابق.

(٥) تنوير المقباس، هامش الدرّ المنثور ٢/٢٣٤.

ولد عبدالله بن الزبير[١].

وكان مبدأ السنة في شهر ربيع الأوّل شهر وصول النبي ﷺ إلى المدينة المنوّرة[٢] وبه أرّخ رسول الله ﷺ، وقدم المدينة يوم الأثنين لثنتي عشرة ليلة من ربيع الأول وهو ابن ثلاث وخمسين سنة[٣].

وقال الزهري عن ابن عباس ان رسول الله ﷺ هو الذي أمر بالتأريخ يوم قدم المدينة في شهر ربيع الاول[٤].

وغيّر عمر بن الخطاب بداية السنة من ربيع الأوّل إلى محرّم[٥].

وكان كفار قريش ينكرون ويرفضون التأريخ القائم علىٰ هجرة رسول الله ﷺ فغيّر عمر شهر التأريخ من ربيع الأول إلىٰ محرّم!ولم يستجب ابو بكر لهم.

وانكر رجال السيرة والحديث قيام رسول الله ﷺ بوضع التأريخ ابتداءاً من هجرته في ربيع الأول ونسبوا ذلك إلىٰ عمر لسلب مناقب رسول الله ﷺ في محاولة منهم لتزييف الواقع[٦]. وكان محرم أول السنة عند عرب الجاهلية[٧] فأخذ به عمر وترك ربيع الأول أول السنة عند رسول الله ﷺ[٨]. فأخّر تاريخ المسلمين شهرين ارضاءاً لقريش وأخّر لهم مقام إبراهيم عن مكانه!

ووصلت الينا الكثير من الكتب المؤرّخة بشهر ربيع الأول والسنة الهجرية من

---

(١) المستدرك، الحاكم ٣/١٣، ١٤، التاريخ الكبير، البخاري ١/٩، مجمع الزوائد ١/١٩٦.

(٢) الوزراء والكتّاب ٢٠، الخطط، المقريزي ١/١٨٤. تاريخ ابن عساكر ١ / ٣٢.

(٣) تاريخ ابن عساكر ١ / ٣٢.

(٤) تاريخ ابن عساكر ١ / ٣٢، البحار ٥٥ / ٣٥١.

(٥) راجع فتح الباري ٧/٢٠٩، كنز العمال ١٧/١٤٥، تاريخ الخميس ١/٣٣٨، وفاء الوفاء ١/٢٤٨، التراتيب الإدارية ١/١٨١.

(٦) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٥٢٦، تاريخ الخلفاء ١٣٢، ١٣٦، إحقاق الحق ٨ / ٢٢٠، تاريخ عمر لابن الجوزي ٧٦.

(٧) البداية والنهاية ٣ / ٢٠٧، البحار ٥٨ / ٣٥٠.

(٨) الوزراء والكتاب ٢٠، فتح الباري ٧ / ٢٠٨، وفاء الوفا ١ / ٢٤٨، مناقب آل أبي طالب ٢ / ١٤٢، البحار ٤٠ / ٢١٨، التنبيه والاشراف ٢٥٢.

زمن رسول الله ﷺ وأبي بكر مثل كتاب رسول الله ﷺ لنصارىٰ نجران وجاء فيه كتب لخمس خلون من الهجرة(١).

وقال رسول الله ﷺ: يقتل حسين بن علي علىٰ رأس ستين من مهاجري(٢).

وجاء في كتاب خالد بن الوليد لاهل الحيرة انه كتب في شهر ربيع الأول من سنة اثنتي عشرة(٣). وكتب كثيرة اخرىٰ موجودة في كتب السيرة والحديث. وأتباع الخط القرشي هم الذين أرادوا تشويه سمعة رسول الله ﷺ في عدم اعتنائه بالتأريخ ذلك الأمر المهم وأعلاء منزلة عمر!.

الفصل الثاني

الوحدة الاسلامية بين المهاجرين والأنصار

وفي السنة الأُولى من هجرة رسول الله ﷺ والمسلمين إلى المدينة وبعد مضي خمسة أشهر علىٰ وصولهم المدينة آخى رسول الله ﷺ أوّلاً بين المهاجرين انفسهم(٤) ثمّ آخى بين المهاجرين والأنصار(٥).

وكانت المؤاخاة بين كلّ ونظيره فقد آخى بين نفسه وعلي عليه السلام وآخى بين أبي بكر وعمر وآخى بين طلحة والزبير وبين عثمان وعبدالرحمن بن عوف، وبين حمزة وزيد بن حارثة(٦). وآخى ﷺ بين سلمان وحذيفة(٧).

---

(١) نزهة الجليس ١ / ٢١، التراتيب الادارية ١ / ١٨١، الشماريخ في علم التاريخ، السيوطي ١٠.

(٢) منتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ٥ / ١١١، مجمع الزوائد ٩ / ١٩٠، كنز العمال ١٣ / ١١٣، ميزان الإعتدال ١ / ٢١٢.

(٣) كتاب مشهد الإمام علي عليه السلام، د. سعاد ماهر محمد ١٠٤ – ١٠٥.

(٤) الطبقات، ابن سعد ١/قسم٢ / ص١.

(٥) البحار ١٩/١٢٢، فتح الباري ٧/٢١٠، تاريخ الخميس ١/٣٥، السيرة الحلبية ٢/٩٢.

(٦) المستدرك ٣/١٤ السيرة الحلبية ٢/٢٠، فتح الباري ٧/٢١١.

(٧) الطبقات ٤ قسم١ / ص٦٠.

جاء في الرواية لما آخى رسول الله بين المسلمين بقي علي عليه السلام فقال لرسول الله ﷺ: آخيت بين أصحابك وتركتني؟

فقال ﷺ: إنّما تركتك لنفسي أنت أخي وأنا أخوك فإن ذكرك أحد فقل: أنا عبدالله وأخو رسوله لا يدّعيها بعدك إلّا كذّاب، والذي بعثني بالحقّ ما أخّرتك إلّا لنفسي، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي وأنت أخي ووارثي[1].

والتآخي بينهم كان على الحقّ والمواساة. وكان عددهم يومها تسعين رجلاً خمسة وأربعون رجلاً من الأنصار ومثلهم من المهاجرين[2].

واهتمّ رسول الله ﷺ بالمؤاخاة بين المسلمين فقد أجراها في مكّة والمدينة ثمّ أجراها بين المهاجرين والأنصار[3].

من دلائل نبوّة رسول الله ﷺ هذا الأخاء بين النفوس المتشابهة والتوجهات المتطابقة فعمر شبيه بأبي بكر والزبير نظير لطلحة وعثمان مرآة لابن عوف وسلمان مطابق لتوجهات حذيفة ورسول الله ﷺ نفس علي عليه السلام.

والمؤاخاة أفضل عمل إجتماعي عمله الرسول ﷺ لوحدة المسلمين تحت راية الإسلام ولاهميّته كرّره ﷺ في مكّة والمدينة.

وهذا الإنسجام الحاصل هو الذي مكّن المسلمين من الإنتصار في الحياة

---

(١) تفسير البرهان ٢/٩٣، السيرة النبوية، أبو حاتم ١/١٤٧، الإمامة والسياسة ١/١٣، اعلام النساء ٤/١١٥.
ووضع الأُمويون حديثاً مزيّفاً في مقابل هذا الحديث جاء فيه: إنّ خليلي من أُمّتي أبو بكر كذّبه المعتزلي الرياض النضرة ١/٨٣، شرح النهج ١١/٤٩.

(٢) وقيل مائة رجل، فتح الباري ٧/٢١٠، البحار ١٩/١٣٠ الطبقات ١ قسم ٢ / ص ١، السيرة الحلبية ٢/٩٠.

(٣) تذكرة الخواص، ابن الجوزي ٢٢، ٢٤، ينابيع المودّة ٥٦، ٥٧، السيرة الحلبية ٢/٢٠، ٩٠، المستدرك ٣/١٤، البداية والنهاية ٣/٢٢٦، جامع الترمذي ٢/١٣، الإصابة ٢/٥٠٧، كنز العمال ٦/٢٩٤، ٢٩٩، ٣٩٠، ٣٩٩.

الإجتماعية والثقافية والسياسية والعسكرية. وسرّ انفصام عـرى الأُمـم وإنحـلالها أنعدام الوحدة وفقدان الإنسجام.

وثيقة الوحدة الاسلامية والصلح مع اليهود

و من أهم الوثائق الخطيرة التي نظّمها رسولُ الله ﷺ في المـدينة هـي وثـيقة الوحدة الاسلامية بين المسلمين أولاً ومعاهدة عدم الاعتداء بين المسلمين واليهود ثانياً.

وهذه الوثيقة النادرة جمعت قبائل المدينة من الانصار مع المهاجرين في اتحـاد مثالي تحت مبادئ فذة وأصول حكيمة.

فنظم النبي ﷺ مبادئ وحدة وطنية بين المسـلمين واليهـود تـصون حـقوق الطرفين وتمنع الظلم والأجحاف.

فكانت اعظم وحدة دينية بين الطائفتين لم يشهد لها التـاريخ مـثيل وهي عـلى عكس ما فعله اليهود بحق النصارى من قتل وفتك وتحريك الحكومات ضدّهم.

وقد فعل اليهود بحق المسلمين نفس عملهم بحـق النـصارى مـن غش بحـقهم وتحريض الأعداء عليهم بالرغم من كون النصارى في وقتها محكومين من قبل الروم وان المسلمين حاكمون على اليهود في المدينة.

قال محمد بن اسحاق وكتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والانصار وادعَ فيه يهود وعاهدهم واقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم، واشترط عليهم:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون مـن

قريش على ربعتهم[١] يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، كل طائفة تفدي عانيها[٢] بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وأن المؤمنين لا يتركون مفرحاً[٣] بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل.

---

(١) كما كانوا عند مجيء الإسلام.

(٢) العاني: الأسير. والمعاقل الديات.

(٣) كثير الدين والعيال.

وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة[١] ظلم أو إثم، أو عدوان، أو فساد بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعاً، ولو كان ولد أحدهم.

ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر، ولا ينصر كافراً على مؤمن. وإن ذمة الله واحدة، يجير عليهم أدناهم. وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس.

وإن من تبعنا من يهود؛ فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين، ولا متناصرين عليهم.

وان سلم المؤمنين واحد، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلّا على سواء وعدل بينهم. وأن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً. وإن المؤمنين يبيّ بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله. وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه.

وإنه لا يجير مشرك مالاً لقريش، ولا نفساً، ولا يحول دونه على مؤمن.

وإنه من اعتبط[٢] مؤمناً قتلاً عن بينة، فإنه قود به، إلّا أن يرضى وليّ المقتول، وإن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلّا قيام عليه.

وإنه لا يحل لمؤمن أقرّ بما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر: ان ينصر محدثاً، ولا يؤويه، وإن من نصره أو آواه؛ فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل. وإنكم مهما اختلفتم في شيء؛ فإن مردّه إلى الله عزّ وجلّ، وإلى محمد ﷺ.

وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلّا من ظلم وأثم؛ فإنه لا يوتغ[٣] إلّا نفسه، وأهل بيته.

وإن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف.

---

(١) العظيمة.

(٢) اعتبطه: قتله بلا جناية منه توجب قتله.

(٣) يوتغ: يهلك.

وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف.

وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف.

وإن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف.

وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف، إلّا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلّا نفسه، وأهل بيته.

وإن جفنة ـ بطن من ثعلبة ـ كأنفسهم.

وإن لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف. وإن البرّ دون الإثم.

وإن موالي ثعلبة كأنفسهم.

وإن بطانة[1] يهود كأنفسهم.

وإنه لا يخرج منهم أحد إلّا بإذن محمد ﷺ.

وإنه لا ينحجز على ثار جرح. وإنه من فتك فبنفسه فتك، وأهل بيته إلّا من ظلم. وإن الله على أبرّ هذا[2].

وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم.

وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.

وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم.

وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه. وإن النصر للمظلوم.

وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة.

وإن الجار كالنفس، غير مضارٍ ولا آثم. وإنه لا تجار حرمة إلّا بأذن أهلها.

وإن ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده

---

(١) بطانة الرجل: خاصته وأهل بيته.

(٢) أي على الرضا به.

إلى الله عزّ وجلّ، وإلى محمد ﷺ. وإن الله مع اتق ما في هذه الصحيفة وأبرّه.

وإنه لا تجار قريش، ولا من نصرها. وإن بينهم النصر على من دهم يثرب، وإذا دعوا[1] إلى صلح يصالحونه ويلبسونه، فإنهم يصالحونه ويلبسونه، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين، إلّا من حارب في الدين، على كل أناس حصتهم[2]، من جانبهم الذي قبلهم.

وإن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفةمع البر المحض من أهل هذه الصحيفة.

وإن البر دون الإثم، لا يكسب كاسب إلّا على نفسه، وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبرّه. وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم.

وإنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلّا من ظلم وأثم. وإن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله ﷺ[3].

وكان يهود الحجاز ينقسمون إلى قسمين:

اليهود القادمون من الشام وهم الاسرائيليون (خيبر وقريظة والنضير)، والعرب الذين تهودوا.

قال اليعقوبي: وتهوّد قوم من الأوس والخزرج بعد خروجهم من اليمن لمجاورتهم يهود خيبر وقريظة والنضير، وتهوّد قوم من بني الحارث بن كعب وقوم من غسّان وقوم من جذام[4].

قال البعض بان الوثيقة كانت بين الرسول ﷺ واليهود الاسرائيليين فقط.

---

(١) أي اليهود.

(٢) في الأموال: وعلى كل أناس حصتهم في النفقة.

(٣) سيرة ابن هشام ج٢ ص١٤٧ ـ ١٥٠، البداية والنهاية ج٣ ص٢٤٤ ـ ٢٢٦، والأموال ص٢٠٢ ـ ٢٠٧، ومجموعة الوثائق السياسية وأشار إليه في مسند أحمد ج١ ص٢٧١، وأشار إليه ايضاً في مسند أبي يعلى ج٤ ص٣٦٦/٣٦٧.

(٤) تاريخ اليعقوبي ١/٢٥٧.

والظاهر بأنها بين النبي ﷺ وبين يهود المدينة عامة إذ ورد في نص: إن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم.

وثانياً نحن نعلم من النصوص الكثيرة وجود عقد صلح بين رسول الله ﷺ ويهود قريظة وقينقاع والنضير وهؤلاء اليهود هم الذين نقضوا وثيقتهم مع النبي ﷺ بعد ذلك.

وهذا الاتفاق المبرم مع اليهود هو الذي فضحهم لانهم لا يلتزمون بالعقود والمواثيق.

واتّفق رسول الله ﷺ مع اليهود (النضير، قينقاع وقريظة) على الهدنة وعلى أن لا يساعدوا عليه أحداً، ولا يتعرّضوا لأحد من أصحابه بلسان ولا يد ولا بسلاح ولا بكراع في السرّ والعلانية

فإن فعلوا فرسول الله ﷺ في حلّ من سفك دمائهم وسبي ذراريهم ونسائهم وأخذ أموالهم.

وأمضت قبائل اليهود ذلك الإتّفاق[1] وأبقى الرسول ﷺ ذلك الكتاب عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؑ[2].

فلم تمضِ فترة زمنية طويلة حتىٰ نقض يهود بني قنيقاع الاتفاق وتبعهم يهود بني النضير ثم التحق بهم يهود قريظة لكن الله تعالىٰ نصر المسلمين عليهم.

الفصل الثالث: العبادات

فريضة الزكاة

بعد وصول المسلمين ورسولهم إلى المدينة وتأسيس الدولة الإسلامية استمر

---

(١) البحار ١٩/١١٠، ١١١، السيرة النبوية، دحلان ١/١٧٥.

(٢) طبقات ابن سعد ٢/٢٣، تاريخ الخميس ١/٤١٤، المصنّف، عبدالرزاق ٥/٢٠٤، دلائل النبوّة، البيهقي ط دار الكتب العلمية ٣/١٩٨، المغازي، الواقدي ١/١٩٢.

نزول القرآن وآخره سورة التوبة. وفي مكة والمدينة نزلت آيات الزكاة وهي سبع وثلاثون آية. والزكاة مأخوذة من زكا الشيىء إذا نما وزاد فجاء «الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة»[1].

«وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيّاً»

وتتعلّق الزكاة بتسعة أشياء: الأنعام الثلاثة (الأبل والبقر والغنم) والنقدين والغلات الأربع (الحنطة والشعير والتمر والزبيب) ومصرفها للفقراء والمساكين.

وكان بنو إسرائيل يضعون الزكاة فتنزل النار علىٰ ما تقبّل ولا تنزل ما لم يتقبّل وليست كزكاة امة محمدﷺ المتمثله في بذل المال للفقراء.

وفي النقدين إذا كملت عشرين مثقالاً من الذهب ففيها نصف مثقال والدينار الشرعي يعادل مثقالاً واحداًمن الذهب الخالص المسكوك. وان بلغت الفضّة مائتي درهم ففيها خمسة دراهم.

فأمر الرسول ﷺ الناس بالزكاة في مكة قائلاً إنّ الله فرض عليكم الزكاة

ونادى منادي الرسول ﷺ:

أيّها المسلمون زكّوا أموالكم تقبل صلاتكم، ثمّ وجّه ﷺ عمّال الصدقة[2]. بعد قيام الحكومة الإسلامية.

ولو طبّق الناس فريضة الزكاة والخمس بصورة صحيحة ما بقي فقير على سطح المعمورة، ولعاش الناس في ضلّ العدالة الإسلامية. في اخاء وغنى.

صوم شهر رمضان

وفي السنة الثانية للهجرة فرض الله تعالىٰ الصيام

---

(١) النحل ٤.

(٢) تفسير البرهان ١٥٦/٢، الكافي ٤٩٧/٣.

﴿يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلّكم تتقون، أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدّة من أيام أُخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وإن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون، شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدىً للناس وبيّنات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أُخر﴾[1].

وأول من صام شهر رمضان نوحعليه السلام لما خرج من السفينة، وقد كتب الله رمضان على كل أمّة، وسمي رمضان لانه يرمض الذنوب ويحرقها.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: إذا جاء رمضان فتحت أبواب الرحمة وغلّقت أبواب النار وصفدت الشياطين[2].

وفي هذا الشهر نزلت صحف إبراهيم عليه السلام وتوراة موسىعليه السلام وانجيل عيسىعليه السلام وزبور داودعليه السلام وقرآن محمدصلى الله عليه وآله وسلم[3].

صرف القبلة الى الكعبة

كان المسلمون يصلُّون أولاً إلى بيت المقدس طيلة مدة بقائهم في مكة وفي بداية وجودهم في المدينة.

فنزلت الآية المباركة في صرف القبلة إلى الكعبة في مسجد بني سلمة بعد ركعتين من الظهر، فتحول صلى الله عليه وآله وسلم اليها وذلك في النصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من قدومه المدينة[4] فسميَّ بمسجد القبلتين.

---

(١) البقرة ١٨٣ – ١٨٥.

(٢) تفسير القرطبي ٢ / ٢٩٢ – ٢٩٦.

(٣) تفسير الطبرسي ١ / ٢٧٦.

(٤) تاريخ ابن الأثير ٢/١١٥، تفسير الآلوسي ٢/٨.

قال تعالى: ﴿قَدْ نرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ في السماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المسجِدِ الحرامِ وَحَيْثُ ما كُنتمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ...﴾[١]

وكان اليهود يقولون: يخالفنا محمد ويتبع قبلتنا.

واشد من خالف الرسول ﷺ في تغيير القبلة اليهود لأنَّهم لا يعتقدون بنسخ الإسلام أولاً، ورغبتهم في نقض احكام الإسلام ثانياً.

فقال سبحانه:

(سيقولُ السفهاءُ من الناسِ ما ولأهم عن قبلتهم التي كانوا عليها...﴾[٢]

وأراد تعالى بالسفهاء اليهود والمشركين[٣].

والحكمة من اتخاذ بيت المقدس قبلة اولىٰ وتغيير ذلك إلىٰ الكعبة هو بيان أفضلية الكعبة علىٰ بيت المقدس من وجهة النظر الأهلية. بينما استمر كعب الأحبار وغيره من الداخلين في الإسلام زيفاً يفضّلون بيت المقدس علىٰ الكعبة إذ قال: إنّ الكعبة تسجد لبيت المقدس في كلّ غداة![٤].

وبنزول هذه الآية دُحر اليهود وخابت دسائسهم في هذا المجال ومحاولتهم تصوير المسلمين بالتابعين لهم في التوجه لبيت المقدس ومحاولتهم الأخرى اخراج الرسول ﷺ من المدينة إلى القدس مثلما أخرجه الكافرون من مكة[٥].

الدلائل والعبر

حينما شرع رسول الله ﷺ بالبحث عن ارض لبناء مسجد للمسلمين ارادت كل

---

(١) البقرة ١٤٤.

(٢) البقرة ١٤٢.

(٣) سنن البخاري تفسير الآية ٢٧٨ دلائل النبوة، البيهقي ٢/٥٧١، تفسير الطباطبائي ١/٣١٧ـ ٣٢٠، تفسير الآلوسي ٢/٨ـ ١٠.

(٤) تفسير الدر المنثور ١ / ١٣٦.

(٥) حياة محمد ﷺ، هيكل ٢٥٠.

قبيلة كسب تلك الفضيلة لها دون سواها لتفضل نفسها علىٰ غيرها، ولكن رسول الله ﷺ اسقط ذلك من ايديهم مرجعاً قضية الارض المذكورة الىٰ حيث بروك ناقته. فكان الحكم عادلاً لا يثير حساسية الناس في المدينة.

وسمح لكل المسلمين من مهاجرين وانصار العمل في بناء المسجد والحصول علىٰ المنقبة المرجوة، ولم يحصر الامر في عدّة محدودة.

وتقدم رسول الله أكثر في منهجه الاخلاقي فآخى بين المهاجرين والانصار ليزداد تلاحمهم وتتقوى وحدتهم.فأصبح المسلمون في المدينة في دعة وأمان بعد ذلك الاتحاد الاسلامي وصعب علىٰ المنافقين العمل المضاد.

ونظّم النبي ﷺ علاقة المسلمين مع اليهود وكتب معاهدة معهم ليستقر الامر في عموم المدينة المنورة.

ونظرة كلية منّا لاعمال النبي ﷺ في المدينة المتمثلة في ايجاد وحدة بين صفوف الانصار وتحكيم العلاقة بين المهاجرين والانصار وتدوين معاهدة حقوقية بين المسلمين واليهود والمسلمين والنصارى تبين رفعة وكمال عقل خاتم الانبياء ﷺ.

واقام رسول الله ﷺ صلاة الجمعة العبادية الثقافية، التي اصبحت منبراً اعلامياً لتعليم احكام الدين وعقائد الاسلام واصول الاخلاق، ولإخبار الناس بآخر المستجدات السياسية والعسكرية والاجتماعية.

وكان رسول البشرية يلقي علىٰ الناس اخبار الدول المندرسة، وحكايات الامم السالفة، وكيفية الاستفادة منها، ففيها الشروط اللازمة للحيد عن غضب الله تعالى، والاركان الواجبة في انزال رحمته ورزقه.

وبلغ تأثير رسول الله ﷺ في المسلمين حدّاً دفع الكثير من الانصار لطلاق بعض نسائهم وتزويجها من المهاجرين! ومقاسمة أموالهم معهم والتضحية بارواحهم في سبيل الاسلام.

ومن القصص المذكورة اقدام عبد الله بن عبد الله بن ابي علىٰ منع أبيه (ملك

يثرب) من دخول المدينة لانه هاجم المسلمين قائلاً:

﴿ليخرجن الأعز منها الأذل﴾[١].

فلم يسمح له بدخول المدينة الاّ بإذن رسول الله ﷺ.

ولحاجة ذلك المجتمع الإسلامي الىٰ الزكاة فقد فرضها الله تعالى علىٰ المسلمين بأخذ صدقة الأغنياء لتطهير اموالهم واعطائها للفقراء لإغنائهم، كما أمرالله تعالى قائلاً:

﴿ربّنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم ءاياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم﴾[٢].

﴿خذ من اموالهم صدقةً تطهرهم وتزكيهم بها وصلّ عليهم﴾[٣].

والعجيب ان بعض الدول الغربية فرضت هذه الفريضة القرآنية وتنكّرت لها الدول الاسلامية، وما زال اسمها في السويد وبعض الدول باسم الزكاة او السكات!

واستمراراً لطريق العبادة والقول القرآني: ﴿وما خلقت الجن والإنس الاّ ليعبدون﴾ فقد أنزل الله تعالى فريضة الصيام ليشعر الاغنياء بجوع الفقراء. ويتعلم الناس الصبر امام العطش والجوع واللذات الجسدية. ويفرّغوا أنفسهم لعبادة الله تعالى في هذا الشهر المبارك، وبعبارة اخرى محاولة الهية لدعم الحالة المعنوية والروحية للانسان امام الاهواء الدنيوية والشهوات المادية.

فالاسلام يريد تلاحم الصورة الانسانية مع السيرة الانسانية وعدم اقتصار الأمر علىٰ الصورة كما هو الحال في الماديين واللاهثين خلف حطام الدنيا.

ووضع النبي ﷺ التأريخ الهجري لتقويم دولته وتدوين الاحداث والمحافظة علىٰ حقوق الناس المالية والاجتماعية.

---

(١) المنافقون ٨، تفسير فرات الكوفي ٤٨٥، تفسير الطوسي ٥ / ٢٦١، تفسير الحويزي ٥ / ٣٣٣.

(٢) البقرة ١٢٩.

(٣) التوبة ١٠٣.

وحاول رجال الحزب القرشي واذنابهم من وعـاظ السـلاطين والرواة اتّهـام رسول الحضارة بعدم اعتنائه بالتأريخ واسناد فضل ذلك للأعراب!

ولكن الله سبحانه وتعالى دحر مكرهم وكشف خبثهم فجعلهم عبرة لمن اعتبر.

الباب الثاني:

مرحلة التمكين

الفصل الاول

معركة بدر

أوّل راية لرسول الله ﷺ

ولمّا وصل رسول الله ﷺ إلى المدينة المنوّرة عقد أوّل راية حرب لعمّه حمزة.
قال الواقدي: إنّ رسول الله ﷺ عقد في هذه السنة في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من مهاجره لحمزة بن عبدالمطّلب لواءاً أبيضا في ثلاثين رجلاً من المهاجرين ليعترض لعيرات قريش، وأنّ حمزة لقي أبا جهل في ثلاثمائة رجل فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني، فافترقوا ولم يكن بينهم قتال[1].

وثاني راية عقدها رسول الله ﷺ كانت لعبيدة بن الحارث بن المطلّب بن عبد مناف، لواء أبيضا وأمره بالمسير إلى بطن رابغ، وأنّ لواءه كان مع مسطح بن أثاثة، فبلغ ثنية المرة وهي بناحية الجحفة في ستّين من المهاجرين ليس فيهم أنصاري.

وإنّهم التقوا هم والمشركون على ماء يقال له أحياء، فكان بينهم الرمي دون المسايفة، وكان أبو سفيان بن حرب أمير الكفّار في مائتين من المشركين[2].

ومن خلال عمل رسول الله ﷺ في دفع عمّه حمزة وابن عمّه عبيدة إلى ساحات القتال بيّن رسول الله ﷺ أنّ القائد يجب أن يكون أوّل مضحّ في سبيل الله، لا آخر مضحّ في سبيل الإسلام وبيّن مطلباً آخر وهو دفعه المهاجرين للحرب قبل

---

(١) تاريخ الطبري ٢/١٢١.
(٢) تاريخ الطبري ٢/١٢٠.

الأنصار ليكونوا قدوة لهم تحتذي بهم رجال المدينة.

وفعلاً نجح مشروع رسول الله ﷺ في هذا المجال نجاحاً باهراً تمثّل في انـدفاع الأنصار والمهاجرين للتضحية في سبيل الإسلام.

وغزوة الأبواء بقيادة رسول الله ﷺ إلى الأبواء لاعتراض عير قريش فلم يلق كيداً[١].

وغزوة بواط لاعتراض قافلة قريش بقيادة أُميّة بن خلف في مائة رجل فلم تلقَ كيداً[٢].

وغزوة بدر الأُولى على رأس ثلاثة عشر شهراً من مقدمه الشريف للمدينة في طلب كُرْز بن جابر الفهري الذي أغار على سرح المدينة، ولم يدركوه[٣].

وغزوة ذي العشيرة على رأس ستّة عشر شهراً من قدومه ﷺ المدينة وهدفها عير قريش فلم يدركوها.[٤]

وسرية نخلة وأميرها عبدالله بن جحش (ابن عمّة رسول الله ﷺ) إلى نخلة على رأس سبعة عشر شهراً من قدومه ﷺ المدينة. فأعطاه رسـول الله ﷺ صـحيفة تبيّن مقصد السرية على أن يفتحها بعد مسيرة ليلتين في طريق النجدية.

فلمّا فضّ الكتاب بعد يومين وجد هدف الحملة بطن نخلة لترصد عير قـريش فهاجموا العير بقيادة عمرو بن الحضرمي فغنموا الأموال وقتلوا بعضاً وفرّ آخرون.

فقال الرسول ﷺ لأصحابه ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام وودّى عمرو بن الحضرمي الذي قتله المسلمون[٥]. والصحيح ان المسلمين لم يحاربوهم في الشهر

(١) مغازي الواقدي ١/١٢.
(٢) مغازي الواقدي ١/١٢، تاريخ ابن الأثير ٢/١١٢.
(٣) مغازي الواقدي ١/١٢.
(٤) مغازي الواقدي ١/١٣، تاريخ ابن الأثير ٢/١١٢.
(٥) مغازي الواقدي ١/١٨، تاريخ ابن الأثير ٢/١١٢.

الحرام ولم يود النبي ﷺ عن ابن الحضرمي[١]

لان الهجوم لم يكن في الشهر الحرام. ولقد حاول رجال الحزب القرشي واتباعهم اتهام المسلمين بارتكاب حرب الفجار في الشهر الحرام مثلما كذبوا سابقاً في اشتراك رسول الله ﷺ وقبيلته في حرب الفجار قبل الإسلام.

والملاحظ على هذه الغزوات عدم إشتراك الأنصار فيها ولم يطلب النبي ﷺ ذلك منهم.

غزوة بدر الكبرى

وهي أوّل معركة عظمى للمسلمين ضدّ قوّات قريش الكافرة فحاول كلّ طرف منهم الإنتقام من الطرف الثاني

قال ابن دحلان: وكان خروجهم يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان على رأس تسعة عشر شهراً من هجرة النبي ﷺ وخرجت معه الأنصار ولم تكن قبل ذلك خرجت معه وكان عدّة البدريين ثلاثمائة وثلاثة عشر، وسبب هذه الغزوة التعرّض للعير التي خرج رسول الله ﷺ في طلبها حتّى بلغ العشيرة ووجدها سبقته، فلم يزل مترقّباً قفولها أي رجوعها من الشام، فعند قفولها ندب المسلمين أي دعاهم

وقال:هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعلّ الله أن ينفلكموها، فانتدب ناس أي أجابوا وثقل آخرون ، ولم يحفل بهم رسول الله ﷺ أي لم يهتمّ بهم بل قال: من كان ظهره أي ما يركبه حاضراً فليركب معنا ولم ينتظر من كان ظهره غائباً عنه.

وكان أبو سفيان لقي رجلاً فأخبره أنّه ﷺ قد كان عرض لعيره في بدايته، وأنّه

(١) سيرة ابن دحلان ١ / ٣٠٧ـ ٣٢١

ينتظر رجوع العير فلمّا رجع وقربت العير من أرض الحجاز صار يتجسّس الأخبار ويبحث عنها، ويسأل من لقي من الركبان تخوّفاً من رسول الله ﷺ، فسمع من بعض الركبان أنّه استنفر أصحابه لك ولعيرك فخاف خوفاً شديداً فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري بعشرين مثقالاً ليأتي مكّة وأن يجدع بعيره ويحوّل رحله ويشقّ قميصه من قبله ومن دبره، إذا دخل مكّة ويستنفر قريشاً ويخبرهم أنّ محمّداً قد عرض لعيرهم هو وأصحابه، وكانت تلك العير فيها أموال قريش[١]، حتّى قيل إنّه لم يبق بمكّة قرشي ولا قرشية له مثقال فصاعداً إلّا بعث به في تلك العير إلّا حويطب بن عبد العزّى.

ويقال: إنّ في تلك العير خمسين ألف دينار وألف بعير وتقدّم أنّ قائدها أبو سفيان، وكان معه مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص، وكان جملة من معه سبعة وعشرين؛ وقيل: إنّها تسعة وثلاثون رجلاً. فخرج ضمضم سريعاً إلى مكّة.

منام عاتكة

وقبل أن يقدم بثلاث ليالٍ رأت عاتكة بنت عبدالمطّلب عمّة النبي ﷺ رؤيا أفزعتها فبعثت إلى أخيها العبّاس بن عبدالمطّلب ﵁ فقالت له: يا أخي والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني أي اشتدّت عليّ وتخوّفت أن يدخل على قومك منها شرّ ومصيبة فاكتم عنّي ما أحدّثك. وفي رواية قالت له: لن أحدّثك حتّى تعاهدني أن لا تذكرها فإنّهم إن سمعوها ـ تعني كفّار قريش ـ آذونا وأسمعونا ما لا نحبّ، فعاهدها العبّاس ثمّ قال لها: ما رأيت؟

قالت: رأيت راكباً أقبل على بعير له، حتّى وقف بالأبطح، ثمّ صرخ بأعلى صوته: ألا انفروا يا آل غدر إلى مصارعكم في ثلاث أي بعد ثلاثة أيّام. وقوله: يا آل غدر

(١) سيرة ابن هشام ٢ ٢٥٩ ،سيرة ابن دحلان ١ /٣٠٦.

معناه يا أصحاب الغدر وعدم الوفاء قالت: فأرى الناس اجتمعوا إليه ثمّ دخل المسجد والناس يتبعونه فبينا هم حوله قالت: رأيت بعيره مثّل به أي انتصب به على ظهر الكعبة، ثمّ صرخ بمثلها، ثمّ مثّل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها، ثمّ أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوي حتّى إذا كانت بأسفل الجبل أرفضت أي تكسّرت فما بقي بيت من بيوت مكّة ولا دار إلّا دخلها منها فلقة.

فقال لها العبّاس: والله إنّ هذه لرؤيا أي عظيمة وأنتِ فاكتميها ولا تذكريها لأحد. ثمّ خرج العبّاس فلقي الوليد بن عتبة، وكان صديقاً له فذكرها له واستكتمه، فذكرها الوليد لأبيه فتحدّث بها ففشا الحديث.

قال العبّاس: فغدوت لأطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدّثون برؤيا عاتكة.

فلمّا رآني أبو جهل قال: يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا، فلمّا فرغت أقبلت حتّى جلست معهم فقال أبو جهل: يا بني عبدالمطّلب متى حدثت فيكم هذه النبية؟

قال: قلت: وما ذاك؟ قال: الرؤيا التي رأت عاتكة. قلت وما رأت؟ قال: يابني عبدالمطّلب أما رضيتم إن يتنبّأ رجالكم حتّى يتنبّأ نساؤكم. وفي رواية ما رضيتم يابني هاشم بكذب الرجال حتّى جئتمونا بكذب النساء، ثمّ قال أبو جهل: وقد زعمت عاتكة في رؤياها أنّه قال:

أنفروا في ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث فإن يكن حقّاً ما تقول فسيكون، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتاباً أنّكم أكذب أهل بيت في العرب، قال العبّاس: فوالله ما كان منّي إليه كبير أمر إلّا أنّي جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأت شيئاً.

قال العبّاس: فلمّا أمسيت لم تبق امرأة من بني عبدالمطّلب إلّا أتتني تقول لي:

أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم؟ ثمّ قد تناول النساء وأنت تسمع ثمّ لم يكن عندك غيرة لشيء ممّا سمعت فقلت لهنّ، وأيم الله لأتعرّضن له وإن عاد قتلته.

فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا مغضب أرى أنّي قد فاتني منه أمر أحبّ أن أدركه منه، فدخلت المسجد فرأيته فوالله إنّي لأمشي نحوه أتعرّضه ليعود إلى بعض ما قال فأوقع به إذ هو قد خرج نحو باب المسجد يشتدّ أي يعدو، فقلت في نفسي: ما له لعنه الله أكلّ هذا الفرق أي الخوف منّي.

فإذا هو سمع ما لم أسمع صوت ضمضم بن عمرو الغفاري وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره قد جدع بعيره أي قطع أنفه وأذنه وحوّل رحله وشقّ قميصه وهو يقول: يامعشر قريش، اللطيمة اللطيمة، أي أدركوا اللطيمة وهي العير التي تحمل الطيب والبزّ أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمّد في أصحابه لا أرى أن تدركوها. وفي لفظ: إن أصابها محمّد لن تفلحوا أبداً الغوث الغوث.

قال العبّاس: فشغلني عنه وشغله عنّي ما جاء من الأمر فتجهّز الناس سراعاً وفزعوا أشدّ الفزع وخافوا من رؤيا عاتكة[1].

الخروج للحرب

وروي أنّهم قالوا: أيظنّ محمّد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي التي أخذها محمّد ﷺ، والله ليعلمنّ غير ذلك فكانوا بين رجلين إمّا خارج وإمّا باعث مكانه رجلاً وأعان قويّهم ضعيفهم، وقام أشراف قريش يحضّون الناس على الخروج. وقال سهيل بن عمرو: أتاركون أنتم محمّداً والصباة من أهل يثرب يأخذون أموالكم من أراد مالاً فهذا مالي، ومن أراد قوّة فهذي قوّتي، ولم يتخلّف من أشراف قريش إلّا أبو لهب خوفاً من رؤيا عاتكة، وكان يقول: رؤيا عاتكة

(١) سيرة ابن هشام ٢/٢٥٩، سيرة ابن دحلان ١/٣٠٦، ٣٠٧.

كأخذ بيد أي صادقة لا تتخلّف، وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة استأجره بأربعة آلاف درهم كانت له عليه ديناً فأفلس بها فـقال له: أُخـرج وديـني لك. والعاص هذا قُتل كافراً في هذه الغزوة.

وأراد التخلّف أُميّة بن خلف وكان شيخاً جسيماً ثقيلاً فجاء إليه وهو جالس مع قومه عقبة بن أبي معيط بمجمرة فيها بخور يحملها حتّى وضعها بين يديه ثمّ قال: ياأبا صفوان إستجمر فإنّما أنت من النساء، فقال له: قبّحك الله وقبّح ما جئت به، وكان عقبة سفيهاً، وكان أبو جهل هو الذي سلّط عقبة على ذلك.

وجاء أبو جهل أُميّة بن خلف فقال له: ياأبا صفوان إنّك متى يَرَكَ النـاس قـد تخلّفت وأنت سيّد أهل الوادي؟ وفي رواية: من أشراف الوادي تخلّفوا معك فـسر يوماً أو يومين، فتجهّز أُميّة مع الناس.

وسبب إرادته التخلّف أنّ سعد بن معاذ قدم مكّة معتمراً فنزل على أُميّة لأنّ أُميّة كان إذا قدم المدينة للذهاب إلى الشام في تجارته ينزل على سعد فقال سعد لأُميّة: أُنظر لي ساعة لعلّي أطوف بالبيت، وقال أُميّة لسعد: إذا انتصف النهار. فبينما سـعد يطوف إذ أتاه أبو جهل فقال: من هذا الذي يطوف؟

فقال له سعد: أنا سعد بن معاذ، فقال له أبو جهل: أتطوف بالكعبة آمناً وقد آويتم محمّداً وأصحابه؟ وفي لفظ: آويتم الصباة وزعمتم أنّكم تنصرونهم وتعينونهم، أما والله لولا أنّك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالماً، فتلاحيا أي تخاصما وسعد يرفع صوته، فصار أُميّة يقول لسعد: لا ترفع صوتك على أبي الحكم فإنّه سيّد أهل الوادي، وجعله يسكت.

فقال سعد لأُميّة: إليك عنّي فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّه قاتلك».

قال: إيّاي؟

قال: نعم.

قال: بمكّة؟

قال سعد: لا أدري.

قال أُميّة: والله ما كذب محمّد، فكان يحدث أي يبول في ثيابه فزعاً، فرجع إلى امرأته فقال: أما تعلمين ما قال أخي اليثربي يعني سعد بن معاذ؟ قالت: وما ذاك؟

قال: زعم أنّه سمع محمّداً يزعم أنّه قاتلي، قالت: والله ما كذب محمّد.

فلمّا جاء الصريخ وأراد الخروج قالت له امرأته: أما علمت ما قال لك أخوك اليثربي؟

فقال: فإنّي لا أخرج.

فلمّا صمّم على عدم الخروج بل أقسم بالله لا يخرج من مكّة أتاه عقبة بن أبي معيط بالمجمرة، وقال له أبو جهل ما قال كما تقدّم، فخرج ناوياً أن يرجع عنهم ومعنى كونه ﷺ قاتله، أنّه كان ﷺ سبباً في قتله، وإلّا فهو ﷺ لم يباشر إلّا قتل أخي أمية، وهو أُبي بن خلف في غزوة أُحد كما سيأتي إن شاء الله تعالى. واستقسم بالأزلام جماعة، فخرج لهم ما يكرهون، منهم أُميّة بن خلف وعتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام.

فلمّا خرج لهم القداح الناهي المكتوب عليه لا تفعل، أجمعوا على المقام وعدم الخروج، فجاءهم أبو جهل وأزعجهم وحثّهم على الخروج وأعانه على ذلك عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحرث.

يروى أنّ عداساً الذي اجتمع بالنبي ﷺ بالطائف وأسلم على يديه قال لسيديه عتبة وشيبة ابني ربيعة: بأبي وأُمّي أنتما والله ما تساقان إلّا لمصارعكما، فأرادا عدم الخروج، فلم يزل بهما أبو جهل حتّى خرجا عازمين على العود عن الجيش، ولمّا فرغوا من جهازهم وكان ذلك في ثلاثة أيّام؛ وأجمعوا السير أي عزموا عليه، وكانوا خمسين وتسعمائة؛ وقيل: كانوا ألفاً وقادوا معهم من الخيل مائة فرس عليها مائة

درع سوى دروع المشاة، وكان حامل لوائهم السائب بن يزيد ثمّ أسلم، وخرجوا على الصعب والذلول لشدّة إسراعهم، ومعهم القيان وهنّ الإماء المغنيات يضربن بالدفوف يغنين بهجاء المسلمين وهم في غاية من البطر والخيلاء حين خروجهم، كما قال تعالى:

﴿خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدّون عن سبيل الله، والله بما يعملون محيط﴾(١)

وكان المطعمون لهذا الجيش إثني عشر رجلاً كلّ واحد منهم ينحر كلّ يوم عشر جزر، وفيهم أنزل الله:

﴿إنّ الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدّوا عن سبيل الله فسينفقونها ثمّ تكون عليهم حسرة ثمّ يغلبون﴾(٢).

وهؤلاء الإثنا عشر هم أبو جهل وعتبة وشيبة إبنا ربيعة وحكيم بن حزام والعبّاس بن عبدالمطّلب وأبو البختري وزمعة بن الأسود وأُبي بن خلف وأُميّة بن خلف والنضر بن الحرث ونبيه ومنبه إبنا الحجاج؛ وقيل الآية المذكورة نزلت في الذين أنفقوا أموالهم لتجهيز الجيش الذي قاتلوا به النبي ﷺ يوم أُحد، وقيل في هؤلاء وهؤلاء.

ولمّا أرادوا الخروج من مكّة كان بينهم وبين كنانة دماء لأنّ قريشاً كانت قتلت شيخاً من كنانة، فمرّ شاب وضيء من قريش بكنانة فقتلوه، ثمّ إنّ أخا المقتول ظفر بعامر سيّد كنانة بمرّ الظهران فقتله وجاء بسيفه وعلّقه بأستار الكعبة فلمّا أصبحت قريش، رأت سيف عامر فعرفوه وعرفوا قاتله فكاد ذلك يصرفهم عن الخروج خوفاً من كنانة لكون طريقهم في المسير عليهم، وخافوا أن يخلفوهم على ديارهم بشيء يكرهونه، فجاءهم إبليس لعنه الله في صورة سراقة بن مالك المدلجي الكناني،

(١) الأنفال: ٤٧.

(٢) الأنفال: ٣٦.

وكان من أشراف بني كنانة وقال لهم: أنا لكم جار من أن يأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه، وخرج معهم إبليس ووعدهم أنّ بني كنانة قد أقبلوا لنصرهم، وحسّن لهم الأمر وقرّبه لهم وهوّنه عليهم، كما قال تعالى:

﴿وإذ زيّن لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنّي جار لكم﴾[1].

ثمّ بعد أن خرج ضمضم إلى أهل مكّة اشتدّ حذر أبي سفيان، فأخذ طريق الساحل وجدّ في السير حتّى فات المسلمين، فلمّا أمن أرسل إلى قريش يأمرهم بالرجوع، وكانوا حينئذ بالجحفة فامتنع أبو جهل، وقال: والله لا نرجع حتّى نحضر بدراً فنقيم فيه ثلاثة أيّام، وننحر الجزر، ونطعم الطعام ونسقي الخمر، وتعزف علينا القيان بالمعازف وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبداً.

و ضرب ﷺ عسكره ببئر أبي عتبة على ميل من المدينة، فعرض أصحابه وردّ من استصغر، وتقدّم أنّ عدّة أصحابه البدريين ثلاثمائة وثلاثة عشر، وكان الانصار المساهمون في الحرب واحداً وستين من الأوس ومائة وسبعين من الخزرج ومن المهاجرين ثلاثة وثمانين رجلاً[2].

وكان معهم سبعون بعيراً يتعقبونها، وكان معهم من الخيل فرسان فرس لمرثد الغنوي، وفرس للمقداد، ولما عدّ ﷺ أصحابه ووجدهم ثلاثمائة وثلاثة عشر فرح ﷺ وقال: «عدّة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر».

ولمّا أراد ﷺ الخروج لبس درعه ذات الفضول وتقلّد سيفه العضب، ولمّا نظر إلى أصحابه قال: «اللهمّ إنّهم حفاة فاحملهم، وعراة فاكسهم، وجياع فأشبعهم، وعالة فأغنهم من فضلك». فما رجع منهم أحد إلاّ وله البعير والبعيران، واكتسى من كان عارياً، وأصابوا طعاماً من أزواد قريش، وأصابوا فداء الأسارى فاغتنى به كلّ

(١) الأنفال: ٤٨.

(٢) تاريخ الخميس ١ / ٣٩٩ - ٤٠٢.

عائل، وسار ﷺ حتّى بلغ الروحاء وهو موضع به بئر على نحو أربعين ميلاً من المدينة فأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم، وكان قد بعث ﷺ رجلين يتجسّسان أخبار عير أبي سفيان، فمضيا حتّى نزلا بدراً، فأناخا إلى تلّ قريب من الماء، وأخذا يستقيان من الماء، فسمعا جاريتين تقول إحداهما لصاحبتها: إن أتاني العير غداً أو بعد غد أعمل لهم أي أخدمهم ثمّ أقضك الذي لك، فانطلقا حتّى أتيا رسول الله ﷺ فأخبراه بما سمعا، فاستشار النبي ﷺ أصحابه في طلب العير، وفي حرب النفير أي القوم النافرين للحرب يعني أنّ النبي ﷺ خيّر أصحابه بين أن يذهبوا للعير أو إلى محاربة النفير. وأخبرهم عن قريش بمسيرهم وقال لهم: «إنّ الله وعدكم إحدى الطائفتين إمّا العير وإمّا قريش». وكانت العير أحبّ إليهم ليستعينوا بما فيها من الأموال على شراء الخيل والسلاح، قال تعالى:

﴿وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنّها لكم وتودّون أنّ غير ذات الشوكة تكون لكم، ويريد الله أن يحقّ الحقّ بكلماته ويقطع دابر الكافرين﴾[1].

وفي رواية: قالوا هلّا ذكرت لنا القتال حتّى نتأهّب له إنّا خرجنا للعير؟.

وكان ﷺ يخشى أن تكون الأنصار لا ترى وجوب نصرته عليها إلّا ممّن دهمه أي جاءه فجأةً من العدوّ بالمدينة فقط، وأنْ ليس عليهم أن يسير بهم من بلادهم إلى عدوّ. فلمّا قال ذلك أي كرّر قوله: «أشيروا عليّ»، قال له سعد بن معاذ ﷺ وهو سيّد الأوس: والله لكأنّك تريدنا يارسول الله؟ قال: «أجل»، قال: قد آمنا بك وصدّقناك وشهدنا أنّ ما جئت به هو الحقّ، وأعطيناك على ذلك عهوداً ومواثيق على السمع والطاعة، فامض يارسول الله لما أُمرت.

ثم أسر المسلمون رجلين من جيش قريش فقال ﷺ: «أخبراني عن قريش؟ قالا: هم وراء هذا الكثيب من الرمل.

(١) الأنفال: ٧.

فقال لهما رسول الله ﷺ: كم القوم؟

قالا: هم والله كثير عددهم شديد بأسهم.

قال: ما عدّتهم؟

قالا: لا ندري.

قال: كم تنحرون من الجزر كلّ يوم؟

قالا: يوماً تسعاً ويوماً عشراً.

فقال ﷺ: القوم ما بين التسعمائة والألف، ثمّ قال لهما: فمن فيهم من أشراف قريش؟ قالا: عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، وأبو البحتري بن هشام، وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، وزمعة بن الأسود، وأبو جهل بن هشام، والنضر بن الحرث، وسهيل بن عمرو، فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال: هذه مكّة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها أي قطع كبدها.

وكان نزول قريش بالعدوة القصوى، والعدوة جانب الوادي وحافّته والمكان المرتفع، والقصوى أي التي هي أبعد من الأخرى عن المدينة.

قال علي عليه السلام: فلمّا أن طلع الفجر نادى رسول الله ﷺ للصلاة عباد الله فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصلّى بنا رسول الله ﷺ ثمّ خطب وحضّ على القتال في خطبته. فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: «أمّا بعد، فإنّي أحثّكم على ما حثّكم الله عليه»، إلى أن قال: «وإنّ الصبر في مواطن اليأس ممّا يفرّج الله به الهمّ، وينجي به الغمّ».

واجبرت قريش بني هاشم في مكة على الحضور معها فقالت: لا تَدَعوا أحداً من عدوكم خلفكم، ولما رجع طالب بن أبي طالب مع بني زهرة، الى مكة فُقِد أثره[١].

(١) تاريخ الطبري ٢ / ١٤٤، سيرة ابن هشام ٢ / ٢٧١، تاريخ بن الأثير ٢ / ١٢١مغازي الواقدي ١ / ٣٦، ٣٧اي قتلوه غيلة في الطريق وفقد جسده.

هل تردّد عتبة وحكيم في الحرب؟

ثمّ لمّا أصبحوا عدل النبي ﷺ صفوف أصحابه وأقبلت قريش ورآها ﷺ وقال: «اللهمّ هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادّك وتكذب رسولك، اللهمّ فنصرك الذي وعدتني». ولمّا اطمأنّت قريش أرسلوا عمير بن وهب الجمحي، وكان كافراً ثمّ أسلم بعد ذلك وقالوا: احرز لنا أصحاب محمّد أي أُنظر عدّتهم، فجال بفرسه حول عسكر النبي ﷺ ثمّ رجع إليهم فقال: ثلاثمائة رجل يزيدون أو ينقصون قليلاً، ولكن أمهلوني حتّى أنظر أللقوم كمين أو مدد؟

فذهب في الوادي حتّى أبعد، ثمّ رجع إليهم، وقال: ما رأيت شيئاً ولكن قد رأيت يامعشر قريش البلايا تحمل المنايا، رجال يثرب تحمل الموت الناقع إذ تروهم خرساً لا يتكلّمون، يتلمظّون تلمظّ الأفاعي، لا يريدون أن يقبلوا إلى أهليهم زرق العيون كأنّهم الحصى تحت الحجف، قوم ليس لهم منعة إلاّ سيوفهم. والله ما نرى أن نقتل منهم رجلاً حتّى يُقتل رجل منكم، فإذا أصابوا منكم عدادهم فما خير العيش بعد ذلك فروا رأيكم.

المصابيح يعني قريشاً أن تجعلوها أنداداً لهذه الوجوه التي كأنّها عيون الحيّات يعني الأنصار. وقد رآه النبي ﷺ في القوم وهو على جمله فقال: «إن يكن في أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الأحمر إنْ يطيعوه يرشدوا».

وذكر ابن إسحاق أنّ عتبة قام خطيباً فقال: يامعشر قريش، والله ما تصنعون شيئاً أن تلقوا محمّداً وأصحابه، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه قد قتل ابن عمّه أو ابن خاله، أو رجلاً من عشيرته، فارجعوا وخلّوا بين محمّد وسائر العرب، فإن أصابه غيركم فذاك الذي أردتم، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعدموا منه ما تريدون، ياقوم اعصبوها اليوم برأسي (أي اجعلوا عارها متعلّقاً بي) وقولوا جبن عتبة، وأنتم تعلمون أنّي لست بأجبنكم.

ثمّ قال عتبة لحكيم: إنطلق لابن الحنظلية وأخبره ـ يعني أبا جهل ـ قال حكيم: فانطلقت فوجدت أبا جهل قد نثل درعاً له من جرابها أي أخرجها فقلت: يـاأبا الحكم إنّ عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا، فقال: إنتفخ سحره، وهي كلمة تقال للجبان. ثمّ جاء أبو جهل لعتبة وقال له: لو غيرك يقول هذا لأعضضته بظر أمّه، والله لا نرجع حتّى يحكم الله بيننا وبين محمّد.[١]

ماذا قال أبوبكر وعمر في معركة بدر ؟

وفي أول معركة عظمى للمسلمين وهي بدر الكبرىٰ لم يرض الرسول ﷺ من قولي أبي بكر وعمر، وأعرض عنهما، وسُرَّ جداً بقول سعد بن مُعاذ والمقداد بن عمرو إذ جاء في الرواية:

فتكلم أبو بكر فاعرض ﷺ عنه وتكلم عمر فاعرض عنه. وجاء في سنن مسلم: «أنّ رسول الله ﷺ شاور حين بَلَغَهُ إقبالُ أبي سفيان، فتكلّم أبو بكر فأعرض عنه، ثمَّ تكلّم عمر فأعَرضَ عنه. فقام سعد بن عُبادة فقال: إيّانا تريد يـا رسـولَ الله؟ والذي نفسي بيده لو أمرتنا أنْ نخيضها البحر لأخضناها، ولو أمـرتنا أن نـضرب أكبادها إلىٰ بَرْكِ الغِمادِ لفعلنا.قال: فَندَب رسولُ الله الناسَ فـانطلقوا حـتّىٰ نـزلوا بدراً...»[٢].

إذ قال أبو بكر وعمر: إنّها والله قريش وعزّها والله ما ذلّت منذ عزّت، والله ما آمنت منذ كفرت، والله لا تُسلم عزّها أبداً ولتقتلنّك، فاتّهب لذلك أُهبته واعد لذلك عُدّته[٣] في محاولة منهما لتثبيط عزيمة الرسول ﷺ والمسلمين.

لقد اعرض النبي ﷺ عن قولي أبي بكر وعمر لأنهما قالا قولاً فيه مجد وعـزّة

(١) المصدر السابق

(٢) صحيح مسلم ٣/١٤٠٤، حديث ١٧٧٩، البداية والنهاية، ابن كثير ٣/٣٢١.

(٣) المغازي، الواقدي ١ / ٤٨.

لقريش وخوف من مواجهة قريش، فأستنكر النبي ﷺ ذلك[١]. وفعل عمر فعلاً شنيعاً آخر قبل معركة بدر إذ هجر أمام رسول الله[٢].

ثم قال المقداد بن عمرو: يا رسول الله: امض لأمر الله فنحن معك والله لانقول لك كما قالت بنو إسرائيل لنبيّها «فاذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا هاهنا قاعدون»[٣].

ولكن إذهب أنت وربك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون، والذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلىٰ برك الغماد لسرنا معك (وبرك الغماد من وراء مكّة بخمس ليالٍ من وراء الساحل مما يلي البحر) فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعاً له بخير[٤].

ثم قال سعد بن معاذ فسُرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد ونشّطه[٥]اذقال لو استعرضت هذا البحر فخضته لخضناه معك[٦].

الماء كسلاح في الحروب

لقد منع طغاة قريش الماء عن عبد المطلب وصحبه لقتلهم عطشا في الصحراء فنبع الماء تحت قدميه بأمر الله تعالى [٧].

وعطش النبي ﷺ والمسلمون في بدر عطشاً شديداً فجاء علي ﷺ بالماء من بدر رغم الحرس الكثير الموجود هناك[٨].

رویٰ مسلم عن انس بن مالك: «نزل المسلمون علىٰ كثيب اعفر فقيل المراد أحمر

---

(١) مغازي الواقدي ١/٤٨.
(٢) دلائل النبوة، البيهقي ٣ / ١٠٧.
(٣) المائدة ٢٤.
(٤) المصدر السابق.
(٥) السيرة النبوية، ابن كثير ٢/٣٩١ـ٣٩٥، دلائل النبوة ٣/١٠٦، سيرة ابن دحلان ١/٢١٣، صحيح مسلم ٣/١٤٠٣، ١٤٠٤.
(٦) المغازى ،الواقدى ١/٤٨ .
(٧) تاريخ الخميس ١ / ١٧٩ .
(٨) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب ١/٣٥٨، البحار ٤١/٦٩.

وأبيض تسوح فيه الأقدام وحوافر الدواب.

وسبقهم المشركون إلىٰ ماء بدر فأحرزوه وحفروا القلب لأنفسهم ليجعلوا فيها الماء من الآبار المعينة، فيشربوا منها ويسقوا دوابهم. ومع ذلك القىٰ الله في قلوبهم الخوف حتىٰ صاروا يضربون وجوه خيلهم إذا صهلت من شدة الخوف. والقىٰ الله تعالىٰ، الأمنة والنوم علىٰ المسلمين بحيث لم يقدروا علىٰ منعه وأصبح المسلمون بعضهم محدث وبعضهم جنب لأنّهم لما ناموا احتلم اكثرهم وأصابهم الظمأ، وهم لا يصلون الى الماء لسبق المشركين اليه. ووسوس الشيطان لبعضهم وقال: تزعمون أنكم علىٰ الحق وفيكم نبي ﷺ وانكم، اولياء الله وقد غلبكم المشركون علىٰ الماء، وأنتم عطاشىٰ وتصلّون محدثين بجنبين، وما ينتظر أعداؤكم، الاّ أن يقطع العطش رقابكم، ويذهب قواكم، فيتحكموا فيكم كيف شاؤوا؟! فأرسل الله عليهم مطراً سال منه الوادي فشرب المسلمون واتخذوا الحياض علىٰ عدوة الوادي، واغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب وملؤوا الأسقية وأطفأ المطرُ الغبارَ ولبد الأرض حتىٰ ثبّتتْ عليها الأقدام والحوافر وزالت عنهم وسوسة الشيطان،و قد اشار سبحانه الى ذلك بقوله: «**إذ يُغَشّيكُمُ النعاس أمنةً منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط علىٰ قلوبكم**»[1].

وفي الحديبية فشل سعد بن أبيوقاص في المجى بالماء خوفا من الكفار وجاء به[٢].

الإمام علي عليه السلام.

لقد استخدمت قريش سلاح الماء ضدّ النبي ﷺ في معركة بدر وضدّ علي عليه السلام في معركة صفين وضدّ الحسين عليه السلام في واقعة كربلاء[2].

(١) الأنفال ١١، سيرة ابن دحلان ١ / ٣١٤، ٣١٥

(٢) البحار ٦٨/٤١.

(٢) البحار ٤٤٧/٣٢،تاريخ ابن عساكر، ترجمة الامام الحسين ٤٤٧.

بينما أوصل الإمام علي ﷺ الماء الى عثمان يوم حاصروه[١].

و لما سيطرت قوات معاوية بن أبي سفيان على نهر الفرات في معركة صفين منعت الماء عن جيش الإمام علي ﷺ ،فقال له عمرو بن العاص الذي كان في معركة بدر مع المشركين: سوف تأخذ قوات الإمام علي ﷺ منك السيطرة على المـاء .وفـعلاً تقدمت قوات اميرالمؤمنين ﷺ وسيطرت علىٰ الماء فخاف معاوية من العطش، فقال له عمرو بن العاص :ان علي بن أبي طالب ﷺ سوف لا يمنع عنك الماء رغم منعك الماء عنه وعن جيشه ،لانه لايحارب من أجل الماء ،وفعلا تمَّ ما ذكره[٢].

لقد تعلَّم عمرو بن العاص هذا المبدأ من معركة بدر الكبرىٰ يوم سيطرت قوات قريش الكافرة علىٰ الماء ومنعت قوات المسلمين منه، فحارب النبي ﷺ الكـفار وسيطر علىٰ الماء ولم يمنع قريشاً منه.

وكان الحسين ﷺ قد سقىٰ قوات الحر بن يزيد الرياحي المحاصرة له وعـددهم ألف مقاتل[٣]، مثلما فعل أبوه ﷺ في صفين[٤]، ومثلما فعل ﷺ جدّه في بدر. ولأن رجال الحزب القرشي وسليلهم معاوية استخدموا الماء سلاحاً في المعارك فقد غيّر الأمويون سيرة معركة بدر تبعاً لنظريتهم فوصفوا النبي ﷺ بمانع الماء عن كـفار قريش!

أحداث المعركة

لقد أفسد أبو جهل على الناس رأي عتبة وبعث إلى عامر بن الحضرمي قائلا : هذا حليفك يريد الرجوع بالناس، وقد رأيت ثارك بعينك فقم فأنشد مقتل أخيك

(١) البداية والنهاية ٧/٢٠٩.

(٢) انساب الاشراف ٣٠٠، تاريخ اليعقوبي ٢ /١٨٨.

(٣) الاخبار الطوال ٢٤٨.

(٤) صفين ١٦٠ – ١٦٦، تاريخ أبي مخنف ١ / ١٥٩ – ١٦٢.

فقام عامر وحثا التراب على رأسه وصرخ واعمراه واعمراه، فحميت الحرب في ١٧ رمضان وتهيأوا للقتال والشيطان معهم لا يفارقهم في صورة سراقة يقول لهم: لا غالب لكم اليوم من الناس وإنّي جار لكم، فخرج الأسود المخزومي، وكان شرساً سيء الخُلُق.

فلمّا أقبل قصده حمزة بن عبدالمطلب ﷺ فضربه دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دماً.

والأسود هذا هو الأسود بن عبدالأسد المخزومي أخو عبدالله بن عبدالأسد المخزومي زوج أمّ سلمة والأسود أوّل قتيل قُتِل يوم بدر من المشركين.

ثمّ إنّ عتبة بن ربيعة التمس بيضة أي خوذة يدخلها في رأسه فما وجد في الجيش بيضة تسع رأسه لعظمه فاعتجر ببرد له (أي تعمّم به)، ثمّ خرج بين أخيه شيبة بن ربيعة وإبنه الوليد بن عتبة حتّى انفصل من الصف ودعا إلى المبارزة فخرج إليه فتية من الأنصار وهم: عوف ومعاذ إبنا الحرث الأنصاريان النجاريان، وأمّهما عفراء بنت عبيد بن ثعلبة الأنصاري، وعبدالله بن رواحة فقال عتبة ومن معه لهم: من أنتم؟

قالوا: رهط من الأنصار.

قالوا: ما لنا بكم من حاجة أكفاء كرام إنّما نريد قومنا. ثمّ نادى مناديهم: يامحمّد، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا، فناداهم أن ارجعوا إلى مصارفكم، وليقم إليهم بنو عمّهم. ثمّ قال ﷺ: «قم ياعبيدة بن الحرث قم ياحمزة، قم ياعلي»، فلمّا قاموا ودنوا منهم قالوا: من أنتم لأنّهم كانوا متلثّمين لمّا خرجوا فتسمّوا لهم، قال ابن إسحاق: فقال عبيدة: عبيدة، وقال حمزة: حمزة، وقال علي: علي، قالوا نعم، أكفاء كرام، فبارز عبيدة وكان أسنّ القوم المسلمين شيبة وكان أسنّ الثلاثة وبارز حمزة عتبة. واتّفقوا على أنّ علياً برز للوليد، فقتل علي الوليد وقتل حمزة عتبة واختلف

عبيدة وشيبة بضربتين كلاهما أثخن صاحبه، فكرّ حمزة وعلي بأسيافهما على شيبة فدنفا عليه واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه، وكانت الضربة التي أصابت عبيدة في ركبته فمات منها لمّا رجعوا بالصفراء وقبره معروف بين الصفراء والحمراء، ولمّا احتملوا عبيدة جاؤوا به إلى النبي ﷺ ومخّ ساقه يسيل، وأضجعوه إلى جانب موقفه ﷺ، فأفرشه رسول الله ﷺ قدمه الشريف فوضع خدّه عليها، وقال له رسول الله ﷺ: «أشهد أنّك شهيد»، بعد أن قال له عبيدة: ألست شهيداً؟.

ان اقدام عتبة وشيبة والوليد علىٰ طلب المبارزة يكذب ترددهم في الحرب ويدلل علىٰ اصرارهم عليها! ومجيء حكيم بن حزام بأمه إلىٰ المعركة يظهر حقدهما العميق علىٰ الإسلام والمسلمين.ونزلت في يوم بدر: «هذان خصمان اختصموا»[1] في ستة نفر من المؤمنين والكفار تبارزوا يوم بدرٍ وهم حمزة وعبيدة وعلي عليه السلام والوليد وعتبة وشيبة[2] ونزلت فيهم آيات اخرىٰ.[3].

وسمّىٰ الكفار علياً عليه السلام يوم بدر بالموت الأحمر لشجاعته وبطولته[4].

الأخلاق الراقية في الحرب

كانت الأخلاق الحربية سيئة جدا تتمثل في تجريد القتيل من لباسه والتمثيل به مثلما فعلت هند بحمزة فخالفها النبي ﷺ وعلي عليه السلام في منهجهما .

ومع اتّصاف علي عليه السلام بالشجاعة والاقدام فإنّه يتصف بالاخلاق في الحرب فقد كتب السرّي: «كان من سيرة علي أن لا يقتل مدبراً ولا يذفف علىٰ جريح ولا

---

(١) الحج ١٩.

(٢) سنن البخاري ٦ / ٩٨، سنن مسلم ٨ / ٢٤٥.

(٣) البقرة ٢٥،ص ٢٨،الانفال ٦٤ و آل عمران ١٢٣.

(٤) المناقب، بن شهر آشوب ٢ / ٦٨.

يكشف ستراً، ولا يأخذ مالاً»[١].

ومن سيرته أن لا ينظر إلىٰ عورة كما فعل مع ابن أبي طلحة في معركة بدر وعمرو بن عبد ود العامري في معركة الخندق وعمرو بن العاص في معركة صفين وغيرهم[٢].وكان يقتل بصوته وقد بال معاوية على نفسه في معركة صفين حين دعاه علي ﷺ للمبارزة [٢].ثم قال معاوية :انَّ الجبن والفرار من علي ﷺ لا عار على أحد فيهما [٣].

لماذا لم يقتل العاص بن سعيد عمر؟

والعجيب في معركة بدر أنها كانت بين طائفتين واحدة اسلامية والثانية كافرة وفي الجانبين يوجد أفراد يودون انتصار اعدائهم اي انهم مكرهون علىٰ الحرب المذكورة فطلب رسول الله ﷺ عدم قتل بني هاشم لأنَّهم اكرهوا علىٰ الحرب.

فلم يقتل المسلمون العباس وعقيل وغيرهم.وفي الجانب الاخر أمرت قريش بعدم قتل المتعاونين معها من المسلمين بدلالة النصوص فلم يقتل العاص بن سعيد عمر بن الخطّاب[٤].وهذه الأمور عادية في معظم الحروب في العالم.

إذ قال عمر: مررت به يوم بدر فرأيته يبحث للقتال كما يبحث الثور بقرنه، وإذا شِدقاه قد أزبَدا كالوزغ، فلما رأيتُ ذلك هِبتُه ورُغتُ عنه، فقال: إلىٰ اين يا ابن الخطاب؟ وصمد له عليٌّ، فوالله ما رِمتُ مكاني حتىٰ قتلَهُ[٥].وكان الإمام علي بن أبي طالب ﷺ وسعيد بن العاص في ذلك المجلس فقال علي ﷺ لعمر: اللهم غفراً، ذهب

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٥٤٥، حوادث سنة ٣٦هـ

(٢) سيرة ابن هشام ٣/٧٨، الكامل في التاريخ ٢/١٥٢.

(٢) شرح النهج، المعتزلي ٦ / ٣١٧.

(٣) المصدر السابق .

(٤) الارشاد ١/٧٦

(٥) الأرشاد، المفيد ١ / ٧٦.

الشرك بما فيه، ومحا الإسلام ما تقدّم فما لك تَهيّج الناس! فكفّ عمر[١].

الفارّون من معركة بدر

كان المسلمون ٦١ أوسيا و ١٧٠ خزرجيا و ٨٢ مهاجرا .

والذي وصموه بالفرار في معركة بدر هو عثمان بن عفان، وقد وصفه بذلك عبد الرحمن بن عوف[٢].اذ تغيّب عثمان بن عفان عن حضور هذه المعركة، فذمّه لاحقاً ابن عوف وعلي بن أبي طالب ﷺ وطلحة بن عبد الله[٣].

وكما تغيّب عثمان عن حضور معركة بدر فقد تغيّب عن حضور بيعة الرضوان في الحديبية [٤].

وحاول الأمويون اخفاء هذا الأمر وتبريره، فقالوا: إن النبي ﷺ قد أبقىٰ عثمان عند زوجته لمرضها ونحن نعلم بأنَّ علاقته مع رقية كانت غير جيدة، ولم تكن رقية مريضة.

وافترىٰ الأمويون رواية مرض رقية في ايام معركة بدر لأمرين.

الأول: التستر علىٰ فرار عثمان في معركة بدر.

وثانياً: التستر علىٰ قضية اغتيال عثمان لرقية بعد معركة احد ![٥].

وإنّ فرار عثمان في المعارك اللاحقة يكشف عن هويته الجهادية، قال عبدالرحمن بن عوف مخاطباً عثمان:

---

(١) المصدر السابق.

(٢) تفسير ابن كثير ١/٦٥٧.

(٣) المثالب، ابن الكلبي ١٨٢، أنساب الاشراف ١ / ٣٢٦.

(٤) مسند أحمد ١ / ٦٨، البداية والنهاية ٧ / ٢٠٧، شرح النهج ١٥ / ٢١، ٢٢، الغدير ٩ / ٣٢٧، مغازي الواقدي ١ / ٢٧٨، الدر المنثور ٢ / ٨٩، الرياض النضرة ٢ / محاضرات الادباء للراغب ٢ / ١٨٤، المستدرك ٣ / ٩٨.

(٥) راجع ذلك في موضوع معركة احد.

أبلغه عنّي أنّي لم أغِب عن بدر، ولم أفِرّ يوم عيين (أحد)[١].

وتبعاً لأوامر معاوية في إيجاد مناقب للخلفاء ومنع ذكر علي عليه السلام فقد جاء: ان علياً قال: من أشجع الناس؟

قالوا: أنت. قال أشجع الناس أبو بكر، لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وآله عريشاً فقلنا من مع رسول الله صلى الله عليه وآله أي من يكون معه لئلا يهوي إليه أحد من المشركين فوالله ما دنا منا أحد إلّا أبو بكر شاهراً بالسيف[٢].

لقد حاول الراوي التمويه على كذبه بذكر الرواية على لسان علي عليه السلام! وإلّا فهزائم أبي بكر في الحروب واضحة ومعروفة عند كُتّاب السيرة، واعترف أبو بكر بهزيمته في أحد باكياً كما سترى، وان النبي صلى الله عليه وآله أعرض عن قولي أبي بكر وعمر في معركة بدر[٣]، الداعين للهزيمة. ولم يشاركا في معركة بدر وانحرفا جانباً وفرَّ عثمان.

وقد تغيب عن معركة بدر عثمان بن عفان وطلحة بن عبدالله وسعيد بن زيد[٤].

ولاخفاء قضية فرار طلحة وسعيد قالوا:ان الرسول صلى الله عليه وآله اعطاهما من غنائم بدر. لكن السيوطي انكر ذلك قائلاً:وضرب صلى الله عليه وآله سهما لعثمان يوم بدر، ولم يضرب لأحد غاب غيره[٥].

ولكننا اثبتنا فرار عثمان ايضاً:اذ قال علي عليه السلام لعثمان وطلحة وباقي أهل الشورى: أفيكم أحد كان له سهم في الحاضر وسهم في الغائب؟

قالوا: لا[٦].

---

(١) تاريخ المدينة المنوّرة، ابن شبة ٣/١٠٣٣ طبع مكة.

(٢) السيرة الحلبية ٢/١٥٦.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير ٣/٣٢١.

(٤) عيون الأثر ١/٣٢٥، سيرة ابن حبان ١/١٨٢.

(٥) السيرة الحلبية ٢ / ١٨٥.

(٦) اللآلىء المصنوعة ١ / ٣٦٢ ترجمة الإمام علي عليه السلام من تاريخ ابن عساكر بتحقيق المحمودي ٣ / ٩٣، الضعفاء الكبير ١ / ٢١١، ٢١٢.

وعيَّر عبد الرحمن بن عوف عثمان من فراره في بدر، وهو الذي آخى الرسول ﷺ بينه وبين عثمان قائلاً: إنّي لم افر يوم عينين (احد) ولم اتخلف يوم بدر وبيعة الرضوان[1] وفرَّ عثمان مرّة ثانية في أحد وثالثة في بيعة الرضوان فأحبّته قريش وولعت به.

وقال عثمان للناس عند عبد الله بن مسعود: قدمت عليكم دويبة سوء، من يمشي علىٰ طعامه يقيء ويسلح.

فقال ابن مسعود: لست كذلك ولكن صاحب رسول الله ﷺ يوم بدر ويوم بيعة الرضوان[2] يعرض بفراره في بدر.

وهناك صحابيان آخران اعترضا علىٰ عثمان فراره في بدر واحد والرضوان[3].

والأكاذيب التي طرحت لمواجهة هذا الأمر صنعوها ونشروها في زمن الحكم الأموي فقالوا زيفاً:

تخلف لمرض رقية، ولما وجدوا هذا لا ينفع قالوا تخلف لمرضه بالجدري[4].

وكانت أُم أبي امامة بن ثعلبة مريضة فأمره النبي ﷺ بالمقام عند أُمه، وضرب له بأجره وسهمه، فرجع ﷺ من بدر.

وقد توفيّت فصلىٰ رسول الله ﷺ علىٰ قبرها[5] فسرق الأمويون هذه الرواية لصالح عثمان!

---

(١) مسند أحمد ١ / ٦٨، البداية والنهاية ٧ / ٢٠٧، شرح النهج ١٥ / ٢١، ٢٢، الغدير ٩ / ٣٢٧، مغازي الواقدي ١ / ٢٧٨، الدر المنثور ٢ / ٨٩، الرياض النضرة ٢ / محاضرات الادباء للراغب ٢ / ١٨٤، المستدرك ٣ / ٩٨.

(٢) يعرض بعثمان الذي فرَّ فيهما، راجع الغدير ٩ / ٣، أنساب الاشراف ٥ / ٣٦.

(٣) سنن البخاري ٦ / ١٢٢، البداية والنهاية ٧ / ٢٠٧، المستدرك، الحاكم ٣ / ٩٨، مسند أحمد ٢ / ١٠١، الغدير ١٠ / ٧٠، الجامع الصحيح للترمذي ٥ / ٦٢٩، الرياض النضرة ٢ / ٩٤.

(٤) السيرة الحلبية ٢ / ١٤٦، ١٨٥.

(٥) اسد الغابة ٥ / ١٣٩، الإصابة ٤ / ٩، السيرة الحلبية ٢ / ١٤٧، الإستيعاب بهامش الإصابة ٤ / ٤.

واشترك عموم الصحابة في معركة بدر الكبرىٰ في السنة الثانية في السابع عشر من رمضان وهي أول معركة للمسلمين ضدّ كفّار قريش ،وكان في الصف المعادي أبو سفيان ومعاوية وابن العاص وخالد.

وكانت هذه الحرب مناسبة جيدة لأحتكاك قريش بالمهاجرين والانصار...

ولم يؤمّر رسول الله ﷺ علىٰ علي عليه السلام احداً[1]،وكان حامل الراية في معركة بدر علي بن أبي طالب عليه السلام[2].وساهمت الملائكة في المعركة إلىٰ جانب المسلمين، واشتاق المسلمون إلىٰ الجنّة ودعا رسول الله لهم بالنصر وحثىٰ التراب في عيون الكفرة قائلاً:شاهت الوجوه. وقال عمير بن الحمام: لئن حييت حتىٰ آكل تمراتي انها لحياة طويلة ثم رمىٰ التمرات من يده وقاتل حتىٰ قُتِل[3].

وتخلّف عن معركة بدر ايضا اسيد بن حضير الاوسي [4]،وهو من رجال السقيفة !

الأسرى

ومن ضمن الأسرى كان العبّاس بن عبدالمطّلب وعقيل بن أبي طالب وفيهم شياطين قريش مثل عقبة بن أبي معيط ، الذي أمر رسول الله ﷺ بقتله [5].

والقسم الثاني من الأسرى أطلق سراحهم مقابل فداء دفعه أهلهم مثل الوليد بن الوليد المخزومي. ومنّ ﷺ على الآخرين فأطلق سراحهم منهم أبو عزّة عمرو

---

(١) المناقب، ابن شهر آشوب ٤ / ٢٢٣، البحار ٤٧ / ١٢٧.

(٢) المستدرك، الحاكم ٣ / ١١١، ١٣٧، المناقب، الخوارزمي ١ / ٢٢، الأرشاد، المفيد ٢ / ٤٨، ذخائر العقبىٰ ٧٥، تاريخ الخميس ١ / ٤٣٤، أسد الغابة ٤ / ٢٠، انتساب الاشراف ٢ / ١٠٦ حياة الصحابة ٢ / ٥١٤.

(٣) تاريخ ابن الاثير ٢ / ١٢٦، سيرة ابن هشام ٢ / ٢٧٩.

(٤) شرح النهج، المعتزلي، ١٤ / ١٨٦ ،عيون الاثر ،ابن سيد الناس ١ / ٣٢٥ ،سيرة ابن حبان ١ / ١٨٢ .

(٥) طبقات الشعراء، ابن سلام ٦٤، ٦٥.

الجمحي الشاعر الذي كان يؤذي رسول الله ﷺ بشعره فحرره لعياله وأخذ عليه عهداً أن لا يظاهر عليه أحداً.

ولمّا وصل مكّة قال: سحرت محمّداً، ورجع لما كان عليه من الإيذاء بشعره !ولمّا كان يوم أُحد خرج مع المشركين يحرّض على قتال المسلمين ،فأُسر فأمر النبي ﷺ بضرب عنقه.

فقال: اعتقني وأطلقني فإنّي تائب.

فقال ﷺ: لا يلدغ المؤمن من جحر مرّتين، فضربت عنقه[1].

وأطلق ﷺ سراح الأسيرة الوحيدة أُمّ حكيم بنت حزام ثمّ أسلمت وبايعت عند فتح مكة فهي من الطلقاء وهي والدة حكيم بن حزام[2].

وعن عبدالرحمن بن عوف قال: لقيت أُميّة بن خلف وكان صديقاً لي في الجاهلية ومعه ابنه علي آخذاً بيده، وكان معي أدراع استلبتها من القوم فأنا أحملها، فلمّا رآني أُميّة ناداني باسمي الأوّل ياعبد عمرو، فلم أجبه، فناداني ياعبد الإله فأجبته، وذلك أنّه كان قال لي: لمّا سمّاني رسول الله ﷺ عبدالرحمن أترغب عن اسم سمّاك به أبوك؟ فقلت: نعم، فقال: الرحمن لا أعرفه ولكنّي أُسمّيك بعبد الإله، فلمّا ناداني بعبد الإله قلت نعم.

ثمّ قال: هل لك فيّ فأنا خير لك من هذه الأدراع التي معك؟ قلت: نعم، فطرحت الأدراع من يدي وأخذت بيده وبيد ابنه علي وهو يقول: ما رأيت كاليوم قطّ، ثمّ قال لي: ياعبد الإله من الرجل منكم المعلّم بريشة نعامة في صدره أي كانت في درعه بحيال صدره؟

قلت: ذلك حمزة بن عبدالمطلّب، قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل.

قال عبدالرحمن: ثمّ خرجت أمشي بهما، فوالله إنّي لأقودهما إذ رآه بلال معي،

---

(١) سيرة ابن دحلان ١/٣٤٧، سيرة ابن حبّان ١/١٨٤.

(٢) السيرة النبوية، أبو حاتم ١/١٧٩.

وكان هو الذي يعذّب بلالاً بمكّة على أن يترك الإسلام كما تقدّم، فقال بلال: ياأنصار رسول الله ﷺ هذا أُميّة بن خلف رأس الكفر لا نجوت إن نجا، فقلت: يابلال أبأسيرى تفعل ذلك؟ قال: لا نجوت، إن نجا، فأحاطوا بنا، فأصلت بلال السيف (أي سلّه من غمده) وضرب رجل علي بن أُميّة، فوقع وصاح أُميّة صيحة ما سمعت مثلها قطّ وقَتَلَ أمية بن خلف[١].

وقُتِل من سادات قريش سبعون رجلاً وأُسِر منهم سبعون رجلاً،، وأخذ الفداء من ثمانية وستّين رجلاً، وإفتدى العبّاس نفسه وابني أخيه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث وحليفاً لهما من بني فهر.

وقال رسول الله في الليلة التي بات فيها العبّاس أسيراً: لقد أسهرني أنين العبّاس عمّي في القدّ منذ الليلة.

ومن الاسرىٰ مالك بن عبيد الله أخو طلحة فمات أسيراً، واسر من بني مخزوم وحلفائهم أربعة وعشرون رجلاً، ومن بني عبد شمس وحلفائهم اثنا عشر رجلاً منهم أبو العاص بن الربيع زوج زينب ربيبة رسول الله ﷺ وعمرو بن أبي سفيان،[٢].

وكان الفداء من ألف إلىٰ اربعة الاف درهم علىٰ قدر أموالهم، والأسير الذي ليس عنده مال دفع اليه رسول الله ﷺ عشرة غلمان من غلمان المدينة يعلمهم، فاذا حذقوا فهو فداؤه[٣].

وهذا أعظم دليل علىٰ دعم رسول الله ﷺ للعلم إذ اعطاه مكانة عظيمة لم تكن معروفة في ذلك الزمان.

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/٢٥٧ ـ ٢٦٠، سيرة ابن دحلان ١/٣٠٧ ـ ٣٢١، البدء والتاريخ، البلخي ٢/٧٣ ـ ٧٩، تاريخ الطبري ٢/١٣١ ـ ١٦٠، البداية والنهاية ٣/٣١٣ ـ ٣٨٣، تاريخ ابن الأثير ٢/١١٦ ـ ١٣٦.

(٢) عيون الأثر، ابن سيد الناس ١ / ٣٧٣، تاريخ ابن الاثير ٢ / ١٣٣، المغازي، الواقدي ١ / ١٣٠.

(٣) عيون الأثر ١ / ٣٧٣.

وبلّغ رسول الله ﷺ والمسلمون الإسلام هؤلاء الأسرىٰ فأسلم العباس، وعقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب والوليد بن الوليد بن المغيرة والظاهر أن إسلامهم كان سرّاً إذ لا تقبل قريش بوجود مسلمين بين صفوفها[1].

وكان سهيل بن عمرو الأسير مقروناً إلىٰ ناقة النبي ﷺ ففر منه علىٰ اميال من المدينة والقي القبض عليه[2] ومن عادة رسول الله ﷺ وامير المؤمنين علي ﷺ ان لا يقتلا مدبراً[3].

وفي الأسرىٰ أمية بن خلف وابنه فقتلهما المسلمون لأفعالهما السيئة السابقة[4]. دون علم النبي ﷺ.

وكانت العلاقة بين عمر والعباس قد ساءت بعد البعثة الإسلامية لان عمر من المؤذين للرسول ﷺ والمسلمين والعباس من المدافعين عنه ﷺ، ومثلما ضرب حمزة أبا جهل لأذيّته النبي ﷺ فقد صفع العباس عمرَ دفاعاً عن النبي ﷺ[5] ،ومن يومها اشتدَّت العداوة بين عمر والعباس، ولما أسر المسلمون العباس في معركة بدر قال عمر: يا رسول الله دعني حتىٰ أقتله[6].

وكان النبي ﷺ قد نهىٰ عن قتل بني هاشم لأنّهم مكرهون علىٰ الحرب في بدر، ولما فشل عمر في محاولة قتل العباس في الأسر فقد حاول الأنتقام منه من طريق آخر إذ تولّىٰ شدَّ وثاقه.

فقال العباس له: ما يحملك علىٰ شدِّ وثاقي إلّا لطمي إياك في رسول الله ﷺ، فسمع رسول الله ﷺ أنين العباس، فقالوا: يارسول الله مايمنعك من النوم؟

---

(١) السيرة الحلبية ٢ / ١٩٩، عيون الأثر ١ / ٣٧٤، المغازي، الواقدي ١ / ١٤٠.

(٢) حقائق التأويل ٥ / ١١١.

(٣) تاريخ الطبري ٣ / ٥٤٥.

(٤) تاريخ ابن الاثير ٢ / ١٢٨.

(٥) كنز العمال ٥ / ٢٧٢ ح ٥٣٩١.

(٦) تاريخ عمر بن الخطاب، ابن الجوزي ٧.

فقال رسول الله ﷺ: وكيف أنام وأنا أسمع أنين عمي العباس فأطلقه الأنصار(١).

ولما وضع رسول الله ﷺ عمر على السعاية أتى العباس في صدقة ماله فضيّق عليه عمر. وفي زمن حكمه استولى عمر على بيت العباس غصباً واضافها إلى مسجد رسول الله ﷺ(٢).

وقالت سودة أُم المؤمنين لأسرى قريش كلاماً سيّئاً جاء فيه: أعطيتم بأيديكم كما تفعل النساء ألا متم كراماً.

فقال رسول الله ﷺ يا سَوْدة أعلى الله ورسوله تحرّضين؟(٣) وكانت صديقة لعائشة فأعطت يومها وليلتها لعائشة(٤).

القتلى

وعن قتلى المشركين قال الواقدي: «فجميع من يحصى قتله تسعة واربعون رجلاً (في معركة بدر) منهم من قتله أمير المؤمنين علي ؑ، وشرك في قتله اثنان وعشرون رجلاً»(٥) وقالوا قتل منهم سبعون واسر سبعون(٦).

ومن الذين قتلهم علي بن أبي طالب ؑ في بدر كان نوفل بن خويلد من شياطين قريش وهو أخو خديجة، وعمير بن عثمان التيمي، وعبد الله بن المنذر المخزومي، والعاص بن منبه بن الحجاج، وأبو العاص بن قيس السهمي(٧). وحنظلة بن أبي سفيان، والعاص بن سعيد بن العاص، وعامر بن عبد الله، وعقيل بن الأسود بن

---

(١) كنز العمال ٥ / ٢٧٢ ح ٥٣٩١.

(٢) الطبقات، ابن سعد ٤ / ٢١.

(٣) تاريخ ابن الأثير ٢ / ١٣١.

(٤) الإصابة ٤ / ٣٣٨.

(٥) مغازي الواقدي ١/١٥٢.

(٦) دلائل النبوة ٣/١٢٤.

(٧) تاريخ ابن الوردي ١/١١٠.

المطلب، والنضر بن الحارث بن كلدة، وزيد بن مليص، وعمير بن عثمان بن تيم، ويزيد بن تميم، وأبو قيس ابن الوليد، ومسعود بن أبي أمية، وعبد الله ابن أبي رفاعة، وحاجب بن السائب بن عويمر، واوس بن المغيرة بن لوذان، ونبيه بن الحجاج[1]. وأبو مسافع الأشعري، وقيس ابن الفاكه ابن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، ومعاوية بن عامر[2]، وعبيدة بن سعيد بن العاص[3]. وطعيمة بن عدي والوليد بن عتبة وشيبة بن ربيعة، ولوذان بن ربيعة، وعاصم بن أبي عوف[4]،والحارث بن زمعة، وعثمان بن عبيد الله، أخو طلحة بن عبيد الله، وحذيفة بن أبي حذيفة بن المغيرة، وعمرو بن مخزوم، ومنبه بن الحجاج السهمي، وعلقمه بن كلدة، وهشام ابن أبي أمية بن المغيرة فذلك خمسة وثلاثون رجلاً[5] وقتل المسلمون خمسة وثلاثين رجلا [6].

فقال ابن اسحاق: أكثر قتلىٰ المشركين يوم بدر كان بيد علي عليه السلام[7]

وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بقبر قتلىٰ المشركين السبعين في القليب وردمها عليهم.

وحزن أهالي القتلىٰ المشركين لكن أبا سفيان منعهم من البكاء ومنع الشعراء من ندب القتلىٰ لئلا يخفف ذلك من غيظهم.

وشرب ابو بكر وعمر الخمر بعد بدر وكانت محرمة أساساً في أول البعثة[8]

---

(١) مغازي الواقدي ١/١٥٢.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٣٧٤.

(٣) تاريخ أبي الفداء، عماد الدين أبو الفداء ١/١٨٩.

(٤) وسعيد بن وهب حليف بني عامر وعبد الله بن جميل، والسائب بن مالك وأبو الحكم بن الأخنس، الأرشاد ١ / ٧١، ٧٢. المغازي، الواقدي ١ / ١٤٧ - ١٥٢.

(٥) الأرشاد، المفيد ١/٧٢.

(٦) وقتل علي عليه السلام سبعة وثلاثين كافراً كما هو مثبت هنا.

(٧) المناقب، ابن شهر آشوب ٣ / ١٢٠، البحار ١٩ / ٢٩١.

(٨) البحار ٢ / ١٢٧، الوسائل العشرة ج٨ باب ١٢٦، الغدير ٧ / ١٠١، مجمع الزوائد ٥ / ٥٣. الكافي ٦ / ٢٩٥.

استمراراً لفعل الجاهلية وقالا هذا الشعر في رثاء قتلىٰ بدر من الكفار

وكائن بالقليب قليب بدر ... من الفتيان والعرب الكرام
أيوعدنا ابن كبشة أن سنحيا ... وكيف حياة أصداء وهام
أيعجز أن يرد الموت عنّي ... وينشرني إذا بليت عظامي
فقل لله يمنعني شرأبي ... وقل لله يمنعني طعامي[1]

وحقد معاوية علىٰ أهل بدر فرفض تحكيمهم قائلاً: لا أحكم رجلاً من أهل بدر[2] فأرسل عمرو بن العاص المحارب لأهل بدر.

وانتقم يزيد ين معاوية لقتلىٰ بدر فقتل الحسين بن علي عليه السلام وصحبه وسبي عائلة رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يكتف القرشيون بثأرهم في معركة احد وما فعلوه بحمزة وباقي الشهداء إذ قال يزيد بن معاوية:

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلو واستهلوا فرحاً ... ثم قالوا يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من ساداتهم ... وعدلناه ببدر فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فلا ... خبر جاء ولا وحي نزل
لست من خندف إن لم انتقم ... من بني أحمد ما كان فعل[3]

واستشهد من المسلمين اربعة عشر رجلاً ستة من المهاجرين[4].

الغنائم

(١) اسباب النزول، الواحدي، واخرجه الطبري في تفسيرهما لآية «لا تقربوا الصلاة وانتم سكارىٰ» ٢/٢٠٣، ٢١١.

(٢) أنساب الاشراف ٣/ ٢٣.

(٣) اللهوف ٧٥، ٧٦.

(٤) المغازي، الواقدي ١ / ١٤٥.

وتمثلت الغنائم في مئة وخمسين من الأبل وثلاثين فرساً وسلاحاً ومتاعاً وانطاعاً وادماً كثيراً[١] ولم يأخذ رسول الله ﷺ وأهل بيته شيئاً من الخمس لحاجة الناس إلىٰ تلك الغنائم، قيل وأول خمس أخذه في غزوة بني قـنيقاع[٢] وقـالوا حـتىٰ في الوقائع الأخرىٰ لم يأخذ ﷺ الخمس، وهـو مـردود عـليهم[٣] ولم يأخـذ عـلي والحسنان ﷺ الخمس في خلافة أبيهم ﷺ[٤] والصحيح انهم اخذوا الخـمس وهـو حقهم بمقدار حاجتهم. ويعاد فائض الخمس من حق السادة على عموم المسلمين .

الدلائل والعبر

وفرح النجاشي بهذا الانتصار وأخبر المسلمين في الحبشة به[٥]، ولقـد انـتصر المسلمون علىٰ الكافرين وهم ثلث عددهم لمعنوياتهم العـالية وهـدفهم السـامي ورغبتهم في الشهادة وإيمانهم بقيادتهم الراقية.

وكان أوّل من قدم مكّة وخبّر بخبر قريش ومن قتل منها عـمرو بـن جـحدم الفهري.

وبعد بدر بتسعة أيام مات أبو لهب بالعدسة (مرض خبيث معدي) فبقي ثـلاثة أيام دون دفن فازكمت الانوف جيفته فطرحوا عليه حائط[٦].

وأعزّ الله نبيّه وقتل من قريش من قتل، فأوفدت العرب وفودها إلى رسول الله، وحاربت ربيعة كسرى وكانت وقعتهم بذي قار.

---

(١) تاريخ ابن الأثير ٢ / ١١٨، السيرة الحلبية ٢ / ١٨٣، مغازي الواقدي ١ / ١٠٢، ١٠٣.

(٢) الثقات، ابن حبان ١ / ٢١١.

(٣) الأموال، أبو عبيد ٤٤٤، ٤٤٧، مسند أحمد ٥ / ٣١٦، ٣١٩، الفتوح، ابن اعثم ٢ / ٢٢٢، الموطأ ٢ / ١٤.

(٤) السنن الكبرىٰ ٦ / ٣٦٣.

(٥) السيرة النبوية لابن كثير ٢ / ٤٧٦ - ٤٧٧.

(٦) تاريخ ابن الاثير ١ / ١٣٢.

فقالوا: عليكم بشمار التهامي، فنادوا: يامحمّد، يامحمّد؛ فهزموا جيوش كسرى وقتلوهم. فقال رسول الله: اليوم أوّل يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبي نصروا. وكان يوم ذي قار بعد وقعة بدر بأشهر أربعة أو خمسة.

واشتد حقد قريش علىٰ بني هاشم لقتلاهم في بدر والمعارك الاخرىٰ إذ قال العباس لرسول الله ﷺ ما لنا ولقريش، يلقىٰ بعضهم بعضاً بوجوه مشرقة، فإذا لقونا لقونا بغير ذلك. فغضب رسول الله ﷺ وقال: لا يدخل قلب امرء الايمان حتىٰ يحبكم لله ولرسوله[1]. وشكىٰ امير المؤمنين علي عليه السلام من قريش أنهم قطعوا رحمه ومالأوا عليه عدوه.

وأهان عمر أهل بدر بحشر أبي سفيان ومعاوية معهم في العطاء[2].

---

(١) مجمع الزوائد ٩ / ٢٦٩، المستدرك، الحاكم ٣ / ٣٣٢.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٠٦، الإستيعاب، ٣ / ٤٧١.

الوقائع بعد معركة بدر

معركة ذي قار

وهي أول معركة تنتصر فيها العرب علىٰ الدولة الكسروية وفي هذه السنة ايضاً غلبت الروم علىٰ فارس[1]. وكان مع كسرىٰ بعض العرب برئاسة اياس بن قبيصة الطائي الذي كان ملكاً على الحيرة بعد النعمان بن المنذر المقتول بأمر كسرىٰ وتحت يديه طييء واياد وبهراء وقضاعة والعباد وتغلب والنمر بن قاسط.

وكان سبب المعركة مطالبة كسرىٰ بتركة النعمان بن المنذر وكان النعمان قد خلّفها وخلف ابناً وبنتاً عند هاني بن قبيصة بن هاني بن مسعود الشيباني. وتواطأت العرب علىٰ العجم فطارت اياد عن العجم حين تشاجرت الرماح كأنهم منهزمون، وقُتل الهامرز وخلابزر عامل كسرىٰ، وبسبب ما صنع قيس بن مسعود (عامل كسرىٰ علىٰ الطف من خيانة للعجم) استدرجه كسرىٰ وقتله .وفي تلك المعركة تبعت بكر بن وائل جنود العجم يقتلونهم[2]، وكانت الوقعة بعد منصرف النبي ﷺ من معركة بدر، وقالت ربيعة: عليكم بشعار التهامي يا محمد يامحمد فهزموا جنود كسرىٰ وقتلوهم.

قال رسول الله ﷺ عن معركة ذي قار: أول معركة انتصف فيها العرب من

---

(١) تاريخ الخميس ١ / ٤٠٦.

(٢) معجم قبائل العرب، كحالة ١ / ٩٧، الأغاني ٢٠ / ١٣٢ – ١٣٨، العمدة، ابن رشيق ٢ / ١٦٩.

العجم وبيَّ نصرو. فقتلوا عامل كسرىٰ وحصلوا علىٰ غنائم كثيرة[1] وذي قار ماء لبكر بن وائل قريب من البصرة، وأتباع الحزب القرشي في عصرنا الحاضر يصفون شعار يا محمد بانه شرك؟!

لقد كانت مجاميع كبيرة من قيادات وجنود بكر بن وائل تعتقد برسول الله ﷺ وهذا الأعتقاد هو الذي دفعها للمناداة في تلك الحرب يا محمد يامحمد وهذا الشعار هو الذي نصرها علىٰ الفرس. وكانت الحروب السابقة دائماً تنتهي بأنتصار الفرس.

وذلك الأعتقاد الديني الجيد هو الذي دفع هذه القبيلة للدخول في الإسلام مبكراً وذلك في السنة التاسعة للهجرة.

وفي حرب فتح العراق شاركت قبيلة بكر بن وائل وكان عددهم ستة آلاف، وفي حروب الجمل انقسمت إلىٰ قسمين، ثم صارت بكر بن وائل من أنصار الإمام علي بن أبي طالب وشيعته[2].

زواج علي ؑ من فاطمة ؈

تزوج علي ؑ وعمره خمس وعشرون سنة وتزوجته فاطمة ؈ وعمرها تسع سنين وكان الله سبحانه هو الذي أمر بزواج فاطمة من علي ﷺ إذ جاء عن النبي ﷺ: والذي بعثني بالحق، ما تكلمت في هذا حتى أذن لي الله فيه من السماء.

فقالت فاطمة ؈: لقد رضيت ما رضي الله ورسوله[3].

وقال عمر بن الخطاب: نزل جبريل فقال: يا محمد إنَّ الله يأمرك أنْ تزوج فاطمة ابنتك من علي[4].

---

(١) طبقات ابن سعد ٧ / ٧٧، طبقات خليفة ٨٧، العلل، أحمد بن حنبل ١٢٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) كنز العمال ١٥/٩٥، السيرة الحلبية ٢/٢٠٦، مستدرك الحاكم ٣/١٢٩.

(٤) شرح نهج البلاغة، المعتزلي ٩/١٩٣، ذخائر العقبى ١٦٩.

وقال النبي ﷺ لفاطمة ؛: فوالله ما زوَّجتكِ أنا، بل اللهُ زوجك به...»[١].

وقال العلامة المعتزلي: إنَّ إنكاحه (علياً) إيّاها ما كان إلّا بعد أن انكحه الله تعالى ايّاها في السماء بشهادة الملائكة[٢].

وكان النبي ﷺ قد قال: لو لم يُخلق علي ما كان لفاطمة كفوٌ[٣].

ويذكر أن فاطمة ؛ هي البنت الوحيدة للنبي ﷺ، أما زينب ورقية فهن ربائب النبي ﷺ كما سبق بيانه.

لذلك رغب الصحابة في الزواج منها مع وجود زينب (بعد طلاقها من أبي العاص).

وقال عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: كل نسب وسبب ينقطع يوم القيامة ما خلا سببي ونسبي، وكل بني انثىٰ فعصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فاني أبوهم، وانا عصبتهم[٤].

.وبيَّن الله تعالى منزلة بعض الصحابة بشكل واضح في قضية الزواج من فاطمة بنت رسول الله ﷺ، إذ قال النبي ﷺ: فاطمة سيدة نساء العالمين وفاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة[٥]، ولأجل تلك المنزلة السامية لفاطمة ؛ فقد رفض النبي ﷺ طلب أبي بكر وعمر بن الخطاب وعبدالرحمن بن عوف الزواج منها[٦].

---

(١) مناقب الخوارزمي ٢٠٥، ٢٠٦.

(٢) شرح نهج البلاغة ٩/١٩٣.

(٣) كشف الغمة ٢/٩٨، كنوز الحقائق للمناوي بهامش الجامع الصغير ٢/٧٥ عن الفردوس للديلمي. حياة الإمام الحسين ؛ للقرشي ١ / ١٥.

(٤) ذخائر العقبى ١٦٩.

(٥) سنن البخاري ٥ / ٢٥، ٣٦، سنن الترمذي ٥ / ٣٧٨١، مسند أحمد ٥ / ٣٩١.

(٦) مستدرك الحاكم ٢/١٦٧، صحيح ابن حبان (مخطوطة في مكتبة قبو سراي في استانبول طبقات ابن سعد ٨/١١ تاريخ الخميس ١/٣٦١، سنن النسائي ٦/٦٢، أسد الغابة ٥/٥٢٠، شرح نهج البلاغة ١٣/٢٢٨، كنز العمال ١٥/١٩٩، ٢٨٦، خصائص أمير المؤمنين ، النسائي ١١٤، تذكرة الخواص ٣٠٦.

وتدل هذه المناقب على فضل علي ﷺ على باقي المسلمين، ومنزلته السـامية في الأرض والسماء، التي لا يسبقه فيها إلاّ محمد المصطفى ﷺ. وهذه الفضائل الحميدة لوصي المصطفى متواترة وصحيحة السند وتختلف عن المـناقب المـزيفة للشـيوخ الثلاثة التي أمر بها طغاة بني أمية لدحر منزلة أهل بيت النبي ﷺ، ورفع مـنزلة أفراد الحزب القرشي! جاء في اللآلئ المصنوعة عن العقيلي والطبراني معا: خطب أبو بكر وعمر فاطمة فقال النبي ﷺ (لعلي): هي لك لَستَ بدجال.[١]

وقوله ﷺ فيه تعريض بالشيخين لذلك هاج ابن الجـوزي فـقال: مـوضوع، موسى (الراوي) من الغلاة في الرفض. لكـن السـيوطي قـال: روى له أبـو داود (صاحب السنن) ووثقه ابن معين وأبو حاتم والهيثمي. فألقم ابن الجوزي حجراً!

وتزوّج الإمام علي بن أبي طالب ﷺ بفاطمة الزهراء ﷺ وعمرها تسع سنين، في السنة الثانية للهجرة[٢].

ولمّـا عـتب الخـاطبون عـلى النـبي ﷺ لرفـضه زواجـهم بـفاطمة ﷺ قـال رسول الله ﷺ: والله ما أنا منعتكم وزوّجته، بل الله منعكم وزوّجه[٣].

فيكون هذا الزواج بين سيّد المسلمين ﷺ وسيّدة نساء العالمين ﷺ بأمر من الله سبحانه وتعالى، فجاءت تلك الذريّة الصالحة التي تبدأ بالحسن ثمّ الحسين، وتختم بمهدي هذه الأمّة ﷺ[٤].

وكانت فاطمة ﷺ طاهرة بنصّ القرآن الكريم وكلمت امها في بطنها ولم ترَ دماً قط في حيض ولا نفاس[٥].

---

(١) مجمع الزوائد، الهيثمي ٩ / ٢٠٤، طبقات ابن سعد ٨ / ١٢، الإصابة ١ / ٣٧٤.

(٢) تاريخ الخميس ١/٤١١.

(٣) البحار ٤٣/١٤١ ـ ١٤٥، كشف الغمّة ٢/٩٨.

(٤) مستدرك الحاكم ٣ / ١٣٧، الإصابة ٢ / ٢٧٤ صحيح البخاري ٣ / ١١٢٦، صحيح مسلم ٤ / ٢٩.

(٥) اللآلئ المصنوعة ١/٢٠٥، ذخائر العقبى ٢٦/ تاريخ القرماني ٨٧.

إغلاق أبواب المسجد باستثناء بابين

رواية سد الأبواب في المسجد من الروايات الصحيحة، جاء في الإصابة:

لمّا أمر الرسول ﷺ بسد الأبواب التي في المسجد شقّ عليهم. قال حبة: إني لأنظر إلىٰ حمزة بن عبد المطلب، وهو يجر قطيفة حمراء، وعيناه تذرفان يقول: أخرجت عمّك، وأبا بكر وعمر والعباس واسكنت ابن عمّك[1]...

وعن أبي الطفيل في حديث مناشدة علي عليه السلام للمجتمعين يوم الشورىٰ قال علي عليه السلام: سد النبي أبواب المهاجرين وفتح بابي، حتىٰ قام إليه حمزة والعباس فقالا: يا رسول الله سددت أبوابنا وفتحت باب علي؟

فقال النبي ﷺ: ما أنا فتحت ... بل الله فتح [2].

وجاء في رواية بأنّ حمزة ورقية كانا علىٰ قيد الحياة عند سد الأبواب، وإنّ أبا بكر وعمر قد سدّا بابيهما، ثمّ أرسل إلىٰ عثمان (وعنده رقية).

فقال عثمان: سمعاً وطاعة وسد بابه.

فقال النبي ﷺ لعلي عليه السلام: أُسكن طاهراً مطهّراً، فبلغ حمزة قول النبي ﷺ لعلي، فقال: يا محمد تخرجنا وتمسك غلمان بني عبد المطلب؟

فقال له نبي الله: لا، لو كان الأمر لي ما جعلت من دونكم من أحد، والله ما أعطاه إياه إلّا الله، وإنك لعلىٰ خير من الله ورسوله، أبشر فبشّره النبي ﷺ فقُتِل يوم أُحد شهيداً[3].

وعن الإمام علي بن أبي طالب: لمّا أمر رسول الله ﷺ بسد الأبواب التي في المسجد خرج حمزة يجرّ قطيفة حمراء وعيناه تذرفان وهو يبكي.

---

(١) الإصابة ١/٣٧٣، الدر المنثور ٦/١٢٢.

(٢) مناقب الخوارزمي الحنفي ٢٢٥.

(٣) مناقب الإمام علي لابن المغازلي ٢٥٤، ٢٥٥، كشف الغمة ١/٣٣١ـ٣٣٢.

فقال ﷺ: ما أنا أخرجتك، وما أنا اسكنته، ولكنّ الله اسكنه[1].

فالظاهر أنّ سد الأبواب قد حدث قبل السنة الثانية للهجرة أي قبل معركة احد التي قُتِل فيها حمزة، وهناك روايات جاء فيها اسم العباس إلىٰ جنب اسم حمزة، مما يؤكد وقوع الحادثة بعد معركة بدر العظمى بعد أسر العباس بن عبدالمطلب فيها.

ومن المؤكّد إغلاق النبي ﷺ لأبواب أصحابه المشرعة على المسجد في وقت مبكر بعد هجرته إلى المدينة لحرمة دخول الجنب إلى المسجد المطهر واستثناء علي بن أبي طالب عليه السلام ونفسه ﷺ من ذلك.

واستثنى الله تعالى محمدا ﷺ وعليا عليه السلام وفاطمة عليها السلام من سد الأبواب يؤكد الآية القرآنية في طهارة أهل البيت عليهم السلام:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[2]

وهذا يدعم ما ذكره النبي ﷺ لاحقاً: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، وعلي منّي مثل هارون من موسىٰ، وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي.

وقد ذكرت حادثة سد الأبواب بواسطة عشرات الصحابة منهم علي بن أبي طالب عليه السلام وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عباس وأبو سعيد الخدري وعمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمر بن الخطاب وزيد بن أرقم والبراء بن عازب، وجابر بن سمرة، وانس بن مالك وجابر بن عبد الله وابن مسعود وأبو ذر الغفاري وأُم سلمة في أمّهات الكتب الاسلامية[3]. وجاء في مسند أحمد بن حنبل من عدّة طرق: فتكلم

---

(١) رواه السمهودي في وفاء الوفاء ٢/٤٧٧، الغدير ٣/٢٠٨ عن أبي نعيم في فضائل الصحابة، اللآليء المصنوعة ١/٣٥٢، السيرة الحلبية ٣/٢٧٤، كنز العمال ١٥/١٥٥ـ١٥٦، مجمع الزوائد ٩/١١٥، مستدرك الحاكم ٣/١١٧، خصائص النسائي ٧٤، ٧٥.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣) سنن الترمذي ٥/٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، مسند أحمد ١/١٧٥، ٢/٢٦، ٤/٣٦٩، فتح الباري ٧/١٢ـ١٤، مستدرك الحاكم ٣/١١٧، ١٢٥، ١٣٤، كنز العمال ١٥/٩٦، ١٠١، ١٢٠، ١٥٥، خصائص النسائي ←

الناس فخطب رسول الله ﷺ فحمد الله واثنىٰ عليه ثمّ قال: أمّا بعد فاني أُمِرت بسد هذه الأبواب غير باب علي، فقال فيه قائلكم، واللهِ ما سددت شيئاً ولا فتحته، وإنّما أُمرت بشيٍّ فاتبعته[1].

وقال عمر بن الخطاب: لقد أوتي ابن أبي طالب ثلاث خصال لان تكون لي واحدة منهنّ أحب إليّ من حمر النعم: زوّجه رسول الله ابنته وولدت له، وسدّ الأبواب إلّا بابه في المسجد، وأعطاه الراية يوم خيبر[2].

وبالرغم من كل هذه المصادر الإسلامية المهمة عبر عشرات الصحابة فقد كذّب ابن تيمية الناصبي تلك الأحاديث[3]. دون دليل علمي إتباعاً لطريقته في طرح وتكذيب الأحاديث التي لا تنسجم مع منهجه.

ولو كذّب المبطلون الأحاديث الصحيحة باهوائهم لبطلت الأحاديث كلها! وقد ردّ ابن حجر العسقلاني قائلاً: وهذه الأحاديث (أحاديث سد الأبواب) يقوي بعضها بعضاً، وكل طريق منها صالح للاحتجاج فضلاً عن مجموعها.

وأضاف: فهذه الطرق المتظافرة من روايات الثقات تدل علىٰ ان الحديث صحيح دلالة قوية.

ـ ٧٢ـ٧٥، إرشاد الساري ٦/٨٤ـ٨٥، وفاء الوفاء، السمهودي ٢/٤٧٤ـ٤٨٠، الصواعق المحرقة ١٢١، ١٢٢، ١٢٥، حلية الأولياء ٤/١٥٣، اللآلي‌ء المصنوعة ١/٣٤٦ـ٣٥٤، أنساب الأشراف ٢/١٠٦، تاريخ بغداد ٧/٢٠٥، المناقب، الخوارزمي ٢١٤، ٢٣٥، ٢٣٨، ترجمة الإمام علي من تاريخ ابن عساكر بتحقيق المحمودي ١/٢٥٢ـ٢٨١، ٣٢٧، علل الشرائع ٢٠١، ٢٠٢، ينابيع المودة ٢٨٣، لسان الميزان ٤/١٦٥، مناقب الإمام علي لابن المغازلي ٢٥٢ـ٢٦١، الإصابة ٢/٥٠٩، تذكرة الخواص ٤١، منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ٥/٢٩، سنن البيهقي ٧/٦٥، ورواه الطبراني في الكبير والأوسط، الدر المنثور ٣/٣١٤، أخبار القضاة ٣/١٤٩، الخصائص الكبرىٰ ٢/٢٤٣، احكام القرآن للجصاص ٢/٢٤٨، السيرة الحلبية ٣/٣٧٣، ٣٧٤، ذخائر العقبىٰ ٧٦، ٧٧، ٨٧، شرح نهج البلاغة للمعتزلي ٩/١٩٥، نزل الأبرار ٣٤، ٣٥.

(١) مسند أحمد ١/١٧٥، ٢/٢٦، ٤/٣٦٩.

(٢) الصواعق المحرقة، ابن حجر، الفصل ٣ الباب ٩، وروىٰ ذلك عبد الله بن عمر بن الخطاب، المستدرك، الحاكم ٣/١٢٥.

(٣) منهاج السنة ٢/٩.

وقال: فكيف يدعى الوضع على الأحاديث الصحيحة بمجرد التوهم، ولو فتح هذا الباب لادعي في كثير من الأحاديث الصحيحة البطلان، ولكن يأبى الله ذلك والمؤمنون[١].

وقال الجويني: حديث (سد الأبواب) رواه نحو من ثلاثين رجلاً[٢].

وكتب معاوية بن أبي سفيان كتباً إلى الآفاق جاء فيها: لا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلاّ وأتوني بمناقض له في فضائل الصحابة، فإنَّ هذا أحبُّ إليَّ وأقرُّ لعيني[٣].

وتبعاً لأوامر معاوية في هذا المجال فقد روى المبطلون حديثاً مفاده «لا يبقين في المسجد باب إلاّ سد، إلاّ باب أبي بكر، أو لا يبقين في المسجد خوخة إلاّ خوخة أبي بكر...» قال ذلك ﷺ في مرضه الذي مات فيه[٤].

وقد روى هذا الحديث الموضوع إسماعيل بن عبد الله أبي اويس بن عبد الله الأصبحي، أبو عبد الله المدني.

فقال عنه ابن معين: لا يساوي فلسين، وقال هو وأبوه يسرقان الحديث.

وقال الدولابي: في الضعفاء.

وقال النضر بن سلمة: كذاب.

وقال سلمة بن شبيب: سمعته يقول: ربما كنت اضع الحديث لأهل المدينة، إذا

---

(١) القول المسدد ١٩، ٢٠، ٢٤، ٢٥، اللآليء المصنوعة ١/ ٣٥٠، فتح الباري ٧/ ١٣، ارشاد الساري ٦/ ٨٥، وفاء الوفاء ٢/ ٤٧٦.

(٢) فرائد السمطين ١/ ٢٠٨.

(٣) راجع الاستيعاب، ابن عبد البر ١/ ٦٥، الإصابة، ابن حجر ١/ ١٥٤، الكامل في التاريخ ٣/ ١٦٣، تاريخ ابن عساكر ٣/ ٢٢٢، وفاء الوفاء ١/ ٣١، النزاع والتخاصم ١٣، تهذيب التهذيب ١/ ٤٣٥، الأغاني ١٥/ ٤٤، شرح نهج البلاغة ١/ ١٦٦.

(٤) سنن البخاري باب قول النبي ﷺ: سدّوا الأبواب إلاّ باب أبي بكر بهامش فتح الباري ٧/ ١١، ١٢، سنن مسلم ٧/ ١٠٨، والبداية والنهاية ٥/ ٢٣٠.

اختلفوا في شيء.

ومن رواة الحديث فليح بن سليمان، أبو يحيى المدني، وفليح لقب غلب عليه، واسمه عبد الملك، قال ابن معين: ليس بثقة.

وقال مرة: يتّقىٰ حديثه.

وقال الطبري: ولاه المنصور على الصدقات لأنه اشار عليه بحبس بني الحسن عليه السلام، لما طلب محمد بن عبد الله بن الحسن.

وضعّفه أبو حاتم ومظفر بن مدرك والنسائي وأبو داود وأبو أحمد وعلي بن المديني.[1]

كما أن أبا بكر لم يكن عنده بيت جنب المسجد، وأنّه ليس من أهل البيت المطهرين:، ليثبت له ذلك.

ولو كان أبو بكر مطهراً بالقرآن لسمح له الرسول صلى الله عليه وآله بفتح باب على المسجد مع علي عليه السلام، ولم يؤخره تسع سنين! ولو فُتح باب أبي بكر لفتح باب عمر وعثمان وابن الجراح!

الغزوات بعد معركة بدر

وهي كثيرة: غزوة السويق على رأس إثنين وعشرين شهراً بقيادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسببها غزو أبي سفيان أطراف المدينة فلاحقه المسلمون إلىٰ مسافة بعيدة[2].

وغزوة قرارة الكُدْر وكانت على رأس ثلاثة وعشرين شهراً إلى بني سليم وغطفان[3].

---

(١) دلائل الصدق، المظفّر ٢ / ٤٠٢.

(٢) مغازي الواقدي ١/١٨٢.

(٣) مغازي الواقدي ١/١٨٣.

وغزوة غطفان بذي أَمَرّ وكانت على رأس خمسة وعشرين شهراً ففرّوا من جيش المسلمين[١].

وغزوة بني سليم وكانت على رأس سبعة وعشرين شهراً وهدفها جمعاً لبني سُليم، فخرج رسول الله ﷺ في ثلاثمائة رجل من أصحابه ولم يلق كيداً[٢].

وسرية القردة وأميرها زيد بن حارثة على رأس سبعة وعشرين شهراً من هجرة النبي ﷺ، أصابت عير قريش المتّجهة صوب الشام عبر طريق العراق، فكان الخمس عشرين ألف درهم[٣].

غزوة بني قينقاع

و بعد معركة بدر اظهرت اليهود غدرها حقداً وحسداً لذلك الانتصار فوقعت الحرب بينها وبين المسلمين.

لمّا عاد رسول الله ﷺ من بدر أظهرت يهود له الحسد بما فتح الله تعالى عليه، وبغوا ونقضوا العهد، وكان وادعهم حين قدم المدينة مهاجراً.

إنّ بني قينقاع كانوا أوّل يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد وحاربوا فيما بين بدر وأُحد. فبينما هم على مجاهرتهم وكفرهم، إذ جاءت امرأة مسلمة إلى سوق بني قينقاع فجلست عند صائغ لأجل حلي لها، فجاء رجل منهم فحلّ درعها إلى ظهرها، وهي لا تشعر، فلمّا قامت بدت عورتها، فضحكوا منها.

فقام إليه رجل من المسلمين فقتله. وهجم اليهود عليه وقتلوه فجمعهم ﷺ بسوق بني قينقاع ثمّ قال يامعشر اليهود احذروا من الله عزّوجلّ مثلما نزل بقريش من النقمة وأسلموا فإنّكم قد عرفتم أنّي نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وفي عهد

---

(١) مغازي الواقدي ١/١٩٤.

(٢) مغازي الواقدي ١/١٩٧.

(٣) مغازي الواقدي ١/١٩٨.

الله إليكم.قالوا: يامحمّد إنّك ترى أنّا كقومك لا يغرنّك أنّك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة إنّا والله لئن حاربتنا لتعلمنّ أنّا نحن الناس.ونبذوا العهد إلى رسول الله ﷺ وتحصنّوا في حصونهم، فكانت هذه الحادثة أوّل عمليّة غدر من اليهود في حقّ المسلمين تثبت حقدهم على الإسلام، وعدم التزامهم بالعهود والمواثيق.

والمدهش انّ حنقهم على الإسلام بلغ درجة دفعتهم لمواجهة قوّة الإسلام الفتيّة المنتصرة توّاً على قريش في معركة بدر!

والأنكى أنّهم فعلوا أمرين أثبتوا فيه فقدانهم للدين وتحلّلهم من التقوى، بنقضهم عهداً لهم عهدوه للمسلمين أوّلاً، وكشفوا عورة امرأة وهو حرام في دينهم ثانياً.

فغزاهم الرسول ﷺ وحاصرهم خمس عشرة ليلة، فنزلوا على حكمه، وذلك في نهاية السنة الثانية للهجرة ،وانتصر عليهم .

ثمّ أمر النبي ﷺ بإجلائهم وغنّم الله عزّوجلّ رسوله والمسلمين ما كان لهم من مال، ولم تكن لهم أرضون إنّما كانوا صاغة، فأخذ رسول الله ﷺ منهم سلاحاً كثيراً وآلة صياغتهم وكان الذي ولي إخراجهم من المدينة بذراريهم عبادة بن الصامت فمضى بهم حتّى بلغ بهم ذِباب وهو يقول الشرف الأبعد الأقصى فالأقصى (١).

رواية مختلقة :كان هدف الحزبين القرشي والاموي تشويه سمعة النبي ﷺ وعلي عليه السلام وزعماء الانصار مثل سعد بن عبادة وسعد بن معاذ وتمجيد رجال الحزب القرشي وزعماء المنافقين مثل ابن أبي ،ففي هذه المعركة اختلقوا أمرا للنبي ﷺ بقتل أسرى بني قينقاع ودفاع رئيس المنافقين عن الاسرى ونجاحه في

(١) تاريخ الطبري ١٧٢/٢ ـ ١٧٤، تاريخ ابن الأثير ١٣٧/٢ ـ ١٣٨.

مسعاه باجبار النبي ﷺ على اطلاق سراحهم! في حين كان النبي ﷺ لا يهتم بأقوال ابن أبي وأصحابه المنافقين ولا يحيد عن نظرياته وعلى رأسها رأيه في عدم قتل الاسرى في معاركه جميعا [١]. وجاء في الرواية المزيفة :

فكلّمه فيهم عبدالله بن أُبي بن أبي سلول فقال: يامحمّد أحسن في مواليّ، وكانوا حلفاء الخزرج فأبطأ عليه النبي ﷺ فقال: يامحمّد أحسن في مواليّ.

فأعرض عنه النبي ﷺ، فأدخل يده في جيب رسول الله ﷺ.فقال رسول الله ﷺ أرسلني، وغضب رسول الله ﷺ حتّى رأوا في وجهه ضلالاً يعني تلوّناً ثمّ قال: ويحك أرسلني.قال: لا والله لا أرسلك حتّى تحسن إلى مواليّ أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوني من الأسود والأحمر تحصدهم في غداة واحدة وإنّي والله لا آمن، وأخشى الدوائر.فقال رسول الله: خلّوهم لعنهم الله ولعنه معهم.

ولادة الحسن ﷺ

وفي منتصف شهر رمضان من السنة الثالثة للهجرة ولد الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ ،فأخذه رسول الله ﷺ وأدخل لسانه في فيه، يمصّه إيّاه، وأذّن في أُذنه اليمنى وأقام في أُذنه اليسرى، وحلق رأسه وتصدّق بوزن شعره فضّة، وطلى رأسه بالخَلوق[٢]. وعقّ الرسولُ ﷺ عنه بكبشين، وهو أوّل ولد لعلي وفاطمة ﷺ ولم يسمّه علي ﷺ قائلاً لرسول الله ﷺ: ما كنت لأسبقك باسمه.

فأوحى الله تعالى إليه: إنّ علياً بمنزلة هارون من موسى، فسمّه باسم آبن هارون.

قال ﷺ: وما كان آسمه؟قال: شبّر.قال: لساني عربي.

قال: سمّه الحسن، فسمّاه الحسن[٣].

---

(١) راجع اعمال وأوامر النبي ﷺ في خصوص الاسرى في معاركه ﷺ في هذا الكتاب.

(٢) البحار ٤٣/٢٣٩.

(٣) البحار ٤٣/٢٤١، علل الشرائع ١/١٣٧.

وتربّى الحسن عليه السلام تربية إسلامية رائدة في حضن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، وحضن أبيه أمير المؤمنين علي عليه السلام، وحضن سيّدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام. فكان مثالاً للمسلم المخلص في تقواه وسلوكه وعمله.

وقد نزلت في أهل بيت محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام آية التطهير **﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾** باجماع المسلمين[1].

وآية المباهلة: **﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساؤكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين﴾**[2]

وقال النبي صلى الله عليه وآله فيه: «من آذىٰ هذا فقد آذاني»[3].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن منّي وأنا منه[4].

وقد عرف الحسن عليه السلام بالسخاء والعلم والحلم والشجاعة وحب العبيد والفقراء[5].

وقد شدّد معاوية الهجمة علىٰ الحسن لمنافسته إياه في السلطة إذ كان معاوية عاهد الحسن عليه السلام علىٰ إرجاع الحكم إليه بعد وفاته، وهذا النص الذي حرّك معاوية لتجنيد كل قواه للحط من منزلة الحسن عليه السلام في أنظار الناس فظهر زيف كثير في هذا المجال، فكانت الهجمة الحكومية علىٰ الإمام الحسن عليه السلام اجتماعية وسياسية بينما كانت الهجمة علىٰ الإمام الحسين عليه السلام عسكرية.

---

(١) الأحزاب ٣٣، سنن الترمذي ٥/٣٢٨، مستدرك الحاكم ٣/١٧٢، مسند احمد ٤/١٦٧، تفسير الطبري ١٢/٦.

(٢) آل عمران ٦١ .تفسير الزمخشري ١ / ٤٣٤، تفسير الفخر الرازي ٨ / ٨٠، الدر المنثور ٣ / ٣١١.

(٣) كنز العمال ٦ / ٢٢٢، المعجم الكبير، الطبراني ٣ / ٤٢ ح ٢٦٢٧.

(٤) كنز العمال ٧ / ١٠٧، ذخائر العقبىٰ المحب الطبري ١٢٣.

(٥) تاريخ بغداد ٦ / ٣٤، ذخائر العقبىٰ ١٣٨، الصواعق المحرقة ٨٣، البداية والنهاية ٨ / ٤٢، تاريخ دمشق، ترجمة الإمام الحسن عليه السلام ١٤٨، تهذيب التهذيب ٢ / ٢٩٨.

وحاول الأُمويون بشتّى الوسائل الجاهلية من الكذب والافتراء الحطّ من منزلته في قلوب الناس مثلما فعلوا بجدّه من قبل. فوصموه بالجبن ومخالفته لأبيه ﷺ وكثرة زيجاته وأنّه رجل مطلاق وغير ذلك. وانتشر هذا الزيف في كتب المخالفين لأهل البيت ﷺ[1].

ولمّا فشلت أعمالهم تلك توسّلوا بالاغتيال، فوعدوا زوجته جعدة بنت الأشعث بالمال الكثير وزواجها من يزيد بن معاوية فقتلته بالسمّ[2].

الدلائل والعبر

كانت اول غزوة لرسول الله ﷺ في المدينة المنورة سرية حمزة بن عبد المطلب الى سيف البحر لاعتراض قافلة من قوافل قريش بقيادة ابي جهل وفيها ثلاثمائة رجل.

إن ارسال النبي ﷺ لحمزة فيه معاني كثيرة، اولها حث المسلمين على الجهاد، ليختلط القول بالعمل في مسيرة النضال ولو امتنع رسول الله ﷺ عن ارسال ارحامه الى القتال لانتشر الجبن في صفوف الانصار والمهاجرين.

وبعثه ﷺ لحمزة فيه دلالة واضحة على ايمان النبي ﷺ وحمزة بالجهاد والشهادة في سبيل الله تعالى.

وثاني راية لرسول الله ﷺ كانت لعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف.

ثمّ جعل رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ﷺ حاملاً للوائه في كل المعارك الكبيرة. وهذه التضحية المتواصلة بحمزة وعلي ﷺ وبنفسه ﷺ هي الطاقة المحرّكة للمسلمين للحرب والعطاء.

وفي هذا المنهج المخلص يكمن سر انتصار رسول الله ﷺ في معركة بدر الكبيرة

(١) راجع تاريخ الطبري ٤ / ١٢٣ - ١٤٥.

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر، ترجمة الإمام الحسن ٧، الإصابة ترجمة الإمام الحسن ٢٢٧/٣٧ وقاموس الرجال ٢٨٤/٢.

وانتشار الاسلام في الحجاز والعالم اجمع، فذلك الفوز العسكري العظيم جعل القبائل تنظر لهم باحترام، فهبطت منزلة قريش في اذهان الكثير وبدأ العد التنازلي لطغاة مكة.

ولو كتب لكفار مكة الانتصار في بدر لتبدّلت الكثير من الموازين في المنطقة.

ولأهمية المعركة فقد الحّ رسول الله ﷺ والمسلمون في الدعاء والتضرع الىٰ الله تعالى بالنصر، فانزل الله عز وجل ملائكته لدعم المؤمنين.

فتوفرت شروط الفوز المتمثلة في الايمان والدعاء، وطاعة رسول الله ﷺ، والقتال ببسالة، والتضحية وتوفّرت اركان الهزيمة في الكافرين.

واطاع المهاجرون والانصار رسول الله ﷺ في خطّته الحربية وبذلوا دماءهم في هذا السبيل، فكانت هجمتهم قوية كشلال هابط من جبل، فاندحر المشركون رغم كثرتهم المساوية لثلاثة اضعاف المسلمين. وانتصر الموحّدون.

وبقيت هذه المعركة وصمة عار في جبين المشركين، وفضيلة في سجل الموحدّين. فحاول الكفار واولادهم الانتقام لذلك مرّات عديدة، وفي كل مرّة تزداد موبقاتهم وتهبط منزلتهم، اذ قال يزيد بن معاوية عن قتله للحسين عليه السلام في كربلاء.

ليتَ أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

لست من خندف إن لم انتقم من بني احمد ما كان فعل[1]

والعبرة في هذه الحادثة الحسينية انتصار ثان للمسلمين وانكسار آخر للقرشيين فمجّد الناس حسيناً عليه السلام وبكوه وجعلوا منهجه مشروعاً لحياتهم، وعيّنوه قدوة لطريقهم فكان الانتصار في بدر وكربلاء للاخلاق والاهداف.

فأصبح الاندحار القرشي في كربلاء وصمة أخرىٰ في جبينهم لا تغسل.

فيرىٰ المطالع اليوم انتصارين حضاريين للمسلمين في بدر وكربلاء.

(١) اللهوف ٧٥، ٧٦، البداية والنهاية ٨ / ١٩٢.

والانتصار الحضاري الآخر الذي حقّقه المسلمون في بدر هو في معاملتهم الحسنة لأسرى المشركين في حين كانت قبائل العرب تسيىء معاملة الأسرى وتقتلهم.

اذ اطلق رسول الله سراح الشاعر ابا عزة عمرو الجمحي من أجل بناته، رغم بقائه علىٰ الكفر! واطلق سراح من علّم صبيان المسلمين القراءة والكتابة واطلق سراح من أسلم منهم. ومن دروس معركة بدر غضب رسول الله ﷺ علىٰ زوجته سودة بنت زمعة كما غضب نوح ولوط وصالح علىٰ زوجاتهم.

وسر غضبه ﷺ يكمن في رغبتها بانتصار جيش الكافرين علىٰ المسلمين!

وكانت سودة ام المؤمنين قد قالت لأسرى قريش في المدينة.

أعطيتم بايديكم كما تفعل النساء الا متم كراماً!!؟[1]

وشهدت الأحداث بعد معركة بدر زواج علي ﷺ افضل انسان بعد رسول الله ﷺ من فاطمة سيدة نساء العالمين باذن الهي ومباركة نبوية ليولد منهما الذرية الصالحة المتمثلة في اهل البيت ﷺ، الذين وصفهم نبي البشرية بسفينة نوح وباب حطة الذي من دخله غفر الله ذنبه[2]

واعطى الله تعالى علياً ﷺ كرامة اخرى متمثلة في سد ابواب المسجد إلّا بابه، لتأكيد طهارته النازلة في القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾[3]

ولما كثرت كرامات علي بن ابي طالب ﷺ اصبح قدوة للموحدين، واضحى هو وفاطمة واولادهم من اهل البيت ﷺ قصة حضارية في التجسيد الكامل والتطابق التام بين الصورة والسيرة الانسانية. كما قال الله تعالى في كتابه «نحن نقص عليك

---

(١) تاريخ ابن الأثير ٢ / ١٣١.

(٢) تفسير العياشي ٢ / ١٤٩، مستدرك الصحيحين، الحاكم، ٢ / ٣٤٣، كنز العمال ٦ / ٢١٦.

(٣) الاحزاب ٣٣.

أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين»[١]

﴿إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلّا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم﴾[٢]

وإليك بعض الآيات النازلة في حقهم والمبيّنة لمسيرتهم الأنسانية:

﴿ومن ذريته داود وسليمان.... وزكريا ويحيى وعيسى﴾[٣]

ومعلوم ان عيسى انما انتسب الىٰ ابراهيم بالأم لا بالأب فثبت أن ابن البنت قد يسمى ابنا فتدل الآية علىٰ أن الحسن والحسين عليهما السلام من ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله[٤]؛

﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا﴾[٥].

اخرج الثعلبي في تفسيرها عن الامام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال نحن حبل الله[٦].

﴿ويطعمون الطعام علىٰ حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾[٧]

: **﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربى﴾** [٨].

اما يهود بنى قينقاع فكان بامكانهم العيش في المدينة في دعة وأمان استناداً الىٰ المعاهدة التي أثبت بموجبها رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمون اتباعهم لها وتمسكهم ببنودها. واستنادا الى الأخبار الصحيحة الموجودة عندهم في التوراة واحاديث موسى عليه السلام في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وضرورة اتباعه.

---

(١) يوسف ٣.

(٢) آل عمران ٦٢.

(٣) الانعام ٨٤، ٨٥.

(٤) تفسير الزمخشري ١/٤٣٤، تفسير الفخر الرازي ٨/٨٠، الدر المنثور ٣/٣١١، تفسير الخازن ١/٣٤٣، الصواعق المحرقة ١٥٦، الاستيعاب ٣ / ٣٥.

(٥) آل عمران: ١٠٣.

(٦) نور الابصار، الشبلنجي ١١٢، الصواعق المحرقة ١٥١ ـ ١٥٢.

(٧) الفتح ٨، اسد الغابة ٧ / ٢٣٦ ـ ٢٣٧، تفسير الزمخشري ٤ / ١٩٧، اسباب النزول، الواحدي ٢٩٦، تفسير الرازي ٣٠ / ٢٤٤، نور الابصار، الشبلنجي ١١٢.

(٨) الشورى ٢٣، كنز العمال ١ / ٢٥١، المستدرك على الصحيحين، الحاكم ٣ / ١٨٨ ح ٤٨٠٢، المعجم الاوسط، الطبراني ٣ / ٨٧، الفصول المهمة، ابن الصباغ المالكي ١٥٨.

ولكنهم واعتماداً علىٰ نظريتهم السابقة في الغدر فقد بغوا وفسدوا فأذاقهم الله تعالى العذاب الأليم في الدنيا والآخرة، وجعلهم عبرة لمن اعتبر.

ولما نزل بهم العذاب وندم بعضهم اعاد يهود بنى نضير وبني قريظة الكرة ثانية وثالثة، فغدروا بالمسلمين وهم يعيشون في كنفهم وحمايتهم، فجزاهم رسول الله ﷺ ما يستحقونه عملاً بالعدل الإلهي.

ولم تكفِ اليهود هذه العِبر الكثيرة والدلائل الواضحة علىٰ نبوة رسول الله فغدروا للمرة الرابعة في خيبر في محاولتهم تأليب قريش علىٰ المسلمين، فاضطر خاتم الأنبياء للنزول في ساحاتهم وكفهم عن دسائسهم، فحصل ذلك بقوة الله عزَّ وجل وسواعد المؤمنين.

ولكن الىٰ يومنا هذا لم تقف اليهود عن فسادها واجرامها وكيدها بالأنسانية جمعاء، وما دور البغاء والقمار والاعلام والسينما الفاسدة إلّا مراكز يهودية لإفساد الحياة المدنية.

ويكفي معرفة ان الماسونية بنت من بنات الصهيونية لدرك المدى الذي وصلته هذه النطفة الفاسدة من خطر .

وطبقاً للحديث النبوي: لا يلدغ المؤمن من جحر مرَّتين. نفهم بان هؤلاء لا تنفع معهم المعاهدات السياسية والامنية بل يتخذونها جسوراً لتدمير ما وصلوا اليه.

مقتل المحاربين لله ورسوله

اغتيال أبي عفك اليهودي

وكان أبو عفك اليهودي يحرّض على رسول الله ﷺ وعلى المسلمين مستمراً في ذلك.

فصمّم سالم بن عمير على اغتياله نذراً لله تعالى فقتله[1]. ولم يأمر النبي ﷺ بقتله.

وقُتِل أبو عفك في شوّال على رأس عشرين شهراً من مقدمه الشريف إلى المدينة وقد بلغ مائة وعشرين سنة[2].

مقتل عصماء بنت مروان اليهودي

وكان عمير بن عوف قد صمّم على الإنتقام من العصماء بنت مروان إن عاد النبي ﷺ من بدر سالماً[3] وكان ضرير البصر، وهو أول من أسلم من بني خطمة فسمي بالقارىء.

كانت عصماء بنت مروان، (من بني أميّة بن زيد) تحت يزيد بن زيد بن حصن الخطمي، وتوفي عنها وترك ايتاماً وهي تؤذي النبي ﷺ، وتعيب الإسلام،

---

(١) المغازي، الواقدي ١/١٧٤، تاريخ الخميس ١/٤٠٨.

(٢) الطبقات، ابن سعد ٢ / ٢٩، ولم يأمر النبي ﷺ بقتله.

(٣) راجع المغازي، الواقدي ١/١٧٢، ١٧٣، تاريخ الخميس ١/٤٠٦، ٤٠٧، البحار ٢ / ٧، أسد الغابة ٤ / ١٧٠.

وتعرّض على النبي ﷺ بالشعر قائلة:

فباست بني مالك والنّبيت	**وعوفٍ وباست بني الخزرج**
أطعتم أتاويّ[1] من غيركم	**فلا من مراد ولا مذحج**
ترجّونه بعد قتل الرؤوس	**كما يرتجىٰ مرق المنضج**

قال عمير بن عدي بن خرشه بن أميّة الخطمي، حين بلغه قولها وتحريضها: اللهم إنَّ لك عليَّ نذراً لئن رددت رسول الله الى المدينة لأقتلنّها ـ ورسول الله ﷺ يومئذ ببدر ـ فلمّا رجع رسول الله ﷺ من بدر، جاءها عمير بن عدي في جوف الليل، حتّىٰ دخل عليها في بيتها، ثمّ وضع سيفه علىٰ صدرها، حتّىٰ أنفذه من ظهرها، ثمّ خرج حتّىٰ صلّىٰ الصبح مع النبي ﷺ بالمدينة.

فلمّا انصرف النبي ﷺ نظر إلىٰ عمير فقال: أقتلت بنت مروان؟

قال: نعم بأبي أنت يا رسول الله، وخشي عمير أن يكون افتات[2] على النبي ﷺ بقتلها، فقال: هل عليَّ في ذلك شيٌ يا رسول الله؟

قال ﷺ: لا ينتطح فيها عنزان[3] إذا أحببتم أن تنظروا إلىٰ رجل نصر الله ورسوله بالغيب فانظروا إلىٰ عمير بن عدي.

فقال عمر بن الخطاب: انظروا إلىٰ هذا الأعمى الذي تشدَّد في طاعة الله.

فقال (الرسول ﷺ): لا تقل الأعمىٰ ولكنّه البصير[4].

فلمّا رجع عمير من عند رسول الله ﷺ، وجد بنيها في جماعة يدفنونها، فأقبلوا اليه حين رأوه مقبلاً من المدينة، فقالوا: يا عمير أنت قتلتها؟

فقال: نعم، فكيدوني جميعاً ثم لا تُنظِرون، فوالذي نفسي بيده، لوقلتم بأجمعكم ما

---

(١) الاتاوي: الغريب.

(٢) افتات: اي فرّق عنه اصحابه.

(٣) لا ينتطح فيها عنزان: معناه ان شأن قتلها هين لا يكون فيه طلب ثأر ولا اختلاف.

(٤) المدهش ان رسول الله ﷺ يمدح عميراً وعمر يذمّه!!، مغازي الواقدي ١ / ١٧٤.

قالت لضربتكم بسيفي هذا حتىٰ أموت أو أقتلكم.

فيومئذٍ ظهر الإسلام في بني خطمة، وكان منهم رجال يستخفون بالإسلام، خوفاً من قومهم. فقال حسّان بن ثابت يمدح عمير بن عدي:

بني وائل وبني واقف	وخطمة دون بني الخزرج
متىٰ ما دعت اختكم ويحها	بعولتها والمنايا تجي
فهزّت فتىً ماجداً عِرقُه	كريم المداخل والمخرج
فضرّجها من نجيع الدماء	قبيل الصباح ولم يحرج
فأوردكَ اللهُ بردَ الجنا	ن جذلان في نعمة المولج[1]

إغتيال أبي رافع اليهودي

وفي السنة الثالثة قُتِل أبو رافع اليهودي الذي كان يظاهر كعب بن الأشرف على رسول الله ﷺ.

إذ توجّه إليه عبدالله بن عتيك وعبدالله بن عقبة وآخرون من الأنصار وكان أبو رافع في حصن له في الحجاز. فدخل إلى الحصن عبدالله بن عتيك فتمكن من قتله[2].

وقال الواقدي إنّ الحملة قد تمّت في ذي الحجّة من سنة أربع من الهجرة، وإنّ الذين توجّهوا إليه فقتلوه كانوا أبا قتادة وعبدالله بن عتيك ومسعود بن سنان والأسود بن خزاعي وعبدالله بن أنيس وهؤلاء من الخزرج[3].

ظلم كعب بن الأشرف اليهودي

وكان أبو كعب عربياً أصاب دماً في الجاهلية، وهرب إلىٰ المدينة عند يهود بني

---

(١) مغازي الواقدي ١/١٧٤.

(٢) تاريخ الطبري ٢/١٨٢، ١٨٣.

(٣) تاريخ الطبري ١٨٣، مغازي الواقدي ١/٢٩١ ـ ٢٩٣.

النضير، فحالفهم وتدين بدينهم[١]. وممن حسد المسلمين علىٰ انتصارهم في بدر كعب إذ نقض ابن الأشرف عهده مع النبي ﷺ، وذهب إلى مكّة لتحريض أهلها علىٰ المسلمين، فرحل إليها في أربعين راكباً فناح علىٰ قتلى بدر وبكاهم[٢]. وهجا النبي ﷺ ودخل أبو سفيان في اربعين وكعب في اربعين المسجد وأخذ بعضهم علىٰ بعض الميثاق بين الاستار والكعبة علىٰ حرب رسول الله ﷺ فأخبر الله تعالىٰ رسوله بذلك[٣].

وكانت حادثة مقتل كعب واجلاء بني النضير قد وقعت في وقت واحد، وذلك بعد معركة بدر بستة أشهر عملاً برواية الزهري[٤]. وقال محمد بن اسحاق وقعة بني النضير حدثت في السنة الرابعة للهجرة وهو الصحيح عندنا[٥].

واعتبر رسول الله ﷺ عمل كعب في التحالف مع أبي سفيان ضد المسلمين، وتحريضه المشركين عليهم، ومحاولته قتل النبي ﷺ نقضاً للعهد المبرم بين الطرفين. عليه يكون الأمر النبوي بقتله واجباً.

وشبّب بنساء المسلمين وأرحام النبي ﷺ قائلاً:

أراحل أنت لم تحلُل بمنقبة ... وتاركٌ أنت أمّ الفضل بالحرم

صفراء رادعةٌ لو تُعصَر انعصرت ... من ذي القوارير والحنّاء والكَتَم

لم أدر شمساً بليل قبلها طلعت ... حتّى تجلّت لنا في ليلةِ الظُلَمِ[٦]

(١) عون المعبود، العظيم آبادي ٨ / ١٥٩.

(٢) البدء والتاريخ، البلخي ٢/٧٩.

(٣) تاريخ الخميس ١ / ٤٦٠، البحار ٢٠ / ١٥٨، مناقب آل أبي طالب ١ / ١٩٦.

(٤) تاريخ الخميس ١ / ٤٦٠، المواهب اللدنية ١ / ١٠٤، تاريخ ابن الوردي ١ / ١٥٩، تاريخ الإسلام، الذهبي ١١٩ – ١٩٧ مجلد المغازي، البحار ٢٠ / ١٦٠ – ١٦٢.

(٥) دلائل النبوة، البيهقي ٣ / ٣٥٤ سيرة ابن هشام ٣/٥٨، ١٩٩.

(٦) تاريخ الطبري ٢/١٧٨، الروض الأنف ٥/٥١٣ ـ ٥١٤. طبقات الشعراء ص٧١. البداية والنهاية ٤/٦، سيرة ابن إسحاق ٣١٧.

ذلك الشعر في أمّ الفضل زوجة العبّاس بن عبدالمطّلب يوم كان العباس في المدينة أسيراً ولم يكن من المهاجرين إليها، ولم يعلن إسلامه.

وحاول كعب قتل رسول الله ﷺ عندما جاء بيته يستقرض مالاً للمسلمين[1].

والذين ذهبوا لقتله هم: سلكان بن سلامة بن وقش، وهو أبو نائلة أحد بني عبد الأشهل، وكان أخا كعب من الرضاعة، وعبّاد بن بشر بن وقش أحد بني عبد الأشهل، والحارث بن أوس بن معاذ أحد بني عبد الأشهل، وأبو عبس بن جبر أخو بني حارثة،[2]. فقتلوه جزاءاً لغدره بالمسلمين.

ولم يشترك محمد بن مسلمة في قتل كعب بن الأشرف فالإثنان أصلهما من اليهود، وقد عرف ابن مسلمة باغتيال المؤمنين في زمن عمر بن الخطاب مثل سعد بن عبادة[3] بل أراد الحزب القرشي تعظيم صورته ليهوديّته السابقة وبغضه لأهل البيت ﷺ والأنصار.

ورووا زيفاً قتل محمد بن مسلمة لاخيه الثاني مرحب اليهودي وقد قتله الإمام علي عليه السلام[4].

هل أمر النبي بقتل اليهود؟

جاء في رواية الطبري أنّ رسول الله ﷺ قال: من ظفرتم به من رجال اليهود فاقتلوه، فوثب محيصة بن مسعود على ابن سنينة اليهودي فقتله، فقال له أخوه حويصة ـ ولم يكن قد أسلم بعد ـ: ياعدوّ الله قتلته؟! أما والله لربّ شحم في بطنك من ماله.

---

(١) اعلام الورى: ٨٨، البحار ٢٠ / ١٦٣.

(٢) تاريخ الطبري ٢/١٧٩، الروض الأنف، السهيلي ٥/٤١٣ ـ ٤١٤.

(٣) طبقات ابن سعد ٣ / ٤٥٨، تاريخ الطبري ٤ / ٤٧.

(٤) راجع باب معركة خيبر.

فقال محيصة: لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لقتلتك.

قال فوالله إنه كان لأوّل إسلام حويصة، فاستحلفه على ذلك، فحلف له فقال:

إنّ ديناً بلغ بك ما أرى لعجب! ثمّ أسلم[١].

ورووا زيفاً أنّ رأسه حمل إلى المدينة وهو أوّل رأس حمل في الإسلام[٢].

والصحيح أنّ النبي ﷺ لم يدعُ لقتل اليهود أبداً، ولم يأمر بحمل رؤوس القتلىٰ.

ولمّا ظفر رسول الله ﷺ ببني قريظة (المحاربين له ﷺ) دفع إليهم كعب بن يهوذا، وكان عظيماً في بني قريظة فدفعه إلى محيصة بن مسعود وإلى أبي بردة بن نيار وقال ليضربه محيصة وليذفّف عليه أبو بردة فضربه محصية ضربة لم تقطع وذفّف أبو بردة فأجهز عليه. فقال حويصة لأخيه محيصة وكان كافراً:

قتلت كعب بن يهوذا؟

قال: نعم.

فقال حويصة: أما والله لرُبّ شحم قد نبت في بطنك من ماله، إنّك للئيم يامحيصة.

فقال له محيصة: لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لقتلتك.

فعجب من قوله ثمّ ذهب عنه متعجّباً. فذكروا أنّه جعل يتيقظّ من الليل: فيعجب من قول أخيه محيصة. حتّى أصبح وهو يقول: والله إنّ هذا لدين. ثمّ أتى النبي ﷺ فأسلم[٣].

وعن المثلة بالإنسان جاء:

قال السهيلي: كان رأس عمرو بن الحمق الخزاعي أوّل رأس حمل في الإسلام[٤]

---

(١) تاريخ الطبري ٢/١٨٠ ـ ١٨١، البداية والنهاية ٤/٨، دلائل النبوّة، البيهقي طبع دار الكتب العلمية ٣/٢٠٠، سيرة ابن إسحاق ٣١٩، ٣٢٠.

(٢) الروض الأنف، السهيلي ٥/٤١٣.

(٣) الروض الأنف، السهيلي ٥/٤١٨ طبع دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

(٤) الروض الأنف ٥/٤١٣.

بأمر معاوية.

والصحيح أوّل رأس حمل هو رأس محمد بن ابي بكر[١].

وعن الناحية الفقهية :

حرّم الرسول ﷺ المُثْلَة ولو بالكلب العقور وسار المؤمنون على هذا .

وأوّل من خالف هذا النصّ هو معاوية بن أبي سفيان ثمّ يزيد بن معاوية.

فالنبي ﷺ لم يعط أمراً بقتل اليهود عامّة، بل أمر بقتل كلّ محارب للإسلام، يهودياً كان أو كافراً مثلما أمر بقتل حيي بن اخطب زعيم يهود بني النضير الذي تحالف مع كفّار قريش وغطفان في معركة الخندق لمحاربة المسلمين، ونقض عهده مع رسول الله ﷺ.

وكان النبي ﷺ عند محاربته يهود بني النضير الذين نقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ لم يعلن الحرب على يهود بني قريظة، لأنّهم تمسكوا يومها ببنود الصلح مع المسلمين.

وكان الأنصار قد صمّموا على قتل كعب بن الأشرف وأبي رافع اليهودي وغيرهما لإعلانهما الحرب على الإسلام. ولم يأمر النبي ﷺ باغتيالهما ولا اغتيال غيرهما لمخالفته عمليات الاغتيال.

ولم يفتك النبي ﷺ بطغاة قريش في مكّة وحتّى عقبة بن أبي معيط الذي أهان رسول الله ﷺ لم يقتله في مكّة بل قتله أسيراً في معركة بدر.

وكان النبي قد قال لعقبة بن معيط في مكة بعد خيانته له :ان وجدتك خارج مكة قتلتك .

فاستمر عقبة بن معيط في خيانته للاسلام والنبي فقتله رسول الله بعد معركة بدر التي أسر فيها .

---

(١) راجع كتاب هل اغتيل النبي للمؤلّف.

وتبع مسلم بن عقيل بن أبي طالب هذه المدرسة فلم يفتك بعبيدالله بن زياد الذي زار منزل هاني بن عروة[١].

وكان مسلم مختفٍ في ذلك البيت.

وكان ذلك الاغتيال سهلاً جداً لأنّ عبيدالله بن زياد بقي وحده في منزل هاني بن عروة ومع هذا لم يقدم على قتله مسلم بن عقيل ﷺ امتثالاً لحديث رسول الله ﷺ: الايمان قيّد الفتك [٢].

هل كفر اليهود؟

الخطير في الأمر أنّ اليهود كانوا يفضّلون الكفّار على النصارى والمسلمين ممّا يبيّن كفرهم وانحطاطهم، إذ سأل أبو سفيان كعباً:

أديننا أحبّ إلى الله أم دين محمّد وأصحابه وأيّنا أهدى في رأيك، وأقرب إلى الحقّ. إنّا لنطعم الجزور الكوماء ونسقي اللبن على الماء، ونطعم ما هبّت الشمال.

فقال له: أنتم أهدى منهم سبيلاً[٣].

ودافع معاوية عن كعب بن الأشرف وذكر مظلومية مصرعه بأنّه قُتِل غدراً[٤].

مما يبين استمرار ميوله للكفار واليهود بعد اسلامه!

والفتك لا يجوز إلّا بإذن النبي ﷺ أو الإمام[٥]. بينما الغدر بالمحارب جائز.

وقد امتنع محمّد بن مسلمة من مبايعة علي ﷺ[٦]. في خلافته فقال علي ﷺ ذنبي

---

(١) الجامع الصغير ١/١٢٤ الكامل، ابن الأثير ٤/٢٧، مستدرك الحاكم ٤/٣٥٢، تاريخ الطبري ٤/٢٧١، مقتل الحسين، أبو مخنف ٣٤.

(٢) تفسير القرطبي ٥/١٢١.

(٣) السيرة النبوية، ابن كثير ٣/١١، البداية والنهاية ٤/٦، دلائل النبوّة، البيهقي ٣/ ١٩١

(٤) مشكل الآثار ١/٧٧.

(٥) التهذيب، الطوسي ١٠/٢١٣، ٢١٤، الكافي ٧/٣٧٦.

(٦) شرح النهج، المعتزلي ٤/٩، الإمامة والسياسة ١/٥٣، قاموس الرجال ٨/٣٨٨.

إلى محمّد بن مسلمة أنّي قتلت أخاه يوم خيبر مرحب اليهودي[١].

ومحمد بن مسلمة هو الذي كسر سيف الزبير[٢]. أثناء الهجوم على بيت فاطمة ﷺ وهو الذي قتل سعد بن عبادة[٣] غيلةً في الشام وكانت وظيفته ملاحقة الولاة في زمن عمر ومتابعة أُمورهم فحدثت له مشادّاة مع عمرو بن العاص وسعد بن أبي وقاص.

وحقيقة الأمر أنّ محمّد بن مسلمة من اليهود الذين أعلنوا إسلامهم، وهو من يهود بني النضير المتحالفين مع قبيلة بني عبد الأشهل، لذا سمّي بمحمّد بن مَسْلَمة الأشهلي.

وقد أراد البعض إضفاء بعض الصفات الجيدة على محمّد بن مسلمة لكونه من أعمدة رجال الدولة فأدخلوا اسمه في قصص البطولة مثل اشتراكه في عملية قتل كعب بن الأشرف وقتل مرحب اليهودي. والصحيح أنّهم أجمعوا علىٰ قتل علي ﷺ لمرحب[٤].

والحقيقة كشفها الإمام علي بن أبي طالب ﷺ حين قال: وذنبي إلى محمّد بن مسلمة أنّي قتلت أخاه يوم خيبر مرحب اليهودي[٥].

فابن مَسْلمة من اليهود السابقين ومن الممتنعين عن بيعة علي ﷺ في خلافته فمجده الامويون. ولأنه يهودي سابق فقد قال عنه كعب بن الأشرف: هو أخي محمد بن مسلمة[٦].

---

(١) شرح النهج ٦/٤٨، قاموس الرجال ٨/٣٨٨.

(٢) شرح النهج، ٦/٤٨، قاموس الرجال ٨/٣٨٨.

(٣) قاموس الرجال ٨/٣٨٨.

(٤) مختصر تاريخ دمشق ٥ / ١٨٠، سنن البخاري، باب المغازي، معركة خيبر، سنن مسلم باب فضائل الصحابة.

(٥) مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر ٢٣ / ٣١٥ـ٢١٨.

(٦) مختصر تاريخ دمشق ١٣ / ٢١٨.

والظاهر أنّ مرحب كان أخاً لمحمد بن مسلمة من أمه وللتغطية علىٰ هذا الأمر فقد ادعىٰ الأمويين قتل محمد بن مسلمة لمرحب!

ولم يكن لمحمد بن مسلمة أمر يذكر في زمن رسول الله ﷺ وظهر اسمه في أيّام عمر لتنفيذ العمليات السريّة التي كان يقودها عمر ضد المعارضة السياسيةله .

الدلائل والعبر

كانت اليهود والعرب في الجاهلية تتوسل بالإغتيال للوصول الىٰ اهدافها المنشودة فانتشرت هذه العادة السيئة بين صوف المشركين واصبحت جزءاً من ثقافتهم.

فذهب طالب بن ابي طالب ضحيّة الغدر بعد امتناعه عن حضور معركة بدر وانقذ الله تعالى رسوله من الاغتيال مرّات عديدة.

ولما جاء الاسلام منع خاتم الرسل الاغتيالات قائلاً: الايمان قيد الفتك.

فلم يسمح النبي ﷺ بقتل المسلمين ولا المعاهدين له من اهل الكتاب الاّ المتجاهرين بالحرب عليه مثل كعب بن الاشرف،

فكان النبي ﷺ افضل الناس عملاً بالنصوص الشرعية، ولولا زيارة كعب بن الاشرف لقريش وذهابه الىٰ مكة في اربعين راكباً هاجياً النبي ﷺ معلناً الحرب علىٰ الاسلام والمسلمين وتحالفه معهم علىٰ حرب رسول الله ﷺ لما أجاز المسلمون قتله.

ولا يسمح الدين الاسلامي بقتل المعارض السياسي لعدم انطباق الشرط عليه في كونه محارباً لله ورسوله.

وقد استفاد فراعنة السياسة من ذلك مكراً منهم في قتل اعدائهم، فكاد الملحدون أعداءهم المؤمنين فقتلوهم تحت ذلك العنوان! ولم يكونوا محاربين لله ورسوله.

الفصل الثاني

معركة أُحُد

معركة احد

خرجت قريش إلىٰ معركة أحد وهم في ثلاثة آلاف مقاتل، وفيهم سبعمائة دارع، ومئتا فارس، وألف بعير على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة النبوية .

وكان معهم أبو عامر الفاسق من أهل المدينة وهذه المعركة تطرح أسئلة كثيرة منها هل رغب النبي ﷺ في الحرب خارج المدينة أم في داخلها؟ وما هي الأسباب الحقيقية لهزيمة المسلمين؟

فلمّا أُصيب يوم بدر من كفّار قريش أصحاب القليب، ورجع فلهم إلى مكّة ورجع أبو سفيان بن حرب بعيره (قافلته) مشى عبدالله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أُميّة في رجال من قريش ممّن أُصيب آباؤهم واخوانهم وأبناؤهم يوم بدر فكلّموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة فقالوا:

يامعشر قريش إنَّ محمّداً قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلّنا ندرك منه ثأراً بمن أصاب منّا ففعلوا.

وقال ابن سعد: لمّا رجع من حضر بدراً من المشركين إلى مكّة وجدوا العير التي قدم بها أبو سفيان بن حرب موقوفة في دار الندوة فمشت أشراف قريش إلى أبي سفيان فقالوا: نحن طيبو أنفس أن تجهزوا بربح هذه العير جيشاً إلى محمّد.

فقال أبو سفيان: فأنا أوّل من أجاب إلى ذاك وبنو عبد مناف[١].

فباعوها فصارت ذهباً، وكانت ألف بعير والمال خمسين ألف دينار، فسلّم إلى أهل العير رؤوس أموالهم وأخرجوا أرباحهم، وكانوا يربحون في تجاراتهم لكلّ دينار ديناراً.

قال ابن إسحاق ففيهم أنزل الله تعالى

﴿إنّ الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدّوا عن سبيل الله فسينفقونها ثمّ تكون عليهم حسرة ثمّ يغلبون والذين كفروا إلى جهنّم يحشرون﴾[٢]

فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير بأحابيشها[٣] ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة. وكتب العبّاس بن عبدالمطّلب إلى رسول الله ﷺ بخبرهم كلّه فأخبر رسول الله ﷺ المسلمين بكتاب العبّاس.

وكان أبو عزّة عمرو بن عبدالله الجمحي قد منّ عليه رسول الله ﷺ يوم بدر وكان فقيراً ذا عيال وحاجة وكان في الأسارى فقال: يارسول الله انّي فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتها فامنن عليّ صلّى الله عليك، فمنّ عليه رسول الله ﷺ فقال له صفوان بن أُميّة: ياأبا عزّة إنّك رجل شاعر فأعنّا بلسانك فاخرج معنا.

فقال: إنّ محمّداً قد منّ عليّ فلا أُريد أن أُظاهر عليه قال: بلى فأعنّا بلسانك فلك الله عليّ إن رجعت أن أُغنيك وإن أُصبت أن أجعل بناتك مع بناتي يصيبهنّ ما أصابهنّ من عسر ويسر، فرجع أبو عزّة ومشافع بن عبد مناف يستنفران الناس بأشعارهما، فأمّا أبو عزّة فظفر به رسول الله ﷺ بعد الوقعة بحمراء الأسد، فقال يامحمّد: أقلني.

---

(١) أي بنو أُميّة وبنو نوفل إبنا عبد مناف فهما عدوان قديمان لهاشم والمطلّب.

(٢) الانفال ٣٦.

(٣) التحبش: التجمع، وقيل حالفوا قريشاً تحت جبل يسمّى حبشياً فسمّوا بذلك.

فقال ﷺ: لا والله لا تمسح عارضيك بمكّة تقول خدعت محمّداً مرّتين، ثمّ أمر عاصم بن ثابت فضرب عنقه.

وخرجوا معهم بالظعن (النساء) التماس الحفيظة، وأن لا يفرّوا. فأقبلوا حتّى نزلوا بعينين ـ جبل ببطن السبخة من قناة على شفير الوادي مقابل المدينة ـ.

وبنو خزاعة هم الذين أخبروا رسول الله ﷺ بخروج جيش قريش إلىٰ المدينة، وفي هؤلاء النفر عمرو بن سالم وقد ساروا بسرعة فوصلوا المدينة بعد أربعة أيام(١).

وفي طريق المشركين إلىٰ المدينة دعت هند بنت عتبة إلىٰ نبش قبر آمنة بنت وهب أُم رسول الله ﷺ وأيدها أبو سفيان إلّا أنّ سائر قريش خافوا أن تتعلم خزاعة وبنو بكر ذلك العمل السيىء وتعمله بموتىٰ قريش: وهدف هند وأبو سفيان من ذلك هو مبادلة أعضاء أُمّه بأسرىٰ قريش من النساء إنْ حصل ذلك!(٢).

وهذه النوايا العدوانية تبين المستوىٰ انحطاط الأخلاقي لقريش وزعمائها وعلىٰ رأسهم أبو سفيان وهند.

ورغب رسول الله ﷺ في محاربة المشركين خارج المدينة وأيّدت الغالبية من المسلمين ذلك، ولو بقوا في المدينة لألحق الكفار خسائر فظيعة بنخلهم وزرعهم، وبثوا الرعب في قلوبهم. وبقاؤهم بلا خندق فيه مشاكل كثيرة للمسلمين لا يمكن تلافيها.

ولو أراد رسول الله ﷺ البقاء في المدينة لأمكنه اقناع أهلها بذلك والمخلصون يأخذون برأيه، والمنافقون لا فائدة ترجىٰ منهم. وقد ذكروا رغبة النبي ﷺ في البقاء في المدينة بعد خسارة المسلمين. ولكن المشكلة ليست في ذلك، فقد انتصر المسلمون أوّل الأمر في حرب أحد وسقطت راية قريش وقتل قادتها. إلّا أنّ رغبة

---

(١) مغازي الواقدي ١ / ٢٠٥، شرح النهج ١٤ / ٢١٨، ٢١٩.

(٢) المغازي الواقدي ١ / ٢٠٦.

البعض في الغنائم، وتركهم أوامر النبي ﷺ في حراسة ممر أحد كان السبب الرئيسي في إجهاض النصر واستحالته إلىٰ هزيمة.

ولا يمكن للرسول أن يوافق علىٰ غزو قريش للمدينة فما غزي قوم في قعر دراهم إلاّ ذلّوا.

فأشارت عليه الأنصار بالخروج؛ وكان رأي عبدالله بن أبي سلول أن لا يخرج، إليهم فقال رجل من المسلمين ممّن أكرمه الله بالشهادة يوم أُحد وغيره ممّن فاتته بدر مع رسول الله ﷺ: أُخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنّا جبنا عنهم وضعفنا، فلم يزالوا برسول الله ﷺ حتّى دخل فلبس لامته[1] وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة ثمّ خرج إليهم والمسلمون ثلث الكفار في بدر واحد.

فقال رسول الله: ﷺ ما ينبغي لنبي إذا لبس لامته أن يضعها حتّى يقاتل.

عليه فالجري خلف الغنائم وترك أوامر القائد سبب الخسارة دائماً سواء في المدينة أو خارجها.

وكانت هزيمة قريش محرزة فكلّ واحد من الصحابة يقول: والله إني لأنظر إلىٰ هند وصواحبها منهزمات وما دون أخذهن شيء لمن أراده ولكن لامرد لقضاء الله[2].

والمنافقون هم الذين أرجعوا سبب خسارة المسلمين إلىٰ تركهم رأي ابن أبي سلول بالبقاء في المدينة.

إذ قال المنافقون: «لو أطاعونا ما قتلوا»[3].

وكانت وقعة أُحد في شوّال لسبع ليالٍ خلون منه في السنة الثالثة للهجرة.

ورأىٰ النبي ﷺ في منامه: أنّ في سيفه ثلمة وأنّ بعيراً يُذبح له، وأنّه أدخل يده

---

(١) اللامة: الدرع.

(٢) شرح النهج ١٤ / ٢٣٩، المغازي، الواقدي ١ / ٢٢٩.

(٣) آل عمران ١٦٨.

في درع حصينة؛ وتأوّلها نبينا محمّد ﷺ أنّ نفراً من أصحابه يُقتلون، وأنّ رجلاً من أهل بيته يصاب، وأنّ الدرع المدينة.

حتّى إذا كانوا بالشوط بين المدينة وأُحد انخزل[1] عنه عبدالله بن أُبي بثلث الناس وقال: أطاعهم وعصاني ما ندري على ما نقتل أنفسنا، فرجع بمن تبعه من قومه من أهل النفاق والريب، واتّبعهم عبدالله بن عمرو بن حرام يقول: ياقوم أذكركم الله أن تخذلوا قومكم ونبيّكم عندما حضر عدوّهم.

قالوا: لو نعلم تقاتلون لما أسلمناكم ولكنّا لا نرى أنّه يكون قتال. فلمّا استعصوا وأبوا إلّا الإنصراف قال: أبعدكم الله أعداء الله، فسيغني الله عنكم نبيّه.

فلمّا رجع عبدالله بن أُبي بثلاثمائة سقط في أيدي الطائفتين من المسلمين، وهمّا أن يقتتلا وهما بنو حارثة وبنو سلمة. جاء أنّهما إختلفا في قتال المنافقين العائدين ونزلت آية:

﴿فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا﴾[2]

وقال الأنصار للرسول ﷺ: يارسول الله ألا نستعين بحلفائنا من يهود؟

فقال ﷺ: لا حاجة لنا فيهم[3].

وكان هناك حلف بين أهل المدينة واليهود لصد المهاجمين ورغم هذا لم يرغب النبي ﷺ بالاستفادة من الكفار قائلاً: لا أستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك.

ولما تبعه مشرك في معركة بدر قال رسول الله ﷺ: أتؤمن بالله؟

قال: لا. قال: فارجع فلن أستعين بمشرك[4].

---

(١) أي إنفرد.

(٢) النساء ٨٨.

(٣) عيون الأثر ١/٤٠٨.

(٤) فتح القدير ٣ / ١٧٠، مجمع البحرين ٢ / ٨٤٠.

جبل احد

واختار رسول الله ﷺ منطقة جبل أحد بحيث جعل جيشه جبل أحد في ظهورهم والعدو من أمامهم، وقال للرماة الذين يحمون جيش المسلمين: احموا ظهورنا فإن رأيتمونا نُقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا[١].

وظاهر الرسول ﷺ يومئذ بين درعين، وأخذ سيفاً فهزه وقال: من يأخذه بحقه؟

فقال عمر بن الخطاب: أنا. فأعرض ﷺ عنه.

وقال الزبير: أنا، فأعرض عنه، فَوجَدا في انفسهما.

فقام أبو دجانة سماك بن خرشة فقال: وما حقُّة يا رسول الله؟

قال ﷺ: تضرب به حتىٰ ينثني. فقال: أنا آخذه بحقّه، فاعطاه إياه[٢]. وكان أبو دجانة عند حسن ظن رسول الله ﷺ إذ رفع سيفه فوق رأس هند بنت عتبة ثم تركها لما صرخت ولم يجبها أحد[٣].

وقد ذكر الطبري شرط النبي ﷺ في اعطاء سيفه وحذف اسم عمر. قائلاً: قال الزبير عرض رسول الله ﷺ سيفاً في يده يوم أحد، فقال: من يأخذ هذا السيف بحقه؟

قال: فقمت، فقلت: أنا يا رسول الله، قال: فأعرض عنّي ثم قال: من يأخذ هذا السيف بحقه؟

فقمت فقلت: أنا يا رسول الله فاعرض عنّي، ثم قال: من يأخذ هذا السيف بحقه؟

فقام أبو دجانة سماك بن خرشة، فقال: أنا آخذه بحقه، وما حقّه؟

قال ﷺ: حقّه ألّا تقتل به مسلماً، وأن لا تَفِرَّ به عن كافر. قال: فدفعه ﷺ إليه[٤].

---

(١) السيرة الحلبية ٢ / ٢٢٢، تاريخ الخميس ١ / ٤٢٤ وحاول أبو عامر الفاسق استمالة قومه ففشل.

(٢) دلائل النبوة، البيهقي ٣/٢١٣، المعارف، ابن قتيبة ص١٥٩.

(٣) السيرة الحلبية ٢/٢٢٢، ٢٢٣، المغازي، الواقدي ١/٢٥٩، تاريخ الخميس ١/٤٢٤، ٤٢٥، البداية والنهاية ٤/١٦،١٧.

(٤) تاريخ الطبري ٢/١٩٥، دلائل النبوة، البيهقي ٣/٢١٥.

وهذا الأمر من دلائل نبوّة رسول الله ﷺ في امتناعه من اعطاء سيفه لعمر والزبير إذ فرَّا في معركة أحد وحنين، وشارك الزبير في قتل سبعين مؤمناً في ليلة باردة بعد أن نقض اتفاقه مع والي البصرة سهل بن حنيف على المدنة![1]

وقبل المعركة حاول أبو سفيان خداع الانصار قائلاً: خلوا بيننا وبين ابن عمّنا فننصرف عنكم فلا حاجة بنا إلىٰ قتالكم فردُّوا عليه بما يكره[2].

وكان شعار المسلمين أمت، أمت.

وأمّر رسول الله ﷺ عبدالله بن جبير على الرماة وهم خمسون رجلاً، وحملت خيل المشركين على المسلمين ثلاث مرّات كلّ ذلك تنضح بالنبل فترجع مفلولة.

شروع القتال

وحمل المسلمون على المشركين فنهكوهم قتلاً، وكان لواء المشركين عند طلحة بن عثمان من بني عبد الدار. ولواء المسلمين مع علي بن أبي طالب ﷺ[3]

وكان مع المشركين خمس عشرة امرأة يضربن بالدفوف خلف الرجال يحرضّنهم فقالت هند:

ويهاً بني عبد الدار ويهاً حماة الأدبار
ضرباً بكلّ بتّار

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٢١٧/٣.

(٢) تاريخ ابن الاثير ٢ / ١٥١.

(٣) كان لواء المسلمين مع عليﷺ في كل المعارك، مستدرك الحاكم ٣ / ١١١، مناقب، الخوارزمي ١ / ٢٢، الأرشاد، المفيد ٤٨، الثقات، ابن حبان ١ / ٢٢٤ - ٢٢٥، البحار ٢٠ / ٤٩، الاوائل، أبو هلال ١ / ١٨٣، المصنّف، عبد الرزاق ٢٨٨/٥، فتح الباري ٦ / ٨٩، أسد الغابة ٤ / ٢٠، الشافي، أبو حمزة ٤ / ١٦٤، أنساب الاشراف ٢ / ١٠٦. ولما كسرت يد عليّﷺ في أُحد أخذه بيده اليسرىٰ فقال ﷺ: إنه صاحب لوائي في الدنيا والآخرة تاريخ الخميس ٤٣٤/١، ذخائر العقبىٰ ٧٥، شرح التجريد، القوشجي ٤٨٦.

وتقول:

إن تقبلوا نعانق ونفرش النمارق أو تدبروا نفارق فراق غير وامق.

من قتل حاملي ألوية الكفر ؟

واقتتلوا قتالاً شديداً، وقتل حامل لواء المسلمين علي بن أبي طالب ﷺ حملة لواء المشركين من بني عبد الدار، فسقط لواءهم ولم يجرؤ على حمله أحد[1].

وطلب حامل لواء المشركين طلحة بن عثمان المبارزة فتقدم اليه علي ﷺ.

فقد كان طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين قد قال: يا معشر أصحاب محمد إنكم تزعمون أن الله يعجلنا بسيوفكم إلى النار ويعجلكم بسيوفنا إلى الجنّة، فهل منكم أعجله بسيفي إلى الجنّة أو يعجلني بسيفه إلى النار؟

فقام اليه علي بن أبي طالب ﷺ.

فقال طلحة: لقد علمتُ يا قضيم أنّه لا يجسر عليَّ احد غيرك، فصرعه علي ﷺ فوقع كالثور يخور في دمه (كان علي ﷺ في صباه في مكة يقضم آناف وآذان الصبيان المهاجمين لرسول الله ﷺ[2]). وجاء أيضاً:

فضربه على رجليه فقطعهما، فكشف طلحة عورته. وحلفه بالرحم ألاّ يقتله فتركه الإمام ﷺ[3].

إنّ قوّة رسول الله ﷺ وعلي ﷺ ليست في الشجاعة فقط بل في ربط الشجاعة بالأخلاق، فأخلاق الإمام ﷺ تتمثل في عدم قتل الفار والأسير ومن كشف عورته.

فتقدم عثمان بن أبي طلحة وأخذ الراية فقتله الإمام علي ﷺ.

ثم أخذ الراية أبو غدير بن عثمان بن أبي طلحة فقتله علي ﷺ.

---

(١) دلائل النبوة، البيهقي ٣ / ٢١٣، المعارف ١٥٩.

(٢) تفسير القمي، تاريخ ابن الاثير ٣ / ٢١٧.

(٣) تفسير القمي ١ / ١١٣، تفسير الطبري ٤ / ١٦٦، تاريخ الطبري ٢ / ١٩٤، مغازي الواقدي ١ / ٢٢٦.

ثم أخذ الراية عبد الله بن أبي جميلة بن زهير فقتله الإمام علي.

ثم أخذ الراية أبو سعيد بن أبي طلحة فقتله الإمام علي.

وقبل موته كشف عورته أيضاً[١].

ثم أخذها أرطأة بن شرحبيل فقتله الإمام علي.

ثم أخذها مولاهم صواب فضربه أمير المؤمنين علىٰ رأسه فقتله.

ثم أخذ راية الكفّار شريح بن قانط فقتله علي.

وسقطت الراية إلىٰ الأرض فأخذتها عمرة بنت علقمة الحارثية فقبضتها. وبلغ أصحاب اللواء المقتولون أحد عشر رجلاً قال الطبري وابن الزبير: كان الذي قتل حاملي اللواء علي ولولا لواء الحارثية أصبحوا يباعون في الاسواق بالثمن البخس[٢].

لذلك حقدت قريش علىٰ علي وآل علي واستمر هذا الحقد يغلي في دماء رجال الحزب القرشي إلىٰ يومنا هذا فقتلوهم في مواطن عديدة منها كربلاء. فقالت فاطمة بنت محمد: إنّ ما جرىٰ عليهم بعد وفاة رسول الله قد كان بسبب الأحقاد البدرية والترات الأحدية[٣].

وفرّ المشركون فراراً مرّاً، وبقي خالد بن الوليد في فرقة من فرسان قريش منتظراً فرصة نزول الرماة من جبلهم.

وفي معركة احد نادىٰ أبو سعد بن أبي طلحة ايضا صاحب لواء المشركين بين الصفين:

أنا قاصم من يبارز برازاً، فلم يخرج اليه احد، فقال: يا أصحاب محمد زعمتم أنّ قتلاكم في الجنّة وأنّ قتلانا في النار كذبتم واللات، لو تعلمون ذلك حقّاً لخرج اليّ

(١) تاريخ الخميس ١ / ٤٢٧.

(٢) تاريخ الخميس ١ / ٤٢٧، تفسير القمي ١ / ١١٣.

(٣) المناقب، ابن شهر آشوب ٢ / ٢٠٣، البحار ٤٣ / ١٥٦.

بعضكم، فخرج اليه علي بن أبي طالب عليه السلام فاختلفا ضربتين، فضربه علي فقتله[١].

وهو أول من كشف عورته أمامَ عليٍّ عليه السلام[٢].

هزيمة المسلمين

وكانت فرقة الرماة قد تركت أمر رسول الله صلى الله عليه وآله في الثبات فوق الجبل وحماية ظهر المسلمين فنزلت لجمع الغنائم! فاستغل خالد وجنوده هذه الفرصة فهاجم المسلمين من الخلف وعادت فلول الكفار فاطبقوا الحصار علىٰ المسلمين وقتَل وحشي حمزة وقُتِل ثمانية وستون مسلماً ومن المشركين قُتِل اثنان وعشرون كافراً[٣].

ففرّ المسلمون إلى جبل أُحد، وبقيت طائفة قليلة منهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله.[٤]

ولما دارت الدوائر علىٰ المسلمين قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من فرّ يوم الزحف فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنّم وبئس المصير.

واختلفت الأحداث في معركة أحد، إذ دارت الدوائر على المسلمين لعدم طاعتهم أوامر الرسول صلى الله عليه وآله، فانهزموا من أرض المعركة، مخلّفين النبي صلى الله عليه وآله مع بعض المسلمين في وسط عسكر الكفار؟!

وأجمعت الأخبار علىٰ انهزام عمر وأبي بكر وعثمان ومعظم المسلمين من أرض المعركة، وتركهم نبيهم محمداً صلى الله عليه وآله يلاقي سيوف قريش الحاقدة عليه وعلى الإسلام.

وذكر أبو القاسم البلخي أنّه لم يبق مع النبي صلى الله عليه وآله يوم أحد إلّا ثلاثة عشر نفساً خمسة من المهاجرين: أبو بكر وعلي وطلحة وعبد الرحمن وسعد بن أبي وقاص والباقون من الأنصار... وأمّا سائر المنهزمين فقد اجتمعوا على الجبل، وعمر بن

---

(١) سيرة ابن هشام ٣ / ٢٢٢، سيرة ابن كثير ٣ / ٣٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٤٨، تاريخ ابن الأثير ٢ / ١٤٩ - ١٦٤ تاريخ الطبري ٢ / ١٨٧ - ٢٠٨.

(٤) دلائل النبوة، البيهقي ٣ / ٢١٣، المعارف ١٥٩.

الخطاب كان من اولئك الفارين، كما في خبر إبن جرير[1].

وذكر الفخر الرازي: «ومن المنهزمين عمر إلاّ أنّه لم يكن في أوائل المنهزمين، ولم يبعد بل ثبت على الجبل إلىٰ أن صعد النبي ﷺ: ومنهم أيضاً عثمان انهزم مع رجلين من الأنصار، يقال لهما: سعد، وعقبة، انهزموا حتّىٰ بلغوا موضعاً بعيداً، ثمّ رجعوا بعد ثلاثة أيام»[2].

وقد اعترف عمر بفراره في يوم أحد، إذ جاءت امرأة لعمر أيامَ خِلافته، تطلب بُرداً من بُرود كانت بين يديه، وجاءت معها بنت لعمر، فأعطى المرأة وردّ ابنته. فقيل له في ذلك.

فقال: عمر إنّ أب هذه ثبت في يوم أحد، وأب هذه (اي عمر) فرّ يوم أحد، ولم يثبت[3] وهذه هي الصراحة. والشيء الملفت للنظر نزول قرآن في هؤلاء المنهزمين:

﴿إنَّ الذينَ تَوَلَّوا مِنكُم يَومَ التَقى الجمعانِ إنَّما استَزَلَّهُمُ الشيطانُ ببعضِ ما كَسَبوا﴾[4]

وذكر ذلك الزمخشري: «**﴿إنما استزلهم الشيطان﴾** طلب منهم الزلل، ودعاهم اليه ببعض ما كسبوا من ذنوبهم ومعناه: إنّ الذين انهزموا يوم أُحد، كان السبب في توليهم أنهم كانوا أطاعوا الشيطانَ، فاقترفوا ذنوباً فلذلك منعهم التأييد وتقوية القلوب حتّىٰ تولوا».

وقال السيوطي قال عمر: لمّا كان يوم أحد هزمونا، ففررت حتّىٰ صَعدت الجبل، فلقد رأيتني أنزو كأنّني أروىٰ[5].

(1) تفسير روح المعاني للآلوسي ٤/٩٩، أنساب الاشراف عن هامش كتاب المغازي ١ / ١٨.

(2) مفاتيح الغيب ٩/٥٢، تفسير الفخر الرازي ٣/٣٩٨، السيرة الحلبية ٢/٢٢٧.

(3) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٥/٢٢.

(4) آل عمران: ١٥٥.

(5) حياة الصحابة ٣/٤٩٧، كنز العمال ٢/٢٤٢، دلائل الصدق ٢/٣٥٨، تفسير ابن كثير ج ١.

وقال النيسابوري: الذي تدل عليه الأخبار في الجملة، إنَّ نفراً قليلاً تولوا وأبعدوا، فمنهم من دخل المدينة، ومنهم من ذهب إلىٰ سائر الجوانب، ومن المنهزمين عمر[1].

«وكان خالد بن الوليد يُحدِّث وهو بالشام عن فرار عمر وعدم قتله له! قائلاً:

الحمد لله الذي هداني للإسلام! لقد رأيتني ورأيت عمر بن الخطاب حين جالوا وانهزموا يوم أُحُد، وما معه أحدٌ، وإنّي لفي كتيبة خشناء، فما عرفه منهم أحدٌ غيري، فنكبت عنه، وخشيت إن أغريتُ به من معي أن يَصمُدوا له، فنظرت إليه مُوجهاً الى الشّعب»[2].لكن لماذا لم يقتله؟!

الجواب: كان عمر مأموراً بقتل رسول الله ﷺ قبل وبعد إسلامه وخالد عارف بذلك!

وقال الطبري: «لمَّا قَتَلَ علي بن أبي طالب أصحابَ الألوية، أبصر رسولُ الله ﷺ جماعة من مشركي قريش، فقال لِعلي أحمل عليهم، فحمل عليهم ففرَّق جمعهم وقتل عمرو بن عبد الله الجمحي، ثمَّ أبصر رسولُ الله ﷺ جماعة من مشركي قريش، فقال لعلي إحمل عليهم، فحمل عليهم ففرَّق جماعتهم، وقتل شيبة بن مالك أحد بني عامر بن لؤي.

فقال جبريل: يا رسول الله إنّ هذه المواساة، فقال رسول الله ﷺ إنَّه منّي وأنا منه، فقال جبريل: وأنا منكما فسمعوا صوتاً قال ﷺ انه جبريل يقول:

لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتىٰ إلّا علي[3]

---

(١) تفسير غرائب القرآن ٤/١١٢ـ١١٣، بهامش تفسير الطبري.

(٢) مغازي الواقدي ٢/٢٣٧، تفسير ابن كثير ١ / ٦٤٨.

(٣) تاريخ الطبري ٢/١٩٧، الكامل في التاريخ لابن الاثير ٢/١٥٤، شرح النهج، ١٤ / ٢٥٠، ٢٥١، مجمع الزوائد ٦ / ١١٤، ١٢٢، البحار ٢٠ / ٥٤، ٩٥، ١٠٥.

وقد حذف ابن كثير اسم جبريل واسم علي عليه السلام من الرواية! حسداً لوصي المصطفى؟[١]

وكان ذو الفقار سيف علي عليه السلام انزله جبرائيل فكان به يحارب وحليته من فضّة[٢] وقال ابن الأثير صار للنبي صلى الله عليه وآله فوهبه لعلي عليه السلام[٣].

والذين قتلوا بسيف علي عليه السلام في معركة أحد ايضاً: أبو الحكم بن الأخنس، وأمية بن أبي حذيفة[٤]، وعمرو بن عبد الله الجمحي وشيبة بن مالك[٥].

الملاحظ أن علياً عليه السلام وحده هجم على جيوش قريش وفرقها وقتل حاملي ألويتها.

وكان ابن قمية قد نادى قتلت محمداً واللات والعزى.

ووقع رسول الله صلى الله عليه وآله لشقه وشج رأسه وكسرت رباعيته وساح الدم غزيراً في وجهه وأصيب أمير المؤمنين عليه السلام في وجهه ورأسه وصدره وبطنه ويديه ورجليه تسعون جراحة فتحاموه.

وكانت هند بنت عتبة في وسط العسكر فكلما انهزم رجل من قريش رفعت اليه ميلاً ومكحلة وقالت: إنما أنت أمرأة فاكتحل بهذا[٦].

وفضح أنس بن مالك المحسوب علىٰ حزب أبي بكر المنهزمين واخفىٰ اسم أبي بكر قائلاً: إنتهىٰ أنس بن النضر عمّ أنس بن مالك إلىٰ عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم فقال ما يجلسكم؟

---

(١) البداية والنهاية ٤/٥٤.

(٢) البحار ٤٢ / ٥٧.

(٣) الكامل في التاريخ ٢/١٣٧.

(٤) مغازي الواقدي ١/٣٠٧.

(٥) تاريخ الطبري ٢/١٩٧.

(٦) تفسير القمي ١ / ١١٦.

قالوا قُتِل محمد رسول الله.

قال أنس: فما تصنعون بالحياة بعده، قوموا فموتوا علىٰ ما مات عليه رسول الله، ثمّ استقبل القوم فقاتل حتّىٰ قتل.

وجاء: «إن أنس بن النضر سمع نفراً من المسلمين يقولون لمّا سمعوا أنّ النبي قُتِل: ليت لنا مَنْ يأتي عبدالله بن أُبيّ بن سلول ليأخذ لنا أماناً من أبي سفيان قبل أن يقتلونا.

فقال لهم أنس: يا قوم إن كان محمد قد قُتِل فإنّ ربَّ محمد لم يقتل، فقاتلوا علىٰ ما قاتل عليه محمد. اللهم إنّي أعتذر إليك ممّا يقول هؤلاء وأبرأ إليك ممّا جاء به هؤلاء! ثمّ قاتل حتىٰ قتل[1].

واضح من هذا النص وجود علاقة قويّة بين ابن أُبي زعيم المنافقين وأبي سفيان رئيس الكفار، وكان الكفار لا يقتلون المنافقين المدسوسين في جيش المسلمين كما هو واضح في أقوال خالد بن الوليد وضرار بن الخطاب وسعيد بن العاص وهذا يبيّن قوّة جهاز الجاسوسية عند قريش وتقدّمها في هذا المضمار.

ومعرفة المنافقين الجواسيس في جيش النبي ﷺ سهل جدّاً لعدم إقدام الكفار على قتلهم وعدم قتلهم للكفار وفرارهم في الحروب ومعاداتهم للرسول وأهل بيته وحبّهم لقريش وبغضهم للأنصار.

وانتهت الهزيمة بجماعة من المسلمين فيهم عثمان بن عفان وغيره الى الأعوص فأقاموا به ثلاثاً. ثمّ أتوا النبي ﷺ فقال لهم ﷺ حين رآهم: لقد ذهبتم فيها عريضة[2].

وقال ابن كثير: وفرَّ عثمان بن عفان وسعد بن عثمان رجل من الأنصار حتىٰ بلغوا

(١) تاريخ الطبري ٢/١٩٧، الكامل في التاريخ ٣/١٥٦، تاريخ الطبري ٢/٢٠١، مغازي الواقدي ١/٢٨٠، تفسير ابن كثير ١/٦٤٩، السيرة النبوية، ابن كثير ٣/٦٨، تفسير القمي ١ / ١١٦.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الاثير ٢/١٥٨، البداية والنهاية، ابن كثير ٤/٣٢، تاريخ الطبري ٢/٢٠٣.

الجَلَعَب، جبل بناحية المدينة مما يلي الأعوص، فأقاموا ثلاثاً، ثم رجعوا، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال لهم: لقد ذهبتم فيها عريضة[١].

وقد ذكر ابن كثير (والمؤرخون وأصحاب السنن ومنهم البخاري) فرار عثمان بن عفان يوم بدر، واحد، وتغيبه عن بيعة الرضوان، لكنه عذره باعذار شتى[٢] لا تنفع.

إنَّ فرار عثمان البيّن في معارك أحد وحنين، وتخوفه من منازلة عمرو بن عبد ود العامري في معركة الخندق، وعدم مشاركته في حروب الردة، والفتح في زمن أبي بكر وعمر وأيام خلافته يثبت فراره في بدر[٣].

والمجموعة التي استعدت لطلب الأمان من أبي سفيان، هي مجموعة عمر وأبي بكر الفارين فوق الجبل، وقد ذكر الذهبي هذه الحادثة قائلاً: انهزم الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحد فبقي معه أحد عشر رجلاً سبعة من الأنصار ورجلين من قريش[٤].

والرجلان هما علي بن أبي طالب وأبو دجانة[٥].

وقال الدكتور مارسدن جونس في مقدّمة كتاب المغازي للواقدي ويظهر بوضوح أنّ النصّ في المخطوطة الأم، كان يذكر عثمان وعمر، أو عمر وحده، أو عثمان وحده، ممّن ولوا الأدبار يوم أحد ولكنّ الناسخ لم يقبل هذا في حقّ عمر أو عثمان، فأبدل اسميهما أو اسم أحدهما بقوله: فلان»[٦].

وذكر ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه عمر وعثمان بدل فلان من جملة الفارين[٧].

---

(١) السيرة النبوية، ابن كثير ٣/٥٥، البداية والنهاية ٤/٣١، ٣٢.

(٢) السيرة النبوية، ابن كثير ٣/٥٥، البداية والنهاية، ابن كثير ٤/٣١، ٣٢، وصحيح البخاري، كتاب المغازي في التاريخ ٢/١٥٨، كتاب المغازي ٢١ باب ح٤٠٦٨.

(٣) راجع المثالب، ابن الكلبي ص١٨٢.

(٤) تاريخ الإسلام للذهبي المغازي ص١٩١، دلائل النبوة، البيهقي ٣/٢٣٤، صحيح مسلم ٥/١٧٨.

(٥) شرح نهج البلاغة ١٣/٢٩٣، وآخر العثمانية: ٣٣٩.

(٦) مغازي الواقدي، ج١، مقدمة مارسدن جونس ص: ١٨.

(٧) شرح النهج ٣/٣٩٠ طبع دار الكتب العلمية، مصر.

وذكر البلاذري عن الواقدي أسم عثمان، ولم يذكر عمر[١].

وهذا من أدلّة عمل النساخ في تغيير السيرة النبوية وفق اهوائهم، وحذف مثالب رجال الحزب القرشي.

وبعد أن ذكرت النصوص السابقة فرار سعد بن أبي وقاص ذكره الحاكم عن سعد نفسه:

«لما جال الناس عن رسول الله ﷺ تلك الجولة تنحيت، فقلت: أذود عن نفسي، فأمّا أن استشهد وإمّا أن انجو.. إلىٰ أن قال: فقال رسول الله ﷺ: اين كنت اليوم يا سعد؟

فقلت: حيث رأيت»[٢]. فيكون سعد ممَّن فرَّ يوم احد ايضا !

ولمّا رجع سعد بن أبي وقاص من بئر معونة قال له رسول الله ﷺ: ما بعثتك قط إلّا رجعتَ إليّ من بين أصحابك[٣].

وكان المثنىٰ بن حارثة الشيباني شجاعاً وبعدما قُتِل[٤] تزوج سعد بن أبي وقاص زوجته (سلمىٰ بنت جعفر) فوجدت سلمىٰ تراجعاً وجبناً من سعد في القادسية فقالت:

وا مُثَنَّياه، ولا مُثَنَّى للمسلمين اليوم!

فلطمها سعد.

فقالت: أغَيْرَةً وجُبْناً؟!

فذهبت مثلاً[٥]. فعُرف جبن سعد في امثال العرب!

---

(١) أنساب الأشراف ١/٣٢٦.

(٢) مستدرك الحاكم ٣/٢٦.

(٣) مغازي الواقدي ١/٣٥٢.

(٤) بيد سعد راجع كتاب اغتيال الخليفة أبي بكر للمؤلف.

(٥) أسد الغابة ٥/٦٠.

وذكر محمد حسنين هيكل في كتابه: أنّ أبا بكر وعمر كانا ممّن فرَّ في معركة أحد[1].

وممّا يؤيد فرار أبي بكر وعمر في معركة أحد ما جاء في شرح النهج حيث قال: حضرت عند محمد بن معد العلوي الموسوي الفقيه، في داره بدرب الدواب ببغداد، في سنة ثمان وستماية، وقارئ يقرأ عنده مغازي الواقدي، فقرأ حدَّثنا الواقدي عن ابن أبي سبرة عن خالد بن رياح عن أبي سفيان مولىٰ ابن أبي احمد، قال: سمعت محمد بن سلمة يقول: سمعت أذناي ورأت عيناي رسول الله يقول يوم أحد، وقد انكشف عنه الناس الى الجبل، وهو يدعوهم ولا يلوون عليه:

إليّ يا فلان إليَّ يا فلان أنا رسول الله فما عرج عليه أحد منهما، ومضيا مع من مضىٰ عنه؟ فقال هذه كناية عنهما فأشار ابن معد إليَّ أي إسمع، فقلت وما في هذه فقلت له ويجوز أن لا يكون عنهما لعلّه عن غيرهما.

فقال: ليس في الصحابة من يحتشم ويستحيي من ذكره باسمه بالفرار، وما شابهه من العيب، فيضطر القائل الى الكناية إلّا هما (أي أبو بكر وعمر). قلت: هذا وهم.

فقال: دعنا من جدلك ومنعك، ثمَّ حلف بالله إنّ الواقدي ما عنىٰ غيرهما، ولو كان غيرهما لذكره صريحاً، وبان في وجهه التنكّر من مخالفتي له[2].

وقال الأستاذ محمد حسنين هيكل: وكان أكبر همٍّ كل مسلم أن ينجو بنفسه إلّا من عصم الله أمثال علي بن أبي طالب[3].

ولم يفرَّ رسول الله ﷺ من القتال وما ادَّعاه البعض فهو للتمويه على فرار الآخرين فقد نزل قرآنٌ في الفارين. وكيف يفر وقد انزل الله في الفارين ما أنزل.

وثانياً قال الواقدي: وصل رسول الله ﷺ الى الشعب مع أصحابه فلم يكن

---

(1) حياة محمد، هيكل ٣٠٩.

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ٣/٣٩٠ طبع مصر دار الكتب العربية الكبرىٰ.

(3) حياة محمد، محمد حسنين هيكل ص٣٠٩.

هناك قتال[١].

ولم يصعد المسلمون إلىٰ قمّة الجبل، بل بقوا في سفحه، فقد قال الواقدي: إنّ المسلمين لم يصعدوا الجبل وكانوا في سفحه، ولم يجاوزوه إلىٰ غيره وكان فيه النبي ﷺ[٢]. فسأل أبو سفيان عليّاً عليه السلام عن مقتل محمد ﷺ فقال علي عليه السلام: والله ما قُتِل محمد ﷺ وهو يسمع كلامك فقال أبو سفيان: أنت أصدق، لعن الله ابن قميته زعم أنه قتل محمداً.

وقال أبو سفيان: إنّ موعدنا وموعدكم في عام قابل فقال رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام قل نعم[٣].

ونزلت في احد: **﴿إن يمسسك قرح فقد مسّ القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء﴾**[٤].

(أولمّا أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنّىٰ هذا قل هو من عند انفسكم)[٥].

ونزلت ايضاً: «منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة»[٦].

فكان تركهم للجبل لجمع الغنائم الطامة الكبرىٰ لهم إذ قتلهم المشركون وتركوهم صرعىٰ علىٰ الغنائم! فقال ابن مسعود: ما شعرت أن أحداً من أصحاب النبي ﷺ كان يريد الدنيا وعرضها حتىٰ كان يوم أحد[٧].

وقد قال الإسكافي عن أبي بكر انه: لم يرم بسهم قط ولا سل سيفاً ولا أراق دماً، وهو أحد الأتباع غير مشهور ولا معروف ولا طالب ولا مطلوب. وردّ الإسكافي

---

(١) مغازي الواقدي ١/٢٨١.

(٢) مغازي الواقدي ٢/٢٧٨.

(٣) تفسير القمي ١ / ١١٧ – ١٢٤.

(٤) آل عمران ١٤٠.

(٥) آل عمران ١٦٥.

(٦) آل عمران ١٥٢.

(٧) تفسير الطبري ٤ / ١٧٤.

على الجاحظ بقوله: «أما ثباته (أبو بكر) يوم أحد، فاكثر المؤرخين وارباب السير ينكرونه»[١]. فرغب الطلقاء واحزاب الخندق في زعامته في السقيفة وخالفه أهل البيت عليهم السلام والأنصار!

ومن أدلة فرار أبي بكر يوم أحد ما أعترف به هو نفسه، إذ ورد عن عائشة: «كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد بكىٰ ثمّ قال: ذاك كان يوم طلحة... ثم أنشأ يحدّث، كنت أول من فاء (فرّ) يوم أحد، فرأيت رجلاً يقاتل مع رسول الله ﷺ فقلت: كن طلحة، حيث فاتني ما فاتني، يكون رجلاً من قومي»[٢].

وسوف يظهر قريباً أنّ طلحة التيمي قد فرّ ايضاً مع أبي بكر وعمر!! وفي هذا النص اعترف أبو بكر بفراره قائلاً: فاتني أي الاشتراك في الحرب، وبكىٰ من هروبه ذاك.

قال الأمير أسامه بن منقذ: «لمّا دوّن عمر الدواوين، جاء طلحة بنفر من بني تيم يستقرض لهم. وجاء انصاري بغلام مصفّر سقيم، فسأل عنه عمر، فأخبر أنّه البراء بن أنس ابن النضر، ففرض له في أربعة آلاف، وفرض لأصحاب طلحة في ست مئة، فاعترض طلحة.

فأجابه عمر: إنّي رأيت أبا هذا جاء يوم أحد، وانا وأبو بكر قد تحدّثنا: أنّ رسول الله قُتِل، فقال: يا أبا بكر ويا عمر: مالي أراكما جالسين؟ إن كان رسول الله قتِل فإنّ الله حيٌّ لا يموت»[٣]!

وهكذا أبطل عمر قول أبي بكر بثبات طلحة التيمي في معركة أحد واثبت بانه

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٣/٢٩٣، وآخر العثمانية ص٣٣٩.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/١٥٥، السيرة النبوية لابن كثير ٣/٥٨، كنز العمال ١٠/٢٦٨، تاريخ الخميس ١/٤٣١، حياة الصحابة ١/٢٧٢، دلائل الصدق ٣٥٩، البداية والنهاية ٤/٣٣، تاريخ الإسلام، الذهبي، كتاب المغازي ص١٩١، تفسير ابن كثير ١/٦٥٤، المستدرك، الحاكم ٣/٢٧.

(٣) لباب الآداب ١٧٩، حياة محمد ﷺ لهيكل ٢٦٥، تاريخ الطبري ٢/١٩٩.

كان مع أبي بكر الفار فوق الجبل، يتحدث بأنّ محمداً ﷺ قد مات. أمّـا أنس بـن النضر فقد ثبت.

وقالت المعتزلة: ذلك الذنب (الفرار) إن كان من الصغائر جاز العفو عنه من غير توبة، وإن كان من الكبائر لم يجز إلّا مع التوبة[١].

فقُتِل حمزة بن عبد المطلب بواسطة وحشي غلام جبير بن مطعم الذي اغرته هند أُم معاوية بنفسها وجواهراتها،ووفت له وكانت تحب مواقعة السودان! وأراد جبير بن مطعم قتل رسول الله ﷺ أو حمزة أو علي ﷺ بعمه طعيمة بن عدي[٢].

وقال أبو سفيان بعد اسلامه في منطقة معركة احد: والآن لو وجدت رجالاً[٣]، واستمر الأمويون في حقدهم على حمزة والإسلام ففي أيام عثمان ضرب أبو سفيان قبر حمزة برجله قائلاً: يا أبا عمارة إن الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمسىٰ في يد غلماننا اليوم يتلاعبون به[٤].

وأجرىٰ معاوية الماء علىٰ قبر حمزة وباقي قبور الشهداء في احـد فـقال جـابر الانصاري:

فلقد رأيتهم يحملون علىٰ أعناق الرجال كانهم قوم نـيام، وأصـابت المسـحاة طرف رجل حمزة فانبعث دم[٥].

وقد حرّم رسول الله ﷺ المثلة بالانسان[٦].

---

(١) تفسير الفخر الرازي ٣/٣٩٩.

(٢) السيرة الحلبية ٢ / ٢١٧، المغازي، الواقدي ٢ / ٢٨٥، وبعدما أسلم وحشي استمر في شرب الخمر فطرد من الديوان واستمر في ذلك إلىٰ ان مات غريقاً في بركة خمر في دمشق. السيرة الحلبية ٢ / ٢٤٩، تاريخ الخميس ١/٤٢٦، سيرة ابن هشام ٣/٩٧.

(٣) ربيع الإبرار ١ / ٥٥٩.

(٤) شرح النهج ٤ / ٥١، قاموس الرجال ١٠ / ٨٩ هـ ٥ / ١١٦.

(٥) السـيرة الحلبية ٢ / ٢٥٠، تاريخ الخميس ١ / ٤٤٣، المغازي، الواقدي ١ / ٢٦٧، ٢٦٨، دلائل النبوة، البيهقي ٣/٢٩١، دلائل النبوة، أبو نعيم ٤٤٩، طبقات ابن سعد ٣ / ٥.

(٦) سنن البيهقي ٩ / ٦٩، سنن البخاري ٣ / ٣١، المصنّف ٩ / ٢٥٩، المغازي، الواقدي ١ / ٢٩٠.

وبكىٰ رسول الله ﷺ علىٰ حمزة قائلاً: أما حمزة فلا بواكي له[١].

ومنع عمر للبكاء نابع من محاولته منع فاطمة ؏ من البكاء علىٰ أبيها رسول الله ﷺ الذي فيه معانٍ سياسية كثيرة علىٰ رأسها توجيه الأنظار إلىٰ قاتليه ومخالفي سياسته من رجال الحزب القرشي. ونظريته تتمثّل في تحريم البكاء على من قتلهم الحزب القرشي.

وقتل من المسلمين تسعة وسبعون رجلاً وقتل من المشركين ستة عشر.

الدلائل والعبر

إن طاعة القائد (رسول الله ﷺ) تسبَّبت في انتصار المسلمين في بداية المعركة، ولما خالف حراس الجبل أوامر رسول الله ﷺ غُلبوا وهزموا، وبقيت تلك الحادثة في أذهان المسلمين دالّة علىٰ خطورة المعصية.

وبعد ما خسر المسلمون معركة احد قرر رسول الله ﷺ بحكمته الاجتماع في حمراء الأسد في اليوم الثاني وملاحقة قوات العدوان، فخرج المقاتلون وكلّهم رغبة في الانتقام من المشركين، فخاف أبو سفيان وجنوده فأعطىٰ أحد الأعراب إبلاً كثيرة مع حمولتها علىٰ أن يمنع رسول الله ﷺ من ملاحقتهم . فكذب ذلك الاعرابي كذبة تتمثل في وصول قوات اخرىٰ لقريش وهم في الروحاء علىٰ بعد خمسة وثلاثين ميلاً من المدينة.

ولما لاحق النبي ﷺ الكفّار،فرّ أبو سفيان ورجاله فراراً منكراً حوّل معه انتصارهم إلىٰ هزيمة، وتحولت هزيمة المسلمين إلىٰ نصر ،واقام المسلمون هناك ثلاثة أيام وأخذوا ابا عزة الجمحي اسيراً.

وبعد عودة رسول الله ﷺ والمسلمين إلىٰ المدينة أعطىٰ النبي ﷺ سيف

---

(١) السيرة الحلبية ٢ / ٨٩، الإصابة ٢ / ٢٥١، طبقات ابن سعد ٣ / ٣٩٦، ٢ / ٣١٣.

علي عليه السلام لفاطمة عليها السلام قائلاً:

خذيه يافاطمة فقد أدّىٰ بعلك ما عليه اليوم، وقد قتل الله بسيفه صناديد قريش[١].

أمّا أبو عزة فلقد أسره المسلمون في بدر وأطلقه الرسول صلى الله عليه وآله لبناته الخمس! بعد أخذه عليه العهد أن لا يعود لحرب المسلمين، وأن لا يظاهر عليه أحد، فنقض ذلك، فأمر الرسول صلى الله عليه وآله بقتله.

ومن الناحية التربوية والفقهية حرّم الرسول صلى الله عليه وآله النظر الى العورة وكشفها والتمثيل بالموتى، بينما وقعت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يجدعن الآذان والأنوف حتى اتخذت هند من آذان الرجال وآنفهم خدماً وقلائد، وأعطت خدمها وقلائدها واقراطها وحشياً، وبقرت كبد حمزة فلاكته فلم تستطع أن تستسيغه فلفظته[٢].

ومن العبر أنّ المنافقين من جواسيس قريش ومنافقي الأنصار لم يشتركوا في المعركة إلى جانب النبي صلى الله عليه وآله فبيّنت الحرب الصادقين وفضحت الفاسقين، وقال النبي صلى الله عليه وآله لعثمان الفار من المعركة لمدّة ثلاثة أيّام: لقد ذهبت بها عريضة[٣].

مقتل رقية ربيبة النبي صلى الله عليه وآله

هي رقية بنت هالة[٤] بنت خويلد وخالتها خديجة، ولما مات أبوها وامها أصبحت ربيبة رسول الله صلى الله عليه وآله.

---

(١) الأرشاد، المفيد ٥٤، البحار ٢٠ / ٨٨، مجمع البيان ٢ / ٥٣٩.

(٢) عيون الأثر ١/٤٢٤.

(٣) تاريخ ابن الأثير ٣/١٥٨.

(٤) زبدة البيان، الاردبيلي ٥٧٥.

وتزوّجها في مكة عتبة بن أبي لهب، ثم طلقها بأمر أبيه، وأُمه حمالة الحطب[١].

ثم طلب عثمان من رسول الله ﷺ أن يزوّجه رقية ويدخل الاسلام، فتألفه رسول الله ﷺ وزوّجه اياها.

ثم ساءت علاقته بها مثلما ساءت علاقة عثمان برسول الله ﷺ وعلي عليه السلام وعمار بن ياسر وصحابة رسول الله ﷺ ولم يذب عثمان في الإسلام كما ذاب عمار وسلمان والمقداد وأبو ذر وسعد بن عبادة ففي معركة بدر امتنع عثمان من المشاركة فيها فعيّره بذلك عبدالرحمن بن عوف وابن مسعود والمقداد[٢].

واستنقاص هؤلاء الصحابة لعثمان يثبت فراره ولا يترك المجال للشك في هذا الموضوع إذ استمروا في تعييره بذلك الأمر علىٰ مدىٰ سنوات عديدة ولم يتخلص عثمان من تلك القضية حتىٰ في أواخر سني عمره.

ولا يمكن اجتماع هؤلاء الصحابة علىٰ الكذب خاصة وان جميع كتب السيرة والحديث والتفسير تتفق علىٰ فرار عثمان في معركة بدر[٣].

ولم تتمكن المؤسسة الأموية من الوقوف أمام تلك الاحاديث المتواترة.

وقد حدثت معركة بدر في السنة الثانية للهجرة.

وفي السنة الثالثة للهجرة حدثت معركة احد، وفي تلك السنة فر عثمان بن عفان فراراً لم يفره باقي الصحابة إذ عاد بعد نهاية الحرب بثلاثة أيام لذهابه إلىٰ منطقة الجلعب فقال له ولصحبه رسول الله ﷺ:

لقد ذهبتم بها عريضة[٤].

وفي هذه الحادثة الثانية ايضاً كانت الاحاديث متواترة والأخبار شائعة بما لا

(١) البحار ٢١ / ٣٦٩.

(٢) شذرات الذهب ١ / ٢٤٦، تاريخ المدينة المنورة ٣ / ١٠٣٣، شرح النهج ١ / ٦٦.

(٣) شذرات الذهب ١ / ٢٤٦، تاريخ المدينة ٣ / ١٠٣٣، شرح النهج ١ / ٦٦.

(٤) سيرة ابن كثير ٣ / ٥٥، البداية والنهاية ٤ / ٣١،٣٢.

مجال للشك والطعن فيها فذكر فرار عثمان في معركة احد الكتّاب الأمويون وغيرهم.

فأصبح عثمان الأموي معروفاً بالهزيمة بين صحابة رسول اللهﷺ ومن الطبيعي ان يكون مهاناً ومطروداً عن المنزلة الرائدة والفاضلة التي حصل عليها سائر المسلمين المشاركين في تلك المعركتين.

ومن الطبيعي أن تكون نظرة المسلمين له نظرة شكٍ وريبة سيما وإنه من اعوان القرشيين عامة والامويين خاصة، ودعمت هذه النظرية وجود أبي سفيان الأموي زعيماً لقريش وقائداً لجيشها.

فكثرت وازدادت النقمة الإسلامية علىٰ عثمان الفار في معركتين عظيمتين بين الموحدين والكافرين وشاعت الطعون عليه فلم يتمكن من القضاء عليها حتىٰ في أيام حكومته، رغم مرور اكثر من ثلاثين سنة علىٰ هاتين الواقعتين.

ورغم القوة القاهرة التي كان يتمتع بها والمعتمدة علىٰ البطش والقتل والتبعيد وقطع الموارد المالية والطرد من المناصب الحكومية عيّره الصحابة في خلافته بإنتهاكاته العديدة للتشريع الاسلامي والدماء الكثيرة التي هدرها.

وهكذا أصبح اسم عثمان بن عفان في القائمة الأموية بعد مرور فترة قصيرة علىٰ مكث المسلمين في المدينة.

والذي فجّر الاحداث قضية معاوية بن المغيرة بن أبي العاص الاموي فهذا الرجل كان مع قريش في معركة احد التي انتصر فيها المشركون.

ثم قام مع هند بنت عتبة بتمزيق اوصال حمزة سيد الشهداء[1].

وبعد انسحاب جيش المشركين بقي معاوية بن المغيرة يتجسس أخبار المسلمين وتحركاتهم العسكرية مما أوقعه في مأزق وخاف وقوعه بأيدي المسلمين أسيراً فجاء إلىٰ بيت عثمان بن عفان.

---

(١) السيرة الحلبية ٢ / ٢٦٠، أنساب الاشراف ١ / ٣٣٧.

ورغم الواجب الديني الداعي لطرد ذلك المجرم الخطير فقد قام عثمان بن عفان باخفائه في زاوية من زوايا بيته.

وهذا العمل بين تفضيل عثمان لبني أمية علىٰ رسول الله ﷺ، وهذا الحب الاموى **استمر طيلة حياة عثمان قبل وبعد زمن حكومته وقد قال عثمان رأيه بصراحة في هذا الأمر.والمدهش في قضية معاوية بن المغيرة الأموي ذهابه إلىٰ بيت عثمان بن عفان دون تردد .**

وهذا الأمر لا يحدث الّا إذا كان عثمان منسجماً مع السيرة الأموية وكيف لا يكون منسجماً معها وهو الذي امتنع من محاربة قريش في بدر واحد.

وباختفاء جاسوس قريش في بيت عثمان أصبح ذلك البيت وكراً لجواسيس المشركين .

وأخبار النبي ﷺ بهذه القضية سيكون قطعاً من دلائل النبوة له ﷺ.

وقال عثمان لزوجته رقية: لا تخبري أباك.

فقالت: ما كنت لأكتم النبي ﷺ عدوه[1].

فنزل جبرئيل من السماء وأخبر الرسول ﷺ باخفاء عثمان لمعاوية في بيته فأرسل ﷺ مجموعة من الصحابة إلىٰ بيت عثمان فاخرجوا معاوية منه، وجاءوا به إلىٰ رسول الله ﷺ.

فجاء عثمان وتوسل برسول الله ﷺ للصفح عن معاوية، فتركه ﷺ وامهله ثلاثة أيام للخروج من المدينة وأقسم النبي ﷺ علىٰ قتله ان وجده في اطرافها، وسار رسول الله ﷺ إلىٰ حمراء الاسد.

لكنه لم يخرج منها وبقي في اطراف المدينة يتجسس أخبار جيوش المسلمين!

---

(١) الكافي ٣ / ٢٥١.

فأخبر جبرائيل رسول الله ﷺ بذلك فارسل علياً ؑ وعماراً فقتله علي ؑ[١].

وبعد مقتل معاوية بن المغيرة الأموي ثارت ثائرة عثمان بن عفان على رقية لدرجة أن تطاول عليها ضرباً وقال: أنتِ أخبرت أباك بمكانه.

فبعثت إلى النبي ﷺ ثلاث مرّات تشكو ما لَقيت والنبي ﷺ لا يستجيب.

وفي الرابعة أرسل النبي ﷺ علياً ؑ ليأتي بها؛ فإن حال بينه وبينها أحد فليحطمه بالسيف، فأخرجها علي ؑ.

فلما نظرت إلى النبي ﷺ رفعت صوتها بالبكاء، وبكى النبي ﷺ وأخذها إلى منزله وأرتهم ما بظهرها ثم ماتت رقية في اليوم الرابع .

وبات عثمان ملتحفاً بجاريتها[٢].

وورد في دعاء شهر رمضان ذكر هذه الحادثة حيث جاء:

«اللهم صلِّ على أم كلثوم بنت نبيّك والعن من آذى نبيّك فيها»[٣].

وأُم كلثوم هو كنية رقية.

«وانتقصت عائشة عثمان بفعله ذاك (قتله رقية) قائلة: ولكن كان منك فيها ما قد علمت»[٤]

ولقد لفت نظري شدة ثأر عثمان لابن عمه معاوية بن المغيرة إذ لم يكتفِ بقتل رقية بل جامع جاريتها في ليلة قتلها! وهذا فعل لا يغتفر ولقبح الجريمة فقد أخبر جبرئيل النبي ﷺ بذلك.

---

(١) السيرة الحلبية ٢ / ٢٦٠، النزاع والتخاصم ٢٠، أنساب الاشراف ١ / ٣٢٧، شرح النهج ١٥ / ٤٦، ٤٧، البحار ٢٠/١٤٥، البداية والنهاية ٤ / ٥١.

(٢) الكافي ٣ / ٢٥١ – ٢٥٣ – الإصابة ٤ / ٣٠٤، الإستيعاب المطبوع بهامش الإصابة ٤ / ٣٠١، قاموس الرجال ١٠/٤٠٨ – ٤٠٩.

(٣) رجال المامقاني ٣ / ٧٤، قاموس الرجال ٦ / ٤٠٦، ٤٠٧، الصحيح من سيرة النبي، جعفر مرتضى العاملي.

(٤) قاموس الرجال ١٠ / ٤٤٠.

العقاب النبوي

ومن الطبيعي اشتداد حزن رسول الله ﷺ علىٰ ربيبته المظلومة المقتولة في سبيل الله والشهيدة في طريق الإسلام.

فكيف إذا اضيف إلىٰ ذلك نكاح عثمان لجاريتها في ليلة موتها وقبل دفنها فرغب رسول الله ﷺ في الأنتقام لها علىٰ طريقته الخاصة فكان اعظم عقوبة نبوية لعثمان.

إذ قال رسول الله ﷺ لا يتبعنا أحد الَمّ (نكح) بجاريته البارحة[1].قال ذلك أمام المشيّعين من الصحابة.

فعند ذلك عرف عثمان بانه المقصود بذلك الكلام النبوي.فكان موقفاً محرجاً له وخطيراً فهو بين أمرين:

الأول: البقاء ضمن المشيّعين وهذا ما يدفع بالرسول ﷺ للاشارة اليه بانه هو المقصود بكلامه.

والثاني: العودة إلىٰ بيته وترك مراسم التشييع وسيكون ذلك أمام انظار المشيعين الآخرين، فعندها يشترك المسلمون في تشييع رقية ويطرد زوجها فقط!

وهذه ضربة قوية لسمعة عثمان ومنزلته الاجتماعية والسياسية.

وقد انتخب عثمان الطريقة الاولىٰ فبقي في صفوف المشيعين غير مهتم لقول رسول الله ﷺ والاخبار السماوي.

فكرر النبي ﷺ القول ثلاث مرّات فلما كان في الرابعة قال ﷺ:لينصرفن أو لأسمّينه باسمه.

فأقبل عثمان متوكئاً علىٰ مولىٰ له فقال: إنّي أشتكي بطني. فقال ﷺ: انصرف[2]

---

(١) سنن البخاري طبع سنة ١٣٠٩، ١ / ١٥٢، ١٤٦ مستدرك الحاكم ٤ / ٤٧، الإصابة ٤ / ٣٠٤، الروض الأنف ٣ / ١٢٧، فتح الباري ٣ / ١٢٧، البداية والنهاية، ٥ / ٤٧، الكافي ٣ / ٢٥٢، ٢٥٣.

(٢) الكافي ٣ / ٢٥١ – ٢٥٣، الإستيعاب المطبوع بهامش الإصابة ٤ / ٣٠١،قاموس الرجال ١٠ / ٤٠٨ – ٤٠٩، الإصابة ٤ / ٣٠٤.

وقال أحمد بن حنبل: فلعنه رسول الله ﷺ خمس مرّات! ومنعه ﷺ من حضور مراسم تشييعها ودفنها قائلاً: لا يتبعنا احد ألمَّ بجاريته البارحة لأجل ان عثمان الّمّ (جامع) بجارية رقية، فرجع عثمان بدعوىٰ ألم في بطنه[١].

وقال ابن حبيب: إنّ السر في إيثار أبي طلحة علىٰ عثمان (في نزول قبرها) أن عثمان كان قد جامع بعض جواريه في تلك الليلة فتلطف ﷺ في منعه النزول في قبر زوجته بغير تصريح[٢].

وقال الكليني في الكافي: إنّ رقية لما قتلها عثمان وقف النبي ﷺ علىٰ قبرها فرفع رأسه إلىٰ السماء فدمعت عيناه وقال للناس: إنّي ذكرت هذه وما لقيت فرققت لها واستوهبتها من ضمة القبر[٣].

وذلك الطرد النبوي لعثمان من مراسم دفن زوجته هو اعظم عقوبة ينالها مسلم. وهذه العقوبة هي التي شجعت المسلمين علىٰ الثورة عليه والنيل منه ثم تركه جثة هامدة علىٰ مزابل المسلمين ثلاثة أيام ثم دفنه في مقابر اليهود![٤].

ورغم هذه العقوبة فقد استمر عثمان في نهجه الأموي فبدل رجوعه عن ذلك مضىٰ في عمله انتقاماً لذلك! وكان مع عمر يمنعان الناس من دفنه ﷺ وينادیان بعدم موته وذهابه إلىٰ ربّه![٥] وامتنع عن حضور مراسم دفن رسول الله ﷺ.

اي ان رسول الله ﷺ قتل معاوية بن المغيرة، وعثمان قتل رقية واحدة بواحدة! ولكن اين معاوية من رقية، فمعاوية مجرم حارب المسلمين ومثّل بجسد حمزة سيد الشهداء وتجسس علىٰ المسلمين، ورقية لم ترتكب ذنباً ولم تقتل احداً. ثم لم يعين

---

(١) مسند أحمد برواية الصراط المستقيم ٣ / الباب ١٢ / ٣٤، المستدرك، الحاكم ٤ / ٥٢، الاربعين، القمي الشيرازي ٥٨٧.

(٢) فتح الباري ٣ / ١٢٧.

(٣) قاموس الرجال ١٠ / ٤٣٩.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٧٦.

(٥) العثمانية، الجاحظ ٧٩.

رسول الله ﷺ عثمان في اى منصب حكومى .ولم يقر عثمان بالجريمة وعفا الرسول عنه باعتباره ولى الدم .

الأنتقام العثماني

ان عثمان الأموي سار علىٰ المنهج القبلي البعيد عن العدل فقتل فرداً من الافراد المحسوبين علىٰ القبيلة التي قتلت ابن عمه.

والأنكىٰ من ذلك ان عثمان لم يصدق المقولة النبوية بإخبار جبرئيل له بوجود معاوية بن المغيرة في بيت عثمان وأصرّ علىٰ اعتقاده المبني علىٰ أخبار رقية للنبي ﷺ بذلك وهذا شيء خطير لان الإسلام يؤمن بالاخبارات الغيبية وبنفيها ينتفي الاسلام،إذ قال تعالىٰ: **﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾**[1].

وانتقم عثمان بن عفان مرّة ثانية لنفسه بالمشاركة مع معاوية في الهجوم علىٰ بيت فاطمة بنت محمد ﷺ وقتلها[2] .

فيكون عثمان قد قتل رقية ربيبة النبي ﷺ وشارك في قتل فاطمة بنت النبي ﷺ.

وانتقم عثمان من علي ﷺ قاتل معاوية بن المغيرة[3] بالافعال السابقة التي فعلها عثمان ضد رسول الله ﷺ وابنته فاطمة ﷺ، وما فعله من اغتصاب خلافته وهضم حقوقه وانتقاص منزلته .

ولما كان عمار بن ياسر هو الشخص الثاني المشارك في قتل الكافر معاوية بن المغيرة الأموي فقد انتقم منه عثمان بن عفان إذ هجم عليه بنفسه في صلاة الجمعة في

---

(١) البقرة ٢، ٣.

(٢) الاختصاص للمفيد ١٨٤-١٨٧.

(٣) الكافي ٣ / ٢٥١ - ٢٦٣.

مسجد رسول الله ﷺ فضربه بيده ورجله ففتق بطنه[١].

ثم قتله الأمويون في معركة صفين وشوهوا سمعته فابرزوه في صورة عبد الله بن سبأ[٢].

واستفحل العداء بين الهاشميين والأمويين فشارك معاوية بن أبي سفيان في الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام وقتلها.

وثأر المشركون لقتلاهم في بدر في معركة احد،فعبث يزيد بن معاوية برأس الحسين بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ انتقاماً لبدر ومقتل معاوية بن المغيرة قائلا:

ليت اشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل[٣]

لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل

قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلناه ببدر فاعتدل

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

لست من خندف إن لم انتقم من بني أحمد ما كان فعل[٤]

فقالت له زينب: ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوءا أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤون[٥].

وانتقم لاحقاً عبد الملك بن مروان (حفيد معاوية بن المغيرة) لجده بظلمه لأهل البيت عليهم السلام ومطاردتهم وقتلهم.

اي ان الأمويين (عثمان ومعاوية بن أبي سفيان ويزيد وعبد الملك بن مروان) قد انتقموا لقتلاهم مرات عديدة في بدر واحد رغم موتهم على الكفر واعمالهم المخزية.

---

(١) البحار ٣١ / ١٩٤، شرح النهج ١ / ٢٣٩، العقد الفريد ٢ / ٢٧٢، الشافي، المرتضى ٤ / ٢٩١.

(٢) راجع كتاب عبد الله بن سبأ لمرتضى العسكري.

(٣) الأسل: السيف.

(٤) اعلام النساء ١ / ٥٠٤، البداية والنهاية ٨ / ١٩٢.

(٥) بحار الانوار ٤٥ / ١٣٣.

والإعتداء على النساء عادة قرشية جاهلية ارتكبوها بحق رقية وفاطمة عليها السلام وفعلوها مع زينب ربيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وكانت حامل إذ هجم عليها عمرو بن العاص وهبار بن الأسود في الطريق بين مكة والمدينة فاسقطت جنينها[1].

روايات واحاديث مزيفة

وكثرت الاكاذيب الأموية في سبب تخلف عثمان عن معركة بدر فمرة قالوا: بتخلفه عن بدر لانه كان مريضاً بالجدري[2].

ومرة قالوا انه تخلف لتمريض رقية واعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله سهمه[3].

وهذه من اكاذيب الأمويين لان النبي صلى الله عليه وآله لم يسهم له بشيء ولم يسهم لكل الفارين.

وأسهم فقط لأبي امامة بن ثعلبة الذي بقي لتمريض أمه بأمر النبي صلى الله عليه وآله فضرب له صلى الله عليه وآله بسهمه وصلى صلى الله عليه وآله على قبرها بعدما عاد من بدر[4].

وفي يوم الشورى بعد موت عمر قال علي عليه السلام لطلحة وعثمان وباقي اعضاء الشورى:

أفيكم أحد كان له سهم في الحاضر وسهم في الغائب؟

قالوا: لا[5].

وقد عيّره عبد الرحمن بن عوف عدّة مرات بفراره عن بدر فقد قال الوليد بن عقبة له: ما لي أراك جفوت أمير المؤمنين عثمان؟

---

(١) شرح النهج ٦ / ٢٨٢، ١٤ / ١٩٢، الإصابة ٣ / ٥٨، أسد الغابة ٥ / ٣٨٤.

(٢) السيرة النبوية ٢ / ١٤٦، ١٨٥.

(٣) شذرات الذهب ١ / ٢٤٦.

(٤) الأصابة ٤ / ٩، الإستيعاب بهامش الإصابة ٤ / ٤، السيرة الحلبية ٢ / ١٤٧.

(٥) اللآليء المصنوعة ١ / ٣٦٢، الضعفاء الكبير ١ / ٢١١ - ٢١١، ترجمة الإمام علي من تاريخ ابن عساكر بتحقيق المحمودي ٣ / ٩٣.

فقال له عبد الرحمن: أبلغه أنّي لم أفر يوم عنين (أُحد) ولم اتخلف عن بدر ولم أترك سنة عمر[١].

في حين كان عبد الرحمن بن عوف أقرب الناس لعثمان فقد آخىٰ رسول الله ﷺ بينه وبين عثمان، وهو الذي بايع بالخلافة لعثمان وترك علي بن أبي طالب عليه السلام.

وحاول الأمويون التستر علىٰ قتل رقية بدعوىٰ مزيفة مفادها زواج عثمان من أُم كلثوم بنت النبي ﷺ وانها ايضاً ماتت بعد اختها. وهذه الرواية ايضاً من اكاذيب الامويين، لان أُم كلثوم لا حقيقة لها كما اثبتنا في هذا الكتاب وكنية رقية أُم كلثوم.

ومن الاحاديث الكاذبة ان رقية بنت رسول الله ﷺ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما زوجت عثمان أُمّ كلثوم إلا بوحي من السماء أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه[٢]، من طريق أحمد بن محمد بن المغلس الكذاب الوضاع الشهير. عن عبد الكريم بن روح البزاز الأموي البصري قال أبو حاتم: مجهول، ويقال: إنّه متروك.

وقال إبن حبان: يخطيء ويخالف ومجهول (ص ١٠١) وقال الذهبي: لا يُعرف تفرد عنه ولده روح.

فإن تعجب فعجب سكوت مثل الخطيب عن سند هذا شأنه صوناً لكرامة الأمويين[٣].

لقد وجد الأمويون اعمال عثمان بن عفان فعالجوها بأكاذيبهم المعروفة فغلبت علىٰ البعض وغلب البعض عليها.

---

(١) مسند أحمد ١ / ٦٨، ٧٥، الدر المنثور ٢ / ٨٩ مغازي الواقدي ١ / ٢٧٨، محاضرات الادباء ٢ / ١٨٤، شرح النهج ١٥ / ٢١، ٢٢.

(٢) تاريخ بغداد ٢ / ٣٦٤.

(٣) الغدير، ٥ / ٣٢٦.

فعذروا عثمان بتمريضه لرقية في معركة بدر ولم تكن مريضة حينها، ولانعدام التخطيط الاموى المحكم في الكذب فقد عذره آخرون منهم بانه مرض بالجدري!

ولما كانت رقية قد ضربت وقتلت في قضية معاوية بن المغيرة الأموي فقد قدم الأمويون واذنابهم زمن موتها فقالوا بموتها في معركة بدر!

ولما وجدوا اكاذيبهم لا تنفع مع الواقع والأحاديث الصحيحة في طرد النبي ﷺ لعثمان من مراسم دفن رقية المكناة بام كلثوم فقد وضعوا روايات في تزويج النبي ﷺ عثمان من اختها أم كلثوم. وان أُم كلثوم هي التي ماتت بعد معركة احد!

ولكن الروايات الصحيحة الكثيرة فضحتهم وكشفتهم وبقيت الاسئلة المطروحة عليهم دون جواب منهم حول قضية معاوية بن المغيرة الأموي وضرب عثمان لرقية حتىٰ الموت وفرار عثمان من بدر واحد والرضوان ومنع النبي ﷺ لعثمان من حضور مراسم دفن رقية.

من منع البكاء علىٰ المظلومين؟

لقد دعا رسول الله ﷺ للبكاء علىٰ حمزة قائلاً: علىٰ مثل حمزة فلتبكِ البواكي وبكى هو عليه وعلىٰ رقية أمام المسلمين.

وتأثر رسول الله ﷺ بموت رقية ومظلوميتها المرّة فقال الحق بسلفك الصالح عثمان بن مظعون، وفاطمة عليها السلام علىٰ شفير القبر تنحدر دموعها في القبر[1]. فجعل ﷺ يمسح الدموع عن وجه فاطمة عليها السلام[2].

ثم وقف رسول الله ﷺ علىٰ قبرها ورفع يديه تلقاء السماء ودمعت عيناه[3].

ورغم الموقف النبوي ببكائه ﷺ فقد خالف عمر ذلك.

(١) وسائل الشيعة ٢ / ٩٢١.

(٢) السنن الكبرىٰ البيهقي ٤ / ٧٠.

(٣) كتاب الزهد، الحسين بن سعيد الكوفي ٨٧.

اذ اخرج النسائي وابن ماجة عن أبي هريرة: مات ميت في آل محمدﷺ فاجتمع النساء يبكين عليها فقام عمر ينهاهن ويطردهن ويضربهن بسوطه، فاخذ النبيﷺ سوطه وقال: دعهن يبكين ياعمر [١] فإن العين دامعة والقلب مصاب والعهد قريب[٢].

أقول: لقد خاف عمر يومها انفجار الوضع علىٰ عثمان ومقتله فعمل ما ذكرناه !

ولقد عُرف عمر بن الخطاب بمنعه البكاء علىٰ الميت .ومن خلال قراءتي للسيرة النبوية وكتب الحديث وجدت بانه صاحب نظرية خاصة تتمثل في منع البكاء علىٰ المقتولين بيد رجال الحزب القرشي واجازته للبكاء علىٰ غير هؤلاء!

فقد منع عمر البكاء علىٰ رقية لان قاتلها عثمان بن عفان، والبكاء عليها يسبب حركة اجتماعية سياسية دينية تهدد عثمان وأصحابه.

ثم منع فاطمة من البكاء علىٰ رسول اللهﷺ بعد مقتله لانه قُتِل بيد زعامة الحزب القرشي[٣].فبنىٰ لها عليﷺ بيتاً لذلك الغرض سمي بيت الاحزان.

ولما قُتِل أبو بكر بيد الحزب القرشي منع عمر البكاء والنوح عليه فأدخل الرجال بيت عائشة وضرب أُم فروة بنت أبي قحافة فاعمىٰ عينها وأصبحت عوراء[٤].

لان ذلك المجلس الجماهيري في البكاء والنوح والرثاء للميت قد يسبب انتفاضة عارمة علىٰ الدولة المتسببة في قتل أبي بكر فلم يراعِ عمر حرمة لأُم فروة وغيرها ولم يهتم لعائشة ونداءاتها في تحريم دخول بيتها![٥].

ولما أمر عمر بن الخطاب بقتل خالد بن الوليد وتحقق ذلك عمل بنو مخزوم مجلساً

(١) مستدرك الوسائل، النوري ٢ / ٤٦٧.

(٢) عمدة القارىء ٤ / ٧٨.

(٣) راجع كتاب هل اغتيل النبي محمدﷺ للمؤلف.

(٤) راجع كتاب اغتيال الخليفة أبي بكر والسيدة عائشة للمؤلف.

(٥) تاريخ الطبري ٤ حوادث سنة ١٣ هـ، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٠٤، كنز العمال ١٨ / ١١٨ كتاب الموت، طبقات ابن سعد ٢٠٨.

نسائياً لهذا الغرض فهجم عليه بنفسه بصحبة الرجال وضرب النائحة وكشف شعرها.

ولم يراع في ذلك حرمة لقبيلة بني مخزوم الكبيرة ولا لأم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية خالة خالد التي أقامت مجلس العزاء في بيتها، وضرب كل نساء بني مخزوم الحاضرات في المجلس بنفسه وبدرته[1].

في حين بكىٰ عمر طويلاً علىٰ قتلىٰ المشركين في بدر الذين القاهم رسول الله ﷺ في القليب قائلاً:

وكائن بالقليب قليب بدر	من الفتيان والعرب الكرام
أيوعدنا ابن كبشة أن سنحيا	وكيف حياة أصداء وهام
ايعجز ان يردّ الموت عنّي	وينشرني إذا بليت عظامي
فقل لله يمنعني شرابي	وقل لله يمنعني طعامي[2].

لقد أدرك المسلمون قيمة البكاء والرثاء وأجاز القرآن الكريم ذلك ودعا النبي ﷺ للبكاء علىٰ حمزة وبكىٰ هو على حمزة وبكىٰ علىٰ الحسين عليه السلام. وشرعت زينب في معركة خطابية رثائية عارمة للتعريف بثورة وشهادة الإمام الحسين[3].

(١) عبقرية عمر، العقاد ٣٣.

(٢) اسباب النزول، الواحدي وأخرجه الطبري في تفسيرها لآية: لا تقربوا الصلاة وانتم سكارىٰ ٢ / ٢٠٣، ٢١١، ربيع الابرار، الزمخشري، تفسير الآية.

(٣) سبل السلام، ابن حجر ٢/١١٥،الاحتجاج ١/١٩٤.

الغزوات بعد معركة أحد

بعد معركة احد حدثت غزوة حمراء الأسد على رأس إثنين وثلاثين شهراً من هجرة رسول الله ﷺ لملاحقة قوّات قريش الذين يأتمرون للرجوع إلى المدينة ففرّت قريش راجعة[1].

وسرية أبي سلمة إلى قَطَن وهدفها الإغارة على بني أسد وهم مائة وخمسون رجلاً فلم يصيبوا كيداً وأصابوا النعم والشاء[2].

وغزوة بئر معونة على رأس ستّة وثلاثين شهراً حيث غدروا بالمسلمين فدعا النبي ﷺ على بني لحيان وعَظَل والقارة[3].

وهذه الغزوات الإسلامية الكثيرة تبيّن إصرار رسول الله ﷺ والمسلمين على الدفاع عن الإسلام والجهاد في سبيله دون كلل ولا ملل. وتلك الروح الإسلامية العالية هي التي نصرت الإسلام وفتحت البلدان.

غزوة بئر معونة

حدثت غزوة بئر معونة في صفر علىٰ رأس ستة وثلاثين شهراً.

وعند الواقدي وغيره كانت في زمن واحد مع سرية الرجيع[4] ولم يكن في تلك

---

(١) مغازي الواقدي ١/٣٣٨، ٣٣٩.

(٢) مغازي الواقدي ١/٣٤٢، ٣٤٣. وشاء جمع شاة.

(٣) مغازي الواقدي ١/٣٥٠ ـ ٣٥٢.

(٤) مغازي الواقدي ١ / ٣٤٩، السيرة الحلبية ٢ / ١٧٢، ١٧٤، سيرة ابن دحلان ١٠ / ٢٦٠.

السرية إلّا انصاري واستثنىٰ البعض عمرو بن أمية الضمري[١] اذ اتفق أبو البراء مع رسول الله ﷺ علىٰ حماية المسلمين الذين يرسلهم للدعوة في نجد، فأرسل النبي ﷺ ستة نفر إلىٰ نجد ليعلموهم.

وكان رسول الله ﷺ قد شافىٰ أبا البراء ملاعب الأسنة من دبيلة خرجت في بطنه[٢].

ولما زار عامر بن الطفيل رسول الله ﷺ تعجب من اخلاقه إذ لم يستطع معرفته من بين المسلمين. وطلب عامر أن يكون لرسول الله السلطة علىٰ السهل وله السلطة علىٰ أهل الوبر وله خلافة النبوة. وكان عنده ألف أشقر وألف شقراء.

ولمّا لم يتفق عامر بن الطفيل مع رسول الله ﷺ ولم يُسْلِم فقد اقدم علىٰ محاولة قتل المسلمين الذين أرسلهم النبي ﷺ[٣].

ولما قتل عامر بن الطفيل حرام بن ملحان قال: لا احسبه إلّا أنّ له أصحاباً فاقتصوا أثره حتىٰ أتوهم فقتلوهم[٤].

ومن الطبيعي وقوع مسؤولية مقتل هؤلاء علىٰ أبي البراء الذي تعهد بحمايتهم، لذا طعن ربيعة بن أبي براء عامر بن أبي الطفيل وقتله.

وتمكن عمرو بن أمية الضمري من العودة إلىٰ رسول الله ﷺ سالماً ولم يقتله عامر بن الطفيل لأنّه مضري واكتفىٰ بجز ناصيته[٥] وهذا يبين عمق الاحساس القومي القبلي في صفوف عرب الجاهلية[٦].

---

(١) المغازي، الواقدي ١ / ٣٥٢، طبقات ابن سعد ٢ / ٣٦، ٣٧، سنن البخاري ٣ / ١٩، عمدة القاري ١٧ / ١٧٤.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٧٢.

(٣) وفي رواية كان عددهم سبعين وفي رواية اربعين وفي رواية سبعة وفي رواية ستة ولا يعقل ارسال النبي ﷺ لعدد كبير من المسلمين كمبلغين.

(٤) الدر المنثور ٢ / ٩٥، تاريخ الطبري ٢ / ٥٥٠، المغازي، الواقدي ١ / ٣٤٨.

(٥) مغازي الذهبي ٢٣٧، مغازي عروة ١٨٠، سيرة ابن هشام ٣ / ٢٣٢، سنن مسلم ٢ ١٩٠٢ كتاب الأمارة باب ثبوت الجنّة للشهيد.

(٦) وقيل بانه مات بدعاء رسول الله ﷺ عليه فرماه الله تعالىٰ بالذبحة، مجمع الزوائد ٦ / ١٢٥، ١٢٦.

غزوة الرجيع

وكانت في صفر علىٰ رأس ستة وثلاثين شهراً إذ بعث رسول الله ﷺ عيوناً له إلىٰ مكة ليخبروه باوضاع واهداف قريش فسلكوا علىٰ النجدية فاعترضهم بنو لحيان عندما كانوا بالرجيع.

لما قُتِل سفيان بن خالد بن نبيح الهذلي مَشت بنو لحيان إلىٰ عضل والقارة فجعلوا لهم فرائض علىٰ أن يقدموا علىٰ رسول الله ﷺ فيكلموه فيخرج إليهم نفراً من أصحابه يدعونهم إلىٰ الإسلام فنقتل من قتل صاحبنا، ونخرج بسائرهم إلىٰ قريش بمكة فنصيب بهم ثمناً، فإنهم ليسوا الشيء أحب إليهم من أن يؤتوا بأحد من أصحاب محمد يمثلون به ويقتلونه بمن قتل منهم ببدر.

فقدم سبعة نفر من عضل والقارة وهما حيّان من الهون بن خزيمة مقرين بالاسلام (زيفاً) فقالوا لرسول الله ﷺ إنّ فينا إسلاماً فاشياً فابعث معنا نفراً من أصحابك يقرئوننا القرآن ويفقهوننا في الإسلام فبعث معهم سبعة نفر هم:

مرثد بن أبي مرثد الغنوي، وخالد بن أبي البكير، وزيد بن الدثنة، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، وعبد الله بن طارق البلوي، وأخاه لأمّه معتب بن عبيد، وحبيب بن عدي بن الحارث.

ولما وصلوا إلىٰ ماء الرجيع هجم عليهم اللحيانيون، فحصل بينهم قتال، فأسر حبيب بن عدي، وزيد ين الدثنة، وعبد الله بن طارق. وأمّا عاصم وخالد ومعتب فأبوا أن يقبلوا جوارهم وأمانهم وقال عاصم: إنّي نذرت ألّا اقبل جوار مشرك أبداً فقاتل حتىٰ قُتِل.

وكانت سلافة بنت سعد بن الشهيد قد قُتِل زوجها وبنوها أربعة قتل عاصم منهم اثنين فنذرت لئن أمكنها الله منه أن تشرب في قحف رأسه الخمر.

وقُتِل معتب[١].

فباعوا خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة إلىٰ قريش، وأقدم كفار قـريش عـلىٰ قتلهما[٢].

وهذه العملية من قبل بني لحيان وقريش تبين الفكر والعقائد الجاهلية علىٰ أسوأ حال. وتوضّح المكر الذي وصل إليه الأعراب.

محاولة يهود بني النضير قتل النبي ﷺ

وبنو النضير من يهود الشام لذلك سادوا علىٰ سائر يهود المدينة وهو الصحيح وقيل من قبيلة جذام العربية ثم تهوّدوا[٣]. والنضير جـبل عـلىٰ بـعد مـيلين مـن المدينة[٤]. وكان بنو النضير قد عاهدوا رسول الله ﷺ أن لايحاربوه، ولا يحاربوا معه[٥].

وقال ابن اسحاق وقعة بني النضير في السنة الرابعة للـهجرة[٦] وهـو الصـحيح عندنا.

وكانت العداوة بين اليهود وبالخصوص بني النضير وبين المسلمين قد ساءت بعد اعمال كعب بن الأشرف ضد المسلمين ومحالفته مشركي قريش، وتحتم علىٰ المسلمين ابعادهم عن المدينة.

---

(١) مغازي الواقدي ١ / ٣٥٧، السيرة الحلبية ٣ / ١٦٥، صفة الصفوة ١ / ٢٥٥، أُسد الغابة ٢ / ١٠٣، البداية والنهاية ٤ / ٦٢.

(٢) المصادر السابقة.

(٣) تاريخ اليعقوبي ١ / ٤٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٤ / ٣٣١.

(٥) تفسير الطبرسي ٥ / ٢٥٨.

(٦) دلائل النبوة، البيهقي ٣/٣٥٤، طبعة دار الكتب العلمية، سنن البخاري، كتاب المغازي، باب حديث بني النضير، فتح الباري ٧/٣٢٩، وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب اجلاء اليهود من الحجاز ص ١٣٨٧ ـ ١٣٨٨، ح ٦٢.

ولما قتل المسلمون كعب بن الاشرف اشتدت العداوة ففكر اليهود في قتل رسول الله ﷺ. وكانت هناك روايتان في ذلك مرّة في محاولة قتله بصخرة ومرّة بمحاولة قتله بخنجر.

لقد خرج رسول الله ﷺ إلىٰ بني النضير يستعينهم في الديّة، للقتيلين الذين قتلهما عمرو بن أميّة وهما من بني عامر، للعهد الذي كان ﷺ اعطاهما، وكان بين بني النضير وبين بني عامر عهد وحلف.

وعند وصول النبي محمد ﷺ الى بنى النظير حاولت اليهود اغتياله، فخطط يهود بني النضير لالقاء صخرة عليه أثناء زيارته لهم، فاخبره الله تعالىٰ بذلك قبل الجريمة.

بينما قال الزهرى وقعت الحادثة في السنة الثانية للهجرة أي بعد غزوة بدر بستة أشهر نقلا عن عروة بن الزبير وأيدهما النووي، والسهيلي، وموسىٰ بن عقبة، والعسقلاني، والذهبي[1].

قالوا: نعم يا أبا القاسم نُعينك علىٰ ما أحببت، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنّكم لن تجدوا الرجل علىٰ مثل حاله هذه، ورسول الله ﷺ إلىٰ جانب جدار من بيوتهم قاعد. فقالوا: من رجلٌ يعلو هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيقتله بها فيريحنا منه، فانتدب لذلك عمرو بن جَحّاش بن كعب فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقي عليه صخرةً ورسول الله ﷺ في نفرٍ من أصحابه وقال سلام بن مشكم لقومه لا تفعلوا والله ليخبرن بما هممتم به[2].

---

(١) تاريخ الإسلام، الذهبي ١٢٢، ١٩٧، تاريخ الخميس ١/٤٦٠، فتح الباري ٧/٢٥٥، الدر المنثور ٦/١٨٦، فتح الباري ٧/٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٦، البحار ٢٠/١٦٠ – ١٦٢، طبقات ابن سعد ٢/٥٧، سنن البخاري ٣/١٠، سيرة ابن كثير ٣ / ١٤٥، سيرة ابن دحلان ١ / ٢٦٠، الروض الأنف ٣ / ٣٥٠، الجامع لاحكام القرآن ١٨ / ٣٦، فتوح البلدان ١ / ١٨، البداية والنهاية ٤ / ٧٤.

(٢) الطبقات الكبرىٰ ٢ / ٥٧، سيرة ابن دحلان ١ / ٢٦٠.

فأتاه الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وقال لأصحابه: لا تبرحوا، فخرج راجعاً الى المدينة. وقيل إنّهم رموا الحجر على رسول الله ﷺ وأخذه جبريل[١]

فلما استبطأ النبي ﷺ أصحابه قاموا في طلبه، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسألوه عنه فقال: رأيته داخلاً المدينة. فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه فأخبرهم الخبر بما أرادت يهود من الغدر.

وفي رواية حاول يهود بني النضير الغدر برسول الله ﷺ إذ قالوا له: أخرج الينا في ثلاثة من اصحابك ويلقاك ثلاثة من علمائنا فان آمنوا بك اتبعناك فاشتمل اليهود على الخناجر، فارسلت امرأة من بني النضير إلى اخ لها من الانصار مسلم تخبره بخبر بني النضير[٢] وان قريشا قد أمرت اليهود بحرب النبي ﷺ وان هذا الأمر هو الذي تسبب في غزوة بني النضير اي ان النبي ﷺ لم يذهب إليهم .

واعتبر رسول الله ﷺ محاولتهم قتله نقضاً للعهد المبرم بينهما، وقد قال تعالى: **﴿ واوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ﴾**[٣] **﴿ والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ﴾**[٤].

وقال النبي ﷺ: لا دين لمن لا عهد له[٥].

وقال الإمام علي لمالك الاشتر: ولا تمسّن مال أحدٍ من الناس مصل ولا معاهد[٦].

الحصار

فأمرهم النبي ﷺ أوّلاً بالرحيل من المدينة بسبب نقضهم للصلح ومحاولتهم قتل النبي ﷺ لكن اهل النفاق ثبتوهم فقويت نفوسهم واستكبر حيي بن اخطب

---

(١) دلائل النبوة، أبو نعيم ٤٢٣.

(٢) فتح الباري ٧ / ٢٥٥، الدر المنثور ٦ / ١٨٩.

(٣) النحل ٩١.

(٤) البقرة ١٧٧.

(٥) السنن الكبرى ٩ / ٢٣١، غرر الخصائص الواضحة ٦٠.

(٦) نهج البلاغة ج ٣ / ٩٠ رسالة ٥١.

واليهود ونقضوا عهودهم مع الرسول ﷺ، فأمر رسول الله ﷺ بحربهم والسير إليهم، فسار بالناس حتىٰ نزَلَ بهم فتحصنوا منه في الحصون.

وحاصرهم المسلمون خمسة عشر يوماً[١] فدخل في نفوس اليهود الرعب.

﴿وقذف في قلوبهم الرعب﴾ [٢].

وكان اللواء بيد علي ﷺ [٣] وفي اثناء الحصار رمي يهودى قبة النبي ﷺ بسهم فلاحقه علي ﷺ وقتله .وجاء في سورة الحشر عن الواقعة:

﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة علىٰ أصولها فبإذن الله وليخزي الله الفاسقين﴾ [٤].

واللينة: النخلة ما لم تكن عجوة أو برنية. فان كانت من الالوان فهي الرديئة فليستبقوا لانفسهم العجوة والبرنية، وان كانت من كرام النخل فليكن غيظ اليهود اشد[٥]. وكان نخلهم في منطقة البويرة فقطع المسلمون بعض نخيلهم لتسهيل حركة الجيش .

قال قتادة والضحاك: انهم قطعوا من نخيلهم وأحرقوا ست نخلات.

وقال محمد بن اسحاق: إنهم قطعوا نخلة وأحرقوا نخلة[٦]. لا يجاد سعة في المكان ليسهل القتال[٧].

وشقّ ذلك علىٰ اليهود فقالوا: يا محمد ألست تزعم أنك نبي تريد الصلاح، افمن الصلاح قطع النخل وحرق الشجر.. فنزلت الآية بتصديق من نهىٰ عن القطع

---

(١) مغازي الواقدي ١ / ٣٧٤، تاريخ الطبري ٢ / ٢٢٥ طبقات ابن سعد ٢ / ٥٨.

(٢) الحشر ٢.

(٣) الثقات ١ / ٢٤٢.

(٤) الحشر ٥.

(٥) تفسير الفخر الرازي ١٠ / ٥٠٥، تفسير الزمخشري ٤ / ٥٠٠.

(٦) تفسير القركب ١٨ / ٦.

(٧) تفسير الزمخشري ٤ / ٥٠٠، تفسير الرازي ١٠ / ٥٠٥، تفسير القرطبي ١٨ / ٦ تاريخ الخميس ١ / ٤٦١.

وتحليل من قطع من الإثم، وأخبر ان قطعة وتركه بإذن الله فأجابهم الله تعالىٰ بان قطعها قد حصل ليخزي به الفاسقين[١].

وكان سعد بن عبادة يبعث بالتمر إلىٰ المسلمين أثناء حصارهم لبني النضير[٢].

اخراج اليهود

وكان النبي ﷺ قد حاصرهم حتىٰ بلغ منهم كل مبلغ، فأعطوه ما أراد منهم فصالحهم علىٰ أن يحقن لهم دماءهم وان يخرجهم من أرضيهم وأوطانهم، وأن يسيِّرهم إلىٰ خيبر وفدك وأذرعات الشام[٣].

وانا استبعد خروجهم إلىٰ أذرعات الشام لانها كانت بيد الروم المعارضين لتواجد اليهود في الشام[٤]. وقد بدأت هجرة اليهود الى الشام في زمن عمر بعد اسلام كعب الأحبار وطلبه ذلك[٥].

فاتفق معهم رسول الله ﷺ على أنّ لهم ما حملت الإبل دون الذهب والفضة والسلاح[٦].

وأسلم من بني النضير رجلان هما يامين بن عمير وأبو سعد بن وهب احرز اموالهما.

(١) تفسير الطوسي ٩ / ٥٦١، تفسير الطبرسي ٥ / ٢٥٨.

(٢) السيرة الحلبية ٢ / ٢٦٥.

(٣) دلائل النبوة، البيهقي ٣/٣٥٤ ـ ٣٥٩، طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت، تاريخ الطبري ٢/٢٢٣، ٢٢٤ طبعة الأعلمي ـ بيروت، الثقات ١/٢٤٣، سيرة مغلطاي ٥٣، التنبيه والاشراف ٢١٣، الدر المنثور ٦/١٨٨، مرآة الجنان ١ / ٩، تاريخ الاسلام، الذهبي، المغازي ٢٣٣.

(٤) راجع كتاب نظريات الخليفتين ٢/٣٨٣ ـ ٤٠٠ للمؤلف.

(٥) راجع كتاب نظريات الخليفتين، المؤلف ٢/٣٨٧.

(٦) تاريخ اليعقوبي ٢/٤٩.

وكانت عند بني النضير اموال كثيرة وسلاح متمثل في خمسين درعاً وخمسين بيضة وثلاثمائة وأربعين سيفاً[١].

وذهب سلام بن أبي الحقيق وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وحيي بن اخطب والآخرون إلىٰ خيبر، ولأنّهم سادة بني النضير فقد سادوا خيبرا.

واستقبلتهم يهود خيبر بما فيهم النساء والأطفال، والقيان تعزف بالدفوف والمزامير خلفهم[٢].

وحملوا علىٰ ستمائة بعير، وكان بعض الانصار تهودوا بواسطة امهاتهم اللاتي نذرن ذلك إن عاشوا، فلما اخليت بنو النضير قال آباء اولئك: لا ندع أبناءنا وانزل الله تعالىٰ: لا اكراه في الدين.

وبقيت النخيل والمزارع لرسول الله ﷺ خاصة فقسمها بين المهاجرين الأولين دون الانصار واعطىٰ سهل بن حنيف وأبا دجانة والحارث بن الصمة من الانصار لفقرهم. وتلك الأموال مما لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، فهي له ولكن رسول الله ﷺ اعطاهاللمسلمين، والظاهر بانهم لم يقاتلوا، فلو قاتلوا لأصبحت أموالهم غنائم لكل المسلمين. وكان ﷺ ينفق علىٰ اهله منها نفقة سنة[٣].

و قال الكلبي: قسم رسول الله ﷺ أموال بني النضير إلّا سبعة حوائط منها أمسكها ولم يقسمها[٤].

ولما قسم الاراضي علىٰ المهاجرين أمرهم برد اراضي الانصار التي اعطوها

---

(١) المغازي، الواقدي ١ / ٣٧٧، السيرة الحلبية ٢ / ٣٦٨.

(٢) تاريخ الخميس ١ / ٤٦١، السيرة الحلبية ٢ / ٢٦٧، تاريخ اليعقوبي ٢ / ٤٩.

(٣) تاريخ الخميس ١ / ٤٦١، الطبقات الكبرىٰ ٢ / ٥٨، سيرة ابن دحلان ١ / ٢٦١، دلائل النبوة، أبو نعيم ٤٢٩، تاريخ الطبري ٢ / ٥٥٣، فتح القدير ٥ / ٢٧٥، الجامع لاحكام القرآن ٣ / ٢٨٠، ١٨ / ١١.

(٤) الخراج، القرشي ٣٦.

لهم[1].

وحزن المنافقون علىٰ بني النضير حزناً شديداً[2] وانضم إليهم حسان بن ثابت ومدح بني النضير في كرمهم وسقيهم الناس الخمر[3].

والملاحظ بان الله سبحانه قد سلب هؤلاء اليهود عقولهم فاصبحوا حمقىٰ لابتعادهم عن الحق فضاعت دنياهم بعدما ضيّعوا بانفسهم آخرتهم، وقد لفت سلام بن مشكم نظرهم إلىٰ ذلك بوجوب أتباع رسول الله ﷺ لكنهم رفضوا ذلك.

وكان بنو النضير ألف رجل وهم من بني هارون وسادة يهود المنطقة، وكان النضيري إذا قتل يهودياً قريظيا يدفع نصف الدية، بينما إذا قتل قريظي نضيرياً يدفع الدية كاملة[4] وجاء في سورة الحشر التي نزلت في بني النضير:

﴿هو الذي اخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾[5].

والغدر اليهودي بالمسلمين والنصارىٰ من الأمور المشهورة كما في حوادث غدرهم بالاسبان الأمر الذي تسبب في طردهم من هناك فآوتهم الدولة العثمانية واسكنتهم في مدينة سالونيك فغدروا بالمسلمين إذ قام كمال اتاتورك اليهودي بمحاربة الإسلام في محاولة منه للقضاء عليه في البلاد التركية[6]!

---

(١) السيرة الحلبية ٢ / ٢٦٨، احكام القرآن، ابن العربي ٤ / ١٧٧٦، الكشّاف ٤ / ٥٠٥، ارشاد الشاري ٥ / ٢١٠.

(٢) الطبقات، ابن سعد ٢ / ٥٧، مغازي الواقدي ١ / ٣٧٦.

(٣) السيرة الحلبية ٢ / ٢٠٤.

(٤) تفسير جامع البيان ٦ / ١٥٤، ١٥٧، ١٦٤، ١٦٥، فتح القدير ٢ / ٤٣، ٤٤، البحار ٢ / ١٦٦، ١٦٨، تفسير القمي ١ / ١٦٨، ١٦٩ تفسير البرهان ١ / ٤٧٢.

(٥) الحشر ٢.

(٦) راجع كتاب الفكر القومي اسلامياً وتاريخياً للمؤلف.

الدلائل والعبر

من الناحية التربوية استمر غدر اليهود عبر التاريخ يقابله اخلاص ووفاء نبوي.

ومن الناحية الفقهية حرم الرسول قطع النخيل وباقي الاشجار الا لضرورة.

لم يأمر رسول الله ﷺ إلاّ بقطع ست نخلات فقط لايجاد فسحة ارضية لتحرك الجيش، ولو أراد قطع النخيل لقطع المئات منها في تلك المدّة التي حاصرهم بها. وقد اتفقت الروايات بأنّ المسلمين لم يقطعوا إلاّ ستاً. ورواية تقول بأنّهم قطعوا واحدة فقط. لعلم رسول الله ﷺ بأنّ ملكها سيكون للمسلمين والله تعالىٰ يجيز قطع الاشجار الكائنة في طريق جيوش المسلمين والمانعة لتحرّكهم ويحرم الفساد. وتصوّر اليهود أنّهم سيقطعون كل النخيل وينسحبون فخابت آمالهم وظنونهم لأنّ رسول الله ﷺ جاء لفتح مدينتهم ومزارعهم وتوزيع الأموال علىٰ المسلمين.

وأنزل تعالىٰ سورة قرآنية كاملة في تلك الوقعة:

﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأوّل الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنّوا أنّهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أُولي الأبصار﴾[1].

وكان رسول الله ﷺ قد وعد المسلمين فتح مدينة بني النضير، لذا قال عمر لرسول الله ﷺ: لماذا تقطع النخل وأنت وعدتنا بالفتح.

لذلك تكون التحليلات والشروح حول جواز قطع اشجار النخيل الرديئة الالوان وعدم قطع الجيّدة منها العجوة والبرنية في غير موضعها.ولم ينفع اليهود

(١) الحشر ٢.

طعامهم الذي كان يكفيهم سنة وماؤهم الجاري[١].

والأمر الثاني: بيّن الله تعالىٰ في سورة الحشر أنّ وعود المنافقين لحلفائهم يهود بني النضير بالحرب إلىٰ جانبهم وعود كاذبة إذ قال سبحانه:

﴿ألم تر إلىٰ الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم لننصرنّكم والله يشهد إنّهم لكاذبون لئن أُخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولُّن الادبار ثم لا ينصرون﴾[٢].

ومن الدلائل والعبر سرعة سقوط الحصون المنيعة المذكورة إذ سقطت في خمسة عشر يوماً[٣].

وكان خراب تلك الديار اسرع من المتصور إذ شارك في ذلك المهاجرون والمدافعون! كما جاء في القرآن والسيرة النبوية، وهذا مصداق لقوله ﷺ: من كان مع الله كان الله معه[٤] إذن أهم شيء في الدنيا هو الاخلاص لله تعالىٰ والتضرع اليه ليكون الجواب الإلهي بتقديم النصر المؤزّر علىٰ الأعداء. قال تعالىٰ في سورة الحشر:

﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون﴾[٥].

وبيّن تعالىٰ حكم الفيء في القرآن الكريم:

﴿فلله وللرسول ولذى القربىٰ واليتامىٰ والمساكين وابن السبيل..﴾[٦].

والفيء هو ما حصل عليه المسلمون دون حرب.

---

(١) مغازي الواقدي ١ / ٣٦٨.

(٢) الحشر ١١، ١٢.

(٣) مغازي الواقدي ١ / ٣٧٤، تاريخ الطبري ٢ / ٢٢٥.

(٤) كشف الخفاء، العجلوني ٢ / ٢٧٢.

(٥) الحشر ١٩.

(٦) الحشر ٧.

وقدرة رسول الله ﷺ الادارية والعسكرية تمثلت في ابتداء غزوته ببني قريظة كي لا يحارب على جبهتين ولا تتعرض قواته ومدينته للاغارة أثناء حصاره لبني النضير، وهذه من دلائل قدرته ﷺ الفائقة في الحرب فعاهدهم أولاً ثم انصرف بالكتائب إلى بني النضير فقال زعيم بني قريظة كعب بن أسد: لا ينقض العهد رجل من بني قريظة وأنا حي[1].

ولم يرغب رسول الله ﷺ بحرب يهود بني النضير وهم في دورهم وحين اضطرّ الى ذلك بدأ المسلمون يخربون بيوت اليهود المتحصنين فيها، وفي نفس الوقت كان اليهود يهدمون تلك الدور من أدبارها! إلى أن وصلوا إلى آخر دورهم وهم ينتظرون المنافقين وما كانوا منّوهم[2] وتبيّن الحادثة فقدان زعماء بني النضير للحكمة إذا طلب منهم رسول الله ﷺ اولاً الجلاء لا غير فرفضوا وأعلنوا الحرب فكبّر رسول الله ﷺ والمسلمون[3].

وتبيّن الحادثة اعتماد رسول الله ﷺ التام على علي عليه السلام في خلافته له إذ رجع ﷺ إلى بيته في الليلة الاولى وترك الجيش الأسلامي بقيادة علي عليه السلام [4] وهو حامل لوائه الذي قتل بطل بني النضير غزول مع عشرة آخرين[5].

وجاء عن علي كرم الله تعالى وجهه قوله: خرجت مع رسول الله فصاحت نخلة بأخرى هذا النبي المصطفى وعلي المرتضى.

فقال ﷺ: ياعلي إنّما سمي نخل المدينة أي هذا النوع صيحانياً لأنّه صاح

---

(١) تاريخ عيون الأثر ٢ / ٢٥.

(٢) مغازي الذهبي ١٥٠، مغازي الواقدي ١ / ٣٨٠.

(٣) مغازي الواقدي ١ / ٣٧٠، السيرة الحلبية ٢ / ٢٦٥.

(٤) مغازى الوقدي ١ / ٣٧١.

(٥) السيرة الحلبية ٢ / ٢٦٥، الثقات ١ / ٢٤٢، الأرشاد ١ / ٩٢.

بفضلي[١].

وكان الإمام علي ﷺ هو الذي قتل بطل يهود خيبر مرحب وهو الذي قاد لواء الحرب على بني قريظة لهذا حقد عليه اليهود من امثال كعب الأحبار وعبد الله بن سلام ووهب بن منبه وأتباعهم وحلفائهم من المنافقين والكافرين.

ومن الناحية الفقهية تجدر الإشارة هنا إلى أنّه لم ينزل تحريم الخمر في بني النضير كما اشاعوا ذلك في قضية مسجد الفضيخ بل حرمه الله تعالى في مكة في بداية البعثة كما هو محرم في سائر الديانات[٢].

---

(١) السيرة الحلبية ٢ / ٢٦٥.

(٢) راجع وفاء الوفاء ٣ / ٨٢٠، السيرة الحلبية ٢ / ٢٦٣ - ٢٦٧، تاريخ الطبري ٢ / ٢٢٤ - ٢٢٨، مغازي الذهبي ١٤٥ - ١٥٥، مغازي الواقدي ١ / ٣٧٥ - ٣٨٥.

الفصل الثالث

معركة الخندق

إسلام سلمان الفارسي

كان سلمان الفارسي من عائلة فارسية غنية في رامهرمز، والناس في بلده على دين المجوسية، وتعرّف على تعاليم النصرانية فتنصّر.

وذكر الصنعاني أنّ إسلامه كان عن طريق راهب نصراني، وبعدها أخرج أهل سلمان ذلك الراهب فسافر سلمان معه إلى مدينة الموصل.

وروى أصحاب الأخبار أنّ سلمان التقى بعيسى ابن مريم عليه السلام[1] فبشره بظهور النبي صلى الله عليه وآله قريباً في الحجاز. وفي طريقه إلى المدينة أخذه اللصوص وباعوه فجعله اليهود الذين ابتاعوه في حائط بستان لهم.

وقد أخبره الراهب انّ النبي محمّداً صلى الله عليه وآله لا يأكل الصدقة، ويأكل الهدية، وبين كتفيه خاتم النبوّة وأمره باتّباعه[2]. ولمّا وفّق الله تعالى سلمان في الوصول إلى المدينة بصورة عبد مملوك حاول التثبّت من صفاته صلى الله عليه وآله. وفي المرّة الأولى من لقاءاته جاء إليه برطب صدقة فأبى النبي صلى الله عليه وآله الأكل منه وأعطاه أصحابه فحصلت عنده صفة من صفات رسول الله صلى الله عليه وآله.

وفي المرّة الثانية جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله برطب هدية فأكل النبي صلى الله عليه وآله منه، فحصلت الصفة الثانية.

---

(١) البحار ٥١ / ٢٠٥.

(٢) المصنّف، الصنعاني ٨/٤١٨.

وبقي سلمان متشوّقاً للتثبّت من الصفة الثالثة. وفي تشييع جنازة في بقيع الغرقد استدار سلمان الفارسي خلف رسول الله ﷺ لرؤية خاتم النبوّة، فكشف له النبي عن خاتمه، فحصلت عند سلمان صفة النبي ﷺ الثالثة فانكبّ عليه يقبّله ويبكي ثمّ أسلم وحكى قصّته لرسول الله ﷺ والمسلمين. وأعانه الرسول ﷺ على أداء ما عليه فحرّره، ثمّ شارك المسلمين في معركة الخندق[1].

وبلغ إخلاص وإيمان وأخلاق سلمان درجة أن رغب فيه المهاجرون والأنصار إلّا أنّه كان الى الرسول ﷺ وأهل بيته أقرب منه الى سواهم فقال الرسول ﷺ: سلمان منّا أهل البيت. وكان من شيعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وروىٰ سلمان احاديث كثيرة منها حديث: إنّ أكثر الناس شبعاً في الدنيا أكثر جوعاً في الآخرة[2].

ولادة الحسين عليه السلام

وبعد سنة على ولادة الإمام الحسن عليه السلام ولد الإمام الحسين عليه السلام في الثالث من شعبان من السنة الرابعة للهجرة في المدينة المنوّرة[3] وأذّن النبي ﷺ في أُذنه اليمنى وأقام في أُذنه اليسرى، وبكى عليه وسمّاه رسول الله ﷺ حسيناً وعقّ عنه كبشاً، وحلق شعره وتصدّق بوزنه فضّة، وختنه في اليوم السابع من ولادته، ولم يسمّ الناس في الجاهلية أولادهم بالحسن والحسين عليهما السلام فاسماهما من أسماء الجنّة[4] ولم يولد مولود لستّة أشهر عاش غير عيسى والحسين عليهما السلام[5].

---

(١) الإصابة ٢/٦٢.

(٢) البحار ٧٠/ ٩٩.

(٣) الإصابة ١/٣٣٢، أسد الغابة ٢/١٨، الإستيعاب بهامش الإصابة ١/٣٧٨، تاريخ دمشق، ترجمة الإمام الحسين ١٢، ٢٣، ٢٥، ٢٨٨، صفة الصفوة ١/٧٦٢، تذكرة الخواص ٢٣٢، المناقب، ابن شهر آشوب ٤/٧٦، مقتل الحسين، الخوارزمي ١/١٤٣، تاريخ بغداد ١/١٤١، مجمع الزوائد ٩/١٦٤، الإرشاد، المفيد ٢١٨.

(٤) ذخائر العقبى ١١٩، تاريخ الخميس ١/٤١٧، ٤١٨، مسند أحمد ٢/٥٥٧، البحار ٤٣/٢٥٢.

(٥) المناقب، ابن شهر آشوب ٤/٥٠.

وكان الحسين عليه السلام مثالاً للتضحية في سبيل الإسلام، إذ قدّم في هذا الطريق دمه وماله وولده وأهله وصحبه.

فتأثّر بحركته المسلمون والكافرون فقال غاندي زعيم الهند: تعلّمت من ثورة الإمام الحسين عليه السلام كيف أكون مظلوماً فانتصر.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله فيه: حسين منّي وأنا من حسين[1] وحسين أحب أهل الأرض إلى أهل السماء[2]

وأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وآله بمقتل الحسين عليه السلام والأرض التي يقتل فيها وأعطاه تربة حمراء من تربة كربلاء[3] واعطى رسول الله صلى الله عليه وآله تلك التربة لأم سلمة قائلاً: إذا تحوّلت هذه التربة دماً فاعلمي أن ابني الحسين قد قتل[4].

والحسن والحسين عليهما السلام من ذريّة النبي صلى الله عليه وآله بمصداق من كتاب الله.

﴿ومن ذرّيته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسىٰ... وزكريا ويحيىٰ وعيسىٰ والياس﴾[5] فعيسىٰ من ذرية ابراهيم بأمه والحسن والحسين من ذرية محمد صلى الله عليه وآله بأمها.

ويوم مقتل الحسين عليه السلام لم يقلب حجر إلّا وجد تحته دم عبيط[6]. وقال الزهري وعبد الملك بن مروان: ما رفع بالشام حجر يوم قتل الحسين بن علي عليهما السلام إلّا عن دم[7].

---

(١) سنن الترمذي ٢ / ٣٠٧، أسد الغابة ٢ / ٢٠، سنن ابن ماجة ١ / ٥١، مستدرك الحاكم ٣ / ١٩٤.

(٢) أسد الغابة ٣ / ٢٣٤، كنز العمال ٦ / ٨٦، مجمع الزوائد ٩ / ١٨٦، الإصابة ١ / ١٥.

(٣) مستدرك الصحيحين ٤ / ٣٩٨، كنز العمال ٦ / ٢٢٣، مجمع الزوائد ٩ / ١٨٨.

(٤) تهذيب التهذيب ٢ / ٣٤٧، مجمع الزوائد ٩ / ١٨٩، سنن الترمذي ٢ / ٣٠٦، مستدرك الصحيحين ٤ / ٣٩٧، الاجابة ٢ / ١٧.

(٥) الأنعام ٨٤، ٨٥.

(٦) تهذيب التهذيب ٢٠ / ٣٠٥، تاريخ دمشق، ترجمة الإمام الحسين ٢٤٧.

(٧) مجمع الزوائد ٩ / ١٩٦، سنن البيهقي ٣ / ٣٢٧، ذخائر العقبىٰ ١٤٥، تفسير الطبري ٢٥ / ٧٤، حلية الاولياء ٢/ ٢٧٦، فيض القدير ١ / ٢٤٠.

لذلك قال الصادق عليه السلام: من زار قبر الحسين عارفاً بحقّه كتب الله له في عليين، وإنّ حول قبر الحسين عليه السلام سبعين ألف ملك شعثاً غبراً يبكون عليه إلى يوم القيامة[١].

وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الحسنين عليهما السلام: الحسنان سبطا هذه الأمّة[٢].

والحسنان صفوة الله والحسنان خير الناس جدّاً وجدّةً وأباً وأماً[٣].

وقال رسول الله في أهل البيت: أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق[٤].

التحضير للحرب

ووقعت معركة الخندق في السنة الخامسة للهجرة بقول محمد بن اسحاق والواقدي والبلاذري[٥]، وهو الصحيح.

وقد اختلفوا في تاريخها إذ قال موسى بن عقبة وأيّده البخاري[٦]، سنة أربع للهجرة.

وقال اليعقوبي: سنة ستّ للهجرة[٧].

والذي حزّب الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هم اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق النضري وحيي بن أخطب النضري وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضري وهوذة بن قيس الوائلي. إذ قدموا مكّة فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أن

---

(١) ذخائر العقبى ١٥١.

(٢) كنز العمال ٦ / ٢٢١، ذخائر العقبى ١٥١.

( ) تاريخ بغداد ١ / ٢٥٩.

(٣) كنز العمال ٦ / ٢٢١، ذخائر العقبى ١٣٠.

(٤) مستدرك الصحيحين ٢ / ٣٤٣، كنز العمال ٦ / ٢١٦.

(٥) سيرة ابن هشام ٣/٢٢٤، تاريخ ابن الأثير ٢/١٧٧، المغازي، الواقدي ١/٤٤١، تاريخ الطبري ٢/٢٣٣، البدء والتاريخ، البلخي ٢/٨٩، مروج الذهب ٢/٢٨٩، جمل من أنساب الاشراف، ١ / ٤٢٧.

(٦) سيرة ابن دحلان ١/٤٣٢.

(٧) تاريخ اليعقوبي ٢/٥٠.

يكونوا معهم حتّى يستأصلوه.

فقالت لهم قريش:إنّكم أهل الكتاب الأوّل والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمّد أفديننا خيرٌ أم دينه؟

قالوا: بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحقّ منه فأنزل تعالى:

﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً﴾[١]

فلمّا قالوا ذلك لقريش سرّهم ما قالوا ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله فأجمعوا لذلك واتّعدوا له، ثمّ خرج أولئك النفر من اليهود حتّى جاءوا غطفان من قيس عيلان فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ[٢].

فأخبر جبريل رسول الله ﷺ بأمر قريش، وقيل : إنّ قبيلة خزاعة هي التي اخبرت رسول الله بذلك[٣].

وقال الواقدي: إنّ اليهود واعدوا غطفان تمر خيبر سنة إنْ حاربوا المسلمين وانتصروا عليهم[٤].

وتمكن زعماء يهود بني النضير وخيبر من اقناع يهود قريظة في دخول الحرب اذ سمع كعب بن أسد زعيم يهود قريظة صوت حيي بن اخطب فلم يفتح له الباب قائلاً: ويحك يا حيي انك رجل مشؤوم اني قد عاهدت محمداً ﷺ ولست بناقض ما بيني وبينه ولم أر منه إلاّ وفاءاً وصدقاً.

فقال حيي: جئتك بقريش بقيادتها وسادتها وغطفان علىْ سادتها وقادتها قد عاهدوني أن لا يبرحوا حتىْ يستأصلوا محمّداً ومن معه.

---

(١) النساء، ٥١.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٢٣٣، ٢٣٤.

(٣) البحار ٢٠ / ٢٤٤.

(٤) مغازي الواقدي ١/٥٣٠.

فقال كعب: جئتني والله بذل الدهر.

فلم يزل حيي بكعب حتىٰ سمح له بأن اعطاه عهداً وميثاقاً لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً ان ادخل معك في حصنك.

فلما انتهىٰ الخبر إلىٰ رسول الله ﷺ بعث سعد بن معاذ سيّد الأوس وسعد بن عبادة سيّد الخزرج ومعهما عبدالله بن رواحة وخوات بن جبير قائلاً: انطلقوا حتىٰ تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا، فان كان حقا فالحنوا لنا لحناً نعرفه ولا تفتوا اعضاد الناس. وان كانوا علىٰ الوفاء فاجهروا به للناس.

وخرجوا حتىٰ أتوهم فوجدوهم علىٰ اخبث مما بلغهم عنهم إذ قالوا: لا عهد بيننا وبين محمد، فشاتمهم سعد بن عبادة وشاتموه، وقال سعد بن معاذ: دع عنك مشاتمتهم فإن ما بيننا وبينهم اعظم من المشاتمة.

ثم أقبلوا إلىٰ رسول الله ﷺ وقالوا لغدر عضل والقارة باصحاب رسول الله ﷺ وأصحابه أصحاب الرجيع.

فقال رسول الله ﷺ:الله أكبر ابشروا يا معشر المسلمين[1] ثم رمىٰ العرقة سعد بن معاذ بسهم في كاحله فمات شهيداً بعد وقعة بني قريظة.

وعمل نعيم بن مسعود الاشجعي بالخدعة بين اليهود وسائر الأحزاب حين طلب من بني قريظة ان تأخذ رهناً من اشراف قريش وغطفان كي لا ينسحبوا ويتركوهم لوحدهم، ومن جهة اخرىٰ اخبر قريشاً وغطفان بخيانة بني قريظة ورغبتها في أخذ زعماء قريش وغطفان كرهاً واعطائهم لرسول الله ﷺ ليقتلهم[2]فافقد الجانبين ثقتهم ببعضهم.

ثم روي عن الزهري عرض رسول الله ﷺ ثلث تمر المدينة علىٰ عيينة بن

(١) تفسير الطبرسي ٤٣ / ٣٤٠.

(٢) تفسير الطبرسي ٤ / ٣٤٤.

الحصين ليخذل الأحزاب ويرجع بالناس فأبىٰ إلّا النصف فاستشار النبي ﷺ سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فقالا: إن كنت امرت بشيء فامض له، وإلّا فإنا لا نرضىٰ أن نعطيهم إلّا السيف.

قال ﷺ: فنعم إذن[١].

والزهري من اعضاء البلاط الأموي، ويستحيل تنازل النبي ﷺ لقبيلة بني غطفان الضعيفة بذلك الشكل مع تعجب ابن معاذ وابن عبادة.

المنافقون

وتحرّك منافقوا المدينة في خطى الأحزاب[٢].

فقال أوس بن قيظي، أحد بني حارثة بن الحارث: يارسول الله، إنّ بيوتنا عورة من العدوّ، وذلك عن ملأ من رجال قومه، فأذن لنا أن نخرج فنرجع إلى دارنا، فإنّها خارج المدينة. فأقام رسول الله ﷺ، وأقام عليه المشركون بضعاً وعشرين ليلة، قريباً من شهر، لم تكن بينهم حرب إلّا الرمي[٣] بالنبل والحِصار.

فقال المنافقون: يعدنا كنوز كسرىٰ وقيصر وما يقدر أحدنا أنْ يخرج يتخلىٰ،وألا تعجبون من محمد يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم بأنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرىٰ وأنها تفتح لكم وانتم إنما تحفرون الخندق من الفرق (الخوف) لا تستطيعون أن تبرزوا[٤].

فنزل القرآن: ﴿وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله

---

(١) جمل من أنساب الاشراف ١ / ٤٣١، مغازي الزهري ٧٩.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٢٤٠، تاريخ اليعقوبي ٢/٥٠، ٥١، الطبقات ٢/٦٦ ـ ٦٩، البدء والتاريخ، البلخي ٢/٨٩، سيرة ابن هشام ٣/٢٢٤ ـ ٢٤٣، المغازي، الواقدي ١/٤٤٠ ـ ٥٤٩.

(٣) الرمي (بكسر الراء والميم مشددتين وتخفيف الياء): المراماة.

(٤) البحار ٢٠ / ٢٥٣، ٢٧٠، السيرة الحلبية ٢ / ٣١٣، سيرة ابن هشام ٣ / ٢٣٠، تفسير القمي ٢ / ١٧٨.

ورسوله إلّا غروراً﴾ [١].

والمشاكل التي واجهت المسلمين تمثلت في:

كثرة عدد وعُدّة العدو الخارجي المتمثل في الأحزاب.

وكثرة عدد العدو الداخلي المتمثّل في اليهود والمنافقين، فكان المنافقون يتسللون تدريجياً إلى المدينة تاركين جبهات القتال فراراً دون إذن بدعوى ان بيوتهم عورة فقال تعالى:

﴿قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ [٢]

حفر الخندق

فقال سلمان الفارسي لرسول الله ﷺ: إنّا كنّا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا فهل لكّ يا رسول الله أن نخندق؟

بينما ذكر كاتب السيرة ابن اسحاق قضية الخندق دون ذكر لمشورة سلمان الفارسي [٣].

والظاهر أنّ محمد بن اسحاق قد قرأ رسالة رسول‌الله الجوابية لأبي سفيان التي جاء فيها:وأما قولك من علّمنا الذي صنعنا من الخندق فإن الله الهمني ذلك [٤].

وساهم رسول الله ﷺ في الخندق بالمعول والمسحاة والمكتل فتراه يضرب بالمعول ثم يرفع التراب بالمسحاة ثم يحمل التراب بالمكتل على ظهره وعاتقه [٥].

---

(١) الاحزاب ١٢.

(٢) النور ٦٣.

(٣) سيرة ابن هشام ٣ / ٢٦٦، دلائل النبوة، البيهقي ٣ / ٣٩٩.

(٤) خاتم النبيين ٢ / ٩٤٢.

(٥) مغازي الواقدي ٢ / ٤٥٣، وفاء الوفاء ٤ / ١٢٠٧، السيرة الحلبية ٢ / ٣١٢.

وعمل سلمان بقوة في الخندق فتنافست فيه قريش والانصار فقال رسول الله ﷺ: سلمان منّا أهل البيت[١].

ودخل سلمان الفارسي مجلس رسول الله ﷺ ذات يوم فعظموه وقدّموه وصدروه اجلالاً لحقه واعظاماً لشيبته واختصاصه بالمصطفىٰ وآله.

فدخل عمر فنظر اليه فقال: من هذا الأعجمي المتصدر فيما بين العرب؟

فصعد رسول الله ﷺ المنبر فخطب فقال: إنّ الناس من عهد آدم إلىٰ يومنا هذا مثل أسنان المشط لا فضل للعربي علىٰ الأعجمي ولا الأحمر علىٰ الأسود إلّا بالتقوىٰ سلمان بحر لا ينزف وكنز لا ينفد، سلمان منّا أهل البيت[٢].

وكان النبي والمسلمون يقولون الاشعار طيلة عملهم في حفر الخندق وما قالوه:

والله لولا الله ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الاولىٰ لقد بغوا علينا ... إذ أرادوا فتنة أبينا[٣]

وقال ﷺ ايضاً:

اللهم إن العيش عيش الآخرة ... فاغفر للانصار والمهاجرة

اللهم العن عضلاً والقارة ... إذ كلفوني انقل الحجارة[٤]

وقال الانصار:

نحن الذين بايعوا محمداً ... علىٰ الجهاد ما بقينا أبداً

فأجابهم رسول الله ﷺ:

اللهم إنّ الخير خير الآخرة ... فاغفر للانصار والمهاجرة[٥]

---

(١) مغازي الواقدي ٢ / ٤٤٧، أسد الغابة ٢ / ٣٣١.

(٢) البحار ٢٢ / ٣٤٨، الاختصاص ٣٤١.

(٣) مغازي الذهبي ٢٤٥، البداية والنهاية ٤ / ٩٦، تاريخ الخميس ١ / ٤٨١، البحار ٢٠ / ١٩٩.

(٤) ومغازي الواقدي ٢ / ٤٥٣، السيرة الحلبية ٢ / ٣١٢.

(٥) مغازي الواقدي ٢ / ٤٥٢، سيرة دحلان ٢ / ٣.

ان الاخوة الإسلامية والتضحية هي التي نصرت المسلمين ومن مصاديقها إن سعد بن الربيع الانصاري قال لعبد الرحمن بن عوف: هلُمّ أقسم مالي بيني وبينك نصفين ولي امرأتان أنظر أعجبها اليك اطلقها فإذا انقضت عدتها فتزوّجها![1].

وجعل رسول الله ﷺ للخندق ثمانية أبواب عليها حرس من كل قبيلة نفراً لحكمة نبوية فقال الفرزدق:

كأنهم إذا صالوا وصلنا ... بباب الخندقين مصالحوناً

وقال كعب بن مالك:

بباب الخندقين كأن أسداً ... شوابكهن يحمين العرينا[2]

ففي الجنوب كانت بساتين النخيل الكثيرة وابنية المدينة المتشابكة مع بعضها، فكان أحد جانبي المدينة عورة وسائر جوانبها مشبكة بالبنيان والنخيل لا يتمكن العدو منها، فجعل رسول الله ﷺ معسكره تحت جبل سلع[3].

واستمر حفر ذلك في اربعة وعشرين يوماً[4] وفي اثناء الحصار قل الطعام ومن شدة الجوع ربط رسول الله ﷺ علىٰ بطنه الحجر، وفي تلك الأيام الصعبة المقترنة بالجوع والتعب والخوف بشّرهم رسول الله ﷺ بفتح قصور الروم وفارس.

إذ ظهرت صخرة في الخندق صعب علىٰ المسلمين تحطيمها فضربها النبي ﷺ ضربة فصدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لا بتي المدينة فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة وكبّر المسلمون.

ثم ضربها الثانية فكذلك ثم الثالثة فكذلك أيضاً فصدعها، فأخبرهم ﷺ أنه

---

(١) سيرة ابن دحلان ١ / ٤١٩.

(٢) سيرة ابن هشام ٣ / ٢٦٧، البحار ٢٠ / ٢٢٠، تفسير القمي ٢ / ١٧٩ وفاء الوفاء ٤ / ١٢٠٦.

(٣) مغازي الواقدي ٢/٤٥٠، الرسول العربي وفن الحرب ٢٣٤، وفاء الوفاء ٤/١٢٠٥، تاريخ الخميس ١/٤٨١، السيرة الحلبية ٢ / ٣١٥.

(٤) وفاء الوفاء ١ / ١٢٠٨، تاريخ الخميس ١ / ٤٨٢، سيرة ابن دحلان ٢ / ٤، عيون الأثر ٢ / ٥٧.

بالبرقة الاولىٰ أضاءت له قصور الحيرة ومدائن كسرىٰ، وأخبره جبريل بأن امته ظاهرة عليهم.

وفي الثانية اضاءت له القصور الحمر من أرض الروم، واخبره جبريل بأنّ أمته ظاهرة عليها.

وفي الثالثة أضاءت له قصور صنعاء وأخبره جبريل بأنّ أمته ظاهرة عليها فابشروا فاستبشر المسلمون وقالوا: الحمد لله موعد الصدق وعدنا النصر بعد الحصر.

وكان المسلمون سبع مئة رجل[1] وهو الصحيح والمعقول إذ لو كان عددهم مثل عدد جنود الأحزاب فلا حاجة للخندق ولواجهوا الكفار مباشرة.

وقال ابن خلدون كانوا تسع مئة[2] وقال البخاري كانوا ألفاً[3] وقالوا ثلاثة آلاف[4].

ومن معاجز الخندق أنّه اشتدّت عليهم في بعض الخندق كُدية، فشكوها إلى رسول الله ﷺ، فدعا بإناء من ماء، فتفل فيه، ثمّ دعا بما شاء الله أن يدعو به، ثمّ نضح ذلك الماء على تلك الكُدية؛ فيقول من حضرها: فوالذي بعثه بالحقّ نبيّاً، لانهارت[5] حتّى عادت كالكثيب، لا تردّ فأساً ولا مسحاة.[6]

وجعل رسول الله ﷺ قبتة من أدم (جلد) احمر فوق منطقة مرتفعة مسيطرة علىٰ قوات الأحزاب.

---

(١) البحار ٢٠ / ٢١٨، تفسير القمي ٢ / ١٧٧، السيرة الحلبية ٢ / ٣١٤، تاريخ اليعقوبي ٢ / ٥٠.

(٢) العبر وديوان المبتدا والخبر ٢ / ٢٩.

(٣) فتح الباري ٧ / ٣٠١، دلائل النبوة، البيهقي ٣ / ٣٩٤.

(٤) سيرة ابن هشام ٣ / ٢٣١، مغازي الذهبي ٢ / ٢٣٣، تاريخ الخميس ١ / ٤٨٠، البحار ٢٠ / ٢٠٠.

(٥) انهارت: تفتّتت.

(٦) سيرة ابن هشام ٢ / ٢٢٨.

وتعجبّت قريش وجيوش الأحزاب من الخندق فقالوا: إنّ هذه المكيدة ما كانت العرب تكيدها[١] فطول الخندق نحواً من خمسة الآف ذراع وعرضه تسعة أذرع وعمقه سبعة أذرع[٢].

فركب رسول الله ﷺ فرساً له ومعه نفر من أصحابه من المهاجرين والانصار فارتاد موضعاً ينزله، فكان أعجب المنازل إليه أن يجعل سلعاً - جبل معروف بسوق المدينة - خلف ظهره ويخندق علىٰ المزاد إلىٰ ذباب إلىٰ راتج[٣].

وقال الواقدي: كان الخندق مابين جبل بني عبيد إلىٰ راتج[٤]

وجاء ايضاً: خط رسول الله ﷺ الخندق عام الأحزاب من أجم الشيخين (السمر) طرف بني حارثة حتىٰ بلغ المذاذ (المداحج)[٥].

دلائل النبوة

لقد وصف رسول الله ﷺ أماكن فارس التي سوف يفتحها المسلمون لسلمان وللمسلمين فقال سلمان: صدقت يارسول الله ﷺ هذه صفتها أشهد انك رسول الله ﷺ ثم قال رسول الله ﷺ: هذه فتوح يفتحها الله بعدي يا سلمان[٦] فصدق قوله .

ومن دلائل النبوة اخبار النبي ﷺ سراقة بأنّه سيلبس سواري كسرى فكان ذلك[٧].

---

(١) الروض الأنف ٣ / ٨٤، تاريخ الخميس ١ / ٣٩٥، السيرة الحلبية ٢ / ١٩٣.

(٢) الرسول العربي وفن الحرب، مصطفىٰ طلاس ٢٤٠، السيرة النبوية، الندوي ٢٨١.

(٣) السيرة الحلبية ٢ / ٣١١، مغازي الواقدي ٢ / ٤٤٤.

(٤) مغازي الواقدي ٢ / ٤٥٠،وراتج محلة فيها بنو راتج .

(٥) تاريخ الطبري ٢ / ٢٣٥، دلائل النبوة، البيهقي ٣ / ٤١٨.

(٦) السيرة الحلبية ٢ / ٣١٤، مغازي الواقدي ٢ / ٤٥٠.

(٧) تاريخ ابن الوردي ١٠٧/١.

وقال ابن إسحاق: إنّ ابنة لبشير بن سعد، قالت: دعتني أُمّي عَمرة بنت رواحة، فأعطتني حفنة من تمر في ثوبي، ثمّ قالت: أي بُنية، إذهبي إلى أبيك وخالك عبدالله بن رواحة بغدائهما قالت: فأخذته ، فانطلقت به ، فررت برسول الله ﷺ وأنا ألتمس أبي وخالي؛ فقال: تعالي يا بنية، ما هذا معك؟

فقلت: يا رسول الله، هذا تمر، بعثتني به أُمّي إلى أبي بشير بن سعد، وخالي عبدالله بن رواحة يتغدّيانه.

قال: هاتيه؛ قالت: فصببته في كفّي رسول الله ﷺ، فما ملأتهما، ثمّ أمر بثوب فبُسط له، ثمّ دحا بالتمر عليه، فتبدّد فوق الثوب، ثمّ قال لإنسان عنده: اصرخ في أهل الخندق: أن هَلُمّ إلى الغداء.

فاجتمع أهل الخندق عليه، فجعلوا يأكلون منه، وجعل يزيد، حتّى صدر أهل الخندق عنه، وإنّه ليسقط من أطراف الثوب.[1]

وقال جابر بن عبدالله: عملنا مع رسول الله ﷺ في الخندق، فكانت عندي شُويهة غير جدّ سمينة[2] فقلت: والله لو صنعناها لرسول الله ﷺ.

فأمرت امرأتي، فطحنت لنا شيئاً من شعير، فصنعت لنا منه خبزاً، وذبحت تلك الشاة، فشويناها لرسول الله ﷺ.

فلمّا أمسينا وأراد رسول الله ﷺ الإنصراف عن الخندق وكنّا نعمل فيه نهارنا، فإذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا؛ قلت: يارسول الله، إنّي قد صنعت لك شُويهة كانت عندنا، وصنعنا معها شيئاً من خبز هذا الشعير، فأُحبّ أن تنصرف معي إلى منزلي، وإنّما أُريد أن ينصرف معي رسول الله ﷺ وحده.

قال ﷺ: نعم، ثمّ أمر صارخاً فصرخ: أن انصرفوا مع رسول الله ﷺ إلى بيت جابر ابن عبدالله؛ قلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون! والله انها الفضيحة.

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ / ٢٢٩.

(٢) غير جد سمينة: غير كاملة السمن.

فأقبل رسول الله ﷺ، وأقبل الناس معه؛ فجلس وأخرجناها إليه فبرك وسمّى الله، ثمّ أكل، وتواردها الناس، كلّما فرغ قوم قاموا وجاء ناس، حتّى صدر أهل الخندق عنها[١].

محاصرة المدينة

وكان سكان المدينة حوالي ستة الآف نفر.وشعار المسلمين حم لا ينصرون[٢] وجاءت الكفار بقياداتها قريش وقائدها أبو سفيان وغطفان وقائدها عيينة بن حصين والحرث بن عوف في بني مرة، ومسعر بن جبلة الاشجعي في قبيلة اشجع وطليحة بن خويلد الاسدي في أسد وأبو الاعور الاسلمي في اسلم[٣].

وعن الخيل والإبل فقد جاء ذكر لبعض أرقامها مثل ألف بعير لغطفان وفزارة[٤] وألف فرس بجموع الخيل ثلاث مئة مع غطفان وثلاث مئة مع قريش[٥].

وحامل لواء قريش عثمان بن طلحة بن أبي طلحة وقائدهم أبو سفيان والتحق يهود قريظة بالأحزاب بطلب من حيي بن أخطب فنقض زعيمهم كعب بن أسد عهده مع رسول الله ﷺ، ووقف ابو الاعور في السقيفة مع أبي‌بكر وحارب مع معاوية في صفين [٦].

ولمّا حفر المسلمون خندقهم جاءت قريش في أربعة وعشرين ألف رجل من أحابيشهم ومن تابعهم من كنانة وأهل تهامة، وغطفان ومن تابعهم من أهل نجد،

---

(١) المصدر السابق.

(٢) مغازي الواقدي ٢ / ٤٧٤، الكافي ٥ / ٤٧، سيرة ابن هشام ٣ / ٢٣٧.

(٣) تفسير الطبرسي ٤ / ٣٤٠، تفسير الكشّاف، الزمخشري ٣ / ٥٣٣.

(٤) نهاية الإرب ١٧ / ١٦٧.

(٥) المغازي، الواقدي ١ / ٤٥٥، مغازي الذهبي ٢٣٣، عيون الأثر ٢ / ٥٦، تاريخ الخميس ١ / ٤٨٠.

(٦) البحار ٢٠ / ٢١٧.

ويهود خيبر، في حملة الأحزاب[١].

وقال ابن شهر آشوب ثمانية عشر ألف رجل[٢] وقال الواقدي والذهبي والقمي: كانوا اثني عشر ألفاً وهو الصحيح عندنا [٣] وقالوا: عشرة آلاف رجل[٤].

قال تعالىٰ: ﴿يا ايها النبي حرّض المؤمنين علىٰ القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا..﴾[٥].

وكان النبي ﷺ يبعث الحرس إلىٰ المدينة لحماية النساء والأطفال من يهود بني قريظة[٦].

بطل العرب والعجم

وعندما اجتمعت الأحزاب لحرب المسلمين في معركة الخندق كانت الكفار تتوقع نصراً أسهل من انتصارهم في معركة احد.

وجاءت قريش في هذه المرّة ببطل العرب عمرو بن عبد ود العامري، المعادل لالف فارس في حساباتهم..؟!

وكان لوجود هذا البطل المغوار في صفوف قريش الأثر القوي في زيادة معنويات الكفار وضعف معنويات بعض المسلمين. ويسمّىٰ بفارس ياليل لانه هزم فوارس وادي ياليل العائدين لقبيلة بني بكر الذين تصدوا له ولصحبه في أثناء طريقهم للمدينة[٧].

---

(١) التنبيه والاشراف، المسعودي ٢١٦.

(٢) البحار ٢٠ / ٢٧٢، مناقب آل أبي طالب ١ / ١٩٧.

(٣) مغازي الواقدي ٢ / ٤٤٤، وفاء الوفاء ١ / ٣٠١، مغازي الذهبي ٢٣٣ تفسير القمي ٢ / ١٧٧.

(٤) تاريخ الطبري ٢ / ٢٣٦، تاريخ ابن الأثير ٢ / ١٨٠، فتح الباري ٧ / ٣٠٧.

(٥) الانفال ٦٥.

(٦) السيرة الحلبية ٢ / ٣١٥، سيرة ابن دحلان ٢ / ٤، تاريخ الخميس ١ / ٤٨٣، عيون الأثر ٢ / ٥٨.

(٧) تفسير الطبرسي ٢ / ٣٤٠.

وشاعت الصدف أن يتمكّن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ودّ العامري وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب، وضرار بن الخطاب الفهري ونوفل بن عبد الله المخزومي. من عبور الخندق، وهنا ازداد الرعب في نفوس المسلمين...

وبسبب الشهرة المطبقة للآفاق لهذا الفارس المغوار، فقد جبن المسلمون عن منازلته القتال حين طلب ذلك، وكان أبو بكر وعثمان وعمر بن الخطاب من جملة الخائفين والممتنعين من البراز إليه.

فقد ذكر البيهقي في دلائل النبوة، عن ابن اسحاق قال: خرج عمرو بن عبد ودّ، وهو مقنع بالحديد، فنادىٰ: من يبارز؟

فقام عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: أنا له يا نبي الله. فقال: إنّه عمرو، اجلس.

ثم نادىٰ عمرو: ألا رجل يبرز؟ فجعل يؤنبهم ويقول: اين جنّتكم التي تزعمون أنّه من قتل منكم دخلها أفلا تبرزون إليّ رجلاً؟

فقام علي عليه السلام فقال: أنا يا رسول الله؟ فقال: اجلس. ثم نادى الثالثة، فقال:

ولقد بُححتُ من النداء بجمعكم هلْ من مُبارز
ووقفتُ إذ جَبُنَ المشيّعُ موقفَ القِرنِ المناجز
ولذاك إني لم أزلْ متسرّعاً قَبْلَ الهَزائز
إنَّ الشجاعةَ في الفتىٰ والجود من خَيرِ الغرائز

فقام عليّ عليه السلام قائلا: يا رسول الله أنا. فقال: إنه عمرو، فقال وإن كان عمراً. فأذن له رسول الله صلى الله عليه وآله فمشى إليه، حتىٰ أتىٰ وهو يقول:

لا تَعْجَلنَّ فقد أتاك مجيبُ صوتِك غيرُ عاجِز
في نيّةٍ وبصيرةٍ والصدقُ مَنجَىٰ كل فائز
إني لأرجو أن أقيمَ عليكَ نائحةَ الجنائز
من ضربةٍ نجلاءَ يبقىٰ ذكرها عندَ الهزائز

فقال له عمرو: من أنت؟

قال: أنا علي.

قال: ابن عبد مناف؟

قال: أنا علي بن أبي طالب.

فقال يا ابن اخي من اعمامك من هو اسن منك فإنّي اكره ان اريق دمك؟[١]

فقال له علي: لكنّي والله لا اكره ان اريق دمك.

فغضب وسل سيفه كأنّه شعلة نار، ثم أقبل نحو علي عليه السلام مغضباً واستقبله عليٌّ عليه السلام بدرقته، فضربه عمرو في درقته فقدَّها، وأثبت فيها السيف، وأصاب رأسه فشجه، وضربه عليٌّ عليه السلام علىٰ حبل عاتقه فسقط، وثار العجاج وسمع رسولُ الله صلى الله عليه وآله التكبير، فعرفنا أنَّ علياً عليه السلام قد قتله.

ذكر الواقدي وقد خاف عمرو منازلة علي عليه السلام فقال: كان أبوك لي نديماً، فارجع فأنت غلام حدث[٢]. وبلغ ذله وخزيه حداً أن كشف سوأته في أرض المعركة أمام الكفار والمسلمين واليهود[٣]، خوفاً من سيف علي بن أبي طالب عليه السلام ناسياً أنّه بطل العرب!ولمّا أعلن الإمام علي عليه السلام عن استعداده للبراز اليه تعجّب عمر، وذكر بطولة من بطولات عمرو في الجاهلية في قتله مجموعة من قطّاع الطرق لوحده! علىٰ مدىٰ ثلاث مرّات أعلن الإمام علي عليه السلام عن استعداده للمنازلة بينما جبن المسلمون عن المنازلة.

وبعد براز علي عليه السلام لعمرو وقتله، قال الرسول صلى الله عليه وآله: قتل علي لعمرو بن عبد ود

(١) كان علي عليه السلام رجلاً معروفاً في مكة والمدينة وهو الذي قتل ابطال المشركين في بدر وأُحد. قال الجزري: كانت ضربات علي عليه السلام مبتكرات لا عوناً اي ان ضربته كانت بكراً يقتل بواحدة لا يحتاج ان يعيد الضربة ثانية، سفينة البحار ١ /أ، ح ٣٤٥.

(٢) مغازي الواقدي ١/٤٧١.

(٣) البداية والنهاية ٤/١٢٢، دلائل النبوة، البيهقي ٣/٤٣٨، ٤٣٩، السيرة النبوية، ابن كثير ٣/٢٠٣، ٢٠٤.

أفضل من عبادة الثقلين[1].

ولقد تخوّف عمر وأبو بكر وعثمان وغيرهم من منازلة أبطال المشركين عثمان بن طلحة في أحد وعمرو بن عبد ود في الخندق ومرحب اليهودي في خيبر، بل امتنعوا عن محاربة الكفار واليهود وعاملهم هؤلاء بالمثل.

وفي رواية ثم حمل ضرار بن الخطاب (الفهري) وهبيرة بن أبي وهب على علي كرّم الله وجهه، فأقبل علي عليه السلام عليهما، فأما ضرار فولى هارباً ولم يثبت، وأمّا هبيرة فثبت ثم ألقى درعه وهرب، وكان فارس قريش وشاعرها.

وعرضت قريش شراء جيفة عمرو بن عبد ودّ بعشرة آلاف.

فقال ﷺ: لا نأكل ثمن الموتى!

فكان علي بن أبي طالب عليه السلام قد سدَّ الثغرة التي عبر منها أبطال قريش، وقتل عمراً وابنه حسل، ونوفل بن عبد الله المخزومي، ولولا ذلك لعبر جيش الأحزاب (الكفار واليهود) إلى قلب المدينة. وكانت قريش لا تقتل جواسيسها في صفوف المسلمين والمعروفين بالمنافقين.

وذكر أنّ ضرار ابن الخطاب لما هرب تبعه عمر بن الخطاب، وصار يشتد في اثره، فكرَّ ضرار راجعاً، وحمل على عمر بالرمح ليطعنه ثم أمسك. وقال: يا عمر هذه نعمة مشكورة اثبتها عليك، ويدٌ لي عندك غير مجزى بها فاحفظها. و وقع له مثل هذا مع عمر في أحد، فإنّه التقى معه فضرب عمرَ بالقناة، ثم رفعها عنه، وقال له: ما كنت لاقتلك يا ابن الخطاب[2].

ولم يقتله خالد في احد حين تمكن منه![3] فالظاهر معرفتهما بحال عمر وحقيقته!.

وكان علي عليه السلام قد قال عند عبور فوارس قريش الخندق:

---

(١) السيرة الحلبية ٢/٣٢٠.

(٢) السيرة الحلبية، الحلبي الشافعي ٢/٣٢١.

(٣) مغازي الواقدي ١ / ٢٣٧.

أعليَّ تقتحم الفوارس هكذا   عنّي وعنهم أخّروا أصحابي[1]

وروي ان علياً لما قتل عمراً لم يسلبه فجاءت أخت عمرو حتىٰ قامت عليه، فلما رأته غير مسلوب سلبه، قالت: ما قتله إلّا كفؤ كريم، ثم سألت عن قاتله.

قالوا علي بن أبي طالب، فأنشأت هذين البيتين:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله   لكنتُ أبكي عليه آخرَ الأبدِ

لكنَّ قاتِلَه من لا يعاب به   أبوه من كان يدعى سيّد البلد[2]

النصر الإلهي في معركة الخندق

بقيت قوات الأحزاب علىٰ أبواب الخندق بضعة وعشرين يوماً والترامي بينهم مستمر بالنبل والحجارة.

ونزلت في الخندق سورة الأحزاب:

﴿يا ايها الذين آمنوا إذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنودٌ فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان اللهُ بما تعملون بصيراً، إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم إذ زاغت الابصار وبلغت القلوبُ الحناجر وتظنون بالله الظنونا، هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً﴾[3].

فظن المنافقون ان المسلمين يُستأصلون وظن المؤمنون أنهم يبتلون.

فأرسل الله تعالىٰ ريح الصبا علىٰ جيش الأحزاب فقال رسول الله ﷺ: نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور. فقد بعث الله تعالىٰ عليهم ريحاً باردة في ليلة شاتية مع ألف من الملائكة فسفت التراب في وجوههم وقلعت الملائكة الأوتاد، وقطعت

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير ١٢٢/٤، دلائل النبوة ٤٢٢/٣، سيرة ابن هشام ٢٦٥/٣، طبقات ابن سعد ٦٨/٢.

(٢) تاريخ الخميس، الديار بكري ٤٨٨/١.

(٣) الأحزاب ٩ – ١١.

الأطناب واطفأت النيران واكفأت القدور وماجت الخيل بعضها على بعض وقُذف في قلوبهم الرعب واظلمت الدنيا.

وقتل من المسلمين ستة ومن المشركين ثمانية.

وحدث الإختلاف بين قوّات الأحزاب فاليهود لم يوافقوا على الحرب يوم السبت، وقريش لم توافق على إعطاء يهود قريظة رهناً مقابل دخولها الحرب. وأرسل الله سبحانه عليهم ريحاً شديدة قتلت ماشيتهم وآذتهم.

وقتل علي عليه السلام ابطال الكفار عمرو بن عبد ود وابنه حسل ونوفل بن عبد الله وعندها قرّر أبو سفيان العودة إلى مكّة وقطع ذلك الحصار الذي دام نيفاً وعشرين يوماً.

فقال أبو سفيان: والله ليست بدار مقام، لقد هلك الخف والكراع، وأجدب الجناب، وأخلفنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقد لقينا من الريح ما ترون، والله ما يثبت لنا بناء، ولا تطمئن لنا قدر، فارتحلوا فإنّي مرتحل[1].

ولمّا عادت قوّات قريش وجدت غطفان مكان قريش خالياً فتراجعت إلى مساكنها[2].

وبقي يهود قريظة وحدهم في الميدان مقابل قوّات رسول الله صلى الله عليه وآله فخاب سعيهم ومكرهم وقد قال تعالى:

﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾[3]

وكان نتيجة ذلك الحصار إنتصار المسلمين في دفاعهم المذكور عن أنفسهم ومدينتهم، بعد أن نجحوا في حفر خندق عظيم يحول بين الغزاة وبينهم في مدة قصيرة.

---

(١) مغازي الواقدي ٢/ ٤٩٠.

(٢) راجع سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤٤، تاريخ الطبري ٢/ ٢٤٠، تاريخ اليعقوبي ٢/ ٥٠، ٥١، المغازي، الواقدي ١/ ٤٤٠ ـ ٤٤٩.

(٣) الانفال ٣٠.

وأثبتت القيادة الحكيمة لرسول الله ﷺ حنكتها وصبرها وإدارتها الرائعة لدفّة الأحداث.

وكان لإنتصار فارس الإسلام علي بن أبي طالب ؑ على فرسان قريش بقيادة عمرو بن عبد ود العامري الأثر القوي في دحر معنويات قريش وإجبارها على الفرار من ارض المعركة.

مهاجمة بني قريظة

كانت قريظة في عهد مع رسول الله ﷺ وهو يفي لهم بعهوده فمضت خمس سنوات على ذلك وعهوده لهم ترسخ وتقوى وإطمئنانهم إلى عدله يزداد.

لكنّهم غدروا برسول الله ﷺ ونقضوا معاهدتهم معه وحاربوه في معركة الأحزاب طمعاً في القضاء عليه وعلى دينه وعلىٰ المسلمين.

وبعد انسحاب الأحزاب من المدينة إلى مساكنهم بقيت قريظة وحدها بلا عهد ولا صلح بل على حرب الله ورسوله.

فلمّا كان الظهر، أتى جبريلُ رسولَ الله ﷺ، معتجراً[١] بعمامة من إستبرق[٢]، على بغلة عليها رحال[٣]، عليها قطيفة من ديباج، فقال: أوَقد وضعت السلاح يارسول الله؟

قال: نعم.

فقال جبريل: فما وضعت الملائكة السلاح بعد، وما رجعت الآن إلّا من طلب القوم، إنّ الله عزّوجلّ يأمرك يامحمّد بالمسير إلى بني قريظة، فإنّي عامد إليهم فمزلزل بهم.

---

(١) الاعتجار: أن يتعمّم الرجل دون تلح، أي لا يلقي شيئاً تحت لحيته.

(٢) الإستبرق: ضرب من الديباج غليظ.

(٣) الرحالة: السرج.

فأمر رسول الله ﷺ مؤذناً، فأذّن في الناس: من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلّين العصر إلّا ببني قريظة. واستعمل على المدينة ابن أمّ مكتوم.

قال ابن إسحاق: وقدّم رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب برايته إلى بني قريظة، وابتدرها الناس. فسار علي بن أبي طالب ﷺ، حتّى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ، فرجع حتّى لقي رسول الله ﷺ بالطريق، فقال: يارسول الله، عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث.

قال: لِمَ أظنّك سمعت منهم لي أذى؟

قال: نعم، يارسول الله.

قال ﷺ لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً. فلمّا دنا رسول الله ﷺ من حصونهم. قال: ياإخوان القِردة، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته؟

قالوا: ياأبا القاسم، ما كنت جهولاً.

ومرّ رسول الله ﷺ بنفر من أصحابه بالصورين[1] قبل أن يصل إلى بني قريظة، فقال: هل مرّ بكم أحد؟

قالوا: يارسول الله، قد مرّ بنا دحية بن خليفة الكلبي، على بغلة بيضاء تحتها قطيفة ديباج.

فقال رسول الله ﷺ: ذلك جبريل، بُعث إلى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم، ويقذف الرعب في قلوبهم.

ولمّا أتى رسول الله ﷺ بني قريظة، نزل على بئر من آبارها من ناحية أموالهم، يقال لها بئر أنا[2].

وتلاحق به الناس، فأتى رجال منهم من بعد العشاء الآخرة، ولم يصلّوا العصر،

---

(١) الصورين: موضع قرب المدينة (عن معجم البلدان).

(٢) أنا (كهنا أو كحتّى أو بكسر النون المشدّدة، ويروى بموحدة بدل النون): من آبار بني قريظة. (راجع الروض وشرح المواهب ومعجم البلدان).

لقول رسول الله ﷺ: لا يصلّين أحد العصر إلاّ ببني قريظة، فشغلهم ما لم يكن لهم منه بدٌّ في حربهم، وأبوا أن يصلّوا لقول رسول الله ﷺ: حتّى تأتوا بني قريظة.

وحاصرهم رسولُ الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة، حتّى جهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب.

وقد كان حُيي بن أخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم، حين رجعت عنهم قريش وغطفان، وفاءً لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه. وحيي بن اخطب من زعماء بني النضير الذين هجّرهم رسول الله ﷺ لغدرهم إلىٰ خيبر ولم يقتلهم، فنراه هنا يخون المسلمين مرة اخرىٰ في حرب الخندق بتأليب الكفار واليهود عليهم.

فلمّا أيقنوا بأنّ رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتّى يناجزهم قال كعب بن أسد لهم: يامعشر يهود، قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإنّي عارض عليكم خلالاً ثلاثاً، فخذوا أيّها شئتم.قالوا: وما هي؟

قال: نتابع هذا الرجل ونصدّقه، فوالله لقد تبيّن لكم أنّه لنبي مرسل، وأنّه للذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم.

قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبداً، ولا نستبدل به غيره.

قال: فإذا أبيتم عليّ هذه، فهلّم فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثمّ نخرج إلى محمّد وأصحابه رجالاً مصلتين السيوف، لم نترك وراءنا ثقلاً، حتّى يحكم الله بيننا وبين محمّد، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه، وإن نظهر فلعمري لنجدنّ النساء والأبناء.

قالوا: نقتل هؤلاء المساكين! فما خير في العيش بعدهم؟

قال: فإن أبيتم عليّ هذه، فإنّ الليلة ليلة السبت، وإنّه عسى أن يكون محمّد وأصحابه قد أمنونا فيها، فانزلوا لعلّنا نُصيب من محمّد وأصحابه غرة[1].

---

(١) منازل بني قريظة تقع جنوب المدينة شرق مسجد قباء وتبعد عنها ميلين ويهود بنى قريظة حاولوا قتل

قالوا: تُفسد سبتنا علينا، وتُحدث فيه ما لم يحدث مَن كان قبلنا إلاّ من قد علمت، فأصابهم ما لم يخف عليك من المسخ!قال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أُمّه ليلة واحدة من الدهر حازماً.ثم دخلوا الحرب بشدة وكانوا قد اخبروا ابا سفيان ان اثبتوا فانا سنغير على بيضة الاسلام [١].

رواية أبي لبابة المختَلَقة :

إنّهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ: أن ابعث إلينا أبا لُبابة بن عبدالمنذر، أخا بني عمرو بن عوف، وكانوا حُلفاء الأوس، لنستشيره في أمرنا، فأرسله رسول الله ﷺ إليهم.فلمّا رأوه، قام إليه الرجال، وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه، فرقّ لهم. وقالوا له: ياأبا لُبابة! أترى أن ننزل على حكم محمّد؟

قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه، إنّه الذبح. قال أبو لبابة: فوالله ما زلت قدماي من مكانهما حتّى عرفت أنّي قد خنتُ اللهَ ورسولَه ﷺ. ثمّ انطلق أبو لبابة على وجهه، ولم يأت رسولَ الله ﷺ حتّى ارتبط في المسجد إلى عمود من اعمدته.

وقال: لا أبرح مكاني هذا حتّى يتوب الله عليّ ممّا صنعت، وعاهد الله: أن لا أطأ بني قريظة أبداً، ولا أُرى في بلد خنت اللهَ ورسولَه فيه أبداً.وأنزل الله تعالى في أبي لبابة: ﴿ **ياأيّها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون** ﴾[٢]فلمّا بلغ رسول الله ﷺ خبره، وكان قد استبطأه، قال: أما إنّه لو جاءني لاستغفرت له، فأمّا إذ قد فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتّى يتوب الله عليه.ونزلت توبة أبي لُبابة على رسول الله ﷺ من السحر، وهو في بيت أمّ سلمة فقالت أمّ سلمة: سمعت رسول الله ﷺ في السحر وهو يضحك.

ـ الرسول قبل معركة الخندق فانقذه الله تعالى ،التبيان، الطوسي ٣ / ٤٦٣.

(١) كنز العمال ١٠ / ٤٥٩.

(٢) الانفال ٢٧.

فقلت: ممّ تضحك يارسول الله؟ أضحك الله سنّك.

قال ﷺ: تِيبَ على أبي لُبابة.قلت: أفلا أبشّره يارسول الله؟ قال ﷺ: بلى، إن شئت. فقامت على باب حجرتها، وذلك قبل أن يُضرب عليهنّ الحجاب.

فقالت: يا أبا لبابة: أبشر فقد تاب الله عليك. فثار الناس إليه ليُطلقوه.فقال: لا والله حتّى يكون رسولُ الله ﷺ هو الذي يطلقني بيده، فلمّا مرّ عليه رسول الله ﷺ خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه[1]. وأقام أبو لبابة مرتبطاً بالجذع ستّ ليال، تأتيه امرأته في كلّ وقت صلاة، فتحلّه للصلاة، ثمّ يعود فيرتبط بالجذع،والآية التي نزلت في توبته : ﴿وآخرونَ اعترَفُوا بِذُنُوبِهِم خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً وآخَرَ سيّئاً عَسَى اللهُ أنْ يتوبَ عليهم إنّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ﴾ [2].

والصحيح ان النبي ﷺ والمسلمين امتنعوا عن الكلام مع أبي لبابة واصحابه لتخلفهم عن حملة تبوك فربط أبولبابة نفسه بعمود مستغفرا الله تعالى ،فغفر الله سبحانه ذنبه [3].

المعركة

وعندها قرر اليهود الحرب وعدم التسليم واستمروا مع رئيسهم كعب بن أسد في سب النبي ﷺ ،فأرسل رسول الله ﷺ الجيوش الاسلامية اليهم بقيادة أكابر الصحابة [4] ففروا، فاستعان النبي ﷺ ببطل المسلمين علي ؑ.فجاءهم علي ؑ

(١) سيرة ابن هشام ٢ / ٢٤٨.

(٢) التوبة ١٠٢

(٣) المصنف، عبد الرزاق الصنعاني ٩ / ٧٤.

(٤) امتنع الامام الحسن ؑ عن ذكر اسمائهم وكنى عن أبي بكر وعمر بتلك العبارة ولو كان غيرهما لذكر اسماءهم .

وحاربهم وانتصر عليهم انتصارا ساحقا فقتل بعضهم وأسر الاخرين [١]،وأنـزلهم على حكم رسول الله ﷺ فيهم، بعد خمس وعشرين ليلة من الحصار والحرب [٢].

وقد غيَّر الطغاة سيرة معركة بني قريظة اعتداءا منهم على الاسلام والمسلمين ،فقالوا بنزول اليهود من حصونهم دون حرب، واقدام المسلمين على قتلهم .

في حين أثبتت الروايات الصحيحة استسلامهم اثر الهزيمة التي حلت بساحتهم .فقال النبي ﷺ:انّ عليا امامكم وخليفتي فيكم، بذلك أوصاني جبرئيل عن ربي، الا وان أهل بيتي الوارثون لامري القائمون بأمر أمتي ،اللهم من حفظ فيهم وصيتي فاحشره في زمرتي، ومن ضيع فيهم وصيتي فاحرمه الجنة [٣].

وقُتِل إثنان من المسلمين في الحصار والحرب فقط[٤].

هل قتلَ النبي ﷺ أسرى بني قريظة ؟

رواية مختلقة لتمجيد زعيم المنافقين وتشويه سمعة الرسول ﷺ

لما جيء بالاسرى تواثبت الأوس فقالوا: يـارسول الله، إنّهـم مـواليـنا دون الخزرج، وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمت .وكان رسول الله ﷺ قد حاصر بني قينقاع قبل بني قريظة ، وهم حلفاء الخزرج فنزلوا على حكمه فسأله إيّاهم عبدالله بن أبي بن سلول فوهبهم له[٥].

فلمّا كلّمته الأوس قال رسول الله ﷺ : ألا ترضون يامعشر الأوس ان يحكم

---

(١) شرح النهج ،المعتزلي،٦/٢٨٩.

(٢) شرح النهج /المعتزلي، ٦ / ٢٨٩ .وقريظة ونضير كاهنان من اولاد كوهن بن هارون عليه السلام .

(٣) الصراط المستقيم ،علي بن يونس العاملي، ٢ / ٨٠ .

(٤) سيرة ابن هشام ٢٤٨/٣ ـ ٢٥٠، تاريخ الطبري ٢٤٥/٢ ـ ٢٤٨، تاريخ اليعقوبي ٥٢/٢، المغازي، الواقدي ٥٣٠/١.

(٥) تاريخ الطبري ٢ / ١٧٢ ـ ١٧٤، تاريخ ابن الأثير ٢ / ١٣٧، ١٣٨

فيهم رجل منكم؟قالوا: بلى.قال رسول الله ﷺ: فذاك إلى سعد بن معاذ.

فقال سعد بن معاذ: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أنّ الحكم فيهم لما حكمتُ؟

قالوا: نعم.قال: وعلى من هاهنا في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ : نعم.فحكم سعد بن معاذ بقتل الرجال وسبي النساء والاطفال واقتسام الاموال والاراضي

الصحيح في القضية

لم يقتل النبي ﷺ أسرى بني قريظة :

١ـ اذ حكم فيهم بالجلاء عن المدينة والخروج إلى خيبر وتبق ارضهم وأموالهم للمهاجرين دون الانصار وتترك اسلحتهم للمسلمين .

وأيد الحسن البصري حشر (اخراج) يهود بني قريظة إلى خيبر ونزول الاية القرآنية التالية في حقهم:

﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر﴾[1]

٢ـ ولم يقتل النبي ﷺ الاسرى في معاركه جميعا :بدر واحد وبني النضير والخندق وبني قريظة وخيبر وفتح مكة وحنين وباقي المعارك، فلماذا هذا الافتراء على سيد الانبياء ﷺ الذي جاء رحمة للعالمين ؟

٣ـ وقضية أبي لبابة محرَّفة عن الحقيقة والواقع كالتالي:امتنع أبو لبابة من الالتحاق بحملة تبوك إلى الشام فوبَّخه النبي ﷺ مثلما وبَّخ كعب بن مالك بعد عودته ﷺ من الشام اذ أمر المسلمين بعدم التحدث مع العاصين ،فربط أبو لبابة نفسه بسارية طلبا للتوبة ،فنزلت التوبة عليه من الله سبحانه وتعالى [2].

---

(١) حكاه الثعلبي في تفسيره، تفسير القرطبي ١٨ / ٢.

(٢) المصنف، عبد الرزاق الصنعاني ٩ / ٧٤ ،وأخرجه صاحب كتاب الاستيعاب .

اذن موضوع اشارة أبي لبابة ليهود بني قريظة بذبح النبي ﷺ لهم ان نزلوا على حكمه من المختلقات الاموية التي وفقنا الله سبحانه لكشفها مع باقي المختلقات .وهذا يفضح المؤامرة الاموية الهادفة لاتهام النبي ﷺ وسعد بن معاذ الانصاري بقتل الاسرى !

٤ـحكم سعد بن معاذ بقتل حيي بن أخطب زعيم بني النضير الذي حرره النبي ﷺ سابقا من الاسر في معركة بني النضير لكنه ألّب يهود بني قريظة وقريشا في معركة الخندق (الاحزاب) على المسلمين ، فلم ينفع معه الا القتل فقتل .فلما جيء به إلىٰ رسول الله ﷺ ويداه مجموعتان إلىٰ عنقه بحبل نظر إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذِل اللهَ يُخذَل ثم جلس فضربت عنقه.

فحرَّف الحزب القرشي الواقعة وقالوا :اقدم الرسول ﷺ على قتل جميع اسرى بني قريظة !

٥ ـ وكان تعامل النبي ﷺ مع اليهود في المعارك كالاتي:

في معركة المسلمين مع بني قينقاع أمر النبي ﷺ بإجلائهم وغنّم الله عزّوجلّ رسوله والمسلمين ما كان لهم من مال، ولم تكن لهم أرضون إنّما كانوا صاغة، فأخذ رسول الله ﷺ منهم سلاحاً كثيراً وآلة صياغتهم [1].

واختلق الحزب القرشي والمنافقون رواية اجبار ابن أبي للرسول ﷺبتحرير أسرى بني قينقاع .

في حين كانت نظرية النبي ﷺ في الاسرى قائمة على اطلاق سراح الكفار منهم وأصحاب الكتاب [2].

وفي معركة بني النضير كان النبي ﷺ قد حاصرهم حتىٰ بلغ منهم كل مبلغٍ،

(١) تاريخ الطبري ٢/١٧٢ ـ ١٧٤، تاريخ ابن الأثير ٢/١٣٧ ـ ١٣٨.

(٢) راجع أوامر النبي ﷺ في أسرى بدر وخيبر وحنين في هذا الكتاب .

فأعطوه ما أراد منهم فصالحهم علىٰ أن يحقن لهم دماءهم وان يخرجهم من أرضيهم وأوطانهم، وأن يسيّرهم إلىٰ خيبر وفدك وأذرعات الشام[١]، على أنّ لهم ما حملت الابل دون الذهب والفضة والسلاح[٢].

وفي معركة خيبر فتح رسول الله ﷺ بعض الحصون عنوة، وبعضها جنح أهلها إلىٰ الصلح اي الوطيح والسلالم فصالح رسول الله ﷺ اليهود علىٰ أن تحقن دماؤهم ولهم ما حملت ركابهم وللنبي ﷺ الصفراء والبيضاء والسلاح ويخرجهم،وشرطوا أن لا يكتموه شيئاً فإن فعلوا لا ذمة لهم ولا عهد، فلما وجد الرسول ﷺ المال الذي غيبوه في مسك الجمل غلبهم علىٰ الأرض والنخل [٣]، وقَتَلَ ابن أبي الحقيق الذي غيَّب الكنز فدله الله تعالىٰ عليه[٤]، وبقي الرجال اليهود يعملون في الارض علىٰ نصف الحاصل .

اذن لم يقتل النبي ﷺ أسرى اليهود في معاركه جميعا فأبقى البعض منهم يعملون في الارض ورحل آخرين إلى خيبر .

الدلائل والعبر في معركة الخندق

كان من المسلمين الصبر والدعاء والاخلاص في العمل والاستعداد للجهاد فأجابهم الله تعالىٰ بالنصر والعزة لهم والهزيمة لاعدائهم والنصر الإلهي تمثل في الريح والرعب والخوف والبرد ونفاد القوت وانقطاع المدد وتشتت الأحزاب وانقسامهم علىٰ انفسهم ومقتل زعمائهم بيد الامام علي بن أبي طالب ﷺ.

---

(١) دلائل النبوة، البيهقي ٣/٣٥٤ ـ ٣٥٩، طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت، تاريخ الطبري ٢/٢٢٣، ٢٢٤ طبعة الأعلمي ـ بيروت، الثقات ١/٢٤٣، سيرة مغلطاي ٥٣، التنبيه والاشراف ٢١٣، الدر المنثور ٦/١٨٨، مرآة الجنان ١ / ٩، تاريخ الاسلام، الذهبي، المغازي ٢٢٣.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/٤٩.

(٣) اي جلداً وضع فيه الحلي.

(٤) المنتظم ٣ / ٢٩٤.

ومن القضايا الاخلاقية والفقهية عدم جواز النظر إلىٰ العورة كما فعل الإمام عليﷺ مع عمرو بن عبد ود الذي كشف عورته بعدما ضربه عليﷺ.

ويستفاد ايضاً عدم جواز بيع جثث القتلىٰ إذ رفض النبيﷺ استلام مال مقابل جثة عمرو وجثة نوفل.

واستفدنا أيضاً عدم اقدام عليﷺ علىٰ سلب القتلىٰ ثيابهم وهذا من أخلاق الأوصياء والأنبياء.

وتعلمنا اقدام محمدﷺ وعليﷺ علىٰ الاشتراك في العمل والجهاد إلىٰ جنب سائر المسلمين واطّلعنا على رغبة قريش في قتل رسول اللهﷺ وسائر المسلمين وعدم رغبتها في قتل عمر بن الخطاب!.

وكان الكفار عارفين بهوية المسلمين والمنافقين.

والدلائل والعبر من وقعة بني قريظة تتمثل في هزيمة وخذلان كل من يمكر برسول اللهﷺ والمسلمين ويخونهم وان الدين يجوّز قتال من نقض العهد مع المسلمين مثل بني قريظة الذين نقضوا العهد واعلنوا الحرب علىٰ رسول اللهﷺ والمسلمين، والدين يجوّز حصارهم، ويجوّز تحكيم المؤمنين مثلما حكّم رسول اللهﷺ سعد بن معاذ في قضية بني قريظة. ووافق الإمام عليﷺ علىٰ تحكيم عبد الله بن عباس في قضية معركة صفين إلّا أنّ الخوارج اجبروه علىٰ تحكيم أبي موسىٰ الاشعري[1].

ودلت الواقعة علىٰ ندم كعب بن أسد اليهودي وايمانه برسول اللهﷺ إلّا انه أصرّ علىٰ المذهبية الدينية المشابهة للعصبية القومية والاقليمية والحزبية.

انّ غدر اليهود المستمر في التاريخ يؤيّده القرآن الكريم وتثبته الأحداث الكثيرة فلقد جبلت نفوسهم على الغدر والعصيان. وقد وصف الله تعالى الغادرين بقوله:

---

(١) السيرة النبوية، أبو حاتم ٢ / ٥٤٨.

﴿إِنَّهُم يَكِيدُونَ كيداً وَأَكيد كيداً فَمَهِّلِ الكافِرِينَ أَمهِلهُم رُوَيداً﴾[١]

وأخذ رسول الله ﷺ ريحانة اليهودية زوجة له[٢].

---

(١) الطارق ١٥، ١٦، ١٧.

(٢) تاريخ اليعقوبي ١/٥٠، البدء والتاريخ ٢/٩٠، تفسير الطبرسي ٤/٣٤٠، تفسير الزمخشري ٣/٥٣٢ – ٥٣٦.